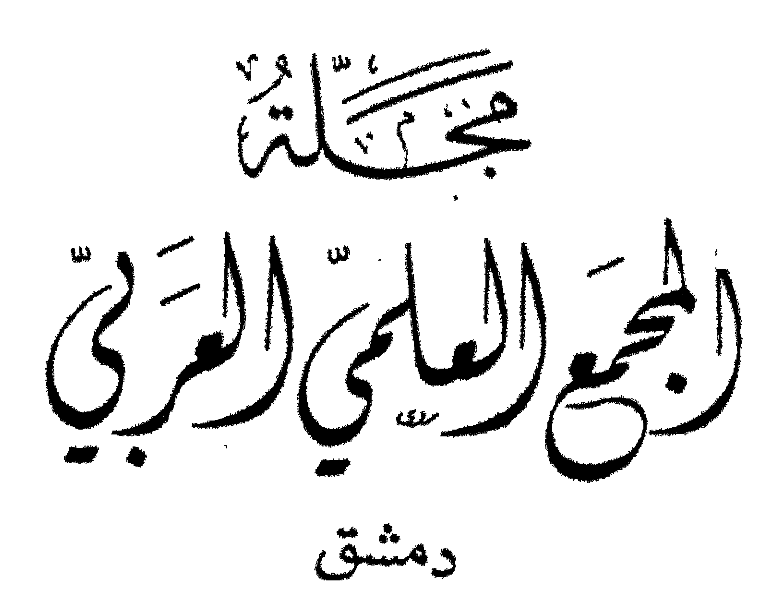
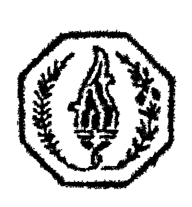
الجزء الأول — المجلد الثلاثون

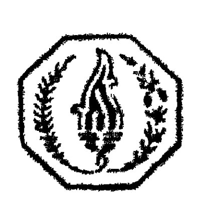




١ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ م
٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ هـ

الجزء الأول　　　　　　　　　　المجلد الثلاثون





١ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ م

٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ هـ

يصدر قريباً :

الجزء الثالث من

محاضرات

المجمع العلمي العربي

الشعر في العصر الأموي

للشعر العربي خصائص ومزايا يتميز بها باختلاف العصور ، ولذلك صنفه النقدة والرواة أصنافاً وقسموه الى أقسام هي : شعر الجاهلية ، وشعر المخضرمين ، وشعر الإسلاميين ، وشعر المحدثين . ولكل قسم من هذه الأقسام طابع خاص يظهر عليه جلياً . والشعر في العصر الأموي هو القسم الثالث ، أي شعر الإسلاميين الذين ولدوا في الإسلام ولم يدركوا الجاهلية ، كالفرزدق وجرير والأخطل .

تطمئن النفس الى صحة الشعر الأموي ، لأن شعراءه والحوادث الباعثة على نظمه ، والرجال الذين قيل فيهم ، حقائق تاريخية لا يتسرب الشك اليها ، فضلاً عن حفظه وتدوينه قبل أن يطول عليه العهد ، ويتقادم عليه الزمن ؛ وأكثر ما ضاع منه ، ضاع بعد تدوينه لا قبله .

والشعر في العصر الأموي ، أفضل منه في العصر الجاهلي ، لأن العرب انفسحت لهم آفاق جديدة ، ورأوا أنواعاً جديدة من الحياة في الأقطار التي فتحوها ، وتهذبت لغتهم ببيان القرآن ، وأصبحوا سادة كثير من الأمم ، وآمنوا بأنفسهم أنهم هداة العالم وقادته ، وتطلعوا الى مثل أعلى لم يكن لهم به عهد في الجاهلية .

هذا المثل الأعلى صوره لنا شاعر في العصر الأموي اسمه مالك بن الريب التميمي ؛ كان مالك هذا شاباً فارساً من أجمل الناس وجهاً وأحلاهم حديثاً وأحسنهم ثياباً ، له زوج جميلة وطفل وطفلة وأبوان شيخان ، وله أصحاب وصواحب يألفهم ويألفونه ، ويسحرهم بفتوته ومروءته وحسن حديثه .

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري	
	وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري	

رأى مالك يوماً في بادية البصرة – حيث يقيم – جيشاً آتياً من الشام ووجهته خراسان ، وعلى رأسه سعيد بن عثمان بن عفان عامل معاوية على خراسان ، فانضم الى ذلك الجيش متطوعاً ؛ فلما شاع خبر تطوعه بكت زوجه الفتاة ، وتعلق به طفلاه ، وتشبث به أبواه الشيخان ، وتشفع اليه أصحابه بصواحبه اللواتي خوفنه الموت في الغربة البعيدة . فزوى وجهه عن كل هذه المغريات ، وسما ببصره الى المثل الأعلى ، وذهب الى خراسان مع الجيش الفاتح ، وأصيب هناك ، وبقي أياماً بعد إصابته تفيض مع نفسه أبياتٌ من الشعر يصور بها كل ما ذكر ، نورد منها قوله :

ألم ترني بعت الضلالة بالهدى	وأصبحت في جيش ابن عفّان غازيا
فلله درّي يوم أترك طائعاً	بنيّ بأعلى الرقمتين وماليا
ودرُّ الظباء السانحات عشيةً	يخبرن أني هالكٌ من ورائيا
ودرُّ كبيريَّ اللذين كلاهما	عليَّ شفيقٌ ناصحٌ ما ألا ايا
ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابه	ودرُّ لجاجاتي ودرُّ انتهائيا

هذا ما لا عهد للشعر العربي به من قبل في أيام الجاهلية ، نراه متمثلاً في الشعر الأموي . ولئن امتاز العصر العباسي بأنواع النثر ، فلقد خص العصر الأموي بالشعر .

كثر الشعر في العصر الأموي لكثرة بواعثه ، فقد كان عصراً يفيض بالحياة من أوله الى آخره ، مملوءاً بالحوادث الجسام ؛ فتوح لم يفتح بها على غيرهم من الأمم ، وأحداث فيما بينهم عظيمة ، فمن مقتل عثمان ، الى وقعة الجمل ، الى وقعة صفين ، الى وقعة مرج راهط ، الى مقتل مصعب بن الزبير فعبد الله بن الزبير ؛ وثورات الخوارج لا تهدأ حتى تشب . فكأن نفوس العرب حينئذ لشدة الحياة المتقدة فيها مشاعل تضيء ما حولها وتحرق نفسها ،

ولكن مدد النور فيها لا ينفد . والشعر ثورة نفسية يشبها بعض هذه البواعث أو ما ينشأ عنها من الأمور ، فكيف بها كلها .

والشعر في العصر الأموي يمثل الطبع العربي والخيال العربي والبيان العربي ، بعد أن انفسحت أمامه آفاق جديدة بالإسلام وبالفتوح وبالحوادث الداخلية ، شأنه شأن الدولة الأموية التي كانت عربية في جميع مناحيها ، لا تزيدها الحوادث إلاّ نمواً وقوةً ونضارة . سما به الإسلام الى المُثل العليا ، ونفضت عليه الفتوح ألواناً جديدة ، وصقلت الحضارة حواشيه ؛ ولكنه بقي محتفظاً بجوهره ، عرّب ولم يتعاجم ، ونقل ولم ينتقل ، ضمن أُسلوب الفصحى وبيانها .

وكان خلفاء بني أمية عناية عظيمة بالشعر ، يرتاحون لسماعه ، ويطربون إليه ، ويرفعون من قدر الشعراء ، ويغدقون عليهم العطايا ، ويتخذون منهم دعاةً لهم ولسياستهم وتوطيد خلافتهم ، وقلّ من خلفاء بني أمية من لم يقل الشعر ، فمعاوية من أكثرهم شعراً ، ولكن شهرته بالسياسة والدهاء والحزم طغت على شهرته بالشعر ، وابنه يزيد مشهور بالشعر وله ديوان ؛ ولمروان بن الحكم شعر ، أما عبد الملك فقد كان ناقداً بصيراً وأقواله في الشعر والشعراء يعتمد عليها الرواة والنقدة ويبنون عليها أحكامهم ، وله شعر ؛ ولعمر بن عبد العزيز شعر ، وهو الذي سنّ للشعراء شعر الحكمة والصلاح والتقوى ، وليزيد بن عبد الملك شعر ، أما الوليد بن يزيد فقد اشتهر بالشعر أكثر من كل شيء ، وهو إمام الشعراء في الخمريات . ولقد كانت قصور هؤلاء الخلفاء مألف الشعراء ومهوى أفئدتهم . ونبغ من البيت الأموي عدا الخلفاء كثير من الشعراء كعبد الرحمن بن الحكم وخالد بن يزيد وأم حكيم وغيرهم .

ولقد كان للخلفاء الأمويين أثر ظاهر في توجيه الشعراء وجهات خاصة يقتضيها الفن أو الحياة الحضرية ، فضلاً عن النزعات السياسية والميول الشخصية .

استأذن مرةً وافد على معاوية ، فلما وقف بين يديه ، قال له معاوية : حاجتك يا أخا العرب ، فقال : مدحة حبرتها لك يا أمير المؤمنين . فقال له معاوية : أما إذا شبهتني بالحية والسّود والكبش ، فلا حاجة لي بمدحتك ، ولك جائزتك .

وقال يزيد مرة لجماعة من الشعراء في مجلسه : عجبي لكم معشر الشعراء في الشام ، يقف أحدكم على الطلل البالي فيستنزف شعره في وصفه ، وعندكم تدمر وفيها ما فيها من تماثيل ومحاريب وتهاويل هي أحق بالوقوف والوصف ، تمرون بها كالبكم أو العمي .

وما يدريك لعل الوليد بن عبد الملك طلب الى النابغة الشيباني أن يصف الجامع الأموي ، فنظم قصيدة مدح بها الوليد ووصف فيها الجامع وصفاً هو غاية في الحسن والروعة قال [1] :

... فيه الزبرجد والياقوت مؤتلقٌ	والكاس والذهب العقيان مرصوفُ
ترى تهاويله من نحو قبلتنـا	يلوح فيها من الألوان تفويفُ
يكاد يعشي بصيرَ القوم زبرجهُ	حتى كأنَّ سواد العين مطروفُ
وفضة تعجب الرائين بهجتهـا	كرّيها فوق أعلاهنَّ معطوفُ
وقبة لا تكاد الطير تبلغهـا	أعلى محاريبها بالساج مسقوفُ
لها مصابيح فيها الزيت من ذهبٍ	يضيءُ من نورها لبنانُ والسيفُ
فكل إقباله [2] ـ والله زينه ـ	ميطن برخام السام [3] محفوفُ
في سبرة [4] الأرض مشدود جوانبه	وقد أحاط بها الأنهار والريفُ
فيـه المثاني وآيات مفصلةٌ	فيهن من ربنا وعدٌ وتخويفُ

(١) ديوان نابغة بني شيبان ص ٥٣ .
(٢) إقباله : ما استقبل منه .
(٣) في الأصل : (الشام) ولعل الصواب ما اثبتناه ، فالسام : عروق الذهب والفضة في الحجر وهو أقرب في هذا المقام .
(٤) سبرة الأرض : جوفها .

وعمر بن عبد العزيز منع الإذن للشعراء إلاّ اذا استلهموا الرحمن لا الشيطان ، فظهرت أولية شعر التقوى والصلاح والزهد ، وعفت ألسنة الشعراء مدة خلافته ، وصار كثير عزة وعدي بن الرقاع وجرير فيما مدحوه به أشبه بالنساك الزهاد ؛ وظهر في أيامه شاعر لا يشبه بقية الشعراء هو سابق قاضي الرقة ، قصر شعره كله على الحكمة والوعظ والزهد .

والوليد بن يزيد هو الذي جعل الخمريات فناً متميزاً ومذهباً أخذه عنه كل من أتى بعده من الشعراء حتى اتهم أبو نواس بسرقة كثير من شعر الوليد .

والمتصفح للشعر في العصر الأموي يتبين سلامة طبع الشعراء ورقة نفوسهم وصدق شاعريتهم ، وصحة بواعث الشعر عندهم ، وحسن مواقفهم الشعرية . فقد كانوا يهتاجون لسجع الحمائم :

سمعت حمامةً هتفتْ بليلٍ فما هجتِ العشية يا حماما

ولحنين الإبل :

وحنَّتْ قلوصي آخر الليل حنةً فيالوعةً ما هاج قلبي حنينها

وهبوب الرياح :

إذا هبَّ عُلْوِيُّ الرياح وجدتني كأني لعلوي الرياح نسيبُ

ولمع البرق :

أرقت للبرق يخبو ثم يأتلقُ يخفيه طوراً ويبديه لنا الأُفُقُ

ولجريان السيل :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتيَّ غروبُ

وللضحى ورونقه والليل ونجومه وشهبه والسحب وانهمارها .

ولا يفسرون الحال التي تأخذ الشاعر ، والهزة التي تنتابه ، والأريحية التي يجدها ، والنشوة التي تسري فيه ، في مثل هذه المواقف الشعرية ، إلا

انفصالاً عن هذا العالم المادي ، واتصالاً بعالم غير مرئي ، هو عالم الشعر الذي تعزف به الجن ، وتتراءى فيه عرائس الشعر ؛ ومن هنا جعلوا لكل شاعر نجيًّا أو رئيًّا أو صاحبًا من الجن يلقنه الشعر ، وهو الذي يعرف عندهم بشيطان الشعر . والفرزدق أوسع الشعراء الأمويين تخيلاً لهذا العالم ، وملابسةً له ، فقد كان اذا استعصى عليه الشعر يركب ناقته ويهيم في الأودية الخالية ، وربما بات ليلته كلها في واد أو سفح يستلهم الجن ، ويقول في الفترة بعد الفترة : «أخاكم أخاكم ، أجيبوا أخاكم أبا لبينى» وقصيدته الفائية التي أولها :

عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ وأنكرتَ من حدراء ما كنتَ تعرفُ

بنت ليلة من تلك الليالي الشعرية . وكان الفرزدق يتخيل للشعر إلـٰهين عظيمين من الشعر يسمي أحدهما «الهوبر» والآخر «الهوجل» الأول يوحي الطيب من الشعر ، والثاني يوحي الفاسد . وكأن هذا الخيال الثنوي دبّ اليه من عقيدة الفرس الثنوية في إلـٰهي الخير والشر أو النور والظلمة .

وكأن ألفة الفرزدق لعالم الجن عقدت أواصر الصداقة بينه وبين إبليس ، فاستمرت صحبتهما ـ بإقرار الفرزدق ـ تسعين سنة ، ثم انفرج ما بينهما حتى علت سن الفرزدق وأصبح غير أهل لصحبته ، فهجا إبليس بقصيدة يقول فيها :

أطعتك يا إبليس تسعين حجـةً فلما انقضى عمري وتمَّ تمامي
رجعتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني ملاقٍ لأيام المنونِ حِمامي

وهناك شاعر آخر اسمه عامر الجرمي ، ارتفعت الكلفة بينه وبين صاحبه الجني ، حتى خلطه بأهله وولده ، فأحب الشاعر بنت الجني وهام بها وجن بها جنوناً ، وكان يزعم أنها تتراءى له في الهواء ، ويسكن اليها في الهواء ، وفيها يقول :

لابنـة الجني في الجو طللْ دارس الآيات عافٍ كالخللْ

وهكذا نجد لكل شاعر شيطاناً يلقنه ، وكل شاعر يزعم أن شيطانه أقوى من شيطان غيره ، ولهم في ذلك أقوال منها :

وإني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

✲ ✲ ✲

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوٌّ عني

فإن شيطاني كبير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

✲ ✲ ✲

ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً أقول وطوراً هوه

✲ ✲ ✲

ونزا على شيطانه شيطاني

وهذا شأن العرب اذا أعجبوا بشيء نسبوه الى الجن :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

✲ ✲ ✲

وعلى ما استجد من المعاني فقد حافظ الشعر الأموي على كثير من خصائص الشعر الجاهلي ، وظل سالكاً طريق الشعر الجاهلي في الوزن والقافية ، ولكن الأراجيز طالت وكثرت ، ونبغ من الشعراء من قصر شعره عليها ، فسموا الرجاز ؛ كأبي النجم العجلي والعجاج وابنه رؤبة ؛ ولا يفسر ذلك إلا بامتداد بحور الشعر ، لأن الاختصاص دليل على تعاظم الأصل وفرعه .

وكما حافظوا على الوزن والقافية ، حافظوا على النسيب في مطالع القصائد سواء أكانت في المدح أم في الفخر أم في الهجاء ، يستجيشون بذلك قرائحهم ، ويستوحون عرائس الشعر ويغنونها ، ويروضون القول ونفوس السامعين ويسحرونها ، ويهيئونها لقبول ما سيرد عليها بعد النسيب من مدح أو فخر أو هجاء أو غير ذلك من الأغراض ، وكأنهم يرمزون بذلك الى أولية الشعر العربي الذي وصل الينا غنائياً ، وظل الغناء فاتحة لأكثر أنواعه ، حتى أغرب ابن مقبل فلم يخل منه إحدى قصائده في الرثاء .

وأعظم خصائص الشعر في العصر الأموي الاعتماد على الطبع وكراهة الكلفة ، إذ يشعر القارئ بتدفق الطبع ، ومياسرة القول ، واجتناب الافتسار ، والفرار من الكلفة التي كرهها العرب في كل شيء ؛ فقد كانوا يرسلون القول إرسالاً ، ولا يطيلون النظر في أعقاب قوافيهم ، ويعجبهم السمح السهل ، ويسمون من يتنوقون في شعرهم ، ويطيلون النظر في أعقاب قوافيهم ، ويعيدونها فضل تفكر وتدبر ، عبيد الشعر . ومن أمثلة شعرهم المطبوع قول ابن أبي أذينة :

إن التي زعمت فؤادك ملّها   خُلقت هواك كما خُلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها   بلباقةٍ فأدقّها وأجلّها
وإذا وجدتُ لها وساوس سلوةٍ   شفع الضمير الى الفؤاد فسلّها
منعت تحيتها فقلتُ لصاحبي   ما كان أكثرها لنا وأقلّها
فدنا وقال لعلّها معذورةٌ   من أجل رقبتها فقلتُ لعلّها

والخاصة الثانية : البيان بمعناه اللغوي أي الظهور والوضوح ، فقد كانوا يكرهون التعمق والتعقيد والتقعر ، ولا يتكلفون الصنعة ، ولا يدورون ولا يلفون ، بل يسلكون الى المعنى أوضح السبل ، ويجلونه بأظهر بيان ؛ وما ورد في شعرهم من أحكام الصنعة فبقدر طبيعي وغير مجتلب ولا مقتسر ولا مقصود ، وقد تمر بالأبيات من شعرهم ، فلا تكاد تجد نوعاً من أنواع الصنعة التي أغري بها من جاء بعدهم من المحدثين . قال الفرزدق :

اذا متُّ فابكيني بما أنا أهله   فكل جميلٍ قلتِ فيَّ يُصدَّقُ
وكم قائلٍ مات الفرزدق والندى   وقائلةٍ مات الندى والفرزدق

وقال جرير وقد اشترى من آل زيدٍ أمةً فأنكرت خشونة عيشه وكبر سنه :

تكلفني معيشة آل زيدٍ   ومن لي بالمرقّق (١) والصنابِ
وقالت لا تضم كضم زيدٍ   وما ضمّي وليس معي شبابي

(١) المرقق : الخبز المنبسط الرقيق . والصِّناب : إدام يتخذ من الخردل والزبيب .

ومن خصائص شعراء ذلك العصر : الاستسلام الى العاطفة أو الشعور ، والاقتصاد في الخيال . والترجمة عن الشعور من أوضح عناصر الشعر العربي ، واشتقاق كلمة الشعر عند العرب دليل على ذلك لأنها مشتقة من الشعور ، وليست كذلك عند غيرهم . والعربي بفطرته سريع التأثر عصبي المزاج مرهف الحس ، والشاعر عادةً أرهف حساً وأعمق شعوراً ، ولقد قالوا : إنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره . ولئن خص شعر الفرس مثلاً بسمة الخيال والإبداع . فلقد خص شعر العرب بصدق الشعور وعمقه وإرهافه . ومقياس الإحسان عندهم قول الشاعر :

وإن أحسن بيتٍ أنت قائله   بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا

والصدق هنا هو صدق الشعور . فالشاعر العربي مستسلم الى شعوره مقتصد في خياله ، وليس هنا محل المفاضلة بين هاتين المزيتين ـ مزية الشعور ومزية الخيال ـ وإنما ملاك الأمر الإحسان في هذه أو تلك . وأي إحسان في تصوير الشعور فوق قول صاحب ليلى :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثَّلُ لي ليلى بكل سبيلِ

وقول الآخر :

أآخر شيء أنت في كل هجعةٍ   وأول شيء أنت عند هبوبي

* * *

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى   إلى حيث يهوي القلب تهوي به الرجلُ

* * *

وقد كنت آتيكم بعلة غيركم   فأفنيت علاّتي فكيف أقولُ

* * *

بينما نحن بالبلاكث فالقا   ع سراعاً والعيس تهوي هويا
خطرت خطرةٌ على القلب من ذكـ   ـراك وهناً فما استطعتُ مضيا
قلتُ لبيكِ إذ دعاني لك الشو   ق وللحاديين رُدّا المطيا

* * *

وليس في هذه الأمثلة إبداع في الخيال ، ولكن فيها عاطفة مشبوبة وشعوراً حاراً يتلظى ويكاد يحرق بعضه بعضاً .

ولقد خص الشعر العربي ـ والشعر في العصر الأموي يمثله أصدق تمثيل ـ بالإيجاز ، ولهم في ذلك آيات ، ولعل عنايتهم بالإيجاز حالت بينهم وبين الإطالة في موضوع واحد ، فبرزت القصيدة الواحدة تتضمن عدة موضوعات ، وكأنهم اجتزأوا بوحدة الوزن والقافية في القصيدة الواحدة عن وحدة الموضوع ، ولم يروا بأساً بتداعي الأفكار ، فكانت وحدة المعنى عندهم في البيت لا في القصيدة . ومن ايجازهم الحسن قول القطامي :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

وقول جرير :

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا

وقول الآخر يصف سهماً :

« غادر داءً ونجا صحيحا »

ومن خصائص الشعر في ذاك العصر : جزالة اللغة وحلاوتها ، فالشعر الأموي بجملته جزل فخم رصين ، يملأ فم المنشد وسمع السامع ، ويندر فيه اللين المتفكك كالذي أخذ على ابن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة والوليد ابن يزيد في بعض شعرهم ، وكلهم حضريون غزلون يكثرون من معاشرة النساء والإماء . وقد فرقوا كثيراً بين الجزالة الحلوة وبين الوعورة والتقعر ، ولم يغضب الفرزدق لما قيل عنه في شعره « ينحت من صخر » بل حمل ذلك على القوة والجزالة :

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا فإن نحن أومأنا الى الناس وقفوا

من هذه العناصر الخمسة : « الطبع والبيان والشعور والإيجاز والجزالة »

يتألف فنهم في الشعر ، وقد يكون بعض هذه العناصر أظهر من بعض في القصيدة ، والأبيات التي تجمعها كلها تبلغ الغاية ، قال ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نجدِ   لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ
أأنْ هتفتْ ورقاءُ في رونق الضحى   على فننٍ غضِّ النبات من الرند
بكيتَ كما يبكي الوليد ولم تكن   جليداً وأبديتَ الذي لم تكن تبدي

اجتمعت في هذه الأبيات جميع ما ذكر من خصائص فنهم ، فالطبع الشعري يتدفق تدفقاً وينسجم انسجاماً ، والبيان وضّاءٌ وضّاحٌ كفلق الصبح ، أما العاطفة فشبوبة وثّابة ، وأما الايجاز فقد بلغ الغاية لما صوّر ببيت واحد صورة بألوانها وظلالها تتحرك وتنطق ، جمع أروع ما في الطبيعة من مواكب الجمال في قوله « في رونق الضحى » وجعل هذه الورقاء تهتف في ذلك الرونق « على فنن غض النبات » ولماذا ؟ لأن الغصن الغض فضلاً عن حسن منظره يترنح إذا وقعت عليه الورقاء أو دارت أو اهتزت ، فيكون أجمل منظراً وأوفر حياةً ، وجعله من الرند والرند أطيب أشجارهم . والجزالة الحلوة في هذه الأبيات يحسها السمع والذوق .

ومن الشواهد التي يتجلى فيها فنهم الشعري قول نصيب :

كأنَّ القلب ليلة قيل يغدى   بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة عزّها شركٌ فباتتْ   تجاذبه وقد علق الجناحُ
لها فرخان قد تركا بوكرٍ   فعشهما تصفقه الرياحُ
إذا سمعا هبوب الريح نصّا   وقد أودى به القدر المتاح
فلا في الليل نالت ما ترجي   ولا في الصبح كان لها براح

وقول عدي بن الرقاع في حماري وحش :

يتعاوران من الغبار ملاءةً   غبراء محكمةً هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً   وإذا السنابك أسهلتْ نشراها

وقول أعرابي :

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفانِ
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد رمياني

* * *

والدين والسياسة والفتوح آثار بينة في الشعر الأموي ، وربما كان أعظم أثر لنواهي الإسلام في الشعر ، خلوه من الخمر ووصفها ، فبعد أن كان الجاهليون يتمدحون بشربها ، صار جرير يهجو الأخطل بتعاطيها .

ياذا الغباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوانِ

والشعراء الغزلون في ذلك العصر كعمر بن أبي ربيعة وذي الرمة وكثير عزة وجميل بثينة والعرجي وابن أبي عتيق لم يصفوا الخمر ، ولولا الأخطل ـ وهو غير مسلم ـ والوليد بن يزيد في آخر العصر الأموي لما كان للخمر ذكر في الشعر الأموي .

ونجد في الغزل ـ ولا سيما البدوي منه ـ عفة لم تكن معهودة من قبل :

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسمِ

ونلقى في بعض الأحيان تحرجاً أشبه بتحرج الزهاد :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلامِ

ونرى في الغزل لوناً دينياً ترتاح اليه النفس :

لقد بسملتْ ليلى غداة لقيتها فيا بأبي ذاك الغزال المبسملُ

* * *

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلتِ بناسك متعبدِ
قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى عرضتِ له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه لا تفضحيه بحق دين محمد

* * *

رمتني وستر الله بيني وبينها ... ونحن بأكناف الحجاز رميمُ
فلو أنني لما رمتني رميتها ... ولكن عهدي بالنضال قديم

* * *

بيض أوانس ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرامُ
يحسبن من لين الكلام روانياً ... ويصدهن عن الخنا الإسلام

ومن أثر الإسلام في الشعر الأموي ذكر الإيمان والنبي والملائكة وليلة القدر والقرآن وسوره :

يذكرني حـم والرمح شاجر ... فهلاً تلا حـم قبل التقدم

والصلاة :

أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها ... أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

والجنة والنار والثواب والعقاب والكفر والإلحاد والنفاق والتوبة وما الى ذلك من الألفاظ الإسلامية . وقصيدة الفرزدق في هجاء إبليس مقتبسة مما ورد عنه في القرآن .

وللسياسة أثر واضح في الشعر الأموي . كان حزب بني أمية أعظم الأحزاب السياسية ، وهو الحزب الحاكم ، وبيده السلطان والقوة ؛ وحزب بني هاشم الحزب المغلوب على أمره ، وحزب عبد الله بن الزبير ، ولم يدم طويلاً بل تشتت بمقتل ابن الزبير ، وحزب الخوارج ، وهو حزب المعارضة الناقم الثائر القوي الشكيمة . ولكلٍ من هذه الأحزاب شعراء ، وإن كان حزب ابن الزبير أقل هذه الأحزاب عدد شعراء لأن رأسه لم يبسط لهم يده بالعطاء . وشعراء الحزب الأموي أكثر من شعراء جميع الأحزاب ، من أشهرهم كعب بن جعيل ومسكين الدارمي والفرزدق وجرير والأخطل وعدي بن الرقاع والنابغة الشيباني وغيرهم ، كانوا دعاة بني أمية يشيدون بأعمالهم وينوهون بمآثرهم ويسفهون أحلام خصومهم ، ويرون أن العرب لا تصلح إلا عليهم :

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك ولا ... تصلح إلا عليهم العرب

حتى إذا ضعضعهم الزمان قال أحد شعرائهم واسمه

أليس الله يعلم أن قلبي يحب

وما بي أن يكونوا أهل عدل ولكني

وشعراء الحزب الهاشمي يتميز شعرهم بنشيج الحز
وأسف المقهور ، وفيه شجو ورقة وحنين وحزن و
الدؤلي والكميت بن زيد الأسدي .

وشعراء الخوارج فرسان أبطال ، وشعرهم شعر ال
يلحقون الموت وهو يفر منهم ، كانت إحدى نسا

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد

هل من فتى يحمل عني

ويصف أحد شعرائهم صريعاً منهم بقوله :

يهوي وترفعه الرماح كأنه شلو تنش

فثوى صريعاً والرماح تنوشه ان اا

وللفتوح أثر في الشعر الأموي ، وقد فتحت ال
كالشام والعراق ومصر قبل الدولة الأموية فما قيل
في بحثنا . وتمّ فتح ما وراء تلك الأقطار في الدول
الداخل لا تكاد تهدأ ، فكان هم الشعراء في هذه
لهم عن إعطاء الفتوح ما تستحق من العناية . على أ
بعض جيوش الفتوح ويتغنى بما يفتح الله عليها ويصنع
الذي رافق المهلب بن أبي صفرة في حروبه . ومن
جميل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد :

أبوك الذي قاد الجيوش مغرّباً الى الروم لـ

وما يستوي الجيشان جيش لخالد وجيش علي

وقد مدح جرير مسلمة بن عبد الملك في غزواته في

وبعد أن فتح العرب الشام والعراق وفارس ومصر ورأوا مدنهـا الزاخرة بالحضارة والعمران ، وما أفاء الله على الفاتحين من غنائم على اختلاف الأنواع ، وزار الشعراء قصور الخلفاء في دمشق ، ظهر في بعض الحواضر شعراء صقلت الحضارة حواشي شعرهم ، وظهر عليه النعيم والترف ، ولا سيما مدن الحجاز ، والشعراء الغزلون في حواضر الحجاز أثر مما ذكر . وقد تديرت فتاة عربية دمشق وأعجبها ما فيها من النعيم والوجوه الحسان فقالت :

كهولـ دمشق وشبانها أحب إليَّ من الجاليـه

وقد ذكر الشعراء قصور الخلفاء والحدائق المحيطة بها ، وقصيدة النابغة الشيباني في وصف الجامع الأموي أثر للحضارة بيّن . وللفرزدق قصيدة غزلية يذكر فيها قصراً شاهقاً تدلى منـه من علو ثمانين قامة ، كما يذكر حراس القصر ووصائفه .

وقبل أن أختم هذا البحث أريد أن أشير الى شاعرين عجيبين بين شعراء العصر الأموي كل منهما أمة وحده ، تفردا بأشياء لم تجتمع لغيرهمـا . الأول : سابق قاضي الرقة لعمر بن عبد العزيز ، فشعره كله مواعظ وحكم وزهد وتقوى وصلاح مستقاة من الدين ، يعظ وينذر ويخوف بالموت والحساب والعذاب في اليوم الآخر ، وكان عمر بن العزيز يجله ويؤثره . والثاني كعب ابن معدان الأشقر شاعر الفتوح بأسلوب قصصي دقيق متتابع ، رافق المهلب ابن أبي صفرة في حروبه ، وكان يصوّر الوقائع تصويراً تاماً متتالياً ، وقد أوفده المهلب الى الحجاج فأنشده قصيدة وصف فيهـا يوم رام هرمز وأيام سابور وأيام جيرفت أولها :

يا حفصُ إني عداني عنكمُ السفرُ وقد سهرتُ فآذى عينيَ السهرُ

وهي طويلة جداً أشبه بملحمة ، وفيها وصف كامل تام متلاحق ، فاستحسنها الحجاج وقال له : إنك لمصنِّف .

خليل مردم بك

الحدس والفكر

من الألفاظ الفلسفية التي لا تخلو دلالتها من الالتباس والاشكال لفظا الحدس والفكر . فالحدس يدل في اللغة على معان كثيرة ، منها الظن والتخمين ، والتوهم في المعاني والكلام والأمور ، والمضي في استقامة أو على طريقة مستمرة ، والنظر الخفي ، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية ، والرمي ، والسرعة في السير . أما الفكر فيدل على إعمال النظر في الشيء ، وعلى ما يخطر بالقلب من المعاني ، وعلى التأمل والروية . فلكل لفظ من هذين اللفظين إذن معان متقاربة تشترك كلها في اسم واحد اشتق منه العلماء اصطلاحاً فلسفياً واحداً ، فأخذوا اصطلاح الحدس من معنى السرعة في السير ، فقالوا : « الحدس هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب » (تعريفات الجرجاني) أو « هو تمثل المبادئ المرتبة في النفس دفعة من غير قصد واختيار سواء كان بعد طلب أو لا فيحصل المطلوب » (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . وحددوا معنى الفكر بقولهم هو الانتقال « من أمور حاضرة في الذهن متصورة أو مصدق بها تصديقاً علمياً أو ظنياً أو وضعاً وتسليماً الى أمور غير حاضرة فيه » . (ابن سينا ، الاشارات ، ص : ٢ من طبعة ليدن) .

ونريد الآن أن نعرّف هذين اللفظين بالاعتماد على النصوص الفلسفية المشتملة عليهما .

من هذه النصوص قول الفارابي في فصوص الحكم عند الكلام عن الرؤيا : « فربما ضبطت القوة الحافظة الرؤيا بحالها فلم تحتج الى عبارة ، وربما انتقلت

القوة المتخيلة بحركاتها التشبيهية عن المرئي نفسه الى أمور تجانسه ، فحينئذ تحتاج الى التعبير . والتعبير هو حدس من المعبر يستخرج به الأصل من الفرع» (فصوص الحكم ، ص ٧٦) . فقوله حدس من المعبر يدل على الظن والتخمين أو على النظر الخفي . وليس في هذا المعنى أي اصطلاح فلسفي جديد خرج به الفارابي على المألوف من كلام العرب .

ومن هذه النصوص قول ابن سينا في كتاب النجاة (ص ١٣٧) : «الحدس حركة إلى إصابة الحد الأوسط اذا وضع المطلوب ، او إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول ، كمن يرى تشكل استنارة القمر عند أحوال قربه وبعده عن الشمس ، فيحدس أنه يستنير من الشمس» . فهذا القول يدل على أن ابن سينا استعمل كلمة حدس للدلالة على معنى فلسفي جديد اقتبسه من كتاب البرهان لأرسطو . فقد جاء في ترجمة هذا المعنى الى العربية[1] بقلم بشر بن متى ما يلي : «وأما الذكاء فهو حسن حدس ما يكون في وقت واحد للبحث عن الأوساط» . وهذا كلام غامض يمكننا تصحيحه بالرجوع الى نص آرسطو فنقول : «الذكاء هو حسن حدس به يستكشف الحد الأوسط في وقت واحد» ، وبعبارة أخرى هو إصابة الحد الأوسط في وقت واحد إصابة جيدة .

ومما جاء في كتاب النجاة (ص ٢٧٣ — ٢٧٤) أيضاً :

«واعلم أن التعلّم سواء حصل من غير المتعلم ، أو حصل من نفس المتعلم متفاوت . فان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور لأن استعداده الذي

(١) ترجمته الى العربية بقلم بشر بن متى كما هي محفوظة في مخطوط المكتبة الأهلية رقم ٢٣٤٦ ورقة ٢٢٢ راجع أيضاً مجلة علم النفس مجلد ١ ، عدد ٣ ، مستخرج فبراير ، كيف نترجم الاصطلاح intuition للأستاذ محمود الخضيري .

قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي حدساً ـ وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاجَ في أن يتصل بالعقل الفعّال الى كبير شيء والى تخريج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد لذلك ، كأن الاستعداد الثاني حاصل له ، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه ، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد . ويجب أن تسمى هذه الحال من العقل الهيولاني عقلاً قدسياً ، وهو من جنس العقل بالملكة ، إلاّ أنه رفيع جداً ليس مما يشترك فيه الناس كلهم ، ولا يبعد أن تفيض هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القدسي لقوتها واستعلائها فيضاناً على المتخيلة أيضاً ، فتحاكيها المتخيلة أيضاً بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي سلفت الاشارة اليه . ومما يحقق هذا ان من المعلوم الظاهر أن الأمور المعقولة التي يتوصل الى اكتسابها انما تكتسب بحصول الحد الأوسط في القياس ـ وهذا الحد الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول فتارة يحصل بالحدس ، والحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط ، والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس ، فإنّ الأشياء تنتهي لا محالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم أدّوها الى المتعلمين ـ فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس ، وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف ، أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر عدد حدس للحدود الوسطى ؛ وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرعُ زمان حدس ـ ولأن هذا التفاوت ليس منحصراً في حد ، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً ، وينتهي في طرف النقصان الى من لا حدس له البتة ، فيجب أن ينتهي أيضاً في طرف الزيادة الى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها أو الى من له حدس في أسرع وقت وأقصره ، فيمكن أن يكون شخص من

الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى ان يشتعل حدساً ، أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال في كل شيء ، فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعّال من كل شيء إما دفعة وإما قريباً من دفعة ارتساماً لا تقليدياً بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى ، فان التقليديات في الأمور التي انما تعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية – وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية ، وهي أعلى مراتب القوى الانسانية » .

فهذا الكلام يدل على ان لاكتساب المعرفة في نظر ابن سينا طريقين مختلفين هما الحدس والتعلم .

١ – أما الحدس فهو جَوْدةُ حركةٍ لقوة الفهم إلى اقتناص الحد الأوسط من تلقاء نفسها (الشفاء ، منطق ١) . أو هو تمثل الحد الأوسط وما يجري مجراه دفعة في النفس ، وبالجملة هو سرعة الانتقال من المعلوم الى المجهول . وليس في قولنا : الحدس حركة ما يدل على أن هناك حركةً حقيقية ، بل المقصود من الحركة ومن سرعة الانتقال عدم التدرج في الفعل . وهذا لا يعني أن حصول الحد الأوسط في الذهن غير محتاج الى زمان . فقد يكون هذا الزمان قصيراً جداً ، وقد يكون بعض الناس أبطأ زمان حدس من بعض ، ولكن هذا الزمانَ على قصره ، ضروري على كل حال لكل فعل من أفعال النفس ، ولولاه لأصبح العقل الانساني شبيهاً بالعقل الإلهي الذي تكون المعقولات فيه حاضرة أبداً بالفعل . فالحدس هو إذن انتقال عفوي من غير قصد واختيار ، وهو يحصل للإنسان دفعة في وقت واحد ، كأنه وحي مفاجئ ، أو وميض برق ، لا تدرّج فيه ولا حركة .

ثم ان الناس متفاوتون في عدد الحدوس التي يصيبونها ، فمنهم من تكون حدوسه كثيرة ، ومنهم من تكون حدوسه قليلة ، ولا حدّ ولا نهاية لهذا

التفاوت بين الناس ، فقد ينتهي الحدس في طرف الزيادة الى من له حدس سريع في جميع المطالب أو أكثرها ، كما ينتهي في طرف النقصان الى من لا حدس له البتة . وفي ذلك يقول ابن سينا : « وكما انك تجد جانب النقصان منتهياً الى عديم الحدس ، فأيقن ان الجانب الذي يلي الزيادة يمكن انتهاؤه الى غنى في أكثر أحواله عن التعليم والفكر » (الاشارات ١٢٧) . وقد يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء حتى يشتعل حدساً وقبولاً لالهام العقل الفعال ، فتشرق عليه الصور العقلية إما دفعة وإما قريباً من دفعة ، إشراقاً لا يحتاج الى تعليم وتقليد ، ويصبح عقله مرآة صقيلة ، تعرف كل شيء من نفسها ، وتسمى هذه الحالة من العقل الانساني عقلاً قدسياً . وهي ضرب من النبوة ، لا بل أعلى درجات النبوة ، حتى ان هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القدسي كثيراً ما تفيض على المتخيلة فتحاكيها المتخيلة أيضاً بأمثلة حسية تجانسها كما يعبر النائم في نومه عن المرئيات بصور تشبيهية أو رمزية .

٢ — وأما التعلم فهو أدنى مراتب الانسان في ادراك المعقولات ، لأن المتعلم يكون في هذه الدرجة لا فكر له بنفسه ، بل إنما يفكر حين التعلم بمعونة المعلم ، ثم يرتقي بعد ذلك الى مرتبة أعلى فيدرك بعض الأشياء بفكره بلا معونة معلم ، ويتدرج في ذلك الى أن يصبح قادراً على تعلم كل شيء بنفسه ، ثم تظهر له بعض الأشياء بالحدس ، فيدركها دفعة بلا معلم ، ويزداد هذا الحدس عنده على التدريج حتى تصير الأشياء كلها حدسية له . وهذه الدرجة الأخيرة هي مرتبة القوة القدسية التي أشرنا اليها سابقاً . ومعنى ذلك ان الانسان اذا بلغ هذه المرتبة استطاع أن يعلم بالحدس كل ما لم يكن حاصلاً له بالفكر . وهذا كله يدل على ان ادراكه الحقائق بالحدس أعلى مراتب القوى الانسانية . فالحدس أصل والتعليم فرع ، لأن الأشياء تنتهي الى حدوس استنبطها العلماء بأنفسهم ثم أدوها إلى المتعلمين .

* * *

ذلك هو الفرق بين الحدس والتعلم ، أما الفرق بين الحدس والفكر فهو ان الحد الأوسط اذا حصل في النفس بعد طلب كان حصوله بالفكر ، واذا حصل في النفس من غير اشتياق وحركة ، أو عقيب طلب وشوق من غير حركة كان حصوله بالحدس . والدليل على ذلك قول ابن سينا في الاشارات : «لعلك تشتهي الآن أن تعرف الفرق بين الفكرة والحدس ، فاسمع . أما الفكرة فهي حركة ما للنفس في المعاني مستعينةً بالتخيل في أكثر الأمور تطلب بها الحد الأوسط ، أو ما يجري مجراه مما يصار به الى علم المجهول حالة الفقد استعراضاً للمخزون في الباطن أو ما يجري مجراه ، فربما تأدّت الى المطلوب ، وربما انبتت . وأما الحدس فان يتمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة إما عقيب طلب وشوق من غير حركة ، وإما من غير اشتياق وحركة ، ويتخيل معه ما هو وسط له أو في حكمه» (الاشارات ، ص ١٢٧) .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحاً ان المنطقيين يطلقون الفكر على ثلاثة معان ، (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، كلمة فكر) .

المعنى الأول هو حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرفة أيّ حركة كانت سواء كانت بطلب أو بغير طلب ، وسواء كانت من المطالب الى المبادئ أو من المبادئ الى المطالب . ان هذا المعنى الأول يشتمل على معنى الحركة ، وهو يخرج الحدس . لأن الحدس انما هو انتقال من المبادئ الى المطالب دفعة لا تدريجياً . أما الفكر فهو حركة سواء كانت بطلب أو بغير طلب . والأولى أن يشترط في معنى الفكر القصدُ لأن حركة النفس في المعقولات بلا اختيار كما في المنام لا تسمى فكراً .

والمعنى الثاني للفكر هو حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المشعور به الى مبادئه المؤدية اليه ، الى أن تجدها وترتبها ، فترجع منها الى

المطلوب . فالفكر بحسب هذا المعنى الثاني يشتمل على حركتين : الأولى من المطالب الى المبادئ ، والثانية من المبادئ الى المطالب . وهذا أيضاً يخرج الحدس ، لأن الحدس انما هو انتقال من المبادئ الى المطالب دفعة .

والمعنى الثالث للفكر هو انه الحركة الأولى من هاتين الحركتين ، أعني الحركة من المطالب الى المبادئ ، من غير أن توجد الحركة الثانية معها . وهذا هو الفكر الذي يقابله الحدس تقابلاً يشبه تقابل الصعود والهبوط ، إذ الانتقال من المبادئ الى المطالب دفعة يقابله عكسه الذي هو الانتقال من المطالب الى المبادئ وإن كان تدريجاً .

والخلاصة ان الحدس يقابل الفكر بأي معنى من هذه المعاني الثلاثة ، لأن الفكر كما يقولون يشتمل على الحركة ، أما الحدس فلا حركة فيه البتة . ولكن الحدس والفكر يشتركان في أمر ، ويفترقان في آخر . أما الأمر الذي يشتركان فيه فهو ان كلاً منهما انتقال من المبادئ الى المطالب ، وأما الأمر الذي يختلفان فيه فهو ان الفكر يضع المطلوب أولاً ثم يطلب الحد الأوسط ، فاذا وجده عاد منه الى المطلوب . ففيه إذن كما بينا حركتان إحداهما من المطالب الى المبادئ ، والثانية من المبادئ الى المطالب . أما الحدس فانه انتقال من الحد الأوسط الى المطلوب دفعة ، وليس فيه حركة البتة . وهذا الاختلاف في وجود الحركة وعدمها هو الفرق الأساسي بين الفكر والحدس .

ومهما يكن من أمر فان للناس في الفكر والحدس ثلاث مراتب . فمنهم غبيّ لا يفيده الفكر علماً بالمجهول أصلاً . ومنهم من له فطانة قليلة ويستمتع بالفكر ، ومنهم من هو أقوى من ذلك وله إصابة في المعقولات بالحدس . (الاشارات ١٢٧) .

واذا بني الحكم في القضايا على الحدس سميت هذه القضايا بالحدسيات . فان القضايا اليقينية كما يقول المنطقيون ستة أنواع .

النوع الأول قضايا يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها سواء أكان تصورهما بالكسب أم بالبديهة ، أم كان تصور أحدهما بالكسب والآخر بالبديهة ، وتسمى هذه القضايا بالأوليات أو البديهيات ، كقولنا الكل أعظم من الجزء ، والشيئان المساويان لشيء ثالث متساويان .

والثاني قضايا يجزم بها العقل لا بمجرد تصور طرفيها بل بواسطة مثل قولنا الأربعة زوج ، فان العقل يجزم بأن الأربعة زوج لا بمجرد تصور طرفي هذه القضية ، بل بواسطة يتصورها الذهن عند تصور الزوج والأربعة والانقسام بمتساويين وتسمى هذه القضايا بالقضايا التي قياساتها معها .

والثالث قضايا يجزم العقل بها بواسطة الحس الظاهر كقولنا الشمس مضيئة ، والنار حارة ، أو بواسطة الحس الباطن مثل علمنا بأن لنا فرحاً وغضباً وخوفاً وتسمى هذه القضايا بالمشاهدات . فإن الحاكم فيها هو العقل ، ولكن بواسطة الحس .

والرابع قضايا يجزم بها العقل وحسن السمع معاً مثل أن يخبرك جمع من الناس عن محسوس خبراً يجزم العقل بامتناع تواطئهم على الكذب فيه ، كعلمنا بالوقائع التاريخية الماضية أو البلاد النائية . وتسمى هذه القضايا بالمتواترات . ومن شرطها أن يكون الخبر عن أمر محسوس ، لأن الخبر عن غير المحسوس لا يفيد الجزم . ومن شرطها أيضاً ان يكون هذا المحسوس ممكن الوقوع ، لأن ما يستحيل وقوعه لا يحصل الجزم بالخبر عنه .

والخامس قضايا يحكم بها العقل لمشاهدات متكررة مفيدة لليقين كالحكم بأن شرب بعض العلاجات مسهل بسبب تكرر مشاهداتنا للاسهال عقيب شربه . وتسمى هذه القضايا بالمجربات .

والسادس قضايا يحكم بها العقل لحدس قوي في النفس مفيد للعلم كالحكم بأن نور القمر مستفاد من الشمس ، وتسمى هذه القضايا بالحدسيات .

والفرق بين الحدسيات والمجربات ان التجربة تتوقف على فعل يفعله الانسان

حتى يحصل له المطلوب . فان الانسان ما لم يجرب الدواء ، إما بتناوله ، وإما بإعطائه غيره مرة بعد أخرى ، لا يمكنه الحكم عليه بكونه مسهلاً ، بخلاف الحدسيات فانها لا تتوقف على ذلك .

وكذلك المشاهدات التي تتألف من قضايا يجزم بها العقل بواسطة الحس الظاهر أو الحس الباطن فانها لا تستند الى الحدس ، بل تستند الى الحس والوجدان ، وهي أولى بأن تسمى حسيات أو وجدانيات .

أما القضايا اليقينية المؤلفة من التصورات البديهية وما يجري مجراها من القضايا التي قياساتها معها فإنها لا تشتمل على حدس ، بل هي قضايا « يوجبها العقل الصريح لذاته ولغريزته لا لسبب من الأسباب الخارجة عنه » .

وهذا كله يدل على أن الجزم في الحدسيات يستلزم وجود سبب خارجي يتوصل اليه الذهن بقوة قياسية فيه ، كالقوة القياسية التي تخالط المجربات . ولا شيء من ذلك في الأوليات ، لأن الذهن يتصورها ويتصور أجزاءها من تلقاء نفسه لا لسبب خارج عنه . ولذلك كانت الحدسيات عند فلاسفة الاشراق مشتملة على المجربات والمتواترات معاً وهي كلها مبنية على مشاهدات وشهادات خارجية يحدس منها الانسان حدساً يفيده اليقين ، ولكن حدسياتك ليست حجة على غيرك الا اذا حصل له من الحدس ما حصل لك (السهروردي ، حكمة الاشراق ، طبعة طهران ١٩٥٢ مع مقدمة للموسيو كوربن) .

* * *

واذا انتقلنا الآن من المنطق الى الالهيات استطعنا أن ندل بالحدس على اتصال العقل الإنساني بالعقل الفعّال ، أو على إدراك النفس الانسانية لما يفيضه عليها واهب الصور من المعقولات . وهذا هو معنى الحدس عند فلاسفة الاشراق . فهو يدل عندهم على ارتقاء النفس الانسانية الى المبادىء العالية

حتى تصل الى الله وتصبح مرآة مجلوة تحاذي شطر الحق ، فتمتلئ من النور الإلهي الذي يغشاها دون أن تنحل انحلالاً تاماً في منبع النور . والسبب في عجز بعض النفوس عن الارتقاء من نطاق الطبيعة الضيق ، الى فضاء العالم الواسع اشتغالها بتدبير البدن ، وانصرافها الى الخيال ، ولو تجردت من شواغل البدن ، ومعارضات الخيال لأدركت الحقيقة بمقتضى فطرتها الأصلية ، فهي لا تحتاج إذن الى الفكر الا لأجل هذه المعارضات وتلك الشواغل ، ولا ينكشف لها النور الإلهي ، إلا اذا ترصّدت له بالحدس . هذا الذي أشار اليه الحديث الشريف بقوله : إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها .

فأنت ترى أن للحدس معنى منطقياً ومعنى فلسفياً . فالمعنى المنطقي الذي نجده عند ابن سينا قريب من الشعور الخاص الذي أشار اليه (كلود برنار) في كلامه عن تصور الفرضيات العلمية . فهو ينبجس في الذهن على سبيل الحزر كأنه وحي مفاجئ ، أو وميض برق . والمعنى الفلسفي قريب من المعنى الذي نجده عند (ديكارت) أو (برغسون) لأنه يدل على إدراك الصور العقلية ادراكاً مباشراً كما يدل على اكتناه جواهر الأشياء اكتناهاً حقيقياً .

ومن نظر في الألفاظ التي اقتبسها ابن سينا من سورة النور في كتاب الاشارات لشرح مراتب العقل في العرفان وجد فيها دليلاً على صدق ما نقول . فقد جاء في سورة النور : «الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس» . أخذ ابن سينا بعض ألفاظ هذه السورة ، فشبّه العقل الهيولاني بالمشكاة ، لأنه القوة الاستعدادية للنفس نحو المعقولات ، وشبه العقل بالملكة بالزجاجة ، لأن هذا العقل إنما يطلق على حصول المعقولات الأولى للنفس ، وعلى تهيؤها لاكتساب المعقولات

الثواني ، وهذا الاكتساب يكون تارةً بالفكرة وهي الشجرة الزيتونة ، وتارة بالحدس ، وهو الزيت . واذا بلغ الحدس درجة عالية شريفة صار قوة قدسية يكاد زيتها يضيء . ثم شبه العقل بالفعل بالمصباح لأن هذا العقل منير بذاته من غير احتياج الى نور جديد يكتسبه ، أما العقل المستفاد الذي تكون المعقولات فيه حاضرة لا تغيب أبداً فهو نور على نور . وكذلك العقل الفعّال الذي تفيض عنه المعقولات على النفس فهو النار ، وابن سينا يقول في ذلك :

انما النفس كالزجاجة والعلـــم سراج وحكمة الله زيتُ
فاذا أشرقت فإنك حيٌّ واذا أظلمت فإنك ميّتُ

ذلك هو معنى الحدس في الفلسفة العربية القديمة . وهو يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي يدل عليه لفظ الحدس عند المحدثين ، فهو يدل على الحدس العقلي الذي أطلقه ديكارت على العلم بالحقائق البديهية كعلم الانسان بالأوليات ، وعلمه بأنه موجود ، وأنه يفكر ، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط ، وأنه ليس للكرة إلا سطح واحد ، وما شابه ذلك من الأمور . وهو يدل أيضاً على اطلاع النفس دفعة على ما يمثله لها الحس الظاهر أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية . وهو يدل أيضاً على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجئ لا على سبيل القياس ولا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجاً . وهو يدل أخيراً على الحدس الصوفي أو الفلسفي الذي يطلقه (برغسون) على نوع من التعاطف بيننا وبين الشيء ينقلنا الى داخله ويطلعنا على ما فيه من حقيقة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ .

والقاعدة التي اتبعناها في اطلاق اسم الحدس على هذه المعاني المختلفة هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعاني الفلسفية الحديثة ، ثم تبديل هذا المعنى القديم قليلاً أو توسيعه بحيث يشمل جميع هذه المعاني . وليس في هذه القاعدة أي تعسف أو تحكم لأنه اذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ،

فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لايمنع اطلاق اللفظ نفسه على المعنيين ، ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره أحد المترجمين المعاصرين الدلالة على الحدس الديكارتي ، لأن لفظ البداهة إنما يقابل لفظ (Evidence) لا لفظ (Intuition) ، ولا حاجة أيضاً لترجمة كلمة (Intuition) تارة بالاكتناه وأخرى بالاستبصار لأن لكل لفظ من هذين اللفظين مدلولاً خاصاً يختلف عن مدلول الحدس .

والذين ترجموا كلمة حدس الى اللغات الأوروبية لم يسلموا من الخبط الذي وقع فيه بعض كتابنا المعاصرين عند ترجمتهم كلمة (Intuition) الى اللغة العربية . فقد ترجم بعضهم كلمة حدس بكلمة (Divination) [1] تارةً وبكلمة (Subtilitas) [2] تارةً أخرى . وهذا خطأ . كما أن بعضهم ترجم الحدس بـ(Intuition Intellectuelle) والمشاهدات بـ(Intuition sensible) والحدسيات بـ (Hypothèses) أو بـ (Evidences saisies par l'intuition intellectuelle) [3] ، وهذا أيضاً تنكب عن جادة الحق ، لأن قولنا (Intuition intellectuelle) يدل على الحدس العقلي لا على الحدس البسيط ، وقولنا (Intuition sensible) يدل على الحدس الحسي لا على المشاهدات ، وقولنا (Hypothèses) يدل على الفروض أو الفرضيات ، كما أن قولنا (Evidences saisies par l'intuition intellectuelle) يدل على البديهيات المدركة بالحدس العقلي لا على الحدسيات . وربما كان الحق في ذلك أن نترجم اليوم

---

(١) Forget , in Rev. néo - Scol. 1894, p 29

(٢) An.,V.6, fo 26 , *V.* 1,1. 52, pour Chifa 1.360 - 361 Nadjat, 272 , 1,7

(٣) Goichon, Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina, art, Hads. Introduction à Avicenne . Livre des Directives et Remarques (Kitab al-Isharat Wa.l-Tanbihat) - Traduction avec Introduction et notes. p. 177 - 178

كلمة حدس بـ (Intuition) وكلمة مشاهدات بـ (Constatations) أو بـ (Jugements de faits) ، وكلمة حدسيات بـ (Jugements d'intuition) .
فان المشاهدات قضايا يجزم العقل بها بواسطة الحس الظاهر أو الحس الباطن وكذلك الحدسيات فهي أيضاً قضايا يحكم بها العقل لحدس قوي في النفس .
واذا كان لا بد من استعمال كلمة (Intuition sensible) للدلالة على المشاهدات من حيث هي قضايا فان هذا يستلزم أن يضاف اليها كلمة (Jugements) فتصبح ترجمتها (Jugements d'intuition sensible) .

ومهما يكن من أمر فان الضبط العلمي كما قلنا في مقال سابق يستلزم تخير لفظ واحد للدلالة على المعنى الواحد ، ولا يكفي أن تتطور الألفاظ تطوراً عفوياً حتى تصل الى هذا الضبط ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على المعنى الواحد ، واذا أدّى الى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بد إذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته ، ولا بد أيضاً من توسيع بعض الاصطلاحات القديمة حتى تشمُل المعاني الحديثة .

جميل صليبا

المسوغات العقلية للبلاغة

نريد في هذه التوطئة أن نرى ما بين البلاغة والأحكام العقلية من روابط ثابتة . والذي يحدونا الى ذلك ما نشعر به من إعراض أهل زماننا عن المحسنات البيانية وحسبانهم اياها من الطرائق الرجعية . ولعلهم معذورون في ذلك فان البلاغة منذ القرن الرابع الهجري تحولت عن منهجها الصحيح الى منهج الصناعة المتكلفة . فأصبح البديع غاية منشودة لذاتها وأخذ أرباب الأقلام يتبارون في هذه الصناعة ويبذلون جهودهم في إتقانها والتوفر على غرائبها . وعلى ذلك جرى روّاد النهضة اللغوية الحديثة في القرن الماضي مما أدّى في هذا القرن الحاضر الى فعل انعكاسي هدفه هدم الزخارف البديعية والأخذ بأسباب السهولة الانشائية .

على أن هذا الفعل الانعكاسي لا يعني انهيار البلاغة والقضاء على محسنات الكلام . فالأسس البلاغية عامّةٌ في آداب الأمم تشترك فيها أكثر اللغات الراقية . بل هي متصلة بطبيعة النفس البشرية اتصالاً وثيقاً يحول دون تجريد الكلام منها . وقد أصاب ابن الأثير إذ قال [1] : إن علم البيان ليس كالنحو أحكاماً نقبلها كما وضعت لتمييز الخطأ من الصواب ، « لأنّه (أي البيان) استنبط بالنظر ، وقضية العقل من غير واضع اللغة ، ولم يفتقر فيه الى التوقيف ، بل أخذت ألفاظ ومعان على هيأة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها . فان كلّ عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ رائعة حسنة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع

---

(١) المثل السائر (بولاق) ٤٤ .

خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة . ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدناه » .

وللبلاغة خصائص أهمها الوضوح أو جلاء المعنى ، والايقاع أي حسن التناسب بين أجزاء الجملة ، والإثارة أي المقدرة على إذكاء العواطف وتحريك القوى التخييلية والفكرية ، ثم الإيحاء أو الإيماء الى معان وراء المعاني القريبة .

فلو تحرّينا هذه الخصائص وسواها من الناحية العقلية لرأيناها ترتكز على الأسس التالية :

١ — ان العقل يضطرب أو يُجهد اذا عرضت عليه أوضاع مبهمة أو معقدة كأن تُخالَف القواعد أو توضع القيود في غير مواضعها أو يكثر تشجير العبارات وتدخلها بعضها في بعض وما الى ذلك .

خذ ما يتمثلون به من قول المتنبي :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

أو قول أبي تمام في الخمر :

جهميّة الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

أو قول بعض المتكلمين في صفة الله تعالى :

« لا يقاس بالقياس ولا يدرك بالألماس »

ففي بيت المتنبي اضطراب في ترتيب الكلام . وفي بيت أبي تمام تعمية واستبهام لأن الوصف بالجهمية لا يدل على شيء يصح أن تشبه به الخمر أو تنسب اليه [١] .

وفي قول القائل « لا يدرك بالألماس » خروج عن القواعد لجمعه المصدر لمس وانما فعل ذلك ليصبح له السجع » [٢] .

(١) الصناعتين للعسكري ٢٥ . (٢) الصناعتين للعسكري ٢٥ .

٢ — ان العقل أسرع الى إدراك الخاص منه الى إدراك العام . فقولنا « أرض تفيض لبناً وعسلاً » أوضح من قولنا أرض تفيض خيراً أو أرض كثيرة الخصب . وقولنا اشترك في حفر البئر أيادٍ كثيرة يصور لنا من هيأة العمل ما لا يصوره قولنا عمال كثيرون .

على أنه اذا أردنا التعبير عن فكرة غير محدودة أو صورة غير معينة فاستعمال العام أولى من استعمال الخاص . فاذا وصفت مثلاً نزهة لك بين البساتين العطرة الأريج لا تخصص فتقول ذهبنا الى البساتين لاستنشاق الورد أو القرنفل بل تعمم فتقول لاستنشاق الرياحين .

٣ — ان العقل أسرع الى إدراك النسبة بين متغايرين . ففي قول الشاعر :

فالوجه مثل الصبح مبيضٌ والشعر مثل الليل مسودُّ

طباق بين البياض والسواد يجعل كلاً منهما أوضح للذهن . وذلك ما تراه أيضاً في :

الاستفهام البياني : كقول الخطيب — « هل الحياة أفضل من أن تبذل في سبيل الحرية » ؟

وفي التهكم : كقول الشاعر يذم سيداً كان أسود الوجه سيء الخلق وكان لشدة غروره بنفسه يقول اني خلقت من نار وخلق سائر البشر من طين .

ان قلت من نار خلقت وفقت كل الناس فهما
قلنا أصبت فما الذي أطفاك حتى صرت فحما

٤ — ان العقل يرتاح الى لحظ النسبة بين الأشباه والنظائر . وعلى ذلك جمال الكلام المجازي والبديع اللفظي وهو باب واسع وسنعرض له بعد .

٥ — ان العقل يزداد تأثره واستمتاعه اذا شوق الى غرض ما . والمشوقات مختلفة منها تقديم القيود على المقيدات وتكريرها كقولك :

«لا في هذا ولا ذاك بل في كذا وكذا تجد ما نروم» ـ أو قولك تصف شخصاً شريفاً ـ في الحرب وفي السلم . في البيت وفي الحياة العامة بلغ فلان غاية الشرف . ومن المشوقات ماتجده في القصة من عقدة خلاّبة يهفو الذهن الى حلها . وما يستعين به الخطيب أحياناً من أسئلة مثيرة تحول الذهن الى غرضه الخاص .

٦ — ان العقل ينجذب عادة الى غير المعتاد . وهذا هو أساس البلاغة في الالتفات والتعجب والاستفهام والاختصاص والقصر وتقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم وما الى ذلك .

٧ — ان العقل يرتاح الى التنوع المعتدل في الفكر والأسلوب . أما في الفكر فيطلب تجنب الاطالة المملة في أي نوع من أنواع الكلام . فكم من كتاب أو رسالة تفتر النفس عند قراءته فيضيع تأثيره لإفراط الكاتب في وصف وإطالته في شرح وحمله الذهن على وتيرة يلازمها حتى درجة الإبرام .

وأما في الأسلوب فيقتضي أن لا نتعلق تعلقاً طويلاً بسجع أو توازن أو بديع لما في ذلك من إجهاد للقوى المتأثرة بضعفها وبالتالي يمنعها من التمتع بالكلام . على ان التنوع لا يعني الاستطراد والخروج عن الموضوع كما يفعل بعض الكتاب ، بل يعني عرض الفكر على طريقة الإيجاز في غير إخلال والإطناب في غير تطويل .

٨ — ان العقل ينتظر توالي المعاني توالياً منطقياً فهو لذلك يضطرب اذا خرجت عن ذلك لغير داع موجب . ومن الترتيب المنطقي ما يلي :

(١) الوضع المكاني حيث يجيء وصف الأماكن بطريقة منطقية لا تشويش فيها ولا اضطراب .

(٢) الوضع الزمني ويتناول ترتيب الحوادث وارتباطها حسب مقتضيات التاريخ .

(٣) الوضع السببي أي ارتباط السبب بالمتسبب ووجود أحدهما عند وجود الآخر .

واذا نظرت في أوجه الكلام وجدت أن الانشاء الوصفي يرتّب الكلام طبقاً للمنطق المكاني ، والإنشاء الإخباري طبقاً للمنطق الزمني ، أما في البحث والتحليل والعرض فلا بد من اعتبار الروابط السببية والنظر في أوجه المشابهة والمضادة .

المحسنات البيانية وتبويبها المنطقي

رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطاً ولا توقيفاً بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديماً بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديع وافتنّ الشعراء والمنشئون في التأنق بصورها . على أن العلماء مع توفرهم على درسها وشرحها لم يعنوا بتبويبها تبويباً منطقياً يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى أصولها . وقد رأينا أن نقترح هنا عرضها تحت الأبواب الرئيسية التالية :

باب التعادل : ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزناً وتركيباً وقد يسمّى الازدواج وهو نوعان ـ عاطل ومقفى . ويدخل تحت العاطل :

(١) التوازن : وهو أن يكون الكلام ذا فواصل متساوية الوزن كالآية « وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » .

(٢) المماثلة : وهي أن تكون جميع الألفاظ في الفقرات متساوية الوزن نحو :

سهل خلائقه ، صعب عرائكه   جمٌّ غرائبه في الحُكم والحِكم

أما المقفى فيدخل فيه ما يلي :

(١) السجع : وهو معروف ويقوم على تقفيه الفواصل .

(٢) التسميط : وهو أن يكون الكلام أربعة أجزاء ثلاثة منها على سجع والرابع مختلف كهذا البيت .

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا   أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

٣ — الترصيع : أي مقابلة كل لفظة في العبارة بمثلها في الثانية وزناً ورويّاً ، نحو :
يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه .
٤ — التزاوج : أي ازدواج الفواصل المسجعة نحو :
فاني مؤمل غمام غير جهام ، ومعمل حسام غير كهام .
وقس على هذه الأنواع سواها .

باب التواطؤ اللفظي : وهو أن تكون الألفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها .

ويدخل في هذا الباب ما يلي :
(١) الجناس : وهو أنواع كثيرة منها التام والمركب والملفق والمذيل . والمصحف والمقلوب والمحرف واللاحق والمطرف والمتمم وغيرها .
(٢) التورية : نحو قول الشاعر :

قالت وهبت لك السّواك فقلت لا ومالك مالي حاجة بسواكِ

(٣) التصدير : أورد العجز على الصدر نحو :

فأجبتها ان المنية منهلٌ لا بد أن أسقى بذاك المنهلِ

(٤) العكس : نحو :

فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم يكن لي دموع

(٥) الجمع مع التفريق : أي الجمع بين شيئين في حكم واحد ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم . نحو :

تشابه دمعانا غداة فراقنا مشابهة في قصة دون قصةِ
فوجنتها تكسو المدامع حمرةً ودمعي يكسو حمرة اللون وجنتي

(٦) المجاورة : تردد لفظين ووقوع كل منهما بجانب الآخر أو بقربه . نحو : إنما يغفر العظيم العظيم .

ونحو : «صدعوا صدور العوالي في صدور الكتائب»

(٧) الطي والنشر :

فلذا تروي وتروي ذا صدى وحديثاً عن فتاة الحي حي

ويجوز أن يلحق بهذا الباب لزوم ما لا يلزم وما الى ذلك من أنواع التجانس اللفظي ، ويراد بلزوم ما لا يلزم أن تأتي القافية على أكثر من روي واحد ، وقد اشتهر بذلك المعري في ديوانه المعروف باللزوميات .

باب التواطؤ المعنوي : ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين ومن ذلك :

(١) التشبيه والتمثيل والاستعارة وهي معروفة لا تحتاج الى شرح بل عليها يقوم علم البيان .

(٢) مراعاة النظير .

(٣) تجاهل العارف . كقول الشاعر :

سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها وان كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجى وعلّمت غصن البان أن يتميلا

وقول ابن الفارض :

أبرق سرى من جانب الغور لامعُ أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ

باب المغايرة : وهي عكس المشابهة ويراد بها الجمع بين المتضادات أو أشباهها . ويدخل فيه :

(١) المقابلة : أو التنظير بين ما يوافق وما يخالف كقولهم :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجلِ

(٢) المطابقة : أي الجمع بين لفظين متضادين كقول البحتري :

ان أيامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارق السود سودا

(٣) الطرد والعكس :

مودته تدوم لكل هول ... وهل كلٌّ مودته تدومُ

(٤) التهكم : وهو ما كان ظاهره جداً وباطنه هزل :

(٥) الاستفهام البياني نحو :

أمصلحة الفرد أفضل أم مصلحة الجمهور .

(٦) التغاير : أي مدح ما هو مذموم وذم ما هو ممدوح لغرض . كقول ابن الفارض :

يهوى لذكر اسمه من لجّ في عذلي ... سمعي وان كان عذلي فيه لم يلج

(٧) السلب والايجاب : وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة واثباته من جهة أخرى [١] كقولهم :

لا تعجب من المخطئ كيف أخطأ بل اعجب من المصيب كيف أصاب .

وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة والاستدراك والاستثناء والمحاورة والترديد وغير ذلك من هذه المقابلات .

باب الخروج عن المعتاد : وهو يشمل ما يلي :

(١) المجاز المرسل : أي تجسيم المجردات أو تفعيل ما لا يفعل مثل :

مررت على المروءة وهي تبكي . وقوله : حتى رجعت وأقلامي قوائل لي :

فبكاء المروءة ونطق الأقلام أمر غير عادي .

(٢) التجريد : ان يخاطب الإنسان نفسه كأنها شيء مستقل عنه كقول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً ... وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

(٣) الالتفات : أو الانتقال المفاجئ من صيغة الى صيغة أو من ضمير الى ضمير . نحو :

---

(١) الصناعتين ٣٢٢ .

« قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد الخ » وهو كثير في القرآن .

(٤) تقديم ما حقه التأخير وبالعكس تأخير المتقدم . نحو : « وربك فكبر » عظيمة هي أعمالك يا رب .

(٥) الغلو والمبالغة : نحو :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبه

وقول ابن الفارض :

كهلال الشك لولا انه   ان عيني عينه لم تتأي

ويدخل في هذا الباب كثير من غرائب الصنعة البديعية كقصيدة الحريري التي مطلعها :

يا خاطب الدنيا الدنيئة إنها   دار الردى وقرارة الأكدارِ
دار متى ما أضحكت في يومها   أبكت غداً تباً لها من دار

فهي من بحر الكامل ولكنك تستطيع أن تسقط منها الجزئين الأخيرين من كل بيت فيصبح من مجزوء الكامل وتتحول قافيتها الى حرف الدال . فتقول :

يا خاطب الدنيا الدنية   إنها دار الردى
دار متى ما أضحكت   في يومها أبكت غدا

وقد لحظ ذلك بعض القدماء في بيتين للأخطل [1] :

وللبديعيين في مثل هذه الصنعة فنون شتى كلها من باب الخروج عن المعتاد ويقوم تأثيرها على ما فيها من غرابة معنوية أو لفظية .

---

(١) راجع طبقات الشعراء لابن سلام (طبعة السعادة مصر) ١٦٨ والبيتان هما :

ولقد علمت اذا الرياح تروحت   هدج الرئال تكبهن شمالا
انّا نعجّل بالعبيط لضيفنا   قبل العيال ونقتل الابطالا

باب الايحاء الى غرض : ومما يدخل فيه :

(١) الكناية والاستخدام والتعريض : وهي معروفة لا تحتاج الى تبيان .

(٢) التوجيه : وهو أن يكون الكلام معنيان مختلفان يجوز اعتبار أحدهما : كقول المتنبي لكافور :

ومالك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعان بغير سنانِ

فقد يحمل على أن حسن طالعك يفعل ما لا تفعله الأسنة وهو مدح ، أو أنك رجل محظوظ لست من أهل الشجاعة والإقدام وهو ذم .

(٣) الاكتفاء : وهو أن يكون الكلام متعلقاً بمحذوف مفهوم . كقول الشاعر :

لا يعلم الشوق إلا .. ولا الصبابة إلا .. ـ أي إلا من يكابد ذلك .

وقول الآخر :

راموا فطامي عن هوى غذّيته طفلاً وكهلا
فوضعت طوقي في يديّ وقلت خلّوني وإلاّ ...

(٤) الاتفاق : كقول ابن الساعاتي يصف اقتحام صلاح الدين (واسمه يوسف) لحصن اسمه « بيت يعقوب » في القدس :

« دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف »

وهو يعني دعوا الحصن فقد جاء فاتحه ، وقد وافق ذلك كون النبي يوسف هو ابن يعقوب فهو أولى ببيته من سواه .

(٥) الاشارات اللغوية والعلمية : وهي باب واسع ومن أمثلته :

يا ساكناً قلبي المعنّى وليس فيه سواك ثاني
لأيّ معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

وقول أحد المحدثين :

ونحويّةٍ ساءلتها أعربي لنا حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى
فقالت حبيبي مبتدا في كلامنا فقلت لها ضمّيه إن كان مبتدا

(٦) الادماج : وقد يسمى التعليق وهو أن يدمج الشاعر أو الكاتب غرضاً له ضمن معنى آخر ليوهم السامع أنه لم يقصده وانما عرض في كلامه تتمة للمعنى الرئيسي . كقول المتنبي :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم اتمها ودع أمرنا ان المهم المقدم

فهو أدمج شكواه في تهنئة الممدوح وقد تلطف في الطلب مع صيانة النفس . والمدح هو المعنى الرئيسي والطلب هو المعنى الفرعي المدمج فيه .

(٧) التذييل : كقول النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

والمعنى مستوفى قبل العبارة الاستفهامية ولكن الشاعر ذيله بالاستفهام ليزيد المقصد ايضاحاً .

(٨) التتميم : كالآية «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا» فقوله على حبه تتميم للمعنى يزيده قوة وتوكيداً .

وقول زهير :

من يلق يوماً — على علاته — هرماً يلق السماحة فيه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم وتوكيد لكرم الممدوح .

وقس على ما ذكرنا ما لم نذكر مما يحتوي معنى الإيماء .

(بيروت) أنيس المقدسي

جولة لغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

— ٣ —

نموذجات من نوادره وفوائده

(الهبيد) « طعامٌ لا يزيد عليه طعام يأكله الناس » كذا قال الأعرابي الذي اهتبد أي اتخذ من الهبيد ـ وهو حب الحنظل وبزوره ـ ذلك الطعام الشهي .

ويحسن أولاً أن نصف للقارئ نبات (الحنظل) وشيئاً من خبره وقيمته في نظر أهل البوادي ملخصاً مما ذكره (الدينوري) في كتابه :

تنسطح شُجيرة (الحنظل) بأرشيتها (أي حبال غصونها) على الأرض كالقثاء . لكن ثمرة الحنظل كروية مدورة كصغار البطيخ لا مستطيلة كثمرة القثاء . وكلتا الثمرتين تسمى (جرو) وتجمع على جِراء . فاذا كبرت الحَنظلة وسمنت واخضرَّت سميت حَدَجة وتجمع على حَدَج . حتى اذا تقدمت نحو النضج وظهر فيها خطوط تمتد بين قطبيها صفراء الى بياض وإذ ذاك تسمى خُطبانة . وتجمع على خُطبان . ثم تغلب على الخطبانة الصفرة وتعمُّها وهو نهاية نضجها وتأخذ في اليبس . فيسمّونها صَرَاءَة وصراية وتجمع على صَرَاء وصرايات وتلهو الجواري البدويات بالصرايات فيتراشقن بها كما يتراشق فتيات زماننا بكرات الثلج في مناطق الثلج بلبنان . قال شاعر العرب يصف جماجم الأعداء المفلّقة في ساحة معركة :

(كأن مفالق الهامات منهم صَرَاياتٌ تهادتها الجواري)

اشتقت . وسمي الشاعر الصَّرَّابة هديةً تهكماً .

إلاّ النمام . قال الدينوري : (وقد زعم بعض

عاه ولم أجد ذلك معروفاً) حتى إن مشافر البعير

. وربما غلط به البعير فوقع في فيه في أضعاف

حَظِلَ البعير فهو بعيرٌ حظِلٌ . بطرح النون .

ان صَراءُ كسروه واستخرجوا هبيده أي حبّه

سر نقف واهتباد . ولا تسل عما يصيب ناقف

ا حينما تصيبها مرارة الهبيد قال امرئ القيس :

تحمّلوا لدى سَمُرات الحيّ ناقف حنظل)

أجواف الصّراء تتخذُ منه أعراب بوادي الجزيرة

الجفنة فاخرَ به الأعرابي طعام الناس كافة فيرفع

لا يزيدكم عليه طعام يأكله الناس) ولاستخراج

اعية شاقّة وصفها لنا (الدينوري) وصفاً دلّ به

لأعمال الصناعية تُخرجهم عن (الاستفراد) : فاننا

بشتهم وحياتهم البدوية أي إنهم يعيشون كما

ل أفريقيا : فهو يهيئ كل حاجاته وتكاليف

بدوي فهو يصطنع طعامه وشرابه ولبوسه وسائر

ن الحواضر فيطرأ عليها . ويجتلب من حاجاتها

أما ما ذكره الدينوري عن تحضير الأعراب

انوا يعالجونه مجتمعين معالجة العمال لأعمالهم في

منه كميات للتصدير الى الخارج لا مقادير قليلة

نا اليومية الحاجة .

فالأعراب اذا رأوا الحنظل اصفرّ وأصبح "صمرّاء" وحان جنيه واهتباده جمعوا حباته "تلالاً" ، ويتعمّم العيال ويلثّمون فضل عمائمهم على أنوفهم خشية أن تدخل في أنوفهم مرارته (رائحته الحريفة فتهيج خياشيمهم وتدمع عيونهم) ثم يجتمعون على تلك التلال بالعَمَد خَبْطاً خبطاً حتى يهشّموه كله (فيصبح بزره وقشوره كحب الحنطة وتبنها في البيادر) قال : ثم يذرّونه في مهب الريح فيطير قشره كله ويبقى الحبّ . هذا الحبُّ هو الهبيد الذي يؤكل بعد معالجة خاصة وصنعة شاقّة قال : فيحثون الهبيدَ في أوعيتهم . ثم يجيئون به الركيّة وهي البئر ويكونون قد حفروا حذاء الركيّة أي بجانبها زُبْيةً أي حفرةً على عمق قامتين كهيئة الركيّة (وأصل اسم الزُّبية للحفرة التي يحفرونها في أعلى الرابية فيقع فيها الأسد ومنه المثل : بلغ السيلُ الزُّبى) ثم نثروا (في تلك الحفرة) الفراند[1] حتى تمتلئ .

والفراند جمع فِرْنِد (بكسر فسكون فكسر) وهي الأبزار كما في اللسان . ومراده بالابزار هنا حُبُوب الهبيد التي تناثرت من الحنظل عند خبطها بالعَمَد قال : وخدّوا من ركية الماء الى الحُفرة (التي فيها الأبزار) جدولاً وخرقوا للحفرة التي فيها (الأبزار) جدولاً يذهب ثَمّ في البرية (يفعلون ذلك لئلا يغمر الماء الأبزار فتستنقع وتفسُد ، فهم جعلوا للماء مسيلاً يخرج منه الى البريّة بعد مروره على حبوب الهبيد فتحلو رويداً رويداً من دون أن تفسد) وأخذوا بالدلاء يُجرُون في ذلك الجدول الذي يذهب اليه (هذه العبارة غير واضحة المراد) قال فإذا امتلأ (أي البئر الذي فيه حب الهبيد) بالماء جاء رجل أو رجلان بعودين يسميان السِطاعَين كأنهما رمحان فجعلا يحركان أبزار

---

(١) في الأصل الفرائد بالهمزة . ولم نجد لها معنى هنا . فصححناها بالفراند بالنون ومعناها ما ذكرنا . وفاتنا أن نذكر هذا التصحيح في مقال التصحيحات لأغلاط كتاب النبات المنشورة في الجزء الماضي ص ٣٧٦ .

الهبيد بذينك العودين ويسوطانها (أي يخلطانها بتقليبها من تحت الى فوق ومن فوق الى تحت) قال: ويخرج الماء في الجدول البرّي كأن ذلك الماء بول البغل. فهؤلاء يسقون وذانّك يسوطان والماء يخرج فيُمسون من عشيتهم وقد اصفرّ الماء والقومُ (العمال) دائبون يعملون الذي قلت لك: إن فتَروا عنه وترَك اللذان يسوطان سَوْطه ونقع فيه الماء عَلْقَمَ (أي صارت فيه عَلْقَمَة أي مرارة الحنظل) فلا يطيب أبداً. فان ثبتوا عليه (أي على السوط) ذلك اليوم والليلة المقبلة لم يفتّروا عنه السقي (أي لم يحبسوا الماء عنه) ساعة بعد ساعة. فلا يزالون على ذلك حتى يجعلوا يشربون من الزُبية التي فيها الحنظل (يعني هبيد الحنظل وبزره إذ أن في شربهم له دلالةً على ذهاب علقمته) فاذا كان كذلك أخرجوه يغرفونه بالجفان والزُبُل (جمع زِبّيل وهو الزنبيل) حتى يستخرجوه كله. ثم يحشونه في أوعيتهم فيأتون به أهليهم (أي يرجعون اليهم من البرية حيث تكون معامل الهبيد) ويأتي دور النساء للمساعدة في اصطناع الهبيد وتقرّب المرأة مِرْضَعَتيها. والمرصع صلاءة (أي صفيحة) عريضة من الحجارة. وفِهْراً (حجراً) مدورة تملأ الكف (هنا نحو ثلاثة أسطر قالها الراوي أبو زياد فيها عسلطة ونقص يتلخص منها أن المرأة تشدخ وترضخ الهبيد بالفِهر على الصَّلاءة) فإذا رضخت من ذلك الذي تريد قلّ أو كثر وضعته في الجفنة ثم عجنته عجناً جيداً كما يُعجن العجين (ولا يغرب عن فكر القارئ أن المقادير الكبيرة يأتي بها الرجال من المعمل ويوزعونها بالشراء حِصَصاً على البيوت فتعالج كل ربة بيت حصتها من الهبيد فتعجنه) ثم ألزقته بجانب الجفنة ثم صبّت ماء ليس بكثير وتمرس عجينتها وتصب في مخلاة عندها حتى لا يبقى في هبيدها شيء ويخرج الماء أسود (مرارة الحنظل يضرب بشدتها المثل فالمرأة تعود فتصب الماء في المخلاة على الهبيد حتى لا يبقى فيه شيء من قشر ولا ماء أسود) فإذا أمسكت مخلاتها على قدَح وخرج الماء أبيض خالصاً

نصبت برمتها (قدرها) وصبّت فيها هذا الهبيد (اطبخه) وأوقدت قليلاً قليلاً فإذا غلا أحتشّت له الوقود (أي أكثرت من الإيقاد) فاذا دنا نضجه وخثر (أي جمد بعد الميوعة) خرجت فيه أساريع من سمن (أي ينفصل عن عجين الهبيد اذا نضج وجمد خطوط وطرائق برّاقة من دهن كالسمن) فتطعّم منها قدحاً حسناً تحضنه في عكّتها (أي إنها تستفيد من الدهن فتنشله بقدح وتدخره في عكّتها) و (العكة زقيق صغير للسمن) فإن كان عندها تمر ألقت في عجين الهبيد النضيج قبضات منه حتى تعلوه الحمرة أو الشكلة (والشكلة الشقرة يعني أن لون التمر الأحمر ينفض على عجين الهبيد فيحمرّ أو يشقرّ) ثم أفرغت في جفنتها . فتعال فانظر : لا يزيدك عليه طعام يأكله الناس .

(وبعد أن وصل الأعرابي في وصفه لطبيخ الهبيد الى هذا الحد من ظهور السمن فيه وخلطه بالتمر حتى أكسبه لون الحمرة أو الشقرة وحتى جعله هذا الوصف أو هذا المنظر المتخيل يتلمّظ ويسيل لعابه من الشهوة الى ذلك الطعام الصحراوي اللذيذ ـ عندها رفع صوته قائلاً للقارئ فتعال وانظر الخ . ولجّ في إعجابه بطعام قومه الى أن جعله أفضل طعام يأكله الناس) .

وإن لم يكن عند المرأة الأعرابية تمر جعلت على طبيخ الهبيد قبضات من دقيق فهو صالح وليس مثل التمر . وان لم يكن دقيق ولا تمر فان كان على الغسل الذي قلت لك (أي فإن كان الهبيد مغسولاً بالماء كما مر وصفه) رجنوا فيه (لعل صوابه طاب ورجنوا فيه : أي طاب لهم أكله ورجنوا فيه فلم يعافوه : رجن في الطعام إذا لم يعف منه شيئاً كما في اللسان) وإن لم يكن فيه تمر ولا دقيق وكانوا ضعفوا عنه عند الغسل الأول (أي لم يحكموا غسله) فبقيت فيه علقمة فأكلوه صرفاً ليس معه شيء (أي من إدام كالخبز مثلاً) جعل يأخذهم منه دوار (في رؤوسهم) وسلح القوم (أي أسهل بطونهم) ولكنه يورثهم صحة) انتهت قصة اصطناع طعام الهبيد الذي لا يزيد عليه طعام يأكله الناس في اعتقاد الأعراب .

(الرِمث في الأدب الجاهلي) وللرمث (وهو من الحمض أي النباتات ذات الملوحة) مكانةٌ في أدب العرب وله في مجالس أسمارهم أخبار وملح يتطارحونها . وأوصاف تشبه الأحاجي يحمضون ويتسلَّون بها . ولا جرم فإن الإبل نفسها تواع بالرمث فتحمَّض به بعد أن تكون شبعت من نبات الخلَّة وملت حلاوته .

ويعلو الرمث على وجه الأرض مثل قِعدة الرجل . وقال آخر يرتفع دون القامة . قالوا : وربما خرج من الرِمث عسل أبيض كأنه الجمان واللؤلؤ ! وهذه المادة الحلوة التي يفرزها الرمث يسمونها المغافير وهي ذات حلاوة شديدة . وللمغافير ذكر في السنة النبوية وفي تفسير آية : (وإذ أسرَّ النبيُّ الى بعض أزواجه حديثاً) .

وللرِمث حطَب وقوده حارٌّ يستشفى بدخانه من الزكام . قال أعرابي وقد طاح (أي ضل وتاه) في بعض القُرى فمرض فسأله من يمرِّضه أيش تشتهي ؟ فأنشد :

(قال الأطباء ما يشفيك قلت لهم دخان رِمثٍ من التسرير يشفيني)

و (التسرير) اسم جبل ، وقد اعتاد الأعرابي شم دخان ومثه أيام صحته فهو يتمني أن يداوى بشمه لحين مرضه .

قالوا وفي دخان الرمث غُبرةٌ . ولذلك يشبه به لون الذئب : من ذلك قول كعب بن زهير يصف ذئباً :

(كأن دخان الرمث خالط لونه)

وقيل لأعرابي : ما تقول في الرِمث ؟ أي في طيب مرعاه للإبل فقال : (لو خلقت الإبل من شجر خلقت من الرِمث) يريد أن من شدة ولعها بأكله تكاد أجسامها تتكون من الرمث لا من اللحم والدم . وأبلغ من ذلك ما روي أن (الأحوص بن جعفر) سيد بني عامر عمي في أخريات أيامه فكان بنوه يسوقون به . فوطئ بلداً (أي أرضاً) فسأل بنيه أيَّ شيء ترتعي الإبل في

هذه الأرض ؟ قالوا الرمث فقال (خُلقت منه وخلق منها) وليس أدلّ على ولع الإبل ووجدها بالرمث من هذا التعبير .

وقال الأصمعي سأل رجل من أهل الحَضَر رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما يُرعى ؟ يسأله الحضري عما اذا كان في أرضهم مرعى تحبه الإبل وتَجِدُ به ؟ وكما أن أهل الحضر يتهكمون بعقلية أهل البادية كذلك هؤلاء فانهم يهزؤون بالحضارة وعقلية أهلها . وقد حانت لهذا البدوي المسؤول الفرصة فسلك في جوابه مسلك الإلغاز والتعريض بغباوة الحَضَري . قال الأصمعي : فأجابه البدوي وهو يهزأ به : (نعم عندنا مُقمل ، ومُدبي ، وباقل ، وحانط ، وناس ، ووارس) وبديهي أن الحضري لم يفهم من هذا القول سوى أن مرعى أرض البدوي يشتمل على كل هذه الأعشاب . وهو خلاف ما أراده البدوي من أنه لا يوجد مرعى في أرضهم الا الرمث وحده الذي فيه غَناء عن غيره . فيكون بجوابه ألغز وعمّى على الحضري وتهكّم به . وتفسير ذلك أن الرمث اذا تفطر أي تشقّقت أغصانه بالنبات كان أول ما يبدو منه هَناتٌ سُود صغيرة تشبه القمل فيقال فيه أنه أقمل فهو مُقمل . ثم تكبر هذه الهنات السود وتتلوّن الى غُبرة فتعود تشبه الدَّبي أي صغار الجراد قبل أن يقوى على الطيران . فيقال أن الرمث قد أدبى فهو مُدبي . فاذا ظهرت الخضرة على تلك الهَنات قيل له في طوره هذا إنه قد أبقل فهو باقل أي ذو خضرة كخضرة البقل (يقال باقل ولا يقال مُبقل) وهذا الطور هو أول الإيراق أي ظهور الورق على الأشجار . وإبقال الرمث وإيراقه إن كان حاصلاً عن مطر كان مرعاه أحيا للإبل وأنجع وإن كان الايراق عن (تروّح) أي عن غير مطر وإنما عن رطوبة برد الليل وحدها كان جودة مرعاه على قدره . ثم بعد الإبقال ينتقل الرمث الى الطور الذي حان أن يعطي فيه أكُلَه من الثمر فيقال إن الرمث قد أحنط وهو حانط (ولا تقل محنط) قال (والحانط من كل

شيء المدرك) ثم ينتقل الرمث إلى دور إعطاء الثمر واجتنائه . فيقال إنه قد أثمر فهو ثامر أي ذو ثمر (ولا تقل مُثمر وانما المثمر الذي من شأنه أن يثمر لا ذو الثمر الذي عليه ثمره) وبعد أن يُعطي الرمث ثمره وتنتهي وظيفته تأخذ أوراقه بالذُبول ويظهر عليها اصفرار كصفرة الورس (الزعفران) فيقال له حينئذ إنه قد أورس فهو وارس (ولا تقل مورس) : فأدوار الرمث (أو كلّ شجر سواه) ستة : إقمال ، إدباء ، إبقال ، إحناط ، إثمار ، إيراس . وإذا وصفت قلت من الأولين على صيغة (مفعل) (مُقمل . مدبي) ومن الأربعة الأُخر على صيغة (فاعل) باقل ، حانط ، ثامر ، وارس . والوارس وصف الذي يصفر من الأشياء نباتاً كان أو غيره ، فاذا كان في بستانك غَيل أي ماء جار تحت أشجاره وكان في قعر الساقية حجارة تراكب عليها الطُحلُب وهو النبات المائي الأخضر الضارب الى صفرة ـ تقول في وصف تلك الحجارة :

(حجارةُ غَيْلٍ وارسات بطُحلُب)

وارسات أي ذات صفرة بسبب تراكم الطُحلب عليها . هذه الحجارة التي قد أورست أُلفت اليها نظر امرئ القيس منذ القديم فشبه حوافر فرسه بها حين قال :

(ويخطو على صمٍّ صلابٍ كأنها حجارةُ غَيلٍ وارساتٌ بطُحلب)

وللأصمعي في طور (إحناط الرمث) وهو الدور الرابع قول لم نفهمه وهو (فاذا ابيض الرمث وأدرك قيل إنه حنط فهو حانط) فما معنى الابيضاض في الرمث لحين إدراكه سوى البياض المعروف من الألوان ! وأيد أبو حنيفة قول الأصمعي بقوله بعده (ولابيضاض الرمث في الوقت الذي ذكر الاصمعي قال الراجز وهو (هميان بن قحافة) يصف ناقته :

(ترعى من الصمّان روضاً آرجاً والرمثَ بالصريمة الكُناجا)

(مثل الشيوخ أحرمت حواججاً)

أقول : (آرجًا) أي ذو رائحة طيبه . و (الصريمة) الأرض ذات الرمل و (الكُنانجا) صفة للرمث بمعنى أنه كثير أو بمعنى أن حبه مكتنز سمين . ثم شبه الشاعر الرمث (الذي قالوا انه يرتفع عن الأرض بقدر قعدة الرجل) بالشيوخ الحجّاج المُحرمين الذين تكون ثياب إحرامهم بيضًا . فهذا يؤيد قول الأصمعي بأن الرمث في طور إحناطه يبيض ولا يمكن أن نقول ابيضاضه ناشئ عن يُبس عيدانه فيكون لونها عند يبسها البياض لأن هذا الدور وُصف بالإدراك . وإدراك الثمر أو الشجر لا يكون معه يبس . وقد يقال ان المراد بالبياض في قول الأصمعي البياض الضارب الى صفرة فسماه بياضًا وأراد الصفرة وربما أيده ما قاله أبو حنيفة بعده (وزعموا أن الرمث اذا انتهى منتهاه في الإدراك اصفرّ صفرةً شديدةً حتى إنْ قارَفه (أي قاربه) إنسان اصفرّ ثوبه : أخبرني بذلك بعض الأعراب .

المغربي

فهرست مؤلفات

محيي الدين ابن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ هـ)

بقلمه

عُني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

— ٣ —

١٠٩ — وكتاب قد : وهو كتاب البقاء .

١١٠ — وكتاب عد : وهو كتاب القدرة .

١١١ — وكتاب يد : وهو كتاب الحكم والشرائع الصحيحة والسياسية .

١١٢ — وكتاب قه : وهو كتاب الغيب .

١١٣ — وكتاب غه : وهو كتاب مفاتيح الغيب[1] .

١١٤ — وكتاب قو : وهو كتاب الخزائن العلمية .

١١٥ — وكتاب كا : وهو كتاب الرياح اللواقح وكتاب الريح العقيم .

١١٦ — وكتاب لا : وهو كتاب الكتب : القرآن والفرقان وأصناف الكتب كالمسطور والمرقوم والحكيم والمبين والمحصى والمتشابه وغير ذلك .

١١٧ — وكتاب ما : وهو كتاب التدبير والتفصيل .

---

(١) طُبع في القاهرة . ومنه نسخ خطية في : خزانة العزاوي ببغداد . برلين ٢٩٦٢ المتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٢) ياتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٢٧) .

١١٨ — وكتاب نا : وهو كتاب اللذة والألم ·

١١٩ — وكتاب سا : وهو كتاب الحق [١] ·

١٢٠ — وكتاب عا : وهو كتاب الحمد ·

١٢١ — وكتاب يا : وهو كتاب المؤمن والمسلم والمحسن ·

١٢٢ — وكتاب صا : وهو كتاب القدر ·

١٢٣ — وكتاب دا : وهو كتاب [١٣] الشأن [٢] ·

١٢٤ — وكتاب شا : وهو كتاب الوجود ·

١٢٥ — وكتاب تا : وهو كتاب التحويل ·

١٢٦ — وكتاب ثا : وهو كتاب الخيرة ·

١٢٧ — وكتاب خا : وهو كتاب الوحي ·

١٢٨ — وكتاب ذا : وهو كتاب الانسان ·

١٢٩ — وكتاب ضا : وهو كتاب التحليل والتركيب ·

١٣٠ — وكتاب ظا : وهو كتاب المعارج والمعراج ·

١٣١ — وكتاب كب : وهو كتاب الروائح والأنفاس ·

١٣٢ — وكتاب اب : وهو كتاب الملك ·

١٣٣ — وكتاب هب : وهو كتاب الأرواح ·

١٣٤ — وكتاب نب : وهو كتاب الهياكل ·

١٣٥ — وكتاب سب : وهو كتاب التحفة والطرفة ·

---

(١) دار الكتب ١: ٣٠٢ و ٢٤٥ (٣ نسخ) برلين ٢٩٢٠-٢٩٢٢ للمتحف البريطاني ٨٨٦ (١٦) باريس ٦٦٤٠ ·

(٢) طبع بعنوان « أيام الشأن » في « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدر اباد ١٣٦٣ هـ ١٨ ص) وهو سادس ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٧١ و ٣٤٥ (٥ نسخ) جار الله (استانبول) ١٨٨٠ (٢) عمومية ٣٧٥٠ تذكرة النوادر ٣٧١ برلين ٢٩٥٠ المكتب الهندي ٦٥٧ (٤) جون ريلندز ١٠٦ (٢) وقد عرف أيضا بكتاب السبعة ·

١٣٦ — وكتاب عب : وهو كتاب الفرقة والخرقة [١] .

١٣٧ — وكتاب قب : وهو كتاب الاعراف .

١٣٨ — وكتاب صب : وهو كتاب زباد كبد النون .

١٣٩ — وكتاب رب : وهو كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار [٢] .

١٤٠ — وكتاب شب : وهو كتاب الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة .

١٤١ — وكتاب تب : وهو كتاب الخيال .

١٤٢ — وكتاب ثب : وهو كتاب الطير .

١٤٣ — وكتاب خب : وهو كتاب النمل .

١٤٤ — وكتاب ذب : وهو كتاب البروج .

١٤٥ — وكتاب ضب : وهو كتاب الحشرات .

١٤٦ — وكتاب طب : وهو كتاب القسطاس .

١٤٧ — وكتاب ضج : وهو كتاب القلم .

١٤٨ — وكتاب كج : وهو كتاب اللوح .

١٤٩ — وكتاب طج : وهو كتاب العرش من مراتب الناس الى الكثيب .

١٥٠ — وكتاب زج : وهو كتاب الكرسي .

١٥١ — وكتاب لج : وهو كتاب الفلك وكتاب الفلك المشحون .

١٥٢ — وكتاب خج : وهو كتاب الهباء .

١٥٣ — وكتاب مج : وهو كتاب الجسم .

١٥٤ — وكتاب نج : وهو كتاب الزمان .

١٥٥ — وكتاب يج : وهو كتاب المكان .

---

(١) في خزانة المتحف العراقي (الرقم ٢٠٦٣ (٩)) : رسالة الخرقة . فلعلها الكتاب المذكور أعلاه .

(٢) الأزهر ٣ : ٥٣٧ الخالدية بالقدس (تصوف ٣٤) جون ريلندز ١٠٥ [١] ٦ ، [٢] تذكرة النوادر ٣٦٠ .

١٥٦ — وكتاب شج : [١٤] وهو كتاب الحركة .

١٥٧ — وكتاب سج : وهو كتاب العالم .

١٥٨ — وكتاب شج : [١] وهو كتاب الآباء العلويات والأمهات السفليات والمولدات .

١٥٩ — وكتاب غج : وهو كتاب النجم والسحر .

١٦٠ — وكتاب رج : وهو كتاب سجود القلب .

١٦١ — وكتاب فج : وهو كتاب الأسماء .

١٦٢ — وكتاب صح : وهو كتاب النحل .

١٦٣ — وكتاب كه : وهو كتاب الرسالة والنبوة والولاية والمعرفة .

١٦٤ — وكتاب ظذ : وهو كتاب الغايات [٢] .

١٦٥ — وكتاب لد : وهو كتاب التسعة عشر .

١٦٦ — وكتاب ضد : وهو كتاب النار .

١٦٧ — وكتاب مد : وهو كتاب الجنة .

١٦٨ — وكتاب ند : وهو كتاب الحضرة .

١٦٩ — وكتاب رد : وهو كتاب العشق .

١٧٠ — وكتاب سد : وهو كتاب المناظرة بين الانسان والحيوان .

١٧١ — وكتاب شد : وهو كتاب المفاضلة .

١٧٢ — وكتاب عد : وهو كتاب الانسان الكامل والاسم الأعظم .

١٧٣ — وكتاب المبشرات من [٣] الأحلام فيما روي عن النبي ﷺ من الأخبار في المنام .

---

(١) كذا بتكرر ما ورد في مطلع الرقم ١٥٦ .

(٢) في خزانة برلين (الرقم ٢٩٥٦) نسخة من كتاب « الغايات فيما ورد من الغيب في تفسير بعض الآيات » فلعلها هي المذكورة أعلاه .

(٣) المخطوط : لا .

١٧٤ — وكتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار [١] .

١٧٥ — وكتاب الأولين .

١٧٦ — وكتاب ترجمان الأشواق [٢] .

١٧٧ — وكتاب العبّاد [٣] .

١٧٨ — وكتاب تاج التراجم [٤] .

١٧٩ — وكتاب ما لا يُعوّل إلا عليه في طريق الله .

١٨٠ — وكتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن [٥] .

---

(١) هو كتاب أدب و نوادر وأخبار. وورد عنوانه في بعض النسخ بصورة «محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار» وقد طبع في القاهرة غير مرة . ومنه نسخ خطية في : مكتبة الامام الأعظم ببغداد . داماد ابراهيم (استانبول) ٩٥٩ للمتحف البريطاني (Suppl') ١١٤٢ برلين ٨٣٦٥ — ٨٣٦٨ ليدن ٤٨٢ — ٤٨٤ أياصوفيا (استانبول) ٤٢٥٢ .

(٢) نشره المستشرق نيكلسن ، بترجمة انكليزية ، في لندن سنة ١٩١١ ، بعنوان :
The Tarjuman al - Ashwak , A Collection of Mistical Odes. (Oriental Translation Fund . New Series , No 20 . London 1911 ; 155 p.) .
ومنه نسخ خطية في : الأوقاف ببغداد ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٣٩٠ ، ٩٧٩٨ . خزانة العزاوي ببغداد. المدرسة الحسينية بالموصل (مخطوطات الموصل ص١٢٣ الرقم٣٩) . مدرسة عبد الرحمن جلبي الصائغ بالموصل (مخطوطات الموصل ص ١٠٢ الرقم ٢٢). خزانة باش اعيان في البصرة . عاشر (استانبول) ٢ : ٢٨٢١ باتنا ٢ : ٤٤٨ برنستن ١٤٨ غوطا ٢٢٦٨ ليدن ٦٩٨ برمنكهام ٦٨٤ جامعة بايل بأميركة ٤٨٦ المعهد اللاهوتي في هرتفرد (أميركة) ١١٥٧ . ولترجمان الأشواق ترجمات وشروح ، منها شرح للمؤلف يأتي في الرقم ١٨٤. وفي دار الكتب ١ : ٢٢١ شرح له .

(٣) غوطا ٣ .

(٤) دار الكتب ١ : ٢٧٤ برلين ٢٩٦٦ غوطا ٨٨٨ (٢) المكتب الهندي ٦٠٢ (٦) . وفي دار الكتب (١ : ٣٤٧) : «كشف تاج التراجم وايضاح معناه من دائرة الجود والمراحم» وهو شرح للتاج، تأليف نور الدين علي بن محمد بن احمد الحجازي الشرقاوي . وفي تذكرة النوادر (٢٥٣) «التراجم» فلعله هو .

(٥) في هامش المخطوط : « وهذا التفسير ، رأينا منه المجلد الأول ، الى تلك الرسل من سورة البقرة » .

١٨١ — وكتاب المواقف ومعرفة المعارف : وهو كتاب كبير في نحو من المجلدات [١٠] ، وهو من أبدع المصنفات الذي لنا وأجمعها .

١٨٢ — وكتاب التجليات [١] .

١٨٣ — وكتاب شرح الأسماء [٢] .

١٨٤ — وكتاب الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق [٣] .

١٨٥ — وكتاب الوسائل في الأجوبة من عيون المسائل [٤] .

١٨٦ — وكتاب النكاح المطلق .

١٨٧ — وكتاب فصوص الحكم [٥] .

---

(١) هو كتاب « التجليات الالهية » . ومنه نسخ في : الأزهر ٣ : ٥٤٨ (٥ نسخ) دار الكتب ١ : ٢٧٥ (نسختان) الاسكندرية : تصوف ١٠ فاتح ٥٣٧٨ (٦) المجلس الملي (طهران) ٦٥٠ تذكرة النوادر ٩٠٣ غوطا ٨٨٦ للتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٧) جون ريلندز ١٠٥ (٤) .

(٢) لعله « شرح اسماء الله الحسنى » . ومنه نسخة في الأوقاف ببغداد ٩٧٨٣ ونسختان في دار الكتب ١ : ٣٢٠ .

(٣) طبع بالمطبعة الأنسية في بيروت سنة ١٣١٢ هـ . ومنه نسخة خطية في : دار الكتب ١ : ٣٣٥ فاس (القرويين ١٤٤٦ (١) . كمبرج (Arberry) ٢٥٣ . برمنكهام ٦٨٥ و ٦٨٦ .

(٤) ويعرف بـ « وسائل للسائل » . ومنه نسخ في : دارالكتب ١ : ٣٧٥ (نسختان) برلين ٢٩٦٥ فينة ١٩١٠ (٣) اسكوريال ٤١٧ (٢) .

(٥) ألفه بدمشق سنة ٦٢٧ هـ . طبع في الاستانة سنة ١٣٠٩ هـ . مع شروح الشيخ بالي زاده المسكي ، المتوفى سنة ٩٦٠ هـ . وطبع في القاهرة مع شرحيه لعبد الغني النابلسي والملا جامي ، سنة ١٣٠٤ و ١٣٢٣ هـ . ومن الفصوص نسخ خطية في : للتحف العراقي ٢١٨ . الأوقاف ببغداد ٦٤٦٠ ، ٩٥٣٩ ، ١٠٠٦١ ، خزانة العزاوي ببغداد . جامع بكر افندي بالموصل (مخطوطات الموصل ص ٧٤ الرقم ٥٣) . الظاهرية ص ٤٩ . الازهر ٣ : ٦١٢ (نسختان) . دار الكتب ١ : ٣٣٨ (٧ نسخ) الآصفية : تصوف ٣٥ باتنا ١ : ١٣٩ بانكيبور ٨٧٠ ٨٧١ ، ٨٧٢ الجوائر ٩١٠ (١) قوله ١ : ٢٥٥ برلين ٢٨٧٦ ، ٢٨٧٧ كمبرج (Arberry) ٢٧١ جون ريلندز ١٠٢ و ١٠٣ برمنكهام ٦٥٦-٦٢٢ —

١٨٨ — وكتاب اللوائح في شرح النصائح .

١٨٩ — وكتاب نتائج الاذكار في المقربين والأبرار .

١٩٠ — وكتاب اختصار سيرة النبي ﷺ .

١٩١ — وكتاب الأجوبة العربية من المسائل اليوسفية .

١٩٢ — وكتاب اللوامع والطوالع .

١٩٣ — وكتاب الحرف والمعنى .

١٩٤ — وكتاب الاسم والرسم .

١٩٥ — وكتاب الفصل والوصل .

١٩٦ — وكتاب الوجد .

١٩٧ — وكتاب الطالب والمجذوب .

١٩٨ — وكتاب الأدب .

١٩٩ — وكتاب الحال والمقام والوقت .

٢٠٠ — وكتاب الشريعة والحقيقة .

٢٠١ — وكتاب التحكيم والشطح .

٢٠٢ — وكتاب الحق المخلوق به : مستفاد من قوله تعالى : وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق »[١] .

٢٠٣ — وكتاب الافراد وذوي الاعداد .

٢٠٤ — وكتاب الحكمة الإلهية في معرفة الملامية[٢] .

— غوطا ٨٨٨ فينه ١٨٩٨ باريس ١٣٤٠ (١) للمكتب الهندي ٦٤٥ - ٦٤٦ بدليان ١ : ١٧٠ .

ولفصوص الحكم ، شروح وتعليقات وترجمات كثيرة ناهزت الثلاثين كتاباً ، أشار اليها الحاج خليفة في كشف الظنون ، في كلامه على فصوص الحكم » ، فليُرجع اليه .

(١) سورة الحجر ٨٤ .

(٢) لعله « الحكم الالهية ». ومن هذا نسخ في : الاسكندرية : تصوف ١٥ و٤٢ . دار الكتب ١ : ٢٩٠ - فنون ١٥١ (٤) .

٢٠٥ — [وكتاب] الخوف والرجاء .

٢٠٦ — وكتاب القبض والبسط .

٢٠٧ — وكتاب الهيبة والأنس .

٢٠٨ — وكتاب النشأتين الدنيوية والأخروية [1] .

٢٠٩ — وكتاب النواشي الليلية .

٢١٠ — وكتاب الفناء والبقاء .

٢١١ — وكتاب الغيبة والحضور .

٢١٢ — وكتاب الصحو والسكر .

٢١٣ — وكتاب القرب والبعد .

٢١٤ — وكتاب المحو والإثبات .

٢١٥ — وكتاب كشف [١٦] السرائر في موارد الخواطر .

٢١٦ — وكتاب الشاهد والمشاهد [2] .

٢١٧ — وكتاب الكشف [3] .

٢١٨ — وكتاب الوله .

٢١٩ — وكتاب التجريد والتفريد .

٢٢٠ — وكتاب الغيرة والاجتهاد .

٢٢١ — وكتاب اللطائف والفوارث [4] .

٢٢٢ — وكتاب الرياضة والتجلي .

٢٢٣ — وكتاب المحق والسحق .

---

(١) برلين ٢٩٦١ .

(٢) تذكرة النوادر ٣٥٥ .

(٣) في دار الكتب (١ : ٣٤٨) نسختان من « الكشف والتبيين » لابن عربي ، فلعلها الكتاب المذكور أعلاه .

(٤) لعل الأصل : والروافث .

٢٢٤ — وكتاب التوراة [1] والهجوم .

٢٢٥ — وكتاب التلوين والتمكين .

٢٢٦ — وكتاب الرغبة والرهبة .

٢٢٧ — وكتاب المكروم والاصطلام .

٢٢٨ — وكتاب اللمة والهمة .

٢٢٩ — وكتاب العربة والغربة .

٢٣٠ — وكتاب الفتوح والمطالعات .

٢٣١ — وكتاب الوقائع والصنائع .

٢٣٢ — وكتاب التدلي والتداني .

٢٣٣ — وكتاب الرجعة والخلصة .

٢٣٤ — وكتاب الستر والجلوة .

٢٣٥ — وكتاب النون في السر المكنون .

٢٣٦ — وكتاب الختم والطبع .

٢٣٧ — وكتاب الجسم والجسد .

٢٣٨ — وكتاب الظلال والضياء .

٢٣٩ — وكتاب القشر واللب .

٢٤٠ — وكتاب الخصوص والعموم [2] .

٢٤١ — وكتاب العبارة والإشارة .

٢٤٢ — وكتاب الحق والباطل .

٢٤٣ — وكتاب الملك والملكوت .

٢٤٤ — وكتاب الحد والمطلع .

---

(١) لعل الأصل : الموارية ، بمعنى المداهاة والمخاتلة .

(٢) المخطوط : والعلوم .

٢٤٥ — وكتاب الفرق بين الاسم والنعت والصفة .

٢٤٦ — وكتاب السادن[1] والاقليد .

٢٤٧ — وكتاب النوم واليقظة .

٢٤٨ — وكتاب العبد والرب .

* * *

وهذا آخر ما تيسر ذكره من أسماء الكتب التي لنا في هـذه العجالة . وكان قد ذكر بعض المحبين لنا ، أنه قد ضبط لنا نحو أربعة آلاف مصنف وعدّدها بأسمائها . ولكن لعدم فروع البال ، والاشتغال بما هو أهم في الحال ، ذكرت منها [١٧] ههنا نحو مائتين وكسر ، بحسب التيسير من ذلك ، والله أعلم بما هنالك .

* * *

تمت بعون الله وحسن توفيقه ، في غرة ذي الحجه سنة تسع وثمانين وستمائة .

وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة ، في اليوم الثالث والعشرين من شعبان لسنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه على الدوام .

(يتبع)

---

(١) المخطوط : الشادن .

منازل القبائل العربية

حول دمشق

— ١ —

كان في الشام قبل الإسلام قبائل كثيرة من العرب المتحضّرة وغير المتحضّرة نزحت من شبه الجزيرة العربية ونزلت في بادية الشام بين الفرات ووادي العاصي ، وفي بعض المدن أو حولها . فاستقرّوا بها [١] وأوتي بعض هذه القبائل الحكم وكانوا سادة العرب فيها [٢] .

فمن هذه القبائل قضاعة التي صارت الى ملوك الروم : وأوتيت تنوخ بن مالك الملك ، ودخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على مَنْ ببلاد الشام من العرب [٣] .

ووردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ . وملكها الروم على العرب [٤] .

---

(١) عن العرب في الشام قبل الاسلام انظر :

Dussaud, les Arabes en Syrie avant l'Islam. Paris 1927.

نولدكه ، أمراء غسان ، بيروت ١٩٣٣ .

لامانس ، سورية في زمن الفتح العربي ، مجلة المشرق ١٩٣٢ .

(٢) يذكر نولدكه أن العرب لم يكونوا في الشام ملوكاً ، وانما أتى هذا الاسم من السريان الذين كانوا يسمّون أمراء العرب ملوكاً . أما الوثائق التي تمثل لغة الحكومة الرسمية المستعملة حينذاك لم تكن تطلق على أمراء العرب ، ومنهم الغساسنة سوى لقب بطريق Patricius أو رئيس قبيلة Phylarch نولدكه ص ١٢ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ليدن ١ : ٢٣٤ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، باريز ٣ : ٢١٦ .

ومن سليح الضجاعم [١] الذين حكموا في أواخر القرن الرابع للمسيح [٢] وكان منهم داود اللثق الذي يُضاف اليه دير داود بالشام والذي ملك زماناً [٣] .

وجاء بنو جفنة الغسانيون فأوتوا الحكم في الشام بعد أن انتصروا على الضجاعم [٤] وظلوا حكاماً حتى قبيل الفتح سنة ٥٨٤ ، حين حمل المنذر الغساني أسيراً الى عاصمة الروم فتصدّعت أحوال العرب في سورية وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة منهم أميراً [٥] .

وهذه القبائل النازحة الى الشام كانت تسمى «عرب الضاحية» وكانت الروم تستنفرهم قبيل الفتح على «عرب الجزيرة» . وتذكر المصادر من عرب الضاحية بهراء وسليح وكلب وتنوخ ولخم وجذام وغسّان وقضاعة من تزيد بن حيدان [٦] . وتذكر الى جانب هؤلاء تغلب بن ربيعة التي نزلت بأرض الجزيرة ، وهي ديار ربيعة ومضر [٧] ونزل السلميون من طيء بحاضر قنسرين من أعمال حلب وبقوا فيها [٨] .

— ٣ —

فلما كان الفتح ، دفعت الجزيرة الى الشام قبائل جديدة ، غير التي خرجت من قبل . ولدينا نص ذو شأن جمع فيه أسماء القبائل التي خرجت الى الشام ، جاء فيـه :

(١) انظر عن الضجاعم نولدكه ص ٦ . وابن دريد ، الاشتقاق ، ليبسيغ ، ص ٣١٩ .
(٢) نولدكه ص ٦ .
(٣) ابن دريد ، الاشتقاق ص ٣١٩ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ١ : ٢٣٥ .
(٥) نولدكه ، امراء غسان ص ٣٤ .
(٦) الطبري ، تاريخ ، ليدن ، ٢٠٨٣/٤/١ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجمع العلمي بدمشق ، ص ٤٠٣ (مثلاً) .
(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩ .
(٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٠٨ .

« وأما الذين خرجوا الى الشام في وقت الجاهلية فهم : كلب ، وسليح ، وتنوخ ، ومسحجة ، والقين ، وبهراء ، وعذرة ، وجرم ، وجهينة ، وبلي أيضاً . وهم من قضاعة من ذرية حمير .

« وأما لخم وجذام وغسّان والأزد ، فهم من ذرية كهلان .

وخرج طوائف كثيرة من اليمن من آل ذي الكلاع الحميري وآل ذي صبح ، وآل ذي رُعين ، وآل ذي ظليم ، ويحصب ، وحضرموت ، وآل ذي الشعبين ، وكندة ، والسكاسك ، والسّكون ، ومذحج ، وهمدان ، وبجيلة ، وطوائف الأزد من غسّان وبارق وغيرهم .

« فهؤلاء الذين افتتحوا الشام وصارت إقامتهم فيه الى الآن » [١] .

وتفرّقت هذه القبائل في سورية ، ففي حوران ومدينتها بصرى نزل قوم من قيس من بني مرّة ، خلا السويداء فإن قوماً من كلب سكنوا بها . وفي البثنية ، ومدينتها اذرعات نزل قوم من اليمن . وفي الجولان ، ومدينتها بانياس ، نزل قوم من قيس أكثرهم بنو مرّة . وكان بها نفر من اليمن . وفي جبل سنير نزل بنو ضبّة وقوم من كلب [٢] وبالفلجة ، من أرض دمشق ، نزل بيت من بني الحارث بن كعب [٣] وفي الشمال بقي التنوخيون في قنسرين [٤] وكذلك كان السلميون من طيء [٥] .

وكانت ديار غسّان تبدأ اذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها [٦] .

(١) نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، (مخطوط في الظاهرية ٨٢٩ تاريخ) لأحد أفاضل وصاب ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بريل ، ١١٣ — ١١٤ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ليدن ، ص ١٣٠

(٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، دمشق ، ١ : ٣٠ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٣ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٢ .

أما دمشق فكانت منازل ملوك غسّان . فغلب عليها أهل اليمن وقوم من قيس ، وكان في الغوطة غسّان وبطون من قيس وقوم من ربيعة [١] ، ومن كلب عامر بن الحصين بن عليم [٢] .

وإذن فقد غلب على دمشق قيس واليمن . فلنر أين نزلت هذه القبائل وبطونها في دمشق وفي قرى الغوطة .

* * *

— ٣ —

كانت منازل القبائل ظاهر البلد لا داخله [٣] فقد كانت الأرباض أكثر سعة وأقرب الى الصحراء والبادية . ولعل دور المدينة نفسها لم تكن كافية يومئذ لسكنى الفاتحين جميعاً . فنزلت القبائل في الغوطة وحول سور دمشق ، لأن فيها منفرجاً لهم ولمواشيهم .

إن بعض الأماكن التي نزلت بها بطون قيس واليمن قد اتخذت أسماء النازلين بها . وبقيت هذه الأسماء الى أيام مؤرخ دمشق ابن عساكر . ففي الفصل الذي عقده هذا المؤرخ عن البنيان خارج السور نجده يذكر ما يلي :

« وفي الشام : سطرا ، والفراديس ، والأوزاع ، والصّدف ، ومقرى ، ومرج شعبان .

« ومن الغرب : لؤلؤة الكبيرة ، ولؤلؤة الصغيرة ، وقينية ، وصنعاء ، والحميريين ، ومنازل بني رُعين .

« ومن القبلة الراهب ، ومحلة السفليين ، والقطائع ، وفندق بني عبد المطلب [٤] .

(١) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ليدن ، ص ١١٣ .
(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ليدن ، ص ١٢٩ .
(٣) تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الثانية ، القسم الأول (تحقيقنا) ص ١٤٣ .
(٤) المصدر السابق ١٤٣ – ١٤٤ .

هذا ما ذكره ابن عساكر من الأسماء في شمال المدينة وغربها وجنوبها . وسنذكر ما كان في الشرق بعد .

لنفصل الآن ما أجمله ابن عساكر .

ففي الشمال كانت سطرا . ولم أجد قبيلة أو بطناً بهذا الاسم . ولم يزد القاموس على ضبطها بوزن سكرى وقال إنها قرية بدمشق . وفي كتاب وقف ابن المنجا الحنبلي ذكر لها . فقد سمّاها «سطرا العرب» [1] . وهذه الاضافة تدل على ان قبائل من العرب كانت تسكن بها ، ولم أعثر على نص فيه اسم هذه القبائل التي سكنت سطرا . وموقع سطرا اليوم شمال مسجد القصب غرب القصّاع ، وحوالي العنابة [2] .

أما الأوزاع فقرية كانت على طريق مقابر الفراديس . وقام مقامها في القرن السادس الهجري حي العقيبة . وسميت أوزاعاً لنزول الأوزاع بها . والأوزاع بطن من حمير ، وقيل من همدان باسكان الميم . وكانت من قرى اليمانية [3] .

أما الصَّدِف (مثل كَتِيف) فقرية كانت غرب مقبرة الفراديس (الدحداح اليوم) نزل بها بطن من بطون الأشرس من كندة ، وهي من كهلان [4] فسميت بهم .

وكانت مقرى قرية شرقي طاحون الاشنان . وما تزال الى هذا اليوم هناك طاحون تسمى طاحون مقرى . وقد نزل بها بطن من حمير من القحطانية فسميت به [5] .

---

(١) كتاب وقف القاضي ابن المنجا الحنبلي ، (تحقيقنا) ص ١٨ .

(٢) انظر مخطط الصالحية لدهمان .

(٣) معجم البلدان ١ : ٤٠٤ . مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ .

(٤) طرفة الأصحاب ص ١١ .

(٥) معجم البلدان ٤ : ٤٣٧ . طرفة الأصحاب ص ١٣ . ومخطط الصالحية لدهمان .

وكانت شعبان قرية عند عين الكرش ممتدة نحو سفح قاسيون ، الى الشمال . وشعبان بطن من همدان من القحطانية ، من حمير [1] نسبت القرية اليه .

ونزل الأشعريون ، وهم من كهلان من القحطانية [2] في مرج سمي مرج الأشعريين . وكانت غرب باب الحديد الذي للقلعة ، أي محل السنجقدار اليوم حتى المرجة ودار البلدية وما يليها غرباً .

أما ما كان في الغرب من البنيان فاللؤلؤتان [3] ولم أجد اسم البطون التي نزلتها من اليمانية .

أما قينية فنزل بها أناس من القين . فنسبت اليهم . والقين بطن من قضاعة من القحطانية [4] . وكانت خارج باب الجابية بجوار الخلخال (انظر دور القرآن بدمشق لنا ص ٤٧) .

ونزل اليمانية بين المزة ودمشق بمحاذاة تل الثعالب ، في قرية سموها « صنعاء » باسم عاصمة قطرهم اليمن . ومكان صنعاء اليوم الجامعة السورية أي الثكنة الحميدية . وكانت مزرعة وبساتين أيام ياقوت [5] .

ونزل قوم من حمير في قرية نسبت اليهم فسميت الحميريون . وذكر ياقوت

---

(١) نهاية الأرب ٢ : ٢٩٤ .

(٢) الاشتقاق ص ٢٤٨ . وانظر مخطط دمشق القديمة ، الملحق بالقسم الأول من المجلدة الثانية من تاريخ ابن عساكر .

(٣) المرجح ان مكان اللؤلؤتين اليوم شارع النصر وما يليه الى الجنوب حتى باب الجابية . ويذكر ياقوت أن اللؤلؤة الكبيرة كانت خارج باب الجابية ٤ : ٣٧٢ . ويفهم من نصوص وردت عند القلانسي أن قينية ولؤلؤة والقنوات وباب الجابية كانت أراض يجاور بعضها بعضاً . (القلانسي ص ٥ ، ٦) .

(٤) طرفة الأصحاب ص ٥٦ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ٣ : ٤٢٦ .

انها على القنوات [١] ، وهي اليوم عند حي الشويكة ، وهناك مقبرة ما تزال الى أيامنا تسمّى الحمرية هي بقايا مقبرة تلك القرية التي دثرت .

أما منازل بني رُعين فكانت ، على ما أرجح ، قرب المزّة غربي صنعاء . ورعين بطن من حمير [٢] .

وأما المزّة فكان فيها منازل كلب ونسبت اليهم فسميت مزّة كلب [٣] .

ونأتي الآن الى الجنوب . فنجد من أسماء القبائل بني عبد المطلب والراهب والسفليين والقطائع .

فبنو عبد المطلب بن هاشم هم من العدنانية [٤] وكانت منازلهم تقريباً عند المصلّى ، في طرف مقبرة باب الصغير الى الجنوب .

والراهب هم الخزرج بن جُدّة من القحطانية [٥] وكانت منازلهم جنوب المصلّى وميدان الحصا .

والسفليّون قرية لعلها تكون منسوبة الى سفل يحصب ، وسفل يحصب وعلو يحصب مخلافان باليمن [٦] وكان مكانها عند المسجد الجديد ، جنوب ميدان الحصا .

والقطائع جمع قطيعة ، وهم بطن من بني زبيد بن مذحج من القحطانية [٧] نزلوا جنوب الشاغور فسميت باسمهم [٨] .

---

(١) معجم البلدان ٢ : ٢ ٣ .

(٢) معجم القبائل ٢ : ٤٣٨ .

(٣) معجم البلدان ٤ : ٥٢٢ .

(٤) نهاية الأرب ٢ : ٣٦٠ .

(٥) العقد الفريد ٢ : ٧٢ .

(٦) معجم البلدان ٣ : ٩٨ .

(٧) معجم القبائل ٣ : ٩٦١ .

(٨) يعتقد الأستاذ دهمان أن مسجد القدم ينسب الى قبيلة القدم ، لا الى ما تزعمه العامة أنه قدم الرسول . وان دير مرّان ينسب الى قبيلة مران ، لا كما زعم الباحثون انه تثنية مر . وفي هاتين الملاحظتين كثير من الصواب . والقدم ، مران قبيلتان من اليمن ، يبدو أنهما نزلتا في هذين المكانين من أرباض دمشق فنسبا اليهما .

وقد كان في شرق المدينة بيت لهيا . ونزل بها السكاسك من ولد السكسك بن أشرس[١] وهما من اليمن . وكانت في القرن الثاني من أحسن القرى وأكثرها قصوراً[٢] .

فيتضح لنا أن القرى القريبة من دمشق المحيطة بسورها كانت مسكونة بقبائل من اليمن ما خلا بني عبد المطلب ، وان هذه القبائل كانت تحيط بالمدينة إحاطة تامة .

— ٤ —

أما الغوطة فقد كانت فيها غسان ، وبطون من قيس وقوم من ربيعة[٣] ولكن الكثرة كانت من اليمن .

لنر الآن القرى اليمانية والقرى الأخرى غير اليمانية . فقد يصعب ذكر البطن الذي سكن كل قرية ، وسنعتمد على نص ورد في ابن عساكر في ترجمة أبي الهيذام الذي كان في القرن الثاني :

كانت داريا أعظم القرى اليمانية في الغوطة[٤] ، وقد نزل بها عبس وخولان[٥] وفرد من رجب[٦] وكان من قراهم : أرزونا ، والأوصاب ، وبيت أبيات ، وبيت الآبار ، وبيت قوفا ، وبيت سوا ، وبيت البلاط ، وقرى يحرش ، وجسرين ، وحمورية ، وتجرا ، وحوارة ، وقرى حكم ، والحديثة ، وداعية ، ودقانية ، وزملكا ، وساجد ، وعربيل ، وعقرباء ، وعين ثرماء[٧] .

---

(١) جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٠٥ .
(٢) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٩١ .
(٣) اليعقوبي « البلدان » ص ١١٣ .
(٤) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٩٠ .
(٥) تاريخ داريا ص ٢٨ .
(٦) المصدر السابق ص ٣٣ .
(٧) انظر مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ — ١٨٧ ترجمة ابي الهيذام .

وكان لهم كفرسوسية [١] وكوكبا الى جانب داريا . وكان حول داريا عامر بن عوف والقين وسليح (مهذب ٧ : ١٨٥) وما ذكرنا حول المدينة من القرى : كمقرى ، والأوزاع والحميريين ، وصنعاء ، وقينية وغيرها . وكان لهم جبل دير مران أيضاً (مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨١) .

أما قرى قيس فكان منها في الغوطة صكا [٢] ، وبراق [٣] ، وحلفبلتا ، وبلاس ، وراوية ، وكفربطنا [٤] ، والقطيفة [٥] .

ويبدو أن جوبر ومزرعة الضحاك كانت لقيس . نستدل على ذلك من بيت ورد في الحماسة هو :

إذا افتخر القيسيُّ فاذكر بلاءه   بزرّاعة الضحاك شرقيّ جوبرا

وهو من أبيات لعمرو بن مخلاة الحمار الكلبي يندّد فيها بمروان بن الحكم ويذكر بلاء اليمن . ويقول : اذا افتخرت قيس فاذكر لهم خذلانهم الضحاك ليتركوا الافتخار [٦] .

وكان ما حول الكسوة لقيس . لأن جبل مانع المشرف على الكسوة كان لقيس ويوقد أبو الهيذام في فتنته النار منه [٧] .

وكان في حرجلة بنو سليم أو بنو كلاب [٨] .

---

(١) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٣ .
(٢) المصدر السابق ٧ : ١٨٨ .
(٣) المصدر السابق ٧ : ١٨٧ .
(٤) المصدر السابق
(٥) المصدر السابق ٧ : ١٨٢ .
(٦) ديوان حماسة أبي تمام مع شرحه للتبريزي ج ٢ ص ٢١٤ ، القاهرة ١٩٢٧ ، وقد نبهنا الى هذا البيت الأستاذ الجليل خليل مردم بك .
(٧) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨١ .
(٨) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٧٩ .

وكان كلب في البقاع والجولان [١] والزواقيل بحوران [٢] .

وكانت دومة لبني تغلب بن وائل من قيس [٣] وكذلك كانت حمنا لثعلب [٤] .

هذه نظرة مجملة تبين منازل القبائل العربية في أرباض دمشق وغوطتها ، نرى منها أن اليمانيين كانوا في الغوطة أجمع داراً من قيس ، وأنهم أهل الثروة والعدد والعز .

وقد كان لتجاور قيس واليمن والعداوة التي قامت بينهم أثر كبير في التاريخ الاسلامي . فالخصومة بين هذه القبائل ظلت شديدة تفور ، بدأت بوقعة مرج راهط في القرن الأول ومرت بفتنة أبي الهيذام في القرن الثاني وظلت حتى انتهت في عين دارة في أيام العثمانيين سنة ١٧١١ ميلادية .

صلاح الدين المنجد

---

(١) مهذب ٧ : ١٧٩ .
(٢) مهذب ٧ : ١٧٨ .
(٣) مهذب ٧ : ١٩٠ .
(٤) مهذب ٧ : ١٨٤ . وانظر عن هذه القرى جماء غوطة دمشق للأستاذ كردعلي (الطبعة الثانية) ، ومعجم البلدان لياقوت ، وضرب الحوطة لابن طولون .

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٣ —

قال المؤلف : (فمن البلغاء من يقول: فقر الألفاظ وغررها كجواهر العقود ودررها فاذا وُسِمَ أغفالُها بتحسين نظومها وُحلي أعطالُها بتركيب شذورها فراق مسموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حرر منها مصروفاً من كدر العي والخطل مقوماً من أود اللحن والخطأ سالماً من جنف التأليف موزوناً بميزان الصواب يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً وتركيباً . قبله الفهم والتذّ به السمع . واذا ورد على ضد هذه الصفة صديء الفهم منه وتأذى السمع به تأذي الحواس بما يخالفها) .

أراد بالبلغاء أئمة النقد وعلماء فن الترسل وقرض الشعر والبلاغة الذين يصرفون اهتمامهم الى العناية بجالة الكلام المفيد المعاني وجعله مناط الاختيار والنقد .

وهذا المذهب نسبه الآمدي في كتاب الموازنة الى الكتّاب وأهل البلاغة . ونسبه عبد القاهر في دلائل الإعجاز الى القدماء وعلى حسب اهتمامهم هذا يجري اختيارهم فيما يختارون من صنائع أهل الأدب ويجري تعليمهم فيما يلقنون للشادين في مزاولة الصناعة من الترسل وقرض الشعر . فهم يصرفون الاهتمام الى محاسن الكلام فلما وجدوا المعاني إنما تظهر من دلالة الكلام عليها صرفوا أول العناية

الى جانب الكلام وألفاظه وجعلوا المعاني حاصلة بالتبع . وعلى عكس هذه الطريقة من الاعتبار جرى الفريق الذين قدموا النظر الى جانب المعاني .

فظهر أن المقصود من صرفهم الاهتمام الى العناية بحالة الكلام اشتراطهم أن يكون كلاماً فصيحاً بفصاحة كلماته في حد ذاتها وبفصاحة تراكيبها عند اجتماعها .

فأما فصاحة الكلمات فلأنها أجزاء الكلام فتعين أن تكون الأجزاء فصيحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً .

ومعنى فصاحة الكلمات سلامتها من تنافر الحروف ، ومن الغرابة ومن مخالفة قواعد اللغة المستقرَاة من استعمال العرب ، هذا ما يقتضيه تشبيه المؤلف الألفاظ بالجواهر والدرر . إذ لم يختلف أئمة البلاغة في أن من شرط كون الكلام فصيحاً أن تكون كلماته فصيحة ولم ينكروا أن الألفاظ المفردة تتفاضل بمقدار تفاضلها في فصاحتها . ويظهر ذلك جلياً في المترادفات فلا يختلفون في أن لفظة أسد أحسن من لفظة فدوكس ، وقد عابوا استعمال المتنبي ألفاظ القلقلة في قوله :

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقلُ

قال الشيخ في دلائل الإعجاز [1] «وقصارى تفاضل الكلمتين لا يكون أكثرَ من كون إحداهما مألوفة مستعملة والأخرى غريبة وحشية ، أو تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن ومما يكد اللسان أبعد» .

وقال [2] «من المعلوم أن لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة والبيان التي يُنسب فيها الفضل والمزية الى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالته وتمامها ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من قبل القلوب ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختارَ له اللفظ الذي هو به أخص

(١) صفحة ٣٦ . (٢) صفحة ٣٥ .

وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية ، وهل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبتها على ما هي موضوعة له حتى يقال ان رجلاً أدل من فرس فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان إلا بالنظر الى المكان الذي تقعان فيه من نظم الكلام ، ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسنَ ملاءمة معناها لمعنى جارتها » .

وقال[1] « فاذا تلاقت في النطق حروف تثقل على اللسان (ومثّله بأبيات التنافر الشديد والمتوسط) فذلك وجه من وجوه التفاضل بين كلام على كلام ولكن ليس المقصود أن يكون ذلك عمدة المفاضلة وهذا لا نُضرُّ به علينا اهـ » .

ولهذا فالذين لم يتعرضوا الى محاسن الكلمات المفردة ما أرادوا عدم الالتفات الى شرائط حسنها ولكنهم استغنوا عنه بحصوله تبعاً لحصول شرائط فصاحة الكلام ومحاسنه ولكن المتأخرين من عهد السكاكي رأوا أن لا محيص عن الاعتداد بصفات الكلمة المفردة قبل دخولها في نظم الكلام فجعلوا الفصاحة مشتركة الوقوع في المفرد وفي الكلام لاسيما بعد أن وضحت الحجة وزالت الشبهة التي استنكرها عبد القاهر وإن كانوا لا ينكرون أن فصاحة المفرد لا يهتم بها إلا من حيث أنه معرض للوقوع في الكلام . فآل الخلاف الى اللفظ . وقد أشار المؤلف الى الأمرين في قوله الآتي « إذْ كانت الألفاظ للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » . وأصحاب هذا المذهب لا يعبأون بالصنعة ولا يتكلفون للمحسنات ومنهم عبد القاهر قال في أسرار البلاغة[2] « وان تجد أيمنَ طائراً ، وأحسن أولاً وآخراً . من أن ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فانها اذا تُركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها فاما أن تضع

---

(١) صفحة ٤٤ . (٢) صفحة ١٠ طبع مجلة المنار .

في نفسك انه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم اه» .

واليك تفسير مفردات من كلام المؤلف : فقر بكسر ففتح اسم جمع فقرة وهي ما انعقد من عظام الصلب كالسلسلة وأراد بها المفردات . والغرر جمع غرة وهي دارة بيضاء في جبهة الفرس وهي من محاسن الخيل وأراد بها محاسن الكلمات والمعنى إن شروط محاسنها كشروط محاسن الجواهر في العقود افراداً وتأليفاً . والأغفال جمع غُفل بوزن قُفل وهو القدح من قداح الميسر الذي لم تجعل له علامة تدل على نصيب من يخرج له .

وبذلك يظهر معنى قوله فاذا وسم أغفالها حيث جعل الكلمة غير المنتخبة كالقدح الذي لا حظ له في القداح . والأعطال جمع عاطل وهي المرأة التي لا حلية عليها جعل الكلمة غير المنتخبة كالمرأة غير الحالية فاذا انتخبت الكلمة للمعنى كانت كالمرأة الحالية . والعيّ بكسر العين وتشديد الياء العجز عن الكلام وأراد به هنا العجز عن تأليف الكلام في الترسل والإنشاء . والخطل بفتحتين خطأ الرأي أراد به هنا الخطأ في المعنى . واللحن الخطأ في الألفاظ بإيرادها على خلاف الطريقة العربية والخطأ في الكلام أراد اللفظ في غير معناه الموضوع له لغة دون قصد مجاز أو استعارة تدل عليهما قرينة . والجنف بجيم ثم نون مفتوحتين الخروج عن جادة الطريق وأراد به الخطأ في نظم الكلام على الأساليب العربية في التقديم والتأخير ووقع في إحدى النسختين التونسيتين حيف بحاء مهملة ومثناة تحتية وهو الظلم أو ظلم الكلام العربي لعدم إعطائه حقه الذي رسمه له العرب ولفظ جنف أحسن .

والموج اضطراب سطح الماء وتحركه وهو من محاسن منظر الماء .

والحواشي الأطراف وهي للماء شطوطه وحافات سواقيه .

والرونق الحسن واللمعان .

قال (ومنهم من لم يرض بالموقوف على هذا الحد فتجاوزه والتزم من الزيادة عليها) . أي من البلغاء فريق لم يقتنعوا لحسن الكلام بحسن ألفاظه وتركيبه بل ارتقى الى طلب محاسن زائدة تتعلق بزيادة في تنميق الكلام ومحاسنه وهي (تتميمَ المقطع) أي حسن اختتام الرسالة والخطبة والقصيدة فالمقطع اسم مكان القطع أي قطع الكلام أي ختمه وتنهيته ومعنى تتميمه جعله تاماً لا يترقب السامع شيئاً بعده وهو أن يؤتي بما يؤذن بانتهاء الكلام كقوله تعالى « هذا بيان للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إلٓه واحد وليذكر أولوا الألباب » وقوله « يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » . وأشهر أنواع براعة المقطع الدعاء إلا أنه لكثرة وروده في الرسائل سمج في الأذواق فكان العدول الى غيره أحسن مثل التوريات بلفظ الكمال والختام ومثل ما لا يبقى بعده مترقب للازدياد من الخير كقول الحريري في المقامة ٢٣ : « فعاهدَني على أن لا أفوه بما أعتمد . ما دمت بهذا البلد ، فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل » وقوله في المقامة المائة : « فمزقت رقعته شذر مذر ، ولم أبل أعذل أم عذر » وهذا الشرط الذي ذكره المؤلف من استحسان المولدين ولم يكن مرعياً عند بلغاء العرب قال « وتلطيفَ المطلع » أي جعله لطيفاً أي رفيقاً حسناً أنيقاً لأنه أول ما يقرع سمع السامع قال ابن الأثير في الجامع الكبير[1] : « وقد كان بعض علماء البيان يقول أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فانهن دلائل البيان » ومن أهم ذلك الاحتراس من ألفاظ تستكره عند السامع ، وللعوائد أثر في هذا الشأن ولذلك قد ترى المولدين ينتقدون بعض فواتح القصائد بما قد كان مثله شائعاً عند العرب مثل ذكر البين والبلى . وأحسنُ مطالع القصائد ما كان يلفت نظر السامع الى ما بعده بأن لا يكون

---

(١) مخطوط بمكتبتي في ١٠٠ ورقة وسيأتي ذكره في ترجمة صاحبه .

من المطالع المعتاد تكررها في الشعر والنثر فينبغي أن يكون المطلع عزيزاً غير مطروق وذلك في الألفاظ المفتتح بها فاذا انضم اليها عزة المعنى فقد استوفى المطلع الحسن فان من المعاني المطروقة بكاء الديار الذي ابتكره امرؤ القيس ومع ذلك تجد مطالع للنابغة في هذا المعنى لطيفة ومن أحسن المطالع قول عنترة :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وعرف بإجادة المطالع أبو تمام والبحتري والمتنبي . وكذلك الأمر في الرسائل مثل الرسالة الرقطاء للحريري . أما فواتح سور القرآن فقد وردت على أكمل الوجوه بخلاف مطالع رسائل البديع والخوارزمي إذ التزما غالباً افتتاحها بكلمة « كتابي » .

« وعطفَ الأواخر على الأوائل » أراد به ما يسمى عند المتأخرين رد العجز على الصدر ويسمى عند المتقدمين التصدير وأمثلته كثيرة ولفظ عطف في كلامه هو بالمعنى اللغوي وهو الرجوع والميل وليس المراد المعنى النحوي .

« ودلالةَ الموارد على المصادر » أراد بها براعة الاستهلال وهي أن يؤتى في أول الكلام بمعان فيها إيماء الى الغرض المقصود منه فكأنه في أول كلامه وارد للماء وكأنه في آخر كلامه صادر عن الماء وهذا قسم من براعة المطلع التي سماها المؤلف آنفاً « تلطيف المطلع » .

والموارد جمع مورد وهو مكان ورود المستقين أي مجيئهم الى الماء قال تعالى : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون » .

والمصادر جمع مصدر وهو المكان الذي يصدر المستقون منه عن الماء بعد السقي قال تعالى : « قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء » .

والاختلاف بين الموارد والمصادر باعتبار اختلاف حال المستقي أما المكان فواحد .

« وتناسُبَ الفصول والوصول » الفصول جمع فصل والوصول بالواو جمع وصل وكلاهما لقب من الألقاب المصطلح عليها عند علماء المعاني من أئمة البلاغة فالفصل ترك عطف جملة على جملة قبلها بأن يؤتى بالثانية غير مقترنة بحرف عطف

والوصل عطف إحدى الجمل على الأخرى ولكل من الفصل والوصل مواقع بعضها تتعين مراعاته وبعضها تحسن مراعاته وقد عقد لها باب واسع في دلائل الإعجاز لعبد القاهر وفي المفتاح للسكاكي . وأتى المؤلف بصيغتي الجمع في الفصول والأصول باعتبار تعدد مسائل كل وصورها والمؤلف حشر هذا النوع في عداد الصناعة اللفظية نظراً الى كون الإتيان بالعاطف وعدمه لا يغير معنى الجملة غالباً وإنما هو وسيلة من وسائل الإيضاح والإفصاح في العربية فهو بمنزلة الإعراب [1] فآل الى حالة لفظية في نظم الكلام وإن كانت مراعاته ترتبط بمراعاة موقع معنى الجملة من معنى التي قبلها فملاحظة موقع الجملة شرط في مراعاة الفصل أو الوصل ولا يوجب اختلافاً للمعنى الذي تشتمل عليه الجملة . وأما عد باب الفصل والوصل في علم المعاني فلأن مسائله ليس لها شائبة اندراج في مسائل علم البيان ولا في مسائل علم البديع فكان علم المعاني أولى بضمها وهي بالفصاحة أعلق فينبغي أن ينتبه لهذا الصنيع الذي صنعه المرزوقي بتدقيقه وسيأتي ذكر الفصول والوصول في عيار التحام أجزاء النظم .

« وتعادُلَ الأقسام » يريد بتعادل الأقسام ما يسمى عند الأدباء بصحة التقسيم ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدث عنها بقسميه وعدم الغفلة عن ذلك ولا التخليط فيه وقد قال المؤلف لما ذكر المقابح [2] « أو يكون في القسم أو التقابل أو التفسير فساد » .

واعلم أن هذا مبحث عظيم من مباحث علم الخطابة تكثر الحاجة اليه فيها .

---

(١) نبهت بهذا على ان الاعراب ليس ما يتوقف عليه فهم معنى الكلام بل هو مبدأ من مبادئ فصاحة الكلام العربي فلا نسمع لمن قال :

وقالوا قام زيد ثم ظنوا   بدون الرفع زيدا لن يقوما

ولم أر من سبقني الى التنبيه على هذا .

(٢) صفحة ٩٦ من المنشور .

ومنزع دقيق من منازع صناعة الترسل وصناعة الشعر ٠ وتفصيله في كتب البديع ونقد الشعر ٠ والتعادل التكافؤ أي أن لا يكون بعضها أوفر في الذكر « وتعادل الأوزان » ظاهر ان ليس مراده بالأوزان أوزان الشعر لأن كلامه هنا على شرائط الاختيار في الكلام المنثور ولأن حقيقة الشعر مشروطة بتعادل أوزان وسيجيء كلامه على ذلك بالنسبة للشعر في ذكر الباب الخامس من الأبواب السبعة التي جعلها عمود الشعر ولذلك لم يعد هناك تعادل الأوزان وإنما ذكر إتمام أجزاء النظم ٠

وإنما أراد بتعادل الأوزان هنا تساوي سموط الأسجاع وهي المسماة بالقرائن التي تنزل من الكلام المسجوع منزلة المصاريع للشعر فتعادلها بأن تكون متساوية المقدار في النطق معتدلة فيه وذلك أصل السجع وبمقدار تساويه تتفاوت أقدار الكتاب ٠ مثال المعتدل التام قول الحريري في المقامة ٣ : « وأودى بي الناطق والصامت ، ورثى لي الحاسد والشامت » ٠

ومن هذا القبيل قول المؤلف في صدر هذه المقدمة حسبما في النسخة التونسية : « وهو مستودع آدابها ٠ ومستحفظ أنسابها ٠ ونظام فخارها عند النفار ٠ وديوان حجاجها عند الخصام » ٠

وقد يكون بينها تفاوت قليل كقول الحريري في المقامة ٢٩ : « ألجأني حكم دهر قاسط ، الى أن أنتجع أرض واسط » ولا يجوز التفاوت الكثير بين القرينتين وبالخصوص إذا كانت القرينة الأولى أطول من الثانية ٠ ومما يندرج في تعادل الأوزان أن تقابل زنة اللفظ بمثلها في صيغة الاشتقاق من فعل أو وصف كقوله تعالى : « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي » فقوبل ضللت باهتديت وهما فعلان ماضيان وقوبل أضل بيوحي وهما فعلان مضارعان ٠ ومن تعادل الأوزان قول الحريري في المقامة الأولى : « وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ٠ ويقرع الأسماع بزواجر وعظه » وكل

هذا معدود من المحسنات اللفظية فلا يصير البليغ اليه إلا حيث لا يوجد ما يقتضي خلافه من جهة المعنى البلاغي ويراعى قريب منه في ممطوط الترسل غير المسجوع ٠

وإنما حشر المؤلف هذا في عداد الخصائص العائدة الى الألفاظ لأن الكاتب يغير ترتيب المعاني في سجعه تغييراً يهيئ لموافقة هذا الأسلوب اللفظي فكان بسبب ذلك عملاً لأجل دقائق من حسن اللفظ يدل على قوة المنشئ في سجعه وكذا القول في الترسل ٠

« والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهمُ السمعَ » قال عبد القاهر في دلائل الإعجاز [1] : « ويختار للمعنى اللفظ الذي هو به أخص وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية » ٠

« ومنهم من ترقى الى ما هو أشق وأصعب فلم تقنعه هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس » هذه ألقاب لأنواع من البديع لا تعسر على الناظر بمراجعة مباحثها من علم البديع ٠

« وعكس البناء في النظم » يريد بالنظم انتظام الكلام لا المقابل النثر كما لا يخفى ٠ وهذا النوع الحسن البديعي المسمى ما لا يستحيل بالانعكاس كقول العماد الكاتب للقاضي الفاضل وقد مر عليه راكباً فرساً « سِر فلا كبا بك الفرس » ٠ فأجابه الفاضل وقد فطن لما في كلامه من البديع فقال : « دام علا العماد » ومن أحسنه في الشعر قول الارجاني :

مودته تدوم لكل هولٍ وهل كلٌّ مودته تدومُ

ومن أحسنه رسالة البديع الهمذاني المثبتة في مجموعة مراسلاته [2] ٠

« وتوشيح العبارة بألفاظ مستعارة » غلّب المؤلف جانب الحسن اللفظي هنا على الخصوصية المعنوية فعد هذا في المحاسن اللفظية جرياً على طريقة كثير من

(١) صفحة ٣٥ ٠

(٢) طبع مطبعة الجوائب بالأستانة صفحة ٣٨ ٠

الأدباء وأهل البديع وهي طريقة المتقدمين من الأدباء الذين دونوا أصول الأدب قبل أن يميز علم البلاغة بالتدوين بعناية الشيخين عبد القاهر والسكاكي والى هذا أشار الخطيب القزويني في قوله : « وبعضهم يسمي العلوم الثلاثة علم البديع » .

وقد لمح الى الاستعارة ومثالها عز الدين الموصلي في بديعيته بقوله :

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل   بالاستعارة من أزواجها العقم

« الى وجوه أخر تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فاني لم أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها ولكل مما ذكرته مما لم أذكره رسم من النفوذ والاعتلاء بازائه ما يضاده فيسلم للنكوص والاستفال » أي بحيث يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقدار مراعاة هذه الخصائص والمحاسن وينحط بإهمال ذلك في مواقع مراعاته انحطاطاً بمقدار ذلك الاهمال .

« فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري فأرادوا أن يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه ويتلقاه بالإصغاء والإذن له فلا يحجبه » أشار بقوله فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ الى أن بعضها يتجاذبه الجانب المعنوي مثل الفصول والوصول ومثل توشيح العبارة بالاستعارة كما أشرنا اليه هنالك . والمعارض جمع مِعْرَض بوزن منبر وهو الثوب الذي تجلى فيه الجارية حين تتعرض للبيع وهذا تشبيه طريف وقد تبعه فيه عبد القاهر قال في دلائل الإعجاز [1] : ويجعلون المعاني كالجواري والألفاظ كالمعارض لها » وأشار المؤلف بالتقييد في قوله « إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » إلى أن البلغاء الذين صرفوا همتهم في اختيار الكلام البليغ الى جانبه اللفظي ما أرادوا حالة مفردات الألفاظ ولكن أرادوا حالة الكلام المؤلف كيف تبرز حين تأليفه والمؤلف ينحو بهذا الى ما تقدم مما حققه عبد القاهر .

(١) صفحة ١٩١ .

« وقد قال ابو الحسن ابن طباطبا في الشعر : هو ما ان عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة ، وما خالف هذا فليس بشعر » ساقه حجــة على أن العناية باللفظ هي في الدرجة الأولى عند كثير من أهل الأدب بحيث ان حسن الديباجة اللفظية تجعل الكلام مقبولا ولو كان عرياً من معنى بديع اذ قد يعرى البيت أو أكثرُ من القصيدة ، والسطرُ أو أكثرُ من الرسالة ، عن معنى بديع فيكسوه الكلام بحسنه حسناً يعتاض به عن حسن المعنى . وكلام أبي الحسن وإن خصه بالشعر فهو منطبق على النثر لا محالة كما أشار اليه المرزوقي بسوق كلام أبي الحسن عقب ما تقدم ثم تقييده بقوله « في الشعر » وأبو الحسن ابن طباطبا هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم طَباطَبا بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسن أيضاً ابن علي ابن أبي طالب وطباطبا بفتح الطاء مكرراً لقب ألصق بجد جده ابراهيم بن اسماعيل لأنه كان يلثغ في القاف بجعله طاء وطلب يوماً غلامه أن يأتيه بثيابه فأتاه بدراعة فقال « لا طَباطَبا » يعني قَباقَبا . وأبو الحسن شاعر مفلق وعالم محقق ولد باصبهان وتوفي بها سنة ٣٢٢ كان مشهوراً بالفطنة وصحة الذهن وله كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض وكتاب المدخل في معرفة المعمّى من الشعر وكتاب في تقريظ الدفاتر كان ابن المعتز يلهج بذكره . وله شعر كثير ترجمه ياقوت في إرشاد الأريب ومن شعره البيت الذي فيه التشبيه اللطيف وهو :

لا تعجبوا من بِلى غِلالته قد زر أزرارَه على القمر

« ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره الى أن تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله . أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله وهم أصحاب المعاني » هذا انتقال الى الطريقة الثانية من طريقتي البلغاء في عماد فضيلة الكلام وهي طريقة الذين صرفوا الاهتمام الأول الى المعاني التي يريد البليغ التعبير عنها وأنت تعلم أن مقصودهم الذي يرمون اليه هو مصرف

الاهتمام الأول على نحو ما قدمنا في تقرير مذهب أصحاب الجانب اللفظي وقد أشار المؤلف الى تحرير الجانب الذي منه يكون شرف المعاني بقوله ·

« فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة ، أو رائقة بارعة فاضلة كاملة ، أو لطيفة شريفة زاهرة فاخرة · وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه لائقة الاستعارة صادقة الأوصاف لائحة الاوضاح خلابة في الاستعطاف عطافة لدى الاستنفار مستوفية لحلولها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والاطناب والتقصير ، والجد والهزل ، والخشونة والليان ، والإباء والإسماح · من غير تفاوت يظهر في خلال اطباقها ، ولا قصور ينبع من أثناء اعماقها ، مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف محتجبة في غموض العيثان لدى الامتهان ، تعطيك مرادك إن رفقت بها وتمنعك جانبها إن عنفت معها » ليريك أن ليس المراد بصرف العناية الى المعاني أن تكون معاني الكلام كلها من الحق والموعظة أو العلم فان ذلك لا يتأتى في كل كلام ولا يقتضيه كل مقام وان أكثر شعر العرب في الجاهلية بمعزل عن ذلك وانما المراد أن المعاني التي يجيش بها الخاطر وهي المعاني الأصلية من أغراض التخاطب وغيره إذا جاش بها الخاطر وترددت في النفس يكون حقاً على البليغ أن يصورها معاني فائقة من مجاز أو تشبيه أو إيجاز أو تلميح ، أو تمليح حتى اذا أديت بالكلام أبرزت ألفاظها صوراً من الحقائق والكيفيات العقلية تقع في نفوس السامعين مواقع الإعجاب أو الاستحسان فانك اذا افتقدت قول كثير :

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدت على دهم المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

وهذا معدود من أجود الشعر · لم تجد في أصل معناه أكثر من أنا فرغنا

من الحج فركبنا راجعين ونحن نتحدث على مطي الرواحل . ولكنك تجده أفاد هذا المعنى بأفانين من التصوير المعنوي وتشخيص الأحوال ما ان سمعه السامع اهتز له إعجاباً . وتحرك للاستزادة من سماعه طلاباً . وكان من أصحاب هذا المذهب ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير [1] إذ يقول [2] : « ينبغي أن يستيقن المؤلف أن المعاني أشرف من الألفاظ والدليل على ذلك أن لو خلعنا هذه الألفاظ من دلالتها على المعاني لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام والأصوات الناشئة عنها ويزيد ما ذكرناه وضوحاً أن هذه الصناعة من النظم والنثر التي يتواضعها البلغاء بينهم وتتفاضل بها مراتب البلاغة إنما هي شيء يستعان عليه بدقيق الفكرة وكثرة الروية ومن المعلوم أن الذي يُستخرج بالفكر ويُنعم فيه النظر إنما هو المعنى دون اللفظ لأن اللفظ يكون معروفاً عند أرباب صناعة التأليف دائراً فيما بينهم ، والمعنى قد يُبتدع فيذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه الخ ... »

فمعنى قول المرزوقي : « من قصد فيما جاش به خاطره الى أن تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله » أن أهل هذا المذهب يصرفون أكبر اهتمامهم عند قصدهم إفادة المعاني الأصلية الى أن يودعوها في صور من المعاني البيانية تفيد متأملها معاني جمة ليس كل معنى

(١) هو الوزير نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الموصلي توفي سنة ٦٣٧ من أئمة الأدباء والكتاب له كتاب المثل السائر مشهور مطبوع . وكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور ذكره صاحب كشف الظنون ويظهر أنه ألفه بعد المثل لأنه لم يذكره في كتاب المثل السائر مع أنه ذكر كتاباً آخر له سماه الوشي المرقوم في حل المنظوم . وهذا الجامع الكبير أخصر من المثل وأقل شواهد ولكنه قد يكون أكثر منه قواعد فلعله قصد منه تهذيب الفن والاقلال من انتشاره وهو يقع في زهاء ثلث حجم المثل السائر وهو عزيز الوجود وفي مكتبتي نسخة منه نسخت سنة ٦٦٨ وهذه المسألة التي ذكرناها هنا هي مما لم يذكره في المثل السائر .

(٢) في الورقة ٣١ .

منها مستفاداً من جملة أو عبارة بل يستفاد الكثير منها من الجملة الواحدة وذلك بحسن التوصيف بتشبيه قريب واستعارة لائقة ويشير المؤلف الى ما يحاوله البلغاء من ذلك بكناية وتعريض وتضرب الأمثال وبمراعاة تأثر السامعين على حسب اختلاف طبقاتهم وتنوع مقامات خطابهم بما يناسب تلك المقامات من التصوير من خشونة أو رقة ، ومن جد أو مزح ، ومن تصريح أو رمز ويحصل بذلك الايجاز الذي هو زينة كلام البلغاء كما قيل « لمحة دالة » مما لو جعل لكل مراد منه لفظ أو جملة لطال الكلام وفاتت براعة مؤلفه وضاعت فطنة متأمله أو تساوت درجاتها . فاذا نظرت الى قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » وجدت التصور المفاد من كلمة اشتعل مغنياً عن أن يقال شاب شعر رأسي دفعة واحدة ولم يترك الشيب منه شيئاً كالنار اذا التهبت في الحطب ، فتصوير الاشتعال أفاد ذلك كله .

وأما معنى مفردات كلام المرزوقي فقوله جاش : فاض والخاطر : الذهن باعتبار جولته في المعاني فكأنه يخطر في خلالها أي يمشي ومقصود المرزوقي انه نشأت في نفسه المعاني التي أراد إفادتها ثم جالت في نفسه حتى تمكنت ووضحت فشبه ذلك التمكن بالجيشان وهو غليان القدر .

وقوله « من آثار عقله » متعلق « باستفادة » .

وقوله « أو مثله » هو غير مضبوط في النسخ التي بين أيدينا أو ينبغي أن يضبط بضمتين جمع مثال يعني أن يعتني بتصوير المعاني أكثر من عنايته بالقول والايضاح بالأمثلة .

وقوله « رسومها » براء في أوله جمع رسم وهو ما يعرف به الشيء وأصله رسم الدار وفي النسختين التونسيتين ونسخة الاستانة ونسخة دار الكتب وسومها بواو في أوله وهو جمع وسم وهو العلامة .

وقوله « من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقهـا » .

الأطباق بفتح الهمزة جمع طبق بفتحتين وقد تقدم في شرح قوله « لا يطابقه » وأراد بالتفاوت تفاوت الإفادة في ذلك التصوير بين ما يفيده بعض فقر الكلام ويفيده بعض آخر أي بأن تكون المعاني متوازنة فلا يوضع المعنى الشريف بإزاء المعنى السخيف ، والقصور العجز عن الوصول الى ماحقه أن يصل اليه وهو مشتق من قصر القامة أي قلة الامتداد في الأشياء بما يقتضيه كمال أنواعها ، وشبه القصور الظاهر أثره بماء نابع بجامع الظهور وأثبت له النبع على طريقة الاستعارة المكنية وهو من تشبيه المعدوم المتخيل بالموجود مثل تشبيه اللؤم في بيت حسان :

لو ان اللؤم صُوِّرَ كان عبداً قبيحَ الوجه أعورَ من ثقيف

ومناسبة الاعماق للنبع ظاهرة ظاهرة فتكون ترشيحاً لا استعارة .

وأراد بالمبتسمة أنها تكشف عما تحجبه كشفاً حسناً كما يكشف الابتسام عن محاسن الثغر ومثاني الألفاظ هي التراكيب لأن الكلمات تثنى فيها أي تكرر ومنه سميت الفاتحة المثاني .

و « الاستشفاف » هو نظر المتأمل وفي إحدى النسختين التونسيتين الاستسعاف أي طلب الاسعاف أي قضاء المطلوب فعلى هذه النسخة يكون الابتسام تمثيلاً بحالة سرور الكريم عند ملاقاة العفاة كما قال الشاعر :

تراه إذا ما جئته متهللاً

والاحتجاب تمثيل للمعاني بالنسوة يحتجبن ممن قد يستخف بهن في مواقع صونهن فقوله لدى الامتهان أي لدى إرادة الامتهان . وأما قوله « تعطيك مرادك » فهو تمثيل آخر مثل فيه المعاني بالناقة الكريمة لا تَدِرُّ إلا بالإبساس أي برفق الحالب بها فاذا رفق بها مكنته ودرّت وإن اشتد عليها منعت قال بشار :

والدَّرُّ يمنعه جفاءُ الحالب

(فهذه مناسب المعاني لطلابها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها) .

الاشارة بهذه الى الصفات المذكورة قريباً وتلك اشارة للبعيد وهو هنا إشارة الى الصفات المذكورة سالفاً لأنها بَعُد ذكرها .

والمناسب بفتح الميم جمع مَنسَب بفتح الميم وفتح السين وهو مصدر ميمي لنسبه ينسبه اذا ذكر نسبه وغالب إطلاق ذلك في ذكر الأنساب الشريفة أي فهذه الصفات التي ذكرتها قريباً هي صفات المعاني الشريفة الأصلية فهي للمعاني كالأنساب للناس فمن طلب المعاني الشريفة فليتوخ منها الصفات التي ذكرتها .

والمناصب جمع منصِب بفتح الميم وكسر الصاد وهو مكان النصب أي رفع الشيء وإظهاره ومنصب المرء شرفه ورفعته أي الصفات التي ذكرتُها سالفاً هي مظان شرف الألفاظ فمن كان من أرباب الألفاظ أي المعتنين بها فليبحث عن انطباق تلك الأوصاف عليها . وبَيْنَ المناسب والمناصب في كلامه الجناس المحرف .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

يتبع :

ابن الطيب محشي القاموس

مولده ونشأته وحياته ونسبه :

هو فخر الدين محمد بن الطيب وبه عرف ابن محمد بن موسى الفاسي المدني المعروف بالشرقي [بالقاف المعقودة] لا بالفاء إجماعًا والشرقي نسبة إلى شراقة وينطق بها أهل المغرب بالكاف وهي على مرحلة من فاس وقد أخطأ خطأً فاحشًا من ذكره بالفاء وعده من أولاد الشرقي الأندلسيين الذين بفاس وليس منهم بل هو من أولاد الصميلي وُلد بفاس سنة ١١١٠ هجرية ونشأ بها .

حياته : كان هذا الإمام نادرة عصره في سعة الاطلاع وقوة العارضة ورُزِق فيها وفي الرواية سعدًا مبينًا وحلاّه القاضي الشوكاني في ثبته والوجيه الأهدل في النفس اليماني بالشيخ الحافظ وقال عنه ابن الحاج الفاسي لم يكن في زمانه أحفظ منه بالنحو واللغة والتصريف والأشعار إمامًا في التفسير والحديث والفقه .

مشيخته بالمغرب : له من الشيوخ ما يقارب مائة وثمانين شيخًا كما وُجد ذلك بخطه في إجازته لابن عبد السلام البناني وهذا ما بَعُد العهد به عن أقرانه في المغرب منذ قرون واستجاز له والده من أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي المكي قال الحافظ مرتضى الزبيدي في ألفية السند لما ترجمه :

وصح أن حسن العجيمي   أجازه كتبًا بغير ضيم

وكذا أخذ عن والده وعن محمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد الرحمن

ابن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد السلام البناني ومحمد بن عبد الله المشذالي وأبي عبد الله محمد بن محمد ميارة وأبي الإقبال أحمد بن محمد الدرعي وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي وأحمد بن علي الوجاري ٠

مشيخته بالمشرق : منهم محمد بن محمد السناوي ومحمد أبو الطاهر القوراني وحسن العجيمي والسيد عمر الباعلوي والزرقاني وغيرهم مما يطول بنا ذكرهم ٠

رحلته : لقد طاف الأرض طولها والعرض في ديباجة حاشيته على القاموس ما نصه : قال ما أمليت سطراً منها إلاّ في شطر من الأرض وأنشد :

يوماً بفاس وفي مكناسة زمناً وتارةً في زوايا العم والخال

وبرهة سفري سفر وآونةً تازا وطوراً أرى [1] الفلا خالى

وأقام بمكة سنين وختم بالمسجد الحرام الصحاح الستة وغيرها من الأصول الحديثية وانتفعت به الطلبة هناك ورحل الى الروم من الطريق الشامي ورجع منها على الطريق المصري وأخذ عنه في الشام ومصر خلق كثيرون ٠

أما تحقيقه وكمال اطلاعه وطول باعه في العلوم فيعلم ذلك من طالع حاشيته على القاموس بالدقة إذ يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره وكثرة تآليفه وواسع رحلته وأعجب ما تجد فيها أنه ألفها حالةَ مفارقته لأصوله وكتبه قال إلا ما عَلِق بالبال أو عُلِّق في طرس بال وقال بعد شرح خطبته قد أشرت في الخطبة الى أن هذا الكتاب طُلِب مني ونحن في أثناء أسفار ٠ قال تلميذه الحافظ الزبيدي في طالعة شرحه على القاموس وهو عمدتي في هذا الفن والمقلّد جيدي العاطل بحلى تقريره المستحسن ، وقال في محل آخر من مقدمة التاج :

---

(١) الشعر من البسيط وعجز البيت الثاني مكسور (المجمع)

لا أدّعي فيه دعوى فأقولُ شافهتُ أو سمعتُ أو شددتُ أو رحلتُ أو أخطأ فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطاب فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالاً ولم يخل لأحد فيها مجالاً لأنه عني بشرحه عمّن روى وبرهن عما حوى وسبر بخطبته فادّعى ولعمري لقد جمع فأوعى وأتى بالمقاصد فوفّى .

قلتُ : أمّا رويتُ ورحلتُ وسمعتُ فلم يخلُ منها تاج العروس أبداً ومن تتبّعه على صدق الحديث وجده يقرُّ لشيخه المذكور بالفضل والتقدم وإن أردتَ ان لا تتعب نفسك بتتبّع المجلدات العشر فانظر إلى قوله في خاتمة الشرح : إن كتابي هذا لا يوفّق لمثله إلاّ مَنْ ركب في طلب الفوائد كل طريق فغار فيه وأنجد وتقرب فيه وأبعد وليس ذلك إلاّ لشيخه المذكور .

مؤلفاته : فإن له ـ رحمه الله ـ مؤلفات حسنة سارت بها الركبان وتنافس بها المتنافسون من أهل الدراية وجمّلت بها خزائن الملوك والأكابر فمنها حاشيته على القاموس فهي في أربع مجلدات وبودّي لو يعتني المجمع العلمي العربي بطبعها بوضع القاموس في أعلى الصفحة والحاشية في أسفلها .

ومنها شرحه على فصيح ثعلب في مجلدين ومنها شرحه على كفاية المتحفظ ومنها حاشيته على الاقتراح ومنها شرحه على كافية ابن مالك ومنها شرحه على شواهد الكشاف ومنها حاشيته على المطول ومنها رحلته التي جمعت فأوعت ومنها جمع مسلسلات في كتاب وهي تنوف على ثلاثمائة ومنها حاشيته على شرح القسطلاني لصحيح البخاري ومنها شرحه على كل من سيرة ابن الجزري وابن فارس ومنها حاشيته على الشمائل للإمام الترمذي ومنها شرح المضرية لخير البرية ، ومنها حاشيته على المزهر للإمام السيوطي سماها المسفر عن خبايا المزهر ومنها سمط الفرائد فيما يتعلق بالبسملة والصلاة من الفوائد ومنها الفهرست

الكبرى المسماة بإقرار العين وإقرار الأثر بعد ذهاب العين ومنها فهرسته الصغرى الموسومة بإرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والمسانيد ومنها الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب وافق في تسميته كتاب عصره [1] أبي عبد الله محمد العلمي الفاسي دفين مصر ومنها رحلته الحجازية الأولى والثانية ومنها الأفق المشرق بتراجم من لقيناه بالمشرق إلى غير ذلك من المصنفات والرسائل .

قال المرادي في سلك الدرر وله شعر لطيف ونقل طائفة منه .

وفاته ومدفنه : توفي رحمه تعالى سنة سبعين ومائة وألف ودفن بالمدينة المنورة بالبقيع رحمه الله .

(بيروت) محمد العربي العزوزي

---

(١) لعله يريد : لكاتب عصره الخ (المجمع) .

حي بن يقظان

شرحها لابن سينا

— ٣ —

فلا تجنح اليه أو يؤتيك موثقاً من الله غليظاً
جم عن إصاخة اليه لما يُنهيه اليك وإن اختلط[1] ،
و جدير باستثباته[2] وتحققه[3] .)

أشار به الى الطريقة التي يجب أن تسلك في تدبير
بلة لتجمع الى السلامة من ضلالتهـا ، الاستفادة
ـ لا تثق بها كل الثقة حتى تصير بحيث تميّز
حقها بوضعك قانوناً ترجع اليه في ذلك وميزاناً
يناؤه موثقاً من الله غليظاً ، ويجوز أن يكون
إذا فعلت ذلك وقويت وعلوت على مثل هذا الموثق .
تمنع من الاستماع لما ينهيه اليك وإن كان
ـه عليك ما لا بد من استثباته[5] وتحصيله في

ـوجدت قبولي مبادراً إلى تصديق ما يُقرِفهم[6] به .
ـة المعتبر صحح المختبر منهم الخبر عنهم ، وأنا في
ـ اليد عليها وتارةً[7] لهـا علي . والله تعالى
ـ الرفقة إلى حين الفرقة .)

) ب : باستثبايه .   (٣) مه و ص : تحققه به .
) أيضاً : استثبايه .   (٦) مه و ص : قرفهم .

فلما وصف لي هؤلاء الرفقة . أراد به أني لما تأملت أحوال هذه القوى وجدتها موافقةً لما وصفها به فازددت بما شرحه من أحوالها بصيرة [١] ، وامتثلت أمره فيما هداني [٢] إليه من تدبير أمرها . وحصلت على حالة متوسطة في السلامة منها والابتلاء بنوايلها ، وعلى ذلك دلّ بقوله فتارةً لي اليد عليها وطوراً لها عليّ .

(ثم إني استهديتُ هذا الشيخ سبيل السياحه استهداء حريص عليها ، مشوقٍ اليها ، فقال : إنك وَمن هو بسبيلك عن [٣] مثل سياحتي لمسدود . وسبيله عليك وعليه لمسدود . أو يسعدك التفرّد وله [٤] لذلك [ورقة ٩٣ ب] موعد مضروب لمن تسبقه [٥] فاقنع بسياحة مدخولة بإقامة تسيح [٦] حيناً وتخالط هؤلاء حيناً . فتى تجردت للسياحة بكنه نشاطك وافقتني [٧] وقطعتهم ، وإذا حننتَ نحوهم انقلبت إليهم وقطعتني [٨] حتى يتأتى [٩] لك أن تتولى بركنك [١٠] عنهم [١١] .)

قوله : ثم إني استهديت هذا الشيخ سبيل السياحة أي إني لما وجدت العقل على هذا الكمال وبحيث هو مستمدّ العلوم والمعارف حرصت على سلوك مثل سبيله واقتباس العلم وتحصيله ففرغت اليه في أن يهديني سبيل السعي في ذلك .

فقال إنك .... لمسدود أي إن النوع من التعقل الذي لي التميز عن التعقل الإنساني بالخلوص عن شوب التخيل والحسّ ، وبالدوام وبالاتصال الغير المقطوع [١٢] بموانع [١٣] الأحوال البدنية وبالإجمال المتضمن + [١٤] للمعقولات التي لا نهاية لها دون التفصيل المقتصر على واحد واحد من المعقولات وبالوصول + [١٤]

---

(١) مه : نصرةً . (٢) أيضاً : أهداني . (٣) ايضاً : من .
(٤) ب : له ولذلك . (٥) ايضاً : تسعه . (٦) ايضاً : تسنح .
(٧) م : ونقتك . (٨) ب : تعلقني . (٩) مه و س : يأتي .
(١٠) ايضاً : برأتك . (١١) ايضاً : منهم . (١٢) ب : الغيرمقطوع .
(١٣) ايضاً : لموانع . (١٤) + ... + بالهامش في مخطوط ب .

اليه من غير كلفة ولا عناء ولا استدلال واستنتاج بطلب الوسط . وبحله لا سبيل لك ولأمثالك من البدنيين الى الوصول اليه والتصرف فيه ما دمتم على أحوالكم من مباشرة الأحوال البدنية . اللهم إلا أن تسعدوا بمفارقة البدن والتفرد ـ ولذلك وقت مقدر لا يحتمل الزيادة عليه ولا النقصان منه .

ثم قال فاقنع بسياحة مدخولة بإقامة أراد به تعقلاً غير خالص من مشوب التخيل والحس ، وغير موصوف بالدوام والاتصال بل يسعد بالانقطاع اليه والاشتغال به وقتاً ويشقى بالانقطاع عنه والاشتغال بالبدن وقتاً آخر ، فاذا انقطعت اليه كنت مصاحباً لي وموافقاً ، واذا انقطعت عنه كنت مصاحباً لقوى البدن ومرافقاً لا يزال هذا دأبك وديدنك الى حين انفرادك عنها بالكلية وذلك يكون بعد الموت ومفارقة النفس للبدن [ورقة ٩٤ الف] .

(فرجع بنا الحديث الى مسايلته عن إقليم إقليم مما أحاط بعلمه ووقف على[١] خبره) .

قوله : فرجع ... اقليم أي أردنا الوقوف من جهته على معرفة الموجودات كلها المعقولات منها والمحسوسات وإحاطة العلم بها إذ وجدنا الكمال الإنساني متعلقاً بذلك محصلاً من سبيله .

(فقال[٢] : إن حدود الأرض ثلاثة : حد يحوزه الخافقان وقد أدرك كنهه وترامت[٣] الأخبار الجلية المتواترة والغريبة بجل[٣] ما يحتوي عليه ، وحدان غريبان : حد وراء[٤] المغرب وحد قبل المشرق) .

قوله : حدود الأرض ثلاثة ، عنى بالأرض الموجودات الطبيعية المخالطة للمادة المعرضة لضروب التغير[٤] . فهو في هذا الفصل يشرح أحوالها دون أحوال الموجودات العقلية غير المخالطة[٥] للمادة غير المعرضة[٦] للتغير . وأراد

---

(١) مه و ص : عليه . (٢) ايضاً : فقال لي . (٣) ايضاً : ترامت به الاخبار .... بجل .
(٤) غير موجود في مه و ص ولكن موجود في ك .
(٥) ب : الغير مخالطة . (٦) ايضاً : الغير معرضة .

بالحدود الثلاثة ما تنقسم هذه الموجودات الطبيعية < اليه > وهي المركبات المحسوسات + والهيولى والصورة [(١)] . وأشار بقوله الحد الذي يحوزه الخافقان إلى المركبات المحسوسات + [(٢)] في عالمي الأرض والسماء التي يجمعها الخافقان اللذان هما الأرض والسماء . وقال وقد أدرك كنهه إلى آخر الفصل إلى أنها مدركة بالحس ، عرفها الإنسان . أما ما يحضره فبخاص حسه النظري ، وأما ما يغيب عنه فالأخبار المتواترة التي تتراءى اليه من جهة من شاهده .

+ وأراد بالحدين الغريبين الهيولى والصورة ، وأما ما وراء المغرب فالهيولى . وأما الذي قبل المشرق فالصورة + [(٣)] .

(ولكل واحد منها صُقع وهذان الحدّان قد جُعِل [(٤)] بينهما وبين عالم البشر حد محجوب لن يعدوه إلاّ الخواص منهم المكتسبون منّة لم تتأت للبشر بالفطرة [ورقة ٩٤ ب]) .

لكل واحد منهما صقع ، اي لكل واحد من الهيولى والصورة كنه وحقيقة ، وقد ضرب بينه وبين عالم البشر حد محجوب ، + أي أن كل واحد منهما ليس بظاهر الوجود بل كان بين كل واحد منهما وبين الناس حجاب وحد لا يتجاوز إلى إدراكه [(٥)] + .

إلاّ الخواصّ أي لا يعرفه إلا قوم مخصوصون متميزون بما يكتسبونه من منّة أي قوة لم تكن للانسان بالفطرة والطبع دون الاكتساب .

(ومما يفيدها الاغتسال بمعين خرّارة في جوار عين الحيوان الراكدة ، إذا هُدِيَ اليها السائحُ فتطهَّر بها وشرب من فراتها سرت في جوارحه منة مبتدعة

---

(١) وهي تنقسم الى للمركبات المحسوسات والى الهيولى والصورة . (٢) + ... +
موجود في ب بالهامش . (٣) + .. . + موجود في ب بالهامش، وايضاً في ك .
(٤) م و ص : ضرب . (٥) + ... + موجود في ب بالهامش ، و ك : وليس
ولا واحد منها بظاهر الوجود إلا المتميزين الذين يكتسبون قوة لم تؤت الانسان قبل الاكتساب .

طويت له بها (١) تلك المهامه ، ولم يرسب (٢) في البحر المحيط ولم يكاده جبل قاف ولم تدهدهه الزبانية مدهدهة الى الهاوية) .

قال ومما يفيد هذه القوة الاغتسال بعين خرّارة ، وأراد بالعين الخرّارة (٣) علم المنطق . والاغتسال بهذه العين هو جلاء الذهن واستمداده بقوانين المنطق ليحصل اليقين لمعرفة الموجودات وأراد بالخرّارة المفيدة لقوة النطق إذ الخرير هو صوت الماء ، فأشار به الى المنطق الذي يفيده هذا العلم ، والى الاقتدار على تحصيل المجهولات بالمعلومات .

وأراد بقوله في جوار عين الحيوان الراكدة ، أي ان علم المنطق متاخم لعلوم الحقايق وآلة يتوصل بها اليها . وعين الحيوان هو العلم الحقيقي .

فقال : اذا هدى اليها .... فراتها أي متى وفق طالب العلم فليهتدي الى هذا العلم فحصّله وجلا ذهنه به وشرب منه أي اقتناه على سبيل الملكة .

سرت في جوارحه منه مبتدعة أي اقتدرته وحصلت له منة أي قوة لم تكن له قبل ، فقوي بها على قطع تلك المهامه أي على الاحاطة بأصناف الموجودات والسلوك منها بلا تعب ولا نصب .

قوله : ولم يرسب في البحر المحيط أي لم يلبث في الجهل الشامل للكل يعني [ورقة ٩٥ الف] المتميزين بمثل هذه القوة ، وقوله : ولم يكاده جبل قاف أي لم يشق عليه صعود جبل قاف أي الترقي الى أعلا درجات العلم وهو العلم اليقيني .

ولم تدهدهه الزبانية مدهدهة الى الهاوية أي لم تدفعه عن الحق الشكوك ، وأصناف الحيرة المستولية على الناس الموقعة إياهم إلى الجهالة والضلالة التي هي الجهل المضاعف .

---

(١) مه و ص : مبتدعة بقوى بها على قطع تلك . (٢) ايضاً : ولم يترسب .

(٣) ك : (بالهامش) عين خرارة صوت الماء ، وعين خرارة بالخاء المعجمة اولاً ثم المهملتين يعني جشمه آب جارية ، هو صوت ويمكن ان يكون بالحاء المهملة والراء ثم الزاء من الحرز وهو الصون والحفظ اي الباصرة الحارسة عن الخطأ .

(فاستزدناه شرح حال هذه [(١)] السين ، فقال : سيكون قد بلغكم حال الظلمات المقيمة بناحية القطب ، فلا يستطيع عليها الشارق في كل سنة الى أجل مسمى ، إنه من خاضها ولم يحجم عنها أفضى الى فضاء غير محدود قد شحن نوراً) .

قال المفسر : يريد بالظلمات الشكوك والخواطر والحيرات العارضة لطبقات الناس على درجاتهم ، وأراد بناحية القطب النفس الانسانية التي عليها مدار أمر الناس ومن جهتها تدبير البدن وساير القوى ، فلا يستطيع .... أجل مسمى أي لا يقوى العقل والقوة النطقية على الهداية الى إزالتها وإيضاح الحق فيها الى أجل مسمى أي الى حين التقوي بما يكسبه من المنة التي يقوى بها على ذلك [(٢)] . إنه [(٣)] من خاضها ولم يحجم عنها أي من عني بالنظر فيها والبحث عنها وإزالة الشكوك فيها واستعد لمعرفة الحق منها أفضى الى فضاء غير محدود .

قد شحن نوراً أي وصل آخر الأمر الى ما استعد له من الكمال والاستنارة بنور العلم .

(فيعرض له أوّل شيء عين خرّارة تمد نهراً على البرزخ ، من اغتسل منها خف على الماء فلم يرجحن الى الغرق ، وتقحم تلك الشواهق غير منصب [ورقة ٩٥ ب] حتى تخلص الى أحد الحدين المنقطع عنها) .

قوله : فيعرض له .... خرارة أي علم المنطق .

تمد نهراً على البرزخ أي تصير مدداً للعقل الهيولاني المستعد للمعارف ومدد <اً> الى استفادته من الحس من الأوليات الكليات [(٤)] .

---

(١) مه : هذا .

(٢) ك : واراد بناحية القطب النفس الانسانية التي عليها مدار امر الناس . ومن جهتها تدبير البدن وساير القوى ، وأراد بالظلمات الشكوك العارضة لطبقات الناس على درجاتهم ، فلا يستطيع عليها الشارق اي لا يقوى العقل والقوة النطقية على إزالتها، وإيضاح الحق فيها الى اجل مسمى وهو حين يكتسب منه تقوى بها على ذلك .

(٣) ب : انها .

(٤) مه و ص : الحس في الأوليات والمعقولات .

وقوله : من اغتسل ٠٠٠٠ الى الغرق أي لم ينبط في الجهل بل غلبه واستولى عليه ٠

وتقمم ٠٠٠٠ غير منصب أي بلغت درجته في علم المنطق الى أن يصير بحيث يطلع على الحقائق من غير تعب يلحقه ولا نصب يرده عن وجهه حتى تخلّص الى أحد الحدّين المنقطع عنهما أي ينظر في الحقايق وكنه الموجودات فيلحظ منها أول شيء الهيولى (١) ثم الصورة اللتين (٢) سماهما الحدين المحجوبين المنقطع عنهما ٠

فاستخبرناه عن الحدّ الغربي لمصاقبة بلادنا إياه ٠ فقال : إن بأقصى المغرب بحراً كبيراً حامئاً قد سمي في الكتاب الإلهي عيناً حامئة ، وإن الشمس إنما (٣) تغرب من تلقائها ومدّ هذا البحر من إقليم غامر فات (٤) التحديد رحبه لا عمّار له إلاّ غرباء يطرأون عليه ، والظلمة معتكفة على أديمه ، وإنما يتمحّل المهاجرون اليه لمعة نور مهما جنحت الشمس للوجوب) ٠

قوله فاستخبرناه ٠٠٠ إياه أي يعرفنا منه أولا حال الهيولى ، فقال إن بأقصى المغرب بحراً كبيراً حامياً أشار به الى الهيولى وبهذا الاسم سمي في القرآن حيث يقول : « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة » ، وغروب الشمس فيها مصير الصورة اليها وملابستها لها (٥) ٠

ومدّ هذا البحر من إقليم غامر أي إقليم خراب وهو إقليم الكائنات [ورقة ٩٦ الف] الفاسدات التي تحت فلك القمر ٠

فات التحديد رحبه أي انه إقليم (٦) واسع يشتمل على أصناف المكونات الفاسدات والاسطقسات التي منها يتركب الكاينات ٠

---

(١) ايضاً : من الهيولى ٠ (٢) في سائر النسخ سوى ك : اللذين ٠
(٣) غير موجود في مه و س ٠ (٤) ب : فاق ٠
(٥) ك : وملابستها إياه ، وفي مه و س و ب : إياها ٠
(٦) مه و س : من اقليم ٠

لا عمار له الا غرباء يطرأون عليه ، أراد بعمارة الصورة التي بها كل شيء واحد منها [١] هو ما هو . وهم غرباء أي ان الصورة طارئة عليها من موضع آخر بعيد من موطن الهيولى .

والظلمة منتكفة على أديمه أي من حق هيولاها أن تكون بلا صورة . وحيث لا تكون صورة فهناك تكون الظلمة مستولية ، إذ الصورة [٢] نور من واهبها الذي يراها . والصور بها تزول الظلمة عن الهيولى المجردة .

وإنما يتمحل ... للوجوب أي ان الكاينة الفاسدة تمحلت نورها من صورها المستفادة عند أفول الصور في هيولاها واقترانها بها .

(وأرضه سبخة كلما أهلت بعمّار نبت بهم فابتنى [٣] بها آخرون ، يعمرون فينهار ويبنون فينهال ، وقد أقام الشجار بين أهله بل القتال فأينما [٤] طائفة عزّت استعلت [٥] على عقر ديار الآخرين ، وفرضت عليهم الجلاء تبتغي قراراً ، فلا يستخلص إلاّ خساراً . وهذا ديدنهم لا يفترون) .

قال المفسر : وأرضه سبخة أي انّ هيولى هذه الكاينة الفاسدة لا تستقر فيها الصور ولا تنبت كما لا ينبت في الأرض السبخة سكانها وقوامها وخلقها كلما أهلت بعمار نبت بهم .

وابتنى بها آخرون أي من شأنها أن يتعاقب عليها الصور فلا يستقر فيها صورة بل يستبدل بخلافها أو ضدها في حالة أخرى فهي أبداً تنبو [٦] بصور فتبطل عنها ويخلفها غيرها .

يعمرون فينهار ويبنون [ورقة ٩٦ ب] فينهال أي كل كائن فيها فاسد لا محالة ، وقد أقام الشجار بين أهله بل القتال أي ان هذه الصور المتعاقبة

---

(١) ب : منها .   (٢) في سائر النسخ : الصورة .   (٣) ب : وابتنا .
(٤) م و س : فأينما .   (٥) أيضاً : استولت .
(٦) نبا المكان بفلان : أي لم يوافقه .

المتبادلة عليها متعادية متضادة متعالية كان بعضها أعداء البعض ، فهي تتسايل [١] على مكنتها .

فأيتما طائفة عزّت أي غلبت بقوتها استعلت على عقر ديار الاخر من أي صورة استحقتها الهيولى بحسب أمزجة الاسطقسات بصورتها الهيولى ، وبطلت الصورة الأُخرى المتقدمة ، وفرضت القادمة على السابقة الجلاء عن أوطانها ، والاخلال بها ينبغي قراراً ولا يستخلص إلا خساراً ، أي ان الغرض ثبات تلك الصور بأعيانها أن لو أمكن ولم يمكن ، حفظ ثباتها للاستبدال والتعاقب .

وهذا ديدنهم لا يفترون أي ان هذه الأحوال الطبيعية لهذه الكاينة الفاسدة لا تتغير في حال من الأحوال عن طبايعها هذه .

(وقد تطرق هذا الاقليم كل حيوانٍ ونبات ، لكنها اذا استقرت به ورعته وشربت من مائه غشيتها [٢] غواشٍ غريبة [٣] عن صورها ، فترى الانسان فيها ، وقد جلله [٤] مسك بهيمة ونبت عليه أثيث من المشب ، وكذلك حال كل جنس آخر ، فهذا الاقليم إقليم [٥] خراب سبخ مشحون بالفتن والهيج والخصام والمرج يستعير البهجة من مكان بعيد ، وبين هذا الإقليم وإقليمكم أقاليم أُخر [٦]) .

قال المفسر : أراد بقوله + [٧] وقد تطرق ... نبات أي من شأن الصور الحيوانية والنباتية أن تلابس هذه الهيولى والمواد لكنها اذا حصلت فيها

---

(١) تسايل القوم : أي تواردوا من كل جهة .

(٢) أيضاً : غشيته . (٣) ب : فرسها (٤) مه و ص: قد جلله بغير الواو.

(٥) مه و ص : فهذا إقليم . (٦) مه وص و ك : أقاليم أخرى .

(٧) + ... + موجود في ك باختلاف يسير : « الا ان من شأن الصور الحيوانية والنباتية < ان > تلابس هذه الهيولى والمواد لكنها اذا حصلت فيها غشيت هذه الصورة المجردة .... ، وقوله ... بهيمة أي مثال ذلك ان الصورة الانسانية اذا حصلت في المادة اقترنت بها أعراض غريبة من شكل ما وقدر ما وكذلك كل واحد من الأنواع سوى الانسانية » . وانظر مه و ص ايضاً .

وانطبعت المواد بما غشيت هذه الصورة المجردة . غواش غريبة أي أعراض تلزمها بسبب الهيولى .

فترى الانسان .... بهيمة أي مثال ذلك ان الصورة الانسانية [ورقة ٩٧ الف] مثلاً اذا حصلت في المادة اقترنت بها أعراض غريبة من شكل محدود ووضع محدود وقدر محدود لا يكاد يختص بشكل دون شكل ولا قدر دون قدر ولا وضع دون وضع ، وكذلك كل واحد من الأنواع سوى النوع الانساني + (١) ، فانها لا تخلو عن عوارض تقترن بخاص صورها .

فهذا الاقليم .... مكان بعيد ، فهذه الصفة جملة ما فصله في الكلام المتقدم من الأحوال (٢) الكاينة الفاسدة وبين هذا الاقليم واقليمكم أقاليم أخرى .

أراد بالأقاليم الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية ، وباقليمكم النوع الانساني .

(لكن وراء هذا الاقليم مما يلي محط أركان السماء اقليم شبيه به في أمور منها أنه صفصف غير أهل إلا من واغلين غرباء (٣) ، ومنها أنه مسترق (٤) النور من شعب غريب ، وإن كان أقرب الى كوة النور من المذكور قبله ، ومن تلك (٥) انه مرسى قواعد السموات (٦) كما ان الذي قبله مرسى قواعد هذه الأرض ومستقر لها) .

التفسير : قوله لكن وراء ... في أمور ، أشار به (٧) الى الأجرام السماوية التي أولها مما (٨) يلينا فلك القمر وآخرها ومنتهاها (٩) الفلك التاسع ، وجعلها إقليماً آخر (١٠) وراء الاقليم المتقدم ذكره ، إذ كانت طبيعته مباينة لطبيعة الكاينات الفاسدات (١١) وان كانت مشابهة لها على ما ذكره في أمور . منها

---

(١) يُرجع للحاشية رقم ٧١) في الصفحة السابقة (٢) ب : احوال .
(٣) مه و ص : غرباء واغلين . (٤) ايضاً : يسترق . (٥) ايضاً : ذلك .
(٦) ايضاً : السماويات . (٧) ايضاً : بها . (٨) ايضاً : مايلينا .
(٩) « ومنتهاها » غير موجود في مه و ص . (١٠) ب : وخلفها : اقليم اخر .
(١١) مه و ص : الفاسدة . وفي ك : الفاسدات ، كما في ب .

انه صفصف ٠٠٠٠ غرباء [١] + أي احد ما يشابه به الأجرام السماوية الأجرام الكاينة الفاسدة انها ذات هيولى مجردة باعتبار ذاتها عن الصور + [١] وإنما تطرأ عليها الصورة ، تأتيها من موضع غيره ، فكأنها بقعة غير أهله لا ساكن بها ولا واغل غريب يجيء من مكان آخر .

ومنها انه مسترق ٠٠٠٠ غريب اي مما تتشابهان فيه أيضاً ان كل واحد منها يستعير النور [٢] من انه شعب أي جانب مجانب له وذلك انهـا طبيعة هيولانية قابلة للصورة ، ومستعار نورها من طبيعة عقلية واهبة للصورة ، وجعلها تسرق أي يأخذ ما ليس لها بذاتها من النور كما ان السارق والمسترق يفوز بما ليس له من المال .

قوله : وإن كان ٠٠٠٠ قبله أي إن معدن النور ومستقاه [٣] الذي هو الأمر العقلي بالجملة [٤] يأتي منه النور الى هذه الأجرام السماوية بلا واسطة ، ويأتي منه الى الكاينة الفاسدة بتوسط السماوية [٥] فتكون [٦] لذلك السماوية [٧] أقرب الى المعدن أي أشد تقرباً [٨] . وهذا على ما عرفت من حقيقتي [٩] المتقدم والمتأخر في موضعه .

ومن تلك ٠٠٠٠ ومستقر لها . أي ومما تشابه كل واحد منها فيه الآخران كل واحد منها مثبت لقواعد أي حامل لصور ومستقر لها ، أما الحامل للصور الثابتة فرسي ومثبت لقواعد وحقايق السماويات المنزهة عن الكون والفساد ، وأما الحامل للصور المتعادلة المتعالية المتبادلة فرسي ومثبت لقواعد وحقايق الأرضيات الممنوّة بالكون والفساد .

---

(١) + ... + موجود في ك ايضاً ، وفيه « ما شبه به الخ » .
(٢) ك : اي يستعير النور من جانب مجانب له وذلك انها .... واهبة للصور .
(٣) موجود في ب و ك فقط .
(٤) ك : « الذي » موضع « بالجملة » .
(٥) ايضاً : بلاواسطة ومنها الى الكاينة....
(٦) غير موجود في مهـ و ص .
(٧) ب : السماوية .
(٨) أيضاً : تقدما .
(٩) ايضاً : حقيقي .

(لكن العمارة في هذا الاقليم مستقرة ولا[1] مناصبة بين ورّادها المحاط ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليه[2] غيرهم غلاباً) .

قوله : لكن ... المحاط أي لكن هذا الاقليم أي اقليم السمائيات وإن كان مأهولاً معموراً بغرباء فان عمارها مستقرون فيها أي صورها صور لا يفارقها ولا يتباطل بأضدادها فلا يغصب[3] بعضها بخط بعض على ما عليه الأمر في الكائنة الفاسدة بل حالها في ذلك مخالفة لحالها ومباينة [ورقة ٩٨ الف] لما على ما يدل عليه قوله ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليه غيرهم غلاباً .

(فأقرب معاصرةً منا بقعة سكانها أمة صغار الجثث حثاث الحركات ومدنها ثماني مدن) .

قال المفسر : قد أخذ يفصل ما أجمله بقوله ولكل أمة صقع محدود ، فقال : أقرب مساكن هذا الاقليم منا بقعة ... الحركات ، وأشار بذلك الى فلك القمر ، وعنى « بسكانها »[4] القمر ووصفه بصغر الجثة إذ كان جرمه[5] جزءاً من تسعة وثلاثين جزءاً من جرم الأرض .

وأصحاب الهيئة جعلوا مقدار الأرض الذي عرفوه واستنبطوه بالقياسات الصحيحة والاعتبارت الوثيقة معيار <اً> يقاس اليه ساير الأجرام ، وصح لهم أن مقدار سطحها بالتقريب مائة واثنان وثلاثون الف الف وستماية الف ميل ، بالمقدار الذي هو ميل في ميل بالميل الذي هو أربعة ألف ذراع بذراع السواد[6] ، وان مقدار جرم القمر هو المقدار المذكور ، ومقدار جرم عطارد جزء من اثنين وعشرين الف جزء من جرم الأرض ، ومقدار جرم الزهرة جزء من سبعة وثلاثين جزءاً من الأرض . ومقدار جرم الشمس مثل الأرض مائة

---

(١) الواو غير موجود في مه و ص .
(٢) مه و ص : عليهم .
(٣) ايضاً : يصعب .
(٤) ب : بسكانه .
(٥) ايضاً : اذ كان جزء منه جزءاً .
(٦) ايضاً : السودا .

وستة وستون مرة ، ومقدار جرم المريخ مثل مرة ونصف وثمن مرة ، ومقدار جرم المشتري مثل الأرض خمس [١] وتسعون مرة ، ومقدار جرم زحل مثل الأرض احدى وتسعون مرة .

ومقادير أجرام : أما التي في العظم الأول فكل واحد منها مثل الأرض مائة مرة ، وثماني مرات . وأما التي في العظم الثاني فمثل الأرض تسعون مرة . وأما التي في العظم الثالث فمثل الأرض ثنتان [٢] وسبعون مرة . وأما التي في العظم الرابع فمثل الأرض أربع [٣] وخمسون مرة . وأما التي في العظم الخامس فمثل الأرض ست [٤] وثلاثون مرة . وأما التي في العظم السادس وهو [ورقة ٩٨ ب] أصغر ما يرى من الكواكب التي أمكن قياسها فمثل الأرض ثماني عشرة ، وأعظم الأجرام السماية قدراً هو الشمس . ثم الكواكب الثابتة التي في العظم الأول وهي خمسة عشر كوكباً ، ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم الكواكب الثابتة الباقية كلها على مراتبها ، ثم المريخ ، ثم الأرض ، ثم الزهرة ، ثم القمر ، ثم عطارد .

فلذلك جعل القمر صغير الجثة أي بالقياس الى الأجرام المذكورة . ووصفه بسرعة الحركة إذ كان يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً ونصف وخمس ساعة بالتقريب ، وعطارد يقطعه في ثلاثماية وخمسة [٥] وستين يوم وربع يوم . والزهرة في مدة زمان عطارد ، والشمس في تلك المدة بعينها ، والمريخ في سنة فارسيه وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، والمشتري في احدى عشرة [٦] سنة وعشرة [٧] أشهر ، وخمسة عشر يوماً بالتقريب ، وزحل في تسع [٨] وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام ، والكواكب الثابتة في ست وثلاثين الف سنة ، فلذلك جعل القمر حثاث [٩] الحركة .

---

(١) ب : خمسة . (٢) أيضاً : اثنان . (٣) ايضاً : اربعة .
(٤) ايضاً : ستة . (٥) ايضاً : خمس . (٦) ايضاً : احدعشر .
(٧) ايضاً : عشر . (٨) ايضاً : تسعة وعشرين سنة . (٩) ايضاً : حثث .

قال : ومدنها ثماني مدن ، أشار به الى الأجرام التي ينقسم اليها فلكه ويشتمل عليها بموجب ما وجد له من الحركات ، فانه وجد له ثماني حركات، فوجب أن يكون لكل حركة منها جرم على حدة[١] على ما شرح في كتب الهيئة .

(وتتلوها مملكة أهلها أصغر جثثاً من هؤلاء وأنقل[٢] حركات يلهجون بالكتابة والنجوم والنيرنجات والطلسمات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة مدنها تسع مدن) .

التفسير : أشار بذلك الى فلك عطارد وواجب أن يكون ساكنه الذي هو عطارد أصغر جثة مما تقدمه وهو القمر وأبطأ حركة منه ، وأنت تعرف صحة ذلك بما أورد في ذكر مقادير الأجرام ومقادير الحركات ، [ورقة ٩٩ الف] في الفصل المتقدم ، ووصفه باللهج بالكتابة والنجوم والطلسمات والنيرنجات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة وهذا على مذهب أصحاب النجوم واعتقادهم دلالة عطارد على هذه الأمور المذكورة . ثم قال ومدنها تسع مدن فهو يدل به على ما شرح في باب القمر .

(ويتلوها وراءها مملكة أهلها ممتعون[٣] بالصباحة ، مولعون بالقصف والطرب مبرّأون من الغموم لطاف لتعاطي المزاهر[٤] ، مستكثرون من ألوانها تقوم عليها امرأة قد طبعوا على الاحسان والخير ، فاذا ذكر الشر اشمأزّوا عنه ، ومدنها ثماني مدن) .

التفسير : أشار بهذا الفصل إلى فلك الزهرة ، ووصف الزهرة بهذه الأوصاف المذكورة وهو أيضاً على مذهب أصحاب[٥] النجوم .

---

(١) ايضاً : م و س : على حد ما شرح أمره في كتب الهيئة .
(٢) ب : انفذ .
(٣) م و س : متمتعون .
(٤) ب : لطاف التعاطي للمزاهر .
(٥) م و س : احكام .

(ويتلوها مملكة قد زيد لسكانها بسطة في الجسم وروعة من[1] الحسن، ومن خصالهم أن مفارقتهم من بعيد عزيزة الجدوى ، ومقاربتهم مؤذية ، ومدنها أربع[2] مدن) .

أشار بهذا الفصل الى فلك الشمس ووصف الشمس بأنها أُوتيت بسطة في الجسم ، وأراد به عظم مقدارها الذي[3] خصت به من دون غيرها .

(ويتلوها مملكة تأوي اليها أمة يفسدون في الأرض حُبِّب اليهم الفتك والسفك والاغتيال والمثل مع طرب ولهو يملكهم أشقر مغرى بالنكب والقتل والضرب ، وقد فتن كما يزعم رُواة أخبارها بالملكة الحسناء[4] المذكور أمرها ، قد شغفته حبّاً ، ومدنها سبع مدن) .

أشار بهذا الفصل الى فلك المريخ .

(ويتلوها مملكة عظيمة أهلها عالون في العفة والعدالة [ورقة ٩٩ ب] والحكمة والتقوى وتجهيز جهاز الخير الى كل قطر واعتقاد الشفقة على كل مَن دنا[5] ، وبعُد ، وإزلالُ[6] المعروف الى مَن علِم وجهل ، وقد جسم حظهم من الجمال والبهاء ومدنها سبع مدن) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى فلك المشتري .

(ويتلوها مملكة يسكنها أمة غامضة الفكر ، مولعة بالشر ، فان جنحت للاصلاح أتت نهاية التوكيد[7] ، وإذا أوقعت بطائفة لم تطرقها طروق متهور بل توختها بصورة الدواهي[8] المنكر ، لا تعجل فيما تعمل ، ولا تعتمد غير الأناة فيما تأتي وتذر ، ومدنها سبع مدن) .

أشار بهذا الفصل الى فلك زحل .

(يتبع) محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

---

(١) ايضاً : في . (٢) ايضاً : خمس . (٣) ايضاً : التي .
(٤) ايضاً : الحسنى . (٥) ب : الشفقة عمن دنا . (٦) ايضاً : إذلال .
(٧) م و ص : التأكيد . (٨) ايضاً : بسيرة الداهى .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق

— ١٠ —

٥ — أمين الخولي :

ومن أجلّ ما كتب في عصرنا عن فكرة الإعجاز ما كتبه الأستاذ الخولي في ثلاثة مواضع من أبحاثه : الأول : « بحث البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » والثاني : « التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم » والثالث مقالة : « البلاغة وعلم النفس » التي نشرها في مجلة كلية الآداب (المجلد الرابع الجزء الثاني ديسمبر سنة ١٩٣٦) .

ذكر في « بحث البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » كيف أن البلاغة كانت وسيلة لمعرفة الإعجاز عند القدماء ثم ذكر رأي العسكري (ص ٢٨) في ضرورة علم البلاغة لمن يريد أن يدرك الإعجاز وبعده رأي صاحب الطراز ثم أثر فكرة الإعجاز في كتب البلاغة كوجود كلمة الإعجاز في عناوين كثير من الكتب وتوجيه التأليف فيها وتكوين الآراء في وجه حسن الكلام وعظم أثرها فيما نرى من مذاهب في ذلك وفي ظهور مؤلفات في البلاغة مما لا يمكن فهمه الفهم الجيد كما يقول إلا بعد الرجوع الى مذاهب المتكلمين في الإعجاز كما تشرحها كتب العقائد ثم يذكر رأي ابن خلدون في أن فائدة البلاغة معرفة الإعجاز وقد ذكرته له أثناء الحديث عنه .

ثم يذكر ضرر الفكرة القائلة بأن الاعجاز يعلل وأن البلاغة هي طريق هذا الاستدلال وهو ازهاق الروح الأدبية وجعل البلاغة موازين جافة لا روح فيها ولا فن ولا ذوق وعدم جدوى دراستها في تكوين روح أدبية جيدة ثم يبين

فساد هذا القول ـ وهو أن الاعجاز يعلل ـ ويورد رأي السكاكي وقد أشرت اليه أثناء الكلام عليه وهو أن الاعجاز يدرك بالذوق وطول الممارسة لعلوم الأدب وبخاصة البلاغة وأن هذا الادراك وهذا الذوق يحتاجان الى استعداد خاص في النفس ويستحسن الأستاذ الخولي رأي السكاكي هذا في أن يكون طريق معرفة الاعجاز تكوين الذوق الفني ودرس البلاغة على ما تقضي به أصول التربية الفنية الصحيحة ولا يرى ضرراً حينئذ من قصر البلاغة على بيان الاعجاز قصراً فنياً ويقول بأن قواعد البلاغة الجافة التي نجدها في شرح السعدالتفتازاني لا تفيد في تربية هذا الذوق الأدبي وبأن الاقتصار عليها خطأ فني بل تقصير ديني لأنها لا تفيد شيئاً في فهم الاعجاز بل ترين على البصيرة وتضعف قوة الادراك ٠

أما كتاب « التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم » فيتعلق ما يخص بحث الإعجاز فيه بنقد فكرة التفسير العلمي التي أصبحت وجهاً من وجوه الإعجاز عند المتكلمين ويذكر الأستاذ الخولي في البدء فكرة اتساع القول في احتواء القرآن جمل العلوم جميعاً واشتماله الى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية ظاهرة وخفية سائر علوم الدنيا ثم يذكر أن الغزالي كان لعهده أكثر من استوفى بيان هذا القول في كتابه الإحياء وقد ذكرت رأي الغزالي سابقاً في الكلام عليه وقلت إنه مهد لفكرة الإعجاز العلمي ثم يذكر الأستاذ الخولي هذه النزعة عند الفخر الرازي ومحمد الاسكندراني وفكري باشا وعبد الرحمن الكواكبي والرافعي الذي مهد له السيوطي بالقول في الفكرة وطنطاوي جوهري ومحمد توفيق صدقي وقد أوردت ما له صلة بهم في هذا الشأن عند الكلام عليهم وعلى فكرة التفسير العلمي ٠

ثم يورد إنكار الشاطبي لهذا التفسير العلمي وردوده عليه في كتابه الموافقات وقد ذكرته حين الكلام على الشاطبي ثم يضيف الى هذا النقد ما يؤيده من الأنظار الحديثة فمنها :

١ — الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها فلا يجب أن نضيف للألفاظ معاني لم تكن فيها حين نزول القرآن وإنما اصطلح عليها لما فيها بعد .

٢ — الناحية الأدبية أو البيانية من حيث مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهل هذا التفسير العلمي يوافق حال العرب حين نزل القرآن زمن النبي وهل يصح أن يخاطبوا به من حيث مدلولاته وهب هذه المعاني كانت موجودة في القرآن ولم تحمل الألفاظ معاني لا تطيقها فهل فهمها العرب يومئذ من القرآن وإذا كانوا فهموها فلِمَ لمْ تبدأ نهضتهم العلمية بظهور القرآن فيهم وإذا لم يفهموها فكيف تكون هي المقصودة .

٣ — الناحية الدينية من حيث مهمة كتاب الدين وأنه ليس كتاباً علمياً وكيف تؤخذ منه جوامع العلوم وكتبها تتغير بتغير الأزمان والأجيال ؟ وذلك بتقدم العلوم .

ثم يعقب على هذا بأن ضرر هذه الفكرة في الإعجاز أكثر من نفعها وأنه يكفي في الدلالة على عدم مناقضة الدين للعلم ألا يوجد نص صريح يخالف الحقائق العلمية على أن هذا تساهل منه — كما يقول — لأن تناول حقائق الكون ومشاهده يقصد به رياضة وجدانات الناس ويقوم على المشهود البادي من حيث روعته في النفس ووقعه على الحواس وانفعال الناس به لا من حيث دقائق قوانينه ولا يجب الوفاء فيه بحماية الحقائق العلمية للاعتبار بعظمة القوة المدبرة للكون . ثم يقول إنه قد يبدو فيه ما هو متعارض مع الحقائق العلمية ولا ضير عليه في ذلك لأنه ليس كتاب علم وليس من اللازم اللازب أن يتكلف ربط الكتاب بالعلم .

ثم نرى الأستاذ الخولي يقول بالإعجاز النفسي في القرآن وذلك « لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل الى القول بالإعجاز النفسي في القرآن كما كشف عن وجه الحاجة الى تفسير نفساني للقرآن يقوم

على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعوة القرآن الدينية ... الخ » .

ويفصل الأستاذ الخولي القول في هذا الإعجاز النفسي في مقالته : « البلاغة وعلم النفس » في مجلة كلية الآداب [1] فبعد أن يعدد القول في الإعجاز يقرر أن إدراك العلاقة بين علم النفس والبلاغة يهدي الى قول محدث أو رأي جديد في فهم الإعجاز القرآني ولو لم يكن تعليلاً له بالمعنى العام ثم يعدد المعاني التي يمكن أن تحتمل وتفهم من إطلاق كلمة الإعجاز النفسي والتي لا يقصد اليها كوقع القرآن في النفس مثلاً وغيره مما لا ينفيه ولكنه لا يراه تعليلاً كافياً للإعجاز كذلك لا يريد أن يساير من يدعي إمكان استنباط علم النفس من القرآن وإنما يريد أن نستفيد من علم النفس الحديث في بيان الإعجاز وهو يرى أن القرآن معجز إعجازاً نفسياً باستفادته من طبيعة النفس البشرية ومعرفته بشؤونها المختلفة والنواميس التي تخضع لها واستخدامه ذلك في تأييد دعوته وحجته .

ولما كانت هذه القواعد غير مقررة زمن النبي وهو لا يعرفها كان ذلك قولاً في علة الإعجاز منتهياً الى علم ما لم يكن ـ (مما هو أساس الفن الأدبي ودعامته) ـ ويمكن الاستغناء بهذا عن بقية نظريات الإعجاز .

ويضرب المثل على الإعجاز النفسي بالتكرار وما قال القدماء فيه ثم بيان ما قرره علماء النفس حديثاً فيه من أنه أقوى طرق الإقناع وخير وسائط تقوية الرأي والعقيدة في النفس البشرية على هينة وفي تؤدة دون استثارة لمخالفيها بالجدل والمشادة في نظم البرهان والتعرض البادي للاستدلال إلى آخر ما يسوق علماء النفس على ذلك من شواهد ومثل عملية تغني عن اختراع الوجوه في تعليل التكرار القرآني وجعله مثار الجدل والاختلاف .

وينتهي من هذا الى ضرورة تفسير القرآن تفسيراً نفسياً ولو لم ننته إلى

---

(١) المجلد الرابع ج ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ .

اتخاذ الطريق النفسي في فهم الإعجاز ومحاولة دركه لأن هذا الفن القرآني وهذا الموضوع الاعتقادي جانبان من جوانب الحياة الوجدانية ٠

ويضرب بعد ذلك مثلاً لمكانة القواعد النفسية في فهم التفسير بالآيات (١٩٣ — ١٩٥) من سورة الشعراء (السورة ٢٦) : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » ويذكر أن الخلاف فيها أدى ببعضهم الى القول بأن القرآن نزل بالمعنى لا باللفظ وأن اللفظ من عند الرسول وبذلك ينكر الإعجاز ثم يبين كيف أن الزمخشري هوّن المعضلة بأن جعل المعنى مرتباً هكذا : « نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين » وذلك بإدراكه أن الأعجمي يحتاج الى أن يسمع الألفاظ وينظر فيها ليصل الى معانيها على حين يدرك ابن اللغة المعاني بقلبه رأساً من غير أن يفطن الى الألفاظ ٠

ويعيد هنا رأيه الذي ذكره في « البلاغة النفسية » وهو رأي السكاكي قبله من أن الإعجاز لا يعلل وهو يدرك بالذوق الأدبي والاحساس الفني ٠

ولا يجد تناقضاً بين رأيه في الإعجاز النفسي ورأيه في أن الإعجاز يدرك بالذوق فالوجه النفسي رجوع بالبلاغة الى مصدر الحياة الفنية في الإنسان ووصل أصول الفن القولي بأصول الحس الفني ثم إن البلاغة في أية صورة درست هي مادة تكوين الذوق وإرهاف الحس لتهيئة أفكار فنية صحيحة وإدراك جمال القول وإعجاز الكلام ٠

وأخيراً يقول إن هذا البيان في الجمال الفني لن يرتقي في بحث الإعجاز والشعور بروعة الأدب الى حد أن يكون من نوع التعليل العلمي أو الفلسفي أو المنطقي وليس إلا خبرة بالنفس تهدي الى ترجمة صحيحة صادقة عما تجده من حس أدبي والمسعف على درك الإعجاز المهيّء للذوق هو طول الخبرة النفسية ومعاناة الأدب تردفها هبة إلهية ٠

وما يقوله الأستاذ الخولي في أثر فكرة الإعجاز في نشأة علم البلاغة وخطأ الفكرة القائلة بأن الإعجاز يعلل بموازين البلاغة الجافة التي لا روح فيها حق نقرره معه كما نقرر معه خطأ فكرة التفسير العلمي التي يراد منها إثبات إعجاز القرآن . ويبدو لأول وهلة أن الأستاذ الخولي الذي أطال القول في نقدها لم يستطع أن يتحرر منها تحرراً تاماً لأنه عندما شرح نظرية الاعجاز النفسي التي جاء بها قال : « ولما كانت هذه القواعد ـ أي قواعد علم النفس ـ غير مقررة زمن النبي وهو لا يعرفها كان ذلك قولاً في علة الاعجاز منتهياً الى علم ما لم يكن ـ (مما هو أساس الفن الأدبي ودعامته) ـ ويمكن الاستغناء بهذا عن بقية نظريات الإعجاز » وواضح أن هذا القول يتصل بنظرية التفسير العلمي اتصالاً ظاهراً لأنه يقرر أن القرآن معجز لاستفادته في مخاطبة الناس من قوانين علمية لم تكن معروفة زمن النبي ـ ؟ إلا أن الأستاذ الخولي لا يقصد من قوله هذا أن قواعد علم النفس يمكن أن تستنبط من القرآن وأن اعتماد القرآن على هذه القواعد التي لم تكن معروفة في زمنه هو علة الإعجاز وإنما يريد فيما أعتقد أن يبين السبب الذي من أجله كان القرآن مؤثراً في نفوس العرب وبليغاً بلاغة معجزة قطعتهم عن أن يأتوا بمثلها وهو عدم معرفتهم بالنفس الإنسانية معرفة خالقهم بها ولهذا لم يكونوا ليحسنوا مخاطبتها مثله وبفهم قول الأستاذ الخولي على هذه الصورة نرى أن الإعجاز النفسي في نظره أقرب الى أن يرتبط بالبلاغة المتصلة بعلم النفس والقائمة عليه كما يريدها الأستاذ الخولي أن تكون من أن يكون مرتبطاً بنظرية التفسير العلمي التي رأيناه ينكرها أشدّ الانكار . وقد يقول قائل إن هذا الإعجاز النفسي إذا كان قاصراً على حسن استعمال القرآن للقواعد النفسية فى خطاب الناس وإقناعهم والدعوة لآرائه فليس كافياً إذ يمكن وضع كتاب الآن يحسن مخاطبة الناس والكتابة

مع مراعاة القواعد النفسية فيزول بذلك إعجاز القرآن فيرد عليه بأن القرآن قد استخدم هذه القواعد في وقت لم تكن فيه قد اكتشفت وتدارسها العلماء فإعجاز القرآن قائم في جزء منه على علم ما لم يكن ثم إنه قائم على شيء آخر وهو أن القرآن أحسن استخدامها الى درجة يعجز الناس عن أن يأتوا بقريب منها .

وبهذا نرى أن إعجاز القرآن النفسي يحتاج البرهان عليه الى مقارنة نصوص القرآن بغيرها من النصوص الأدبية لنعرف مدى التفاوت بينهما في هذا الميدان النفسي وهنا نصطدم بعقبة اصطدم بها الأقدمون الذين قالوا بإعجاز القرآن ببلاغته وذلك أن الأستاذ الخولي يقول بما قال به السكاكي قبله وهو أن الاعجاز لا يعلل وإنما يترك للذوق الأدبي والاحساس الفني ومقياس الذوق مقياس مرن ليس له قوة البرهان الرياضي ثم إن الأذواق تتباين وتتفاوت بتباين آراء أصحابها وتفاوت عقائدهم فيكون هذا المقياس غير فاصل في تقرير إعجاز القرآن لا سيّما وأن كلام كل بليغ لا يخلو من مراعاة هذه القواعد النفسية التي يستعملها بالسليقة وبصورة عفوية وما من أثر أدبيّ يكتسب في الحقيقة صفة الأدب الخالد إذا لم يكن يفهم النفس البشرية فهماً دقيقاً وعلى هذا تكون هذه النظرية كنظرية عبد القاهر الجرجاني ، القائمة على النظم ، ولا يمكن بها إثبات إعجاز القرآن إلا إذا أثبتّا تقصير غيره من النصوص الأدبية عنه في مراعاة هذه القواعد النفسية وليس ذلك بالأمر الهيّن . ومثال التكرار الذي جاء به الأستاذ الخولي على حسن استخدام القرآن لفائدة التكرار النفسية التي قررها العلماء حديثاً لا يكفي لاثبات إعجاز القرآن لأن الجاهليين قد استخدموا التكرار في أساليبهم قبل القرآن فنجده في قول مهلهل :

« يا لبكر أنشروا لي كليبا   يا لبكر أين أين الفرار »

وفي أقوال طائفة غيره وكثيراً ما نجد شعراء الجاهلية يكررون شطراً في القصيدة عدة مرات بل نزيد فنقول إن التكرار لم ينفرد به الأدب العربي فقط ونراه في أساليب الأدب الغربي وربما كان شعور الأستاذ الخولي بقصور هذه النظرية عن أن تكون فيصلاً باتاً في قضية الاعجاز هو الذي هيأ له القول : « إن هذا البيان للجمال الفني لن يرتقي في بحث الاعجاز والشعور بروعته إلى حدّ أن يكون من نوع التعليل العلمي أو الفلسفي أو المنطقي » .

ومهما يؤخذ على نظرية أستاذنا الخولي من الأقوال فان لها خطورتها وقيمتها وهي مظهر من مظاهر النشاط الفكري والتجديد في هذا العصر بعد الخمول الطويل الذي اعترى بحث هذه القضية منذ أواخر القرن الخامس الهجري .
وهنا يجب أن نقدر للرافعي أيضاً كلامه في الإعجاز الروحي والموسيقي في القرآن فذلك منه تجديد له قيمته . وهاتان الحركتان الفكريتان حركة الرافعي وحركة الخولي تسايران حركة العصر الذي نعيش فيه ورقيّه الفكري الى حدّ كبير .

(يتبع) نعيم الحمصي

التعريف والنقد

١ — عمر بن عبد العزيز : الخليفة الزاهد

٢ — أبو طالب : شيخ بني هاشم

٣ — جعفر بن محمد : الإمام الصادق

هذه ثلاثة كتب ألفها الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل الأديب العربي الكبير . وكُتُب سيد الأهل لها طابع خاص تتميز به : عروبة خالصة صادقة ، ولغة بليغة ناصعة . ومن حسن التأليف وكماله . أن يجعل المؤلف صلة وثيقة بين موضوعه وأسلوبه . فالكتابة عن الجاهلية وصدر الإسلام ، تتطلب بياناً عربياً سهلاً جزلاً . وهذا ما هو عليه السيد عبد العزيز في ما يضعه من كتب ، أو يدبجه من مقالات . استمع اليه في مقدمة كتابه « أبو طالب » يقول :

« وليس من المحمود للناس في رجل رعى النبي وحماه أكثر من أربعين عاماً ، أن تقتضب أخباره كما اقتضبت ، وأن تنثر وتبعثر كما نثرت وبعثرت ، وأن يقل رواتها ويضطربوا ، كما قلوا واضطربوا . ثم يُنسى فضله كله ، ويقف التاريخ منه في ساعة موته موقفاً واهناً عجيباً ، يتحدث عن الرجل الذي حمى النبوة ونافح عنها بقوة وتضحية وإيمان ، كأنما يتحدث بلسان مُخلق من الهوى ، عن رجل دخيل ، أو عن وافد غريب » .

وسئل : لمن جعلتَ هذه القصة ؟

قال :

« جعلتها للأغنياء ، لتكون لهم قلوب تعطف على ذوي المبادئ والمصلحين .

وجعلتها للفقراء والضعفاء، ليؤمنوا بحاجتهم الى عطف الأغنياء وشجاعة الأقوياء .
وجعلتها للنشء الصالح ، ليجمع أخبار أبطاله اذا تناثرت ، ويحفظها اذا نسيت .
وجعلتها لأهل الخلاف ، ليثقوا أن نور اليقين يظهر بيّناً لمن يريد ، مهما أظلمت الوسيلة واضطربت الطريق » .

ويصف في كتابه هذا أم جميل فيقول :

« وكانت أم جميل بنت حرب ، امرأةً جاسية الخُلق ، خبيثة الطبع ، لئيمة الطوية . تطلق هُجر الحديث من غير أن يردعها رادع . ولو قدّر لها أن تسيطر على نفسها لما استطاعت قياد أمرها .

كانت تباري الخطوب العوج ، فتروح أعوج منها . وتسابق نوائب الدهر ، فتغدو أكدر من كدرتها ، وتخطئ فتلج في الخطيئة ، وتحقد فلا ينطفئ لها غيظ ، وتسب فلا يحبس في صدرها هُجر . وتتقلب في مجالس النساء عند السمر بالإثم والمذمة . وكلما رأت ناراً للبغضاء ألقت عليها من لسانها حطباً جزلاً ، ونفخت فيها من أنفاس خبيثة تتقد بالحقد والضغينة ، فتزيدها اواراً واشتعالاً .

فلما التقى أبو لهب بأم جميل ، ائتلفا واتحدا ، وحثّ أحدهما صاحبه على الشر ، فتسابقا اليه وجلّيا فيه . ولو قد بات أبو لهب على فكرة من الخير لبرمت به أم جميل ، ولو قد باتت هي عليها ، لبرم بها أبو لهب . « وافق شن طبقة » والتفّت الحية بالحية ، فأحكما حبلاً من السوء مبرماً » .

ويقابل بين الايمان والكفر فيقول :

« وليس للإيمان عدو يخشاه إلا إيمان مثله ، وأين الكفر من الايمان ؟ ذلك خائر ضعيف ، وهذا قوي عنيف » .

وفي تقديم كتابه « جعفر بن محمد » يقول داعياً الى الوحدة :

« ولمَ لا نجتمع أو نرسل وراء الأمل ظنوناً هواتف ! والناس في آفاق الأرض يلمّون أنفسهم جماعات ، وينتظمون في مبادئ ومذاهب ، ومع ان

معظمها من صناعة المادة ولمة الدنيا ، فانهم يرون فيها القوة ، ويظنون فيها العزة . والاسلام أجدر أن يلم أهله ، ويجمع شمله . والشمل لا بد مجتمع والأهل لا بد ملمومون ...

وما بالمسلمين اذا اختلفوا في الفقه والرأي ! فان ذلك هبة الحرية ، التي منحها الاسلامُ العقولَ ، فجرت في مناهج ، وسلكت سبلاً ، واختلاف الرأي لا يفسد ود الناس متى كان في حياطة العصمة من الفساد ، والبعد من الضلال » .

وفي مقدمة : « عمر بن عبد العزيز » يقول :

« كانت مدة عمر بن عبد العزيز سكينةً للناس وأمناً ، وهدأةً للخواطر واطمئناناً ، ثم مرت المدة ولم تعد ، لأن الزمن وهو متشابه الأجزاء والدوران ، لم يجد لعمر بن عبد العزيز شبيهاً ، وصارت كلمة « المدة » علماً على عهده كلما ذكرت المظالم المردودة ، والعدالات المفروضة » .

ويصف المؤلف خروج عمر بن عبد العزيز من المدينة معزولاً عن ولايتها ، وصفاً جميلاً هو قطعة من الشعر إذ يقول :

« .. وخرج في غير موكبه ذي الثلاثين بعيراً الذي كان قد دخل به يوم ولي أمرها .. وخرج عمر والمدينة تتمثل في ذهنه ، وتتراءى أمام خاطره ، وتتلهف نفسه عليها . ولو كان خروجه نهاراً لما غاب طرفه عنها ، حتى تغيب في لجة البادية من خلفه . ولكنه خرج ليلاً والظلام يغرقها ويمحق معالمها . وكانت وهي تغيب عنه في الظلام ، كأن لم تغب ، فهو يحفظها في صدره فيراها قوماً قوماً ، وحياً حياً ، وداراً داراً : الأشراف والموالي ، والتجار والعمال ، وباعة الخبَط والخمْط[1] .. » .

---

(١) وفسر الخبط بأنه ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق او غيره ، ويضرب بالماء حتى يتلزج فتوجره الابل تداوى به . والخمط : الحامض او المر .

بالغ المؤلف في التتبع والاستقصاء ، فجمع لكل من هؤلاء الثلاثة الذين ترجم لهم ، ما تفرق من أخبارهم ، حتى كاد لا يترك شاردة ولا واردة ـ صغرت أو كبرت ـ إلاّ قيدها ونشرها . من أقوال وآراء ومناقشات ومناظرات .

والحديث عن عمر بن عبد العزيز ، واسع مداه ، مجموع أكثره ، ـ وهو حديث عن خليفة ، كان بعضهم يعده خامس الخلفاء الراشدين ـ لذلك كان الكلام عليه أغزر مادةً ، وأبعد غوراً من الكلام على غيره ، فكان كتابه سيد الكتب الثلاثة .

ولعل الأستاذ سيد الأهل يأذن لنا في ملاحظات نرى أن نبديها خدمةً لهذه الكتب المفيدة :

في كتابه « جعفر الصادق » كاد يزعم له شيئاً من روح النبوة ، أو ما هو فوقها من علم الغيب ـ وهو العلم الذي اختص الله به نفسه دون المرسلين ، ودون الناس أجمعين ـ بل هو قد زعم له صراحة : « النظر من ثقب الغيوب » العبارة التي كررها في بعض المواطن ، وأوردها ـ في مواطن أخرى ـ رأياً لغيره يتكيء عليه ، ويتقوى به . وثمة روايات متناقضة كانت تحتاج الى معايرة وترجيح . من ذلك ما جاء في الصفحة الـ ٨٩ من ان « عمر بن عبد العزيز » خلع بيعته من أعناق الناس ، وهي رواية لا تستقيم وما جاء في الصفحة الـ ٨٣ من قوله لرجاء بن حَيْوة : « إني أخشى أن يكون ـ يريد سليمان بن عبد الملك ـ قد أسند إليَّ من هذا الأمر شيئاً ، فأنشدك الله وحرمتي إلاّ أعلمتني ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك » .

ويقول في الصفحة الـ ٢٤٢ يغمز من بني أمية : « لقد ظلت الدولة الأموية تملك الخلافة مائة عام أو نحوها . وهذه المدة أقصى مدة تعيشها دولة يتردّى أمراؤها في حمأة الانحراف . . » ثم يعيد هذه العبارة نفسها مرة ثانية في الصفحة نفسها . وهذا الرأي لا يوافقه التاريخ عليه كثيراً ، فأي دولة عربية أو غير

عربية عاش ملوكها وأمراؤها ـ إلاّ من عصم ربُّك وقليل ما هم ـ عيشة غير منحرفة عن طريق الصواب؟ ومع هذا فقد عاشت مئات السنين إلى ان جاءها الطالب من غيرها .

ومما يحتاج في رأينا الى نظر قوله : «ولم يزل محمد هو هو» كررها مرتين في الصفحة الواحدة ، ولعل الصواب «لم يزل هو إياه» . واستعماله «الرضوخ» بمعنى «الاذعان» و «الكفاءة» في موضع «الكفاية» وبناؤه الفعل للمجهول مع الفاعل المعلوم ، وجر الفاعل بحرف الجر . «سُبق بدراستها بخالد بن يزيد وغيره» و «سُبقت بأحاديث» وهو تركيب أجنبي غريب عن الأسلوب العربي .

وما كنت أحب له أن يصرف «عنوان» في قوله : «وأوصى فلاناً وفلاناً وعنواناً البصري» وعنوان اسم علم ممنوع من الصرف ، ولا حاجة هنا لصرفه ، وقوله «مات بها» عن المدينة والأولى «مات فيها» والموت بالشيء غير الموت في المكان و «حباً فيه» والصواب «حباً له» و «الثقة فيه» والأولى «به» ولا أحببت له أن يستعير اللون للتعبير عن البطولة ، في قوله «لون البطولة» والبطولة تكون في النفس وفي القلب ولا يستحب لها أن تكون لوناً مهما اجتهد الكاتب في تخريجها .

هذه وأمثالها هنات هينات ، في جانب ما للأستاذ في هذه المؤلفات وفي غيرها من حسنات .

التبشير والاستعمار

في البلاد العربية

تأليف الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ

هذا الكتاب : «عَرْض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي .»

عاشت النصرانية في الشرق ، في ظل الاسلام أحقاباً طوالاً ، على غير ما عاش الاسلام في النصرانية في الغرب - إذا جاز مثل هذا التعبير - فلقد لقي المسلمون من تعنّت الدول النصرانية ومن ظلمهم واضطهادهم ثم من إجلائهم عن مواطنهم ، في شرقي أوروبة وغربيّها بعد أن دالت دولة الإسلام منها ، ما لا يتفق وروح النصرانية السمحة ، وتعاليمها النبيلة . ولكنها السياسة تلبس لباس الدين ، فتطغى عليه ، وتذوب مبادئه المستقيمة في أساليبها الملتوية . وعاشت النصرانية في عز الإسلام ومنعته ، قوية كريمة يتولى أبناؤها مناصب الدولة الكبرى : الكتابة والحسابة والوزارة . في عواصم الخلافة : دمشق وبغداد ومصر . إلاّ لمحات من الزمن ، كان يغلب فيه سلطان جائر ، يعم جوره في كثير من الأحايين ، العالمين أجمعين ، من مسلمين ومسيحيين .

فلما أن كان صدر التاريخ الأخير وما بعده ، تحركت نزعة من التعصب الديني الذميم ، عند المسلمين والمسيحيين ، ما عرفتها القرون الأولى في الاسلام ، ولا هي تمتُّ بسبب صحيح الى الدين القويم . فما عدا مما بدا ، وكيف تغيرت الحال غير الحال ؟

هذا ما تجد أسبابه وعوامله ، صريحة واضحة في كتاب «التبشير والاستعمار» تجدها مجملة في الكلمة الأولى التي بسط فيها المؤلفان « منهاج الكتاب » :

« ... ومن منا كان يصدق أن رجالاً جوّا الى بلادنا ليرأسوا مؤسسات علمية مشهورة بالعلم كانوا مبشرين في الدرجة الأولى ؟ » .

« لقد حرصنا نحن على أن نثبت هذه التهم بشواهد من كتب المبشرين أنفسهم . إننا لم نلجأ الى خيالنا ... بل رجعنا الى ما كتبه الأجانب تلميحاً وتصريحاً ، ولقد فضلنا في الاستشهاد التصريح على التلميح .. والكتب التي رجعنا اليها تعيا على الحصر . إنها تعد بالمئات . ولكننا نحن لم نثبت الشواهد إلا من نوعين من هذه الكتب الكثيرة : كتب المبشرين المعروفين ، والكتب التي تصرّح بغاياتها تصريحاً لا التواء فيه ولا غموض » .

« ... ونحن نعتقد أن القارئ بعد أن يبدأ قراءة هذا الكتاب سيرى صواب ما نقوله : إن التبشير أشد ضرراً على بلادنا من الاستعمار ، لأن الاستعمار لم ينفذ الى بلادنا الا تحت ستار التبشير » .

وقد أشار المؤلفان بعد ذلك الى مصادر الكتاب ، فاذا هي قرابة مئة مصدر عدا ما « يجده القارئ في ثنايا الحواشي » وهذه المصادر موضوعة باللغات الأجنبية : الانكليزية والفرنسية والألمانية .

ومن رجع الى توطئة الكتاب عرف ما بذله المبشرون من جهد في عملهم التبشيري . فقد ذكر المؤلفان أن « شترابت » و « دينديغر » ، أصدرا بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٣١ سبعة مجلدات ذكرا فيها أسماء المصادر والمراجع التي تدور حول المبشرين وجهودهم وتسهيل أعمالهم . ثم ان أكثر هذه الكتب مفصلة تفصيلاً كثيراً ، فان الرسائل التي كتبها المبشرون من سورية والشرق الأدنى فقط الى زملائهم بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٢ طبعت في ثلاثة عشر مجلداً من أصل ثمانية وثلاثين مجلداً .

« ولما اجتمع مؤتمر التبشير العالمي في ادنبرة (في اسكوتلندة) عام ١٩١٠ أصدر تقريراً عن النواحي المختلفة التي يجب أن يهتم لها المبشرون ، ثم طبعه في

عشرة مجلدات ، ومؤتمر التبشير الدولي الذي اجتمع في القدس عام ١٩٤٨ وضع تقريراً في ثمانية مجلدات . وهناك عشرات أمثال هذه الكتب والتقارير قد ظهرت كلها في مجلدات عديدة ضخمة » .

« وفي عام ١٨٦٩ كانت أعمال مدارس التبشير الافرنسية في الشرق تقتضي أربعة مجلدات تقع في نحو ألف وخمس مائة وخمسين صفحة . ومدارس التبشير الانكليزية في جبل لبنان أصدرت تقريراً عن أعمالها بين ١٨٥٦ و ١٨٦٨ يقع في مجلد كامل » .

« أما المجلات التبشيرية التي صدرت في بلدان مختلفة وبلغات مختلفة فهي أكثر من أن يحصيها العد . أضف الى ذلك ما في العالم من جرائد ومجلات سياسية أو أدبية أو علمية ، لا تظهر عليها صبغة التبشير ، ولكنها في الحقيقة وسائل قوية من وسائل المبشرين » .

« ومع هذا فليس في اللغة العربية الى اليوم كتاب يكشف النقاب عن غايات المبشرين الحقيقية ، وينبه على الأخطار التي يودّ المبشرون أن يعرّضوا لها الشرق والعرب والإسلام » .

ويمضي المؤلفان بعد هذا العرض – في كشف الستار عن أعمال المبشرين ، وكيف انهم يتسترون بالعلم وبعمل الخير إخفاء لنياتهم التبشيرية بل الاستعمارية . يؤيدان ذلك بأقوال المبشرين أنفسهم وتقريراتهم ومؤلفاتهم .

فالكتاب من هذه الناحية ، وحيد في بابه ، خليق بكل عربي ، بل بكل شرقي ، أن يقرأه وأن يتدارسه ليعرف ما يريده هؤلاء المستعمرون وزبانيتهم به وببلاده من ضر وشر ، تحت ستار العلم والفضيلة .

جزى الله المؤلفين عن وطنهما وقوميتهما خير الجزاء .

عارف النكدي

فلسطين بين نارين

ابراهيم خوري

لو أصيبت أمة من الأمم التي تدرك قيمة الوطن بمصيبة مثل مصيبة فلسطين لتفرغ كتّابها وشعراؤها وخطباؤها لتصوير الفاجعة حتى تُشرب قلوب شيوخهم وكهولها وشبابها وأطفالها ونسائها بغض الظالمين وحتى تفنى عزائمهم في سبيل بقعة مقدّسة فلا يملكهم غمض الليل دون العودة الى حياضهم ، فمن المؤلم أنه لم يظهر في العرب إلاّ قليل من الكتب التي تصوّر اليهود في حقائق صورهم وتفيض في الكلام على الصهيونية ومؤامراتها في الاعتداء على فلسطين وتكشف عن نيّات الدول التي أعانت الظالمين على ظلمهم .

في مقدمة هذه الكتب كتاب : فلسطين بين نارين للأستاذ ابراهيم خوري ، لقد اهتدى المؤلف الى عنوان طريف فصوّر على الكتاب « تشرشل » و « ترومان » وفلسطين بين ناريهما ولو كنت صاحب هذا الكتاب لسميته : فلسطين بين ثلاث نيران : نار « تشرشل » ونار « ترومان » ونار العرب أنفسهم الذين باعوا أرضهم في فاتحة الأمر وتخاذلوا في الدفاع عن فلسطين في خاتمة الأمر بسبب أهواء يغض ذكرها في مثل هذا المقام .

تقيّل الأستاذ ابراهيم خوري في كتاب : فلسطين بين نارين طريقة « برناردشو » في رواياته ، إن هذا الكتاب يصور كثيراً من أخلاق اليهود ويشير الى أكثر اليهود الذين دخلوا في دين البروتستان وأصبحوا رعاة كنائس يستخدمون ديناً بُني على المحبة والسلام في سبيل قضية بنيت على الظلم والعدوان إلاّ أن الأستاذ المؤلف لم يخض في روايته إلاّ بعد أن مهّد لها على نحو ما يفعل « شو » في رواياته بفصل لم أقرأ أنصع منه حقيقةً وأظهر إخلاصاً لقد جمع لهذا الفصل موادّ لا يستطيع جمعها إلاّ المؤرخ المتوثق في تاريخه ، جمع الأدلة والبراهين الناطقة بحيث إذا قرأ القارئ هذا الفصل رأى الصهيونية ومؤامراتها والدول التي نصرتها ماثلة لعينيه كأنها لحم ودم وروح .

يتعذّر عليّ التوسع في الكلام على تفاصيل هـذا التمهيد وهذه الرواية ولكني لا أجد مندوحة عن إجمال هذا الكلام فقد فصّل الأستاذ ابراهيم خوري حقائق الأسباب في كارثة فلسطين وحقائق العوامل في تمكين اليهود من دخول فلسطين وجعلها وطناً قومياً لهم وبيّن كيف يجيء اليهود أولادهم لفلسطين و كيف يبذلون المال في هذه السبيل و كيف استطاعوا أن يشتروا ضمائر أصحاب الأمر النافذ في انكلترة وأميركة وأن يضلوا رجال كنائس البروتستان و كيف سيطروا على كبار أهل السياسة من انكليز وأميركان .

هذه هي الأفكار التي نفضها الأستاذ ابراهيم خوري من مدافنها فأفرغها في أصدق قالب بحيث يستطيع القارئ أن يحيط بقضية فلسطين من أكثر وجوهها واذا كان بين هذه الأفكار ما هو معروف في طبقات الخاصة فان بينها فكراً تنحصر معرفته في قليل من هذه الطبقات ، ان لرجال البروتستان في انكلترة وأميركة مقاماً رفيعاً في الناس وقد شعر اليهود بهذا المقام فدخل بعضهم في دين البروتستان وحوّلوا هذا الدين عن نشر المحبة والسلام في البشرية الى جمع الناس بأموالهم وأرواحهم وأوطانهم واجتهدوا في صرف العقول والقلوب عن الانجيل الى التوراة حتى يزداد الإيمان بصدق أباطيلهم فتمّ لهم ما أرادوا .

اذا استطعت ان أحيط بطائفةٍ من أفكار المؤلف التي نشرها والإخلاص ملء شعوره فلا أريد أن أنهي الكلام دون التنبيه على رغبته التي أفصح عنها في آخر فصل من فصول كتابه . ان بلاد العرب بأجمعها معرضة لغزو الصهيونية فلا ينجيها من هذا الشر المستطير إلاّ وحدة هذه البلاد على أن تكون وحدة صادقة تصدر عن القلب لا عن اللسان وحده .

وأنا أظن أن هذه البلاد اذا ظلت تستخف بهذه الحقيقة الناصعة ويلهو بعضها بنفطه وذهبه ومعادنه إذا ظلت تتهاون بهذه الوحدة المقدسة راضية بهذا النعيم الذي تتقلب في أعطافه فسيأتي يوم لا يتركون لها فيه نفطاً ولا ذهباً ولا معدناً .

شفيق جبري

مذكرات سائح في الشرق العربي

للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي
وكيل ندوة العلماء بالهند

اشتمل هذا السفر النفيس على محاضرات ومناظرات ومذاكرات وأحاديث ألقاها وأجراها الأستاذ الشهير السيد أبو الحسن الندوي في مصر والشام والعراق والسودان وغيرها من بلدان الشرق العربي ، وجمع منها كتاباً ممتعاً يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة ، ويجد فيه القارئ من الفوائد ما لا أحصيه عداً .

ابتدأت هذه الرحلة المباركة من مكة وشملت مصر والسودان وسورية وفلسطين وشرقي الأردن ، وكانت مكة أيضاً خاتمة هذا المطاف ، ويمكن جمع هذه الفرائد المنثورة في هذه المذكرات في مطلبين عظيمين : التعليم ، وقضية فلسطين ، وإني أصف ما يدخل في هذين الموضوعين من هذا الكتاب وصفاً يبين رأي المؤلف في كل منهما .

الأول : إن التعليم الديني في الهند يختلف عنه في الأقطار العربية التي تتمتع فيها دور العلم بمساعدة الدولة وحمايتها ، أما في الهند فينفق عليها الشعب المسلم ، ويعلم فيها علماء متطوعون ، وذلك يثير في العلماء روح الجهاد والتطوع والاحتساب ، ومدرسة المؤلف دار العلوم التابعة لندوة العلماء من كبريات المدارس الدينية في الهند ، ومركز ثقافي عظيم للمسلمين .

ومما امتاز به الدعاة منهم خروجهم الى الضواحي والبوادي والمدن ، وإنفاقهم على أنفسهم ، وتأثير هذه الدعوة العامة الشعبية المتطوعة في ثمراتها ، وقد رأيت أناساً من هذا الصنف في دمشق ، ودخل بعضهم جامعنا الدقّاق في حي الميدان ، فآثرتهم بقراءة الدرس بين العشاءين لما طلبوا ، ودعوتهم الى دارنا بعد صلاة العشاء ، ولكنهم بدا لهم فلم يفعلوا هذا ولا ذاك ، بل آثروا الجلوس والتحدث مع بعض الناس على قراءة الدرس وسماعه .

كان للأستاذ المؤلف جولات في شؤون التربية والتعليم مع من لقيهم في مصر من كبار أساتذة الجامع الأزهر والجامعة المصرية ، ومحاضرات علمية ، ومذاكرات مع طلاب هذه الكليات الدينية والمدنية وكان يوجه الأنظار الى الصراع الذي أصبح منحصراً بين الحضارة الغربية ، وفلسفة حياتها ، بمعسكريها الديموقراطي والشيوعي ، وبين الدين الاسلامي والأمة الإسلامية ، وعلى الشبان أن يجاهدوا في هذه السبيل كما فعله الشباب الشيوعيون واليابانيون في سبيل وطنهم ومبادئهم ، ويضرب أمثلة جميلة للتضحية والبطولة التي ظهرت في شباب الإسلام من أهل الهند ، ولا بد لذلك من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية ، وإن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية ، والعقل الصحيح .

ودخل الأزهر فهبت عليه نفحة من نفحات الماضي السعيد ، تحمل معها أريج العلم والإخلاص ، وتجددت له ذكرى علماء السلف المخلصين الذين كانوا يجلسون على الحصير ، ويحكمون على الملوك ، وكانوا مخلصين لدينهم وعلمهم وأمتهم مجاهدين في سبيل الحق ، ورأى في مصر مهرجان العيد المزعوم ، للشهيد المظلوم « وهو الحسين عليه السلام وعيد ميلاده » وعجب لعلماء مصر ومؤرخيها كيف لا يبينون للناس أنه لم يدفن في مصر .

دارت أحاديث في الأدب والدين بين المؤلف وبين المشتغلين بهما ، فقال له أحدهم : إنه كبير الأمل في باكستان والهند وأندونسيا ، ولكن ينبغي لهم أن يحتاطوا ، ولا يقلدوا مصر ، ويحتجوا بها على أن فيها الجامع الأزهر ، فإنها قد اتجهت هذا الاتجاه « أي غير الديني » رغم الأزهر ، والمؤلف يعلق الأمل والرجاء على « الاخوان » بشروط بينها . وما ذكرته هو قليل من كثير من فوائد محاضراته ومجتمعاته ، وقد لقي في السودان زعيمها الديني السيد الميرغني ، والزعيم المدني الرئيس الأزهري ، فذكر الأول ما يلاقي الدعاة في أفريقيا من الصعوبات والعراقيل التي تنشئها الحكومات المستعمرة في سبيل الدعوة ،

وقد ابتكر نظاماً للشباب السوداني كان الحافظ لهم من الجانحات والتيارات المعارضة للدين والأخلاق ، وكان لهذا النظام تأثير كبير في تهذيب الأخلاق ، وتنظيم الشباب ، وانجذاب كثير من غير المسلمين الى هذه المنظمات ، ودخولهم في الاسلام بفضلها ، وأثنى الأستاذ الأزهري على السيد الميرغني ، وعلى إخلاصه في الدعوة ونشاطه ، وقال : هذا رجل موفق لا شك ، ورأى بعض علماء الشام أن أقرب طريق ، وأنجح وسيلة لإصلاح الأوضاع الفاسدة ، هو التأثير في رجال الحكومة الذين بيدهم أزمة الأمور ، والسلطة التنفيذية ، وإصلاح المعارف ، وتوجيهها الاسلامي ، وإصلاح الاذاعة ، والسينما ورقابة الأفلام ، وتربية أئمة المساجد ، وهو قوي الأمل ، عظيم الثقة بتأثير هذه الوسائل العصرية في توجيه الشعب .

وأما قضية فلسطين فهي مشكلة المشاكل ، والشغل الشاغل ويرى المؤلف أن السبب الأكبر فى الفشل هو الافلاس الروحي ، وفقدان الايمان ، وانطفاء الحماسة الدينية في الشعوب والدول التي كانت تقاتل في ميدان فلسطين ، وأن الحضارة الغربية والمادية هي التي جنت على هذه الشعوب وقضت على قوتها الروحية ومعنوياتها ، ولذلك كانت تواجه الفشل الذريع ، والهزيمة المنكرة في كل معركة وصراع ، وقد جنت الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بها ، ثم تقاعدها عنها ، وعزل الشعب الفلسطيني المجاهد عن السلاح ، وتسليم المناطق العربية الى اليهود ، فلا تركت الشعب الفلسطيني الغيور الباسل يواصل جهاده ولا أغنت عنهم شيئاً . قال الأستاذ الندوي : رأيت المسلمين ـ أهل فلسطين ـ كغرباء وأيتام ، لا يشعرون بكرامة ، ولا يثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ، ورؤوسهم منكسة ، ولم أجلس إلى أحد إلا ووجدته منكسر الخاطر ، جريح النفس ، ويحكي حكايات ، تدمع العين ، وتحزن القلب .

واستنبط من حديث شاهد عين لما جرى في فلسطين من مهازل ومآسٍ ، ولما مثلته الجامعة العربية من مضحكات مبكيات . أن قضية فلسطين كانت مسرحية قد أخرجها الانكليز وأصدقاؤهم من قبل ، ولم يكن فيهـا جد ولا حرب ، إنما كانت خطةً مدبرة ، وأمراً مبيتاً .

نصح الأستاذ للقوميين العرب بأن صداقة الملايين من المسلمين خير من إيثار القومية العربية عليهم ، وبأن على العرب المسلمين مهمتين : تجديد الدعوة في بلادهم ، ودعوة العالم الى الاسلام .

زار مؤرخَ الشام الكبير الأستاذ كرد علي رحمه الله ، فقابله في بيته بحفاوة « لم يقابله بها إلا أفراد قلائل من الأدباء والكتاب » ومما قاله له : هل تعلمون أن للهند فضلاً ونصيباً في أعمال السيد ابن عابدين العلمية ، وذلك لأن والده كان تاجراً ، وكانت له صلات قوية في الهند ، فكان يجلب كتباً فقهية من الهند لولده ، وكان السيد يطالعها ، إذن فللهند يد في تكوين ثقافته ودراسته الفقهية . وقال : أهدى الينا الأستاذ محمد كرد علي كتابه كنوز الأجداد ، الذي هو من أحبّ مؤلفاته اليه ، وزرنا المجمع العلمي واجتمعنا بالأستاذ خليل مردم بك للمرة الثانية ، وأهدى الينا ديوان علي بن الجهم الذي خدمه وعلّق عليه وقام بتصحيحه ، وقد تفضل فذكرني مراراً بمناسبات كثيرة ، وذكر ثلةً من أهل الفضل والنبل في هذا الشرق العربي .

ومن أفضل الأخبار وألطفها أن نساء أسرة المؤلف كن يجتمعن كل يوم ، خصوصاً في أيام حادثة أو اجتماع ، وكن يتلون كتاب فتوح الشام ، وكان أحد أقاربهن وهو السيد عبد الرازق قد نظم فتوح الشام للواقدي في شعر « أوردو » في خمسة وعشرين الف بيت ، وصار هذا الكتاب ملحمة إسلامية منظومة ، وهو في غاية التأثير والانسجام .

ومما هو جدير بالذكر ما يختم به حديثه بعد زيارته لكل قطر من نصح وتذكير ، كما فعل في ص ٢١٦ — ٢١٧ ؛ ماذا أعجبه من مصر ، وما أنكره منها ، وكما فعل في ص ٢٠٣ و ٢٠٨ من ذكره منكرات الطريقة الميرغنية ، وإنكاره لنشيد مبتدع وثني ، ولتعليق صورة السيد الميرغني في المساجد . ومن الفوائد وصفه للسودان (طبيعيا وجغرافيا وسياسيا ودينيا) وكما فعل في ص ٣٠٢ من بيانه ما لسوريا وما عليها ، وقد أحسن في وصفه الشامل لها ، وذكر مساحتها ، وعدد سكانها وأديانها ، ووضعها الاداري والاقتصادي ، والتعليم فيها بمراحله الثلاث ، وقد أتمّ نصحه لها — في ما أخذه عليها ص ٣٠٤ — بقول الصحابي الجليل عمرو بن العاص لمصر : « إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم » وما أشدّ انطباقها علينا . ثم ختم كتابه بتوجيه كلمة لجزيرة العرب ، ووصفه للعالم العربي .

والله تعالى يشكر للمؤلف جميل صنعه ، ويثيبه على جهاده الشاق في سبيل ملتنا وأمتنا ، ويكثر في العلماء العاملين من أمثاله .

قام بطبع هذا الكتاب جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، ووقعت فيه أغلاط لا يخلو منها غيره ، ولكن كان ينبغي أن يوضع فيه جدول للخطأ والصواب ، وإني منبه على ما رأيته منها : ص ١١ إلا أني لم أرى — كنت حريص . وصوابها : إلا أني لم أرَ ، كنت حريصاً . ص ١٥ العالم الغربي : العربي . ص ١٦ شعبا : شعبًا — وأن حركة : أنْ (بلا واو) . ص ١٧ وقام الأستاذ : قام . ص ٢٤ مهمة المدعوة : الدعوة . ص ٢٥ الذين هاجروا : « فالذين » — أرباب : « أأرباب » — إلا الله : « إلا الله » . ص ٤٠ العِلم المصري : العصري . ص ٩٩ غزو التيار : التتار . ص ١٠٣ الأستاذ حين : حسين . ص ١٠٤ وقد هدموا : هزموا . ص ١١٢ الدولة

الأوربية : الدول . ص ١٣٩ بالذي هو خيراً : « خير » . ص ١٧٢ مرتسمة في الذهب : الذهن ـ العالم الراحل : العام . ص ٢١٩ إن المساجد : « وأن المساجد » . ص ٢٢١ وتوجنا : وتوجهنا . ص ٢٣٣ قرية بلده : بلدا (بالياء) . ص ٢٦٣ في مجلس الدقاق . مسجد الدقاق . ص ٢٦٨ جامع جنكيز : دنكز . ص ٢٧٤ مع وأبناء : مع أبناء . ص ٢٧٦ قبر ابن القيم في الميدان التحتاني : في مدخل مقبرة الباب الصغير . ص ٢٩٣ : ونفوسها (أي سورية) ٣٠٠٠٠٤٣٠٠٠٠ والصواب ثلاثة ملايين لا ثلاثون .

محمد بهجة البيطار

هدية العارفين

أسماء المؤلفين وآثار المصنفين

مؤلفه : اسماعيل باشا البغدادي

وناشراه : المعلم رفعت الكلسي ومحمود كمال انال

وطبع بعناية وكالة المعارف في مطبعتها باستانبول سنة ١٩٥١

طبع المجلد الأول من هذا الكتاب ناشراه على نسخة المؤلف وصححاه فخدما العلم والمكتبة العربية بذلك خدمة جليلة ، وهذا المجلد يقع في ٤٢١ صفحة كبيرة في كل منها خط قائم يقسمها قسمين أو عمودين تتابعت فيهما التراجم المرتبة على حروف الأبجدية ، فالأعمدة على ذلك ٨٤٢ تنتهي بباب اللام ، وباب الميم أول المجلد الثاني . ويذكر الأستاذ الكلسي أحد الناشرين في مقدمته التركية أن هذا المجلد الأول يشتمل على ٥٣٩٨ ترجمة تبلغ مؤلفات أصحابها نحو ٢٥٠٠٠ كتاب ، والقسم الكبير منها في العلم والفن وربعها دواوين شعر ، فهذا الكتاب مجمع للعلماء والشعراء ، منهم ٩٩ ٪ مسلمون تقريباً ، وفي آخر هذا المجلد فهرست (جدول الأسامي) في ٤٠ صفحة .

وطريقة المصنف في التعريف بالمترجم أن يبحث عن ثمانية أشياء : اسم المؤلف ، واسم أبيه ، ونسبته ، وشهرته ،لقبه ، وبلاده ، ومذهبه ، وتاريخ وفاته ، وكونه تركياً ، ثم يسرد مصنفاته ، وقد وضع نجماً صغيراً أمام كل من ظن أنه تركيّ بنسبته الى الروم غير أن كثيراً من علماء العرب توطنوا بلاد الروم أي الترك فنسبوا اليها . والنسبة الى البلدان لا تثبت موطن الإنسان ، وقد بحث الناشر الكلسي عن المؤلف وقومه فرجح أن يكون تركياً ، وان لم يكن اسم والده معروفاً ، وكلمة باشا لا تدل على قومه ، ولو كانت النسبة الى البلدان دالةّ لاستدللنا (بالبغدادي) ولعل محققاً من إخواننا في العراق يبحث عن ذلك .

وكان المؤلف على نمط صاحب الفهرست قد ترك كثيراً من البياض لمله بعد أن تتوفر المعلومات لديه ، ولو مدّ الله في أجله لكان الكتاب أكبر حجماً وأغزر علماً ، وللمؤلف البغدادي أثران نفيسان : هذا الكتاب الذي نعرّف به الآن ، وذيل كشف الظنون الذي طبعته وكالة المعارف التركية .

أما تراجم هذا الكتاب فمنها ما ترجمت بسطرين أو ثلاثة ، ومنها ما ملأت عموداً أو عدة أعمدة فالشاعر الدمشقي الصالحي ابرهيم بن محمد الأكرمي مترجم في سطرين وكلمتين ، وابن حجر الهيتمي في عمود ، وابن حجر العسقلاني في عمودين ، والامام ابن تيمية في أقل من عمودين ، وعبد الغني النابلسي في أربعة أعمدة ونصف ، والجلال السيوطي في تسعة أعمدة ونصف وقد سرد جلّ مصنفاته ، وأغفل معظم مصنفات الإمام ابن حزم التي بلغت كما في معجم الأدباء ٤٠٠ مصنف .

ويظهر أن مؤلفنا البغدادي من المتأخرين فقد نص على أن بعض مصنفات المترجمين مطبوع ببيروت أو مصر او غيرها ، والكتب التي طبعت بعد وفاته لم يشر بالطبع الى طبعها كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيره .

لقد قام الناشران بنشر هذا الكتاب المفيد نشراً تغلب الصحة عليه ، ووقع فيه أغلاط منها ما لعله مطبعي مثل (الحاربردي) في العمود ١٠٨ ، وصوابه الجاربردي وهو الفخر احمد بن الحسن الشافعي ، شارح الشافية لابن الحاجب وصاحب المغني في النحو وشارح الكشاف وغيره ، ومنها ما هو علمي كما وقع في ترجمة أبي العلاء المعري (العمود ٧٧) فقد ذكر أنه « توفي بالاسكندرية سنة ٤٤٩ » ، والصحيح أنه بعد رجوعه من بغداد الى المعرة لزم داره فيها فقيل له رهن المحبسين ، على أن مثل هذه الهفوات لم يعصم منها مؤلف ، فللناشرَين الفاضلين حسنان : منا حسن الثناء ومن الله حسن الجزاء .

أساليب تدريس اللغة العربية

في الصفوف الابتدائية

تصنيف اسحق موسى الحسيني . وطبع دار الكتاب ببيروت

الأستاذ الحسيني من أفاضل رجال التربية والتعليم من العرب ، وقد وضع هذا الكتاب للمرة الأولى بفلسطين ، لإرشاد المعلمين وتوجيههم في تدريس العربية بجميع فروعها في المرحلة الابتدائية .

ومادة هذا الكتاب هي خلاصة التجارب التي وصل المصنف اليها أثناء إشرافه على التدريس النموذجي في صف المعلمين في الكلية العربية ببيت المقدس ، وأثناء زيارته المدارس ومحادثاته لإخوانه المعلمين يوم كان مفتشاً للغة العربية في إدارة المعارف الفلسطينية العامة .

ويتألف هذا الكتاب من ٤٨ صفحة ، وهو على صغر حجمه كبير بما اشتمل عليه من الفوائد والارشادات التربوية ، فقد بحث عن أصول تدريس الأبجدية والقراءة والقواعد والانشاء والمحفوظات والعروض والخط والاملاء ، والقاريء

لهذه الأبحاث يشعر بأنها زبدة تجارب واختبارات طويلة موفقة ، فهو يقسم القواعد مثلاً الى قسمين : قواعد تشرح ، وقواعد تلقن دون شرح ، فالقاعدة التي تتضمن مبادئ منطقية تدخل في القسم الأول ، مثل الموضوع والمحمول وتبيين ترتيبهما ، وبيان الحركات الإعرابية الناتجة من هذا الترتيب وعن دخول العوامل عليها ، ومثل ما نسميه تكملة وهو المفاعيل والحال والتمييز الخ ...

والقسم الثاني ما يلقن من القواعد تلقيناً دون طويل شرح مثل تصريف الأفعال مع الضمائر في جميع الأزمنة ، وأوزان الأفعال والمزيدات والتثنية والجمع والنسبة والتصغير وما اليها .

أما لغة هذا الكتاب المفيد فهي على سهولتها صحيحة ، وأنا كالمصنف أتمنى أن يستفيد المعلمون في مدارسنا الابتدائية من مطالعته وتطبيق أساليبه .

التنوخي

الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية

(طبعت سنة ١٩٥٢ في مطبعة الاتحاد في بيروت)

رسالة مخطوطة روى حوادثها حسين غضبان أبو شقرا وهو من وجوه دروز عماطور . اعتمد فيما روى على ما سمع وخبر واطلع عليه أو شهده بنفسه في بعض حوادث الحركة الكبرى سنة ١٨٦٠ . ودوّن هذه الأخبار وجمعها وأضاف اليها أشياء وأخرجها للناس كتاباً ابن أخيه أبو عارف يوسف خطار أبو شقرا وكان كثيراً ما يجالس عمه هذا ويلذ له سماع حوادث الماضي من فيه . ثمّ تحرى نصها وعلق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها ولدُ المؤلف عارف أبو شقرا ناشر هذه المخطوطة التي تبدأ حوادثها بانتهاء عهد الأمير يوسف الشهابي وابتداء عهد الأمير بشير الشهابي وتنتهي بعهد داود باشا المتصرف الأول بلبنان .

وتتضمن الحوادث اللبنانية في تلك الحقبة من الزمن التي تدعى بحق عهد الفوضى والاقطاع والطائفية في لبنان . وأسباب هذه الحوادث وتبعاتها والشخصيات والأمر التي ظهرت على مسارحها بأسمائها وأعمالها وما آل اليه أمرها لا سيما تلك المأساة الرهيبة المشؤومة التي كانت شرّ الختام والتي جرّت على لبنان وسورية معًا أسوأ العواقب .

هذا وعلى الرغم مما تحويه هذه الرسالة من المعلومات التاريخية القيمة ومما يعزى الى الراوي من صدق الرواية والى المؤلف من حسن الأمانة والى الناشر من الاخلاص وتوخي الخير من نشر هذه المذكرات المخطوطة فانها لا تخرج عن كونها من جزئيات فروع التاريخ الخاص التي لا يصح نشرها في كل زمان ومكان ولا يصلح أن تتداولها سوى أيدٍ مخلصة مجردة عن الأهواء والأغراض ، لأنها سلاح لك وعليك ، لا سيما في الأمم التي في بدء تكوينها وفيها على قيد الحياة معاصرون لحوادثها لما يتطلبه هذا التكوين من النسيان وقبول الخطأ التاريخي اللذين هما كما قال ارنست رينان « عاملان أساسيان في تكوين الأمة لما في التتبعات والاستقراءات ورقي الدروس التاريخية من الخطر على القومية » على ان ما يتجلى في العالم العربي من الوعي وما في لبنان خاصة من الرقي الثقافي العلمي والاجتماعي وتوقد روح القومية الوطنية في نفوس جميع أبنائه يبرر نشر هذه الرسالة في هذه الآونة من الزمن الذي يتطلع فيها العرب جميعهم الى الاتحاد ، لأن فيها ذكرى وعظة ، فهي كالترياق المستخرج من السموم دواء يقي ويشفي ويفضي الى الخير والنفع والسعادة .

الدكتور أسعد الحكيم

مشاركة في دراسة استخراج دهن الكتان (١)

بالمذيبات العضوية ولا سيما بالكحول

Contribution à l'étude de l'extraction de lhuile de lin par les solvants organiques, notamment par l'alcol

إذا قيل الكتاب يقرأ من عنوانه فالعنوان الطويل لهذا الكتاب يدل دلالة واضحة على موضوعه . وهو أطروحة بالفرنسية في مائة وثلاث صفحات قدمها السيد خليل الخانجي الى جامعة باريس فحصل منها على لقب دكتور . والمؤلف مهندس في الصناعات الزراعية والغذائية ، عكف على مدارسة كيمياء الأجسام الدهنية ، مدة ثلاث سنوات ، في مخابر لهذه البحوث في فرنسة ، فجرب فيها تجاريب كثيرة ، بإرشاد خيرة من الأساتيذ الاختصاصيين .

وقد ذكر المؤلف في كتابه شيئاً عن تحلية نبات الكتان ، وتحلية بزرته وتركيبها ، وعن تأريخ هذا النبات وزراعته ومقادير غلة بزوره في بلاد مختلفة . ثم انتقل الى تحليل بزرة الكتان ، والى السبل التي سلكها ، والأدوات التي

---

(١) الزيت في اللغة عصير الزيتون لاغير . أما عصير البزور الأخرى فهو الدهن لا الزيت . يقال دهن الكتان ، ودهن القطن ، ودهن الخروع الخ . وكذلك ما يستخرج من أزهار بعض النباتات أو أوراقها أو أثمارها ، بالتقطير أو المرث أو الاذابة أو غير ذلك ، فهي كلها ادهان . يقال : دهن الورد ، ودهن البنفسج ، ودهن الياسمين ، ودهن الطرخون وهكذا . واستعمال كلمة الزيت لعصير غير الزيتون هو استعمال حديث ، ولعله يفيد اقراره . وقد توسع بعض الذين ينقلون عن الانكليزية حتى صاروا يسمون النفط زيتاً . ولا أرى لزوماً لهذا التوسع في مدلول الزيت ، فالآبار التي ينبجس منها النفط هي آبار نفط يحرق ، لا آبار زيت يؤكل . ولا حاجة بنا الى العدول عن كلمة نفط الى كلمة زيت .

استعملها في التحليل ، وتكلم بعد ذلك على استخراج دهن الكتان بوسائل مختلفة ، كالعصر بالمكابس اللولبيــة والمكابس المائية ، وكاستعمال المذيبات العضوية العديدة . وانتهى الى بحث استخراج الدهن بالكحول ، وهو بيت القصيد في الكتاب .

وختمه ببحث في كسب الكتان ، وهو الثفل الذي يبقى بعد استخراج الدهن من البزور ، فقايس بين مقادير المواد الغذائية في كل كسب يحصل بعد استخراج الدهن بشتى الوسائل الملمع اليها . وكسب الكتان من الأعلاف المهمة في البلاد التي تكثر من زراعة هذا النبات .

والكتاب مفيد يدل على علم صاحبه ، وعلى واسع اختصاصه وجهده . وياليته يترجمه بالعربية . فكثيراً ما تمنينا مثل ذلك على طلابنا الذين يدرسون في جامعات الغرب ، ويكتبون أطروحاتهم بلغات أعجمية .

مصطفى الشهابي

كتاب الكتّاب وصنعة الدواة والقلم وتصريفها [١]

لأبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي الكاتب النحوي الضرير مؤدب أولاد المهتدي بالله (حوالي ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م) .
نشره وقدّم له وعلّق عليه دومينيك سورديل في الجزء الرابع عشر من نشرة المعهد الفرنسي بدمشق المخصصة لدراسات شرقية [٢]
(١٩٥٢ — ١٩٥٤)

منذ أواخر القرن الأول الهجري ، ابتدأت عناية العرب بثقافة من يُعرفون بـ « الكُتّاب » . فوُضعتْ من أجلهم رسائل تنفعهم في معالجة الشؤون المتصلة بطبيعة عملهم . وتُعدُّ وصايا عبد الحميد الكاتب التي ضمّنها الجهشياري « كتاب الوزراء » في طليعة الشواهد على تلك العناية .

ولقد توالى جهد المؤلفين في هذا الميدان خلال القرون الاسلامية الأولى ، فكان من آثار هذا الجهد كتبٌ مثل « الخراج » لأبي يوسف بن يعقوب (١٨٢/٧٩٨) و « الرسالة العذراء » التي وجهها ابراهيم الشيباني لابن المدبّر [٣] ثم بعض الكتب المتعلقة بموضوعات جغرافية ظهرت في منتصف القرن الثالث ؛ هذا فضلاً عن المؤلَّف الشهير الذي وضعه ابن قتيبة وأسماه « أدب الكاتب » .
ومما يدخل في هذا الباب رسالة مخطوطة فريدة محفوظة في مكتبة محمد الفاتح

---

(١) كذا بما يفهم منه عودة الضمير على كلمة « صنعة » . ولعل بين الهاء والألف ميماً ساقطة .

(٢) Bulletin d'Etudes Orientales de l'Institut Français de Damas. Tome XIV (1952 - 1954).

(٣) راجع رسائل البلغاء التي نشرها المرحوم محمد كرد علي ص ٢٢٧ حاشية ٢ (الطبعة الثالثة في القاهرة ١٩٤٦) .

باستمبول ضمن مجموع (برقم ٥٠٣٦) . وكان W. Björkman قد أشار الى هذه الرسالة وحللها بصورة مختصرة[١] ولكنه لم ينشرها ؛ فجاء صديقنا السيد دومينيك سورديل وأراد لها أن تُعرف عند جمهرة الأدباء .

تتضمن هذه الرسالة تاريخاً للخط وبحوثاً لغوية وصرفية في الألفاظ والتعابير المتصلة بمهنة الكتاب ، وجريدةً بأسماء أشهر الكتاب والكواتب من النساء ، وطرائف من أخبار بعض أولئك ، ثم مقاطع من رسالة الجاحظ في ذم الكتاب[٢] .

ولقد بين السيد سورديل ، في الفاتحة التحليلية التي قدّم بها المنشوره ، أهمية رسالة عبد العزيز البغدادي بالقياس الى أمثاله من المتأخرين كالصولي وابن درستويه ، لا سيما في موضوعات لم يتناولها هؤلاء : كذكر الكواتب من بليغات النساء ، والكلام على صنعة الترسّل عند عبد الحميد ، و «ما يجب أن يكون في الكاتب من آلة » ، كما أن الناشر نقل الى الفرنسية بعض النصوص نقلاً أنار به مواضع كانت غامضةً بسبب اضطراب الأصل[٣] . فاستحق من كل المعنيّين بتراث العرب جزيل الشكر على عمله العلمي الذي يتجلى فيه أثر الجد والعناية تجليـاً يخلق بالناشرين احتذاؤه .

الدكتور حكمة هاشم

---

(١) بطريق سورديل عن Beitrage zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen ägypten (Hambourg , 1928) 8 - 9

(٢) ترجم السيد سورديل بعض هذه المقاطع ، ولكنه حذف بعضها مما ورد بنصه عند ابن قتيبة والجاحظ .

(٣) لا حيلة في تبديد هذا الاضطراب ما لم يُكتشف مخطوط غير مخطوط استمبول الذي نشره السيد سورديل ، على انه يمكن ان تُرد بعض الملاحظات على مواضع في الترجمة ، فمثلاً حين ينقل ص ١٢٥ « الجزء » [= الجوهر الفرد] الذي خاض فيه ابو الهذيل العلاف ، يقول : « la théorie de la partie [indéfiniment divisible] »
وراجح الظن ان الوجه في اداء هذا المعنى :
« la théorie de l'atome [ou de la partie « insécable »] »

العلم يدعو للإيمان

تأليف ا • كريسي موريسون ، رئيس مجمع العلوم سابقاً بنيويورك
ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي ، سفير مصر في باريس

طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٤) بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بنيويورك – القاهرة . يطلب من ناشره والمكتبات المعروفة
ثمنه (٢٠) قرشاً مصرياً
صورة الغلاف الجميلة ، من رسم الآنسة اعتدال حسني منيب

كتاب من القطع الوسط ، على ورق صقيل ، عدد صفحاته ٢٠٤ . صدَّره فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف . وقدَّم له الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة .

في الكتاب ١٧ فصلاً عدا كلمة الإهداء ، وكلمة المترجم ، وكلمة التصدير ، والتقدمة ، وكلمة المؤلف الذي يبيِّن الغاية من تأليفه هذا الكتاب .

إن موجة الإلحاد التي طغت على أكثر النفوس البشرية في هذا العصر المادي دفعت العالم أ • موريسون رئيس مجمع العلوم بنيويورك سابقاً ، الى تأليف كتابه هذا مدعماً بالحقائق العلمية الحديثة لإرشاد الضالِّين ، الى الصراط السويّ بإقامة البراهين العلمية والحسية أمامهم لعلَّهم بعد ذلك يرجعون الى الصواب . وما غرضه من نشر الكتاب إلا أن يسترعي انتباه المفكرين الى الحقائق التي أصبح في الإمكان إثباتها على ضوء المكتشفات الحديثة والمعلومات الجديدة التي أزاح عنها العلم الحديث ستار الغموض والتي تقود الى الاعتراف بوجود الخالق جلَّ وعلا مبدع هذا الكون على أدقّ نظام وأتمّه .

ففي الفصل الأول ، تناول المؤلف الكلام على عالمنا الفذ ، كرتنا الأرضية التي نعيش على قشرتها ، في الجملة الشمسية ، وتابعها القمر وما يحدث بسببه

من المدّ والجذر ، ولخص ما نعرفه عنها من المعلومات من حيث الحجم والسرعة في مدارهما (حول الشمس أو حول الأرض) ودورانها حول محورهما وبعدهما عن الشمس وفق نظام دقيق بديع لم يشاهد فيه اختلافُ ثانيةٍ واحدةٍ منذ بلايين السنين مما جعل نوع حياتنا ممكنة فوق الأرض دون جميع السيارات الأُخرى ، القريب منها من الشمس والبعيد عنهـا ـ لا عطارد ولا الزهرة ولا المريخ بلهَ زحل والمشتري واورانوس ونبتون الخ ، لأسبابٍ علمية وقوانين فلكيـةٍ وشروط حيويةٍ ـ مرَدّها ـ لا تسمح بوجود الحياة فوقها في أي شكل من أشكال الحياة ، بالإضافة الى صعاب أُخر يتعذر تذليلها ثم قال : (بلغ التوازن من الكمال الى حد أنه لم يعتوره أي تغيير في مدى مليون سنة ويدل على الدوام الى الأبد . كل ذلك بحكم قانون . وبهذا القانون يتكرر هذا النظام الذي نراه في النظام الشمسي في نواح أخرى) .

وفي الفصل الثاني ، بحث في الهواء والمحيط ، وكيف تكوّن الهواء الجوّي وثبتت نسبة الاكسجين والآزوت فيه الى حد يثير الدهشة لمطابقته لاحتياجاتنا ، وكون طبقة الهواء الحالية هي بحيث تسمح ، بالقدر اللازم بالضبط ، بمرور الأشعة المافوْسَجيّة (ذات التأثير الكيمياوي) التي يحتاج اليها الزرع والتي تقتل الجراثيم وتنتج الحيمينات (فيتامينات) دون أن تضرّ بالانسان (إلا إذا عَرّض نفسه لها مدة أطول من اللازم) مما يحتّم الإقرار بوجود الموازنة والنظام في هذه المشاهد الرائعة ، لا الفوضى ولا المصادفة .

ثم انتقل في الفصل الثالث ، الى الغازات التي نستنشقها ، والعلاقة العجيبة التي بين الاكسجين وثاني اكسيد الفحم فيما يتعلق بالحياتين النباتية والحيوانية : الاكسجين للحياة الحيوانية ، وثاني اكسيد الفحم للحياة النباتية . الحيوان ، يلفظ ثاني اكسيد الفحم الى الجو ؛ والنبات ، الاكسجين . وبهذه المقايضة يتعاون كل منهما لدوام حياة الآخر . ولولا هذه المقايضة لم تقم حياة نباتية

ولا حيوانية . وان وجود عناصر الحياة من اكسجين وهدروجين وثاني اكسيد الفحم وفحم على هذه النسبة الصحيحة اللازمة للحياة والمتوازنة على الدوام في هذا الكوكب السيار (أي الكرة الأرضية) ليس من قبيل المصادفة ولا بين عدة ملايين .

وفي الفصل الرابع دخل الى البحث في النتروجين ، وأفاض في بيان وظيفته التنظيمية المزدوجة : كونه عاطلاً عديم النفع في الظاهر ، وكونه جزءاً من الهواء الواقي لولاه لحدثت أمور ليست في صالح الحياة ، وفي لزومه المبرم لبناء الخلية النباتية – ويدخلها مركباً ، بالامتصاص من التربة الزراعية عن طريق الجراثيم المنتشرة (التي تأخذ نتروجين الهواء وتحيله الى نتروجين مركب) – وللخلية الحيوانية ويدخلها بما يتناوله الحيوان من الأغذية ، ولولا النتروجين لكان مآل الانسان ومعظم الحيوانات ، الموت . لذلك انصرف الإنسان – بعد أن عرف شأن النتروجين هذا ، الى تقليد الطبيعة – باستخدامه القوة الكهربائية – وتوصل في اليوم الحاضر الى اصطناع النتروجين مركباً (نشادر ، أسمدة صناعية) وحوّل بذلك غازاً عاطلاً الى عامل مخصب (سماد) هو قوام حياة النبات وبالتالي قوام حياة الحيوان .

جعل من كل ذلك مقدمة للكلام على الحياة وماهيتها ، في الفصل الخامس ، وأتى بأمثلة على ما يعطي فكرة عن الحياة ، من نحو التولد والنمو والتطور . أما ما هي الحياة ؟ فقد أقرّ المؤلف – كجميع العلماء الأحيائيين – بالعجز عن تعريف الحياة بقوله : (أما ما هي الحياة فذلك ما لم يدْرِه إنسان بعد) . والحقّ إن الحياة لغز ، لم يمكن حتى الآن الوصول الى معرفة كنهها وماهيتها ليستطاع تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً ويُكتفى الى الآن بمشاهدة ما ينجم عنها من تطورات وتحولات وآثار ليس غير . فمن الأحيائيين من يعرّف الحياة بأنها دوام التوازن بين التمثل واللاتمثل ، ومنهم بأنها دوام الانتظام بين الوارد والصادر

(أي الأغذية والمفرغات) ، ومنهم بأنها قدرة الأعضاء وعمرانها ، ومنهم بأنها دوام توازن مهدد بالأخطار . وكان زعيم الأحيائيين كلود برنار يقول إنها مظهر لحادثة غريزية تتجلى على صور شتى [قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - سورة الإسراء] .

وفي كلامه على أصل الحياة ومبدئها ، في الفصل السادس ، يعترف بأن العلماء يقفون عاجزين وقد تملكتهم الدهشة والعجب ، أمام لغز (بداية الحياة) لنقص الحجج ويشرح - بما وصلت اليه بحوث العلماء في هذا الباب - النقطة من الهيولى (بروتوبلازما) التي تكاد لا ترى ، وأنها في نظر العالم - ولا يستطيع أن يؤمن بالمعجزات - هي الشيء الهام الوحيد وهي أهم من الأرض نفسها ومن الكون كله ومن كل شيء آخر (ما عدا الخالق المدبر الذي كان السبب في وجود ذلك الشيء) . وأهميتها في نظر العالم هذه ، لاحتوائها في حد ذاتها على جرثومة الحياة بل لكونها هي مصدر الحياة (وبدونها كان لا يمكن وجود شيء حي) . فهي قد وهبت القدرة على التكاثر ، ومواءمة نفسها على أشكال عديدة من الحياة ، وأعدت لتعيش في كل ركن على ظهر الأرض . والعلم مع موافقته على ذلك يتردد في اتخاذ الخطوة الأخيرة ليقول : (إن الإنسان قد خطر على هذه الأرض بوصفه طفلاً لمنبع الحياة الكوني ، سيداً بين الحيوانات وذا تكوين مادي معقد التركيب للغاية ، وصاحب عقل أعد عن قصد ليتلقى لمحة من القدرة الإلهية التي نسميها بالروح) . وبعد أن يسرد ما حدثنا عنه علماء الأرض (جيولوجيون) حول تكون قشرة الأرض وحدوث المحيطات والصخور والطمي والطحل وتكون المواد اللاعضوية ويضرب مثلاً للايضاح في صدد ذلك ، حياة (المتحولة = آميبا) وتطورها وانقسامها ، يقول : (بصرف النظر عن مسألة أصل الحياة التي هي بالطبع من الألغاز العلمية ، قد افترض أن هنة ضئيلة من الحياة ، بلغت من الضآلة أنها لا ترى أو تلمح بالمجهر

(مكروسكوب) قد أضافت اليها ذرات، وقلبت توازنها الوثيق، فانقسمت، وكررت الأجزاء المنفصلة هذه الدورة، وبذا اتخذت أشكال الحياة. ولكن لم يزعم أحد أنها اتخذت الحياة نفسها).

بعد هذا ينتقل في الفصل السابع، ولم يزد عن أربع صفحات، الى الكلام على أصل الانسان فيقول: (ويمكن القول بأنه مع الايمان بوجود الخالق، فانه قد شاءت إرادته أن يخلق من العناصر الأصلية للأرض شيئاً تكون له حياة، ويبلغ في النهاية الى تطور في المخ يسمح بابداعه الذكاء. ويمكن القول بأن الله تعالى شاء أن يمنح هذا الذكاء سيادة وسيطرة على جميع الكائنات الحية الأخرى وعلى كائنات أخرى كثيرة عاطلة من الحياة[1]). ثم يقول: (من الواضح أن الانسان لم يوجد كانسان، منذ بدأت الحياة ولكنه تطور فيما بعد الى ما هو عليه الآن. وعلى أي حال لم يظهر كانسان إلا بعد أن عجزت أشكال الحياة للكائنات الأخرى عن إيجاد جهاز بالغ التعقيد كالعقل البشري). وهل يحتاج المؤمن، الى هذا التعليل المتكلف في بيان أصل الانسان، ويكفيه ما جاء في قوله تعالى: [وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة «أي آدم وذريته»، الآية - سورة البقرة]، وقوله تعالى: [إذ قال ربكَ للملائكةِ إني خالقٌ بشراً من طينٍ، فاذا سوّيتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين - سورة ص]، و[إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنونٍ، فإذا سوّيتُه ونفختُ فيه من رُوحي فقعوا له ساجدين - سورة الحجر]. من هذه الآيات البينات وكثير غيرها يستدلُّ المؤمن أن الخالق المبدع - وهو على كل شيء قدير - لا يعجزه سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان كإنسان منذ بدأت الحياة

(١) قال الله تعالى: ولقد كرّمنا بني آدمَ وحملناهم في البرِّ والبحرِ ورزقناهم من الطيباتِ وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا - سورة الاسراء.

دون أن يحتاج الى تطور فيما بعد الى ما هو عليه الآن كما يتصوره الطبيعيون ويحاول المؤلف موريسون أن يجد له مخرجاً يتلاءم ونظرية داروين ، انظر ص ١٠٥ — ١٠٦ من كتابه . [لَخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ الناس ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون ــ سورة المؤمن] و [إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أنْ يقولَ له كنْ فيكونُ ــ سورة يس] ومن العجيب ألا يبدي المترجم الفاضل رأياً في الفصل السابع هذا ، ولا يأتي بآيةٍ بينة من قول الله عزّ وجل في خلق آدم عليه السلام ، كما فعل في أكثر الفصول [والراسخونَ في العلمِ يقولونَ آمنا به ، كلٌّ مِنْ عندِ ربنا ، وما يذّكّرُ إلاّ أولو الألباب ــ سورة آل عِمران] .

وتكلم في الفصل الثامن ، على غرائز الحيوانات فشرح ما خصّ الله سبحانه كل حيوان من عجيب الإحساس والقدرة على تبادل الشعور مع جنسه ، وما يأتيه من أعمال خارقة مما يحتّم أن يكون كل ذلك نتيجة إعدادٍ حكيمٍ لا نتيجة المصادفة وأن الحقيقة المدهشة هي أن (كل خلية في البداية يمكن أن تكون فرداً كاملاً بالتفصيل . فليس هناك شك اذن في أنك أنت ، في كل خلية ونسيج)[1] . وان مفهوم الغريزة لا يزال سراً ولا يمكن للانسان أن يضع قواعد عامة يركن اليها باطمئنان تام ، على أساس معرفةٍ ناقصةٍ وعلمٍ لا يزال في مبدئه كنواة وسيبقى كذلك عاجزاً عن إدراك الارتباط الحقيقي بين قوانين الطبيعة الى أن (يملك كلّ حاسة كسبتها الكائنات الحية ، أو الى أن يضاهي الحيوانات بالأجهزة التي يخترعها حتى يكتسب مثل كفاياتها) . وككلّ عالمٍ متواضع ينهي هذا الفصل بالاعتراف بعجز الانسان وضعفه وقلة معرفته . ولا غرابةَ فالانسان إذا نظر نظرة تدبُّر وتأملٍ فيما يقع تحت سمعه

---

(١) قال الله تعالى : وإذْ أخذَ ربكَ من بني آدمَ من ظهورهم ذُرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى ، شهدْنا . الآية — سورة الأعراف .

وبصره مما خلق الله تعالى بدا له عجزه واضحاً ، اعترف في قرارة نفسه بأنه لا يعرف إلا القليل ، وأقرّ بضعفه وعجزه عن إدراك ما يسمو فوق العقل .

وفي الفصل التاسع ، تكلم على تطور العقل فبيّن أن الانسان هو وحده الذي أوتي عقلاً بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر تفكيراً عالياً . أما الكائنات الأخرى فهي جميعها تعمل بالغريزة فقط ، ويضرب على ذلك مثلاً الدبور والنحل وخصوصاً النمل الذي أصبح «عشيرة اجتماعية» بمالكه ومملوكه وخادمه ومخدومه وأنه لولا وجود خالق يرشد هذه الحيوانات لما استطاعت أن تأتي بهذه الأعمال العجيبة [صُنعَ اللهِ الذي أتقن كلَّ شيء ، الآية ـ سورة النمل] .

وفي الفصل العاشر ، تكلم على وحدات الوراثة وفيه شرح علمي وافٍ لأسرار الخلقة والتولد (جينات ، وكروموزوم ، وسيتوبلازم) تلك الوحدات التي تبلغ من الدقة أنها (وهي المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التي على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها) لو جُمعت كلها ووضعت في مكان واحد ، لكان حجمها أقل من حجم الكشتبان . والموضوع في جملته سلسلةٌ ذهبية بديعة متماسكة الحلقات ، الاقتطاع منها يذهب بجمال المجموع فليرجع القارئ الشغف ، الى الصفحات ١٣٧ — ١٤٨ ويتلوها بإمعان وتدبر ليزداد ، بالوقوف على عجائب صنع الله ، إيماناً بعظيم قدرته تعالى .

وفي الفصل الحادي عشر ، يتحدث عن أعظم معمل في العالم ويقصد به المعدة وما تقوم به من عمل الهضم إلا هضم نفسها [1] . ويتساءل (أليس في هذه

---

(١) خصّ المؤلف المعدة ولعله يريد بها جهاز الهضم كله لأن جهاز الهضم هو الأنبوب الهضمي من الفم الى الأمعاء الغلاظ . فالمعمل الكيمياوي الحقيقي هو الكبد . والخلية تأخذ من محصول الانهضام ما يلائمها وبقدر ما هي بحاجة اليه من المكوّنات الاساسية (السكريات ، الهيوليات ، الشحميات ، الحامّضات ، الحيمينات ، الخمائر ... الخ) .

المجموعة من المعجزات وفي كل ما يتم في نظام كامل ما يدل على صنع الخالق ، وأن النظام يضادّ المصادفة ؟) .

وفي الفصل الثاني عشر ، يذكر الضوابط والموازين أي الروادع التي أودعها الله سبحانه في كل حيوان أو نبات لئلا يسطو على العالم وكيف أن محاولة الانسان تغيير هذه الضوابط قد أضرّت به فاضطر الى البحث عما يدفع أذاها عنه ، ويذكر أمثلة على ذلك .

وأما في الفصل الثالث عشر ، فيشرح ما للزمن من الأثر في تقليب وجوه الحياة وتطوراتها وأن الانسان وحده هو الذي يملك قياسه ويقترب من الإدراك الكامل له وفي الوقت نفسه من إدراك بعض قوانين الكون الأبدية ومن معرفة الخالق سبحانه وتعالى .

وفي الفصل الرابع عشر ، يقول عن (قوة التصور) إنها أعجب كفايات الانسان وبالتصور فقط يستطيع أن ينتقل الى حيث يشاء ويضرب على ذلك أمثالاً عديدة وينتهي منها الى أن قوة التصور هي جد قريبة من القوة الروحانية وأن الإنسان بكفايته الروحانية يمكن أن يتصور القدرة الإلـهية .

وفي الفصل الخامس عشر ، يستعرض كل ما تقدم في الفصول السابقة ليأخذ القارئ فكرةً نهائية على وجود مُوَجِّهٍ للانسان في حياته على وجه البسيطة في شروط ملائمة كل الملاءمة لهذه الحياة ويقول : (ان عقل الانسان محدود ولا يقدر أن يدرك ما هو غير محدود وعلى ذلك لا نقدر إلا أن نؤمن بوجود الخالق المدبر ، الذي خلق كل الأشياء بما فيها تكوين الذرات ، والكواكب ، والشمس والسدم) . ثم يقول : (إن محاولة معرفة الخالق لتحيّر أذكى الأذكياء[1] ، كذلك لا يمكننا أن نحسب أن الانسان هو الغرض الوحيد أو النهائي ، ولكنا

---

(١) اللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ مثلُ نورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباح، المصباحُ في زُجاجةٍ، الزُجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّيٌ يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكادُ زيتها يضيءُ ولو لمْ تمسسه نار. نورٌ على نورٍ — الآية ، سورة النور .

يمكننا أن ننظر الى الانسان على أنه أعجب مظهر لذلك الغرض[1]) . [ويخلق ما لا تعلمون ، الآية ـ سورة النحل] .

وفي كلامه على المصادفة ، في الفصل السادس عشر ، يشير الى أن جميع مقومات الحياة الحقيقية من حرارة وماء وحمض الفحم والنتروجين وسمك قشرة الأرض الخ ، (ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد ، بمجرد الصدفة ، مرة في بليون مرة « كان يمكن أن يحدث هكذا » ولكن لم يحدث هكذا بالتأكيد) .

وفي خاتمته ، في الفصل السابع عشر ، الأخير ، يشرح ما ورد في (سفر التكوين) حول قصة خلق الكون ويدعم كل فقرة منه بما وصل اليه العلم الحديث في شأن الخليقة ، فيقول فيما ورد في الفصل الأول من الانجيل :

« في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية » .

هذه هي الفوضى الأصلية التي كانت الارض قبل تكوينها .

« وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يورفه على وجه المياه » .

كان معظم المحيطات في السماء كسحب لا يمكن اختراقها وكان الضوء لا يصل الى الأرض[2] .

« وقال الله ليكن نور فكان نور » .

لقد انقشعت السحب ، وكانت الأرض قد بردت ، وأدى دوران الأرض الى الليل والنهار[3] .

« وقال الله لتفض المياه زحافات ذات أنفس حية وطيوراً تطير فوق الأرض على وجه جلد السماء » .

---

(١) سبحانك اللهم إنك أكبر من أن يحيط بكنهك المتفكر
حار اللبيب وراغ عنك المبصر ورمى وأخطأ سهمه المتدبر
انتهى مدى العقل فيك تحير

مطلع قصيدة للأستاذ الرئيس خليل مردم بك يناجي بها الخالق سبحانه وتعالى من ضفاف التايمس يوم نزل بلاد الانكليز .

(٢) قال الله تعالى : ثم استوى الى السماء وهي دخان ، الآية ـ سورة فصلت .

(٣) قال الله تعالى : يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، سورة النور .

ان كل حياة متحركة بدأت في الماء ، وجلد السماء هو الهواء [١] .

« فصنع الله النيّرين العظيمين . وصنع النجوم أيضاً » .

وأصبحت الشمس والقمر تريان من خلال السحب ، ولما انقشعت السحب نهائياً ، ظهرت النجوم « أيضاً » [٢] .

« وقال الله لتنبت الأرض نباتاً عشباً يبذر بذراً » .

ولا يفوتنك هنا أن النبات قد ذكر قبل الحياة الحيوانية [٣] . ثم يقول : (إن العلماء لا يقدرون أن يؤكدوا ولا أن ينفوا وجود الله [٤] ، ولكن كل واحد منهم في قرارة نفسه يشعر بقوة الإحساس والفكر والذاكرة والآراء التي تصدر كلها عن ذلك الكيان الذي نسميه بالروح وهم جميعاً يعلمون أن الإلهام لا يأتي من المادة . وليس للعلم حق في أن تكون له الكلمة الأخيرة بشأن وجود الخالق ، حتى يقول تلك الكلمة بصفة نهائية والى الأبد) .

ويختم أخيراً كتابه بالابتهال اليه تعالى بالدعاء التالي : (ربّنا قُدْنا في طريق مقصدك الأعظم ـ وارفعنا الى مستوى الانسجام الروحاني بعضنا مع بعض . وهَبْنا القدرة على أن نصبح جزءاً من التقدم نحو الكمال الروحي . وقُدنا الى حيث نكون في خدمتك ، وبهذا تجعلنا أدوات لتنفيذ مشيئتك .... إن الانسان الذي لا يقوم وحده !) .

* * *

---

(١) قال الله تعالى : والله خلقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ . فنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . يخلقُ اللهُ ما يشاءُ ، إن الله على كل شيءٍ قدير ـ سورة النور .

(٢) قال الله تعالى : إنا زينا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكب ـ سورة الصافات . ولقدْ زينا السماءَ الدنيا بمصابيحَ « اي بالكواكب » ، الآية ـ سورة الملك .

(٣) قال الله تعالى : وأنزلنا من المعصراتِ « اي السحائب فيها المطر » ماءً ثجاجاً « اي شديدالانصباب » لنخرج به حباً ونباتاً ، وجناتٍ ألفافاً ـ سورة النبأ . ونزّلنا من السماءِ ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد ـ سورة ق .

(٤) قال الله تعالى : قالت رُسلهم أفي اللهِ شكٌ فاطرِ السموات والأرضِ ، الآية ـ سورة ابرهيم .

هذه هي لباب ما في الكتاب . وحبذا لو كان عنوانه (العلم يدعم الإيمان) لانه اذا كان في القلب إيمان راسخ فان العلم يدعمه ويقويه . وما أحسب العلم وحده يخلق إيماناً في قلب أعمى لم يتفتح للهدى والنور [فانها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور ـ سورة الحج] . ولو كان العلم وحده هو الداعي للإيمان لكان أشدّ الناس إيماناً (العالمون) ـ بالمعنى العصري الحديث ـ وأعني العالمين بالعلوم والفنون الكونية العصرية مع أننا بالعكس نراهم أشدّ الناس إلحاداً وأكثرهم بُعداً عن الهداية والإيمان [إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، الآية ـ سورة هود] لأن للعلم قوانين وأصولا لا تُقرّ بالطفرة ولا بالمعجزات . والمؤلف موريسون نفسه كتب ما كتب رداً على الذين يزعمون أن العلم ينكر وجود الله ومنهم العالم جوليان هكسلي صاحب كتاب (الانسان يقوم وحده Man Stands Alone) وأطلق على كتابه اسم (الانسان لا يقوم وحده Man Does Not Stand Alone) . فمحاولة تطبيق الحقائق العلمية والبراهين الفنية على تعاليم الدين ، محاولةٌ كثيراً ما لا تأتي بالثمرة المطلوبة لأن ما يعلمه الإنسان ما هو إلا قطرة من اقيانوس لا يحده البصر ولا يدرك مداه العقل المحدود . فكما أن لكل ميزان من الموازين المادية التي بين أيدينا ، درجةً من الحساسية والطاقة لا يمكن وزن شيء دونها أو أكبر منها وإلاّ اختلّ توازنه وتصدّعت أركانه وأصبح عديم النفع ، كذلك العقل . فهو ميزان محدود الحسّ يحسُّ بقدر الحدّ الذي صُنع له ولا يتعدّاه بقليلٍ أو كثير [وما أوتيتم من العلمِ إلاّ قليلا ـ سورة الإسراء] . ومجاهل العلم من الوسعة بحيث لم يكتشف منها إلاّ النزر اليسير ، فلا يعقل أن يعلّل بالقليل من البراهين العلمية ، الكثير من الأسرار الخافية . فالإيمان الصحيح هو (التسليم) حتى إذا كشف العلم من الحقائق ما يتوافق معما جاء به الدين أضافه (المُسَلِّم) الى ما سلَّمَ به من قبل وازداد ايمانه رُسوخاً في قلبه ، منتظراً من تطورات العلم واكتشافاته

براهين جداً أخرى يضمها الى السابقات [وقُلْ رَبِّ زِدْني عِلماً] الآية ـ سورة طه] .

يُشكر المؤلف العالِم ـ وقد قلّ بين العالمين من يُعنى بمثل هذا الإرشاد في هذه الآونة التي شاع فيها الإلحاد ـ على جهده المبذول في تبيان الحقائق التي أصبح بالإمكان إثباتها ، قاصداً من وراء ذلك تأييد الاعتقاد بوجود تنظيم يحير العقول ، يقوم به مدبر جبار قادر على كل شيء ، وبأن ما وصل اليه الانسان فيما يقع تحت مشاهدته وعلمه ما هو إلاّ (جزء من برنامج ينفّذه باريء الكون) جل وعلا .

ويُشكر المترجم الفاضل الأستاذ محمود صالح الفلكي وهو حفيد عالم مصري فلكي جليل ، لعمله المحمود الصالح بترجمته هذه ، وغايته النبيلة منها ألا وهي أن يكون لها ورد في كتاب موريسون ، بين قراء العربية ما كان بين قرائه في أمريكة من الأثر في صدّ موجة الإلحاد وتثبيت قوة اليقين [أُدْعُ إلى سبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلهم بالتي هي أحسن ، الآية ـ سورة النحل] ، أكثر الله من أمثاله المؤمنين الصالحين المصلحين العالمين العاملين .

وبعد ، فما أحوج النشء الحديث في هذا العصر الذي استحوذت فيه المادة على القلوب ، فعدَل عن الدين الى الدينار ، أقول ما أحوجه الى مطالعة هذا الكتاب الذي جمع مؤلفه فيه ما تناثر في الطبيعة من البدائع العلمية [1] فجعل منها بلياقة ، هذه الباقة الأخّاذة بتناسق ألوانها وتمازج عطورها ، بل هذه المجموعة (كوالكسيون) الطريفة ، الجميلة بتقارب موضوعاتها وتوافق غاياتها ، لعل هذا النشء يعلم : أن الخير كل الخير في الإيمان وبدونه لا تقوم مدنية ولا يثبت نظام ويفقد كل ضابط ورادع ويعم الشر والبلاء ، وأن بالإيمان على

(١) علوم : الرياضيات ، الفلك ، الفيزياء ، الكيمياء ، الحشرات ، النبات ، الحيوان ، طبقات الأرض ، التاريخ الطبيعي ، النفس ، الفلسفة .

وجهه الصحيح بتحقق النظام الاجتماعي بصلاح الأفراد [1] وتسود العالمَ الرفاهيةُ والسعادة الدنيوية ؛ وأن بالإلحاد الفوضى والاضمحلال للفرد والمجتمع . هدانا الله سبيل النجاة ووقانا مواطن الزلل .

[ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعدَ إذْ هديتنا وهبْ لنا منْ لدُنك رحمةً إنك أنتَ الوهاب ـ سورة آل عمران] .

الكواكبي

تاريخ مصر ١٣٨٢ — ١٤٦٩

القسم الأول ١٣٨٢ – ١٣٩٩

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي

الأستاذ وليم بوبر William Popper

مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

يعتبر أبو المحاسن بن تغري بردي من أشهر مؤرخي عصر المماليك ومن أهم الذين كتبوا في تاريخ مصر . ومن الكتب التاريخية التي وضعها كتاب « حوادث الدهور في ماضي الأيام والشهور » وكتاب التراجم الذي عنوانه « المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » وكتاب الحوليات المعروف باسم « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ويشمل تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى ١٤٦٩ أي قبيل موت المؤلف . وقد عاش أبو المحاسن في عهد المماليك الشراكسة فولد حوالي عام ٨١٢ هـ (١٤١٠ م) وتوفي في عام ٨٧٤ هـ (١٤٧٠ م) وكان والده الأمير تغري بردي القائد العام للجيوش وأكبر موظف في دولة المماليك بعد السلطان

(١) إنما المؤمنونَ إخوَة ، الآية — سورة الحجرات . فشعار المؤمن المحبة والوئام والرحمة والعطف وتقريب القلوب والأرواح بعضها من بعض . وتلك اسس السلام العام وبقاء المجتمعات .

نفسه . وبلغ أبو المحاسن أرفع المناصب في عهد السلطان جقمق بعد عام ١٤٥٢ وكان أكبر الموظفين نفوذاً في الدولة . ويعتبر تاريخه «النجوم الزاهرة» من أوثق المصادر لتاريخ مصر في عصر المماليك وقد بدأ بنشره في القرن الماضي المستشرق الهولاندي جوينبل Jyinbol في ليدن عام ١٨٥٥ فنشر حوادث ٦٤١ حتى ١٠٠٥ م ثم تابعت جامعة كاليفورنيا نشره في ١٩٠٩ باستثناء حوادث السنين ١١٧٢ — ١٣٤٥ . وبدأت دار الكتب المصرية نشره في ١٩٢٩ وأنجزت نشر تسع مجلدات في ١٩٤٦ ووصلت حتى حوادث عام ١٣٤٠ .

وقد رأى المستشرق وليم بوبر أن يترجم الى الانكليزية جانباً من هذا الكتاب يشمل حوادث ١٣٨٢ — ١٤٦٩ أي حتى نهاية الكتاب فأصدر هذا القسم الأول وفيه مادة الأعوام ١٣٨٢ — ١٣٩٩ . ويبدأ هذا القسم بحكم السلطان برقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة وجمع فيه أبو المحاسن المعلومات التي استقاها من أصدقاء والده الأمير تغري بردي ومماليكه وكان والده من الذين شاركوا في حوادث هذه الفترة . أما بعد وفاة برقوق فان المؤلف قد تمكن من رواية الحوادث كشاهد عيان . وقد رغب المترجم الأستاذ بوبر أن يقدم الى قراء اللغة الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . وطبعت الكتاب مطبعة جامعة كاليفورنيا وهو الجزء الثالث عشر من منشورات جامعة كاليفورنيا في الفيلولوجيا السامية .

وقد طبع الكتاب طباعة متقنة ومهد له المترجم بتصدير ومقدمة شرح فيهما طريقته في نشر الترجمة وأتى على ذكر ترجمة أبي المحاسن ومؤلفاته . ووضع أرقام صفحات الأصل العربي في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالشهور والسنين الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيهما

الحوادث واسم السلطان الحاكم . وقد نقل هذا القسم المترجم عن الجزء الخامس والصفحة ٣٦٢ — ٦٤٣ من الأصل العربي على أن المترجم لا يذكر النسخة التي اعتمد عليها ولا يعلم القارئ إذا كان الجزء الخامس الذي ترجم عنه هو من نسخة جامعة كاليفورنيا أو نسخة دار الكتب المصرية أو غيرهما لأنه لا يذكر ذلك في التمهيد ولا في المقدمة . ويقول المترجم انه لم يشأ وضع ملاحظات وتفاسير وإيضاحات في الهامش وانه ترك معالجة القضايا المتعلقة بنظم حكومة المماليك ووثائقها وجغرافية دولتها وغير ذلك ليضعها في مجلد خاص . على أننا نرى انه كان من المناسب أن يشرح بعض الأسماء والتعابير في هامش الترجمة . وأن يعطي القارئ بعض المعلومات الضرورية التي يستوجبها فهم المادة التاريخية المترجمة .

جورج حداد

(مجموعة علمية تشتمل على أربع رسائل)

١ — رأس الحسين رضي الله عنه (٣ — ٣٤)

٢ — محنة شيخ الاسلام ابن تيمية بقلمه (٣٥ — ٦٥)

٣ — أحكام الطلاق لابن عبد الهادي (٦٧ — ١١٢) .

٤ — في اختيارات ابن تيمية بقلم محمد بهجة البيطار (١١٣ — ١٢٣)

أخذت من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

جاء في مقدمة الرسالة الثانية بقلم الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة أنه عثر على الرسائل الثلاث في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وأن الأولى لابن تيمية بخط يده ، والثانية له بخط أخيه شرف الدين ، والثالثة بخط المؤلف ابن عبد الهادي ،

فأخذ صور الرسائل الثلاث ، وأضيف اليها مقال في اختيارات ابن تيمية بقلم هذا الضعيف ، فطبعها بمصر على نفقة الأستاذ الشهير محمد نصيف .

أما الرسالة الأولى من جواب شيخ الإسلام ابن تيمية فقد بينت أن مشهد الحسين باتفاق الناس بُني عام بضع وأربعين وخمسمائة ـ وأنه نقل من مشهد بعسقلان ، كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة ـ (قال) ولم ينقل عن أحد من أهل الحديث ولا التاريخ ولا الأخبار أن مشهد الحسين كان بعسقلان ـ وأن من ألفوا في مقتل الحسين لم تذكر كتبهم إلا أن الرأس حمل الى المدينة ، ودفن الى جانب أخيه الحسن رضي الله عنه ، والاحتمالات التي ذكروها للدفن لم يذكروا معها عسقلان أبداً ، وأن التعدي على الحسين بعد مقتله وقع في العراق لا في الشام ، ـ وأن رأس الحسين لم يحمل الى يزيد بل الى ابن زياد ، ـ وأن الحسين دفن في المدينة عند أخيه وأمه . وفي هذه الرسالة فوائد كثيرة ـ كالدلالة على ثقات المؤرخين وغيرهم ـ لا يستغني عنها مؤرخ .

وأما الرسالة الثانية ففيها وصف ثبات الإمام ابن تيمية على الحق ، وهو سجين بمصر ، وجوابه للفتّاح (السجّان) الذي كلمه بلسان نائب السلطنة (كرئيس الوزارة اليوم) ، وما ظهر من شجاعته ، وصبره في محنته ، ونصحه لولاة الأمور ، وقوة استحضاره للنصوص ، وشدة اصطباره على الخصوم ، وقوله : أنا قد أحضرت أكثر من خمسين كتاباً من كتب الحديث والتصوف والمتكلمين والفقهاء الأربعة ، ـ الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ـ يوافق ماقلته ، أي ان الله تعالى مستو على عرشه ، بائن من خلقه (أي غير حالّ فيهم) قاهر فوق عباده ، وحاولوا أن يزيد شيئاً فلم يزد على ما كان كتب بدمشق من أمر عقيدته التي كانت بحثت هناك ، وقال إني لم أقل شيئاً من نفسي ، وإنما قلت ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها . (قال) : وهذا الاعتقاد هو الذي قرئ بالشام في المجالس

الثلاثة ، ووافق عليه القضاة والعلماء ، وقد أرسله اليكم نائبكم مع البريد ، والجميع عندكم . وأمهل من خالفه ثلاث سنين أن يجيء بحرف واحد يخالف ما قاله . ولقد عفا شيخ الإسلام عن كل من ظلمه أو أساء اليه ، كالأذرعي الخصم في الشام ، وكالقاضي ابن مخلوف المالكي ، والشيخ نصر المنبجي الصوفي وغيرهم ، ومنع الناس من إيذائهم ، وهو يخشى الضرر على ابن مخلوف والشيخ نصر لو كتب شيئاً فرحمه الله ورضي عنه ما أسلم نيته وطويته .

وأما الثالثة فعنوانها يدل عليها (علم الطلاق الثلاث) ومن قال بوقوعه ثلاثاً إذا كان دفعةً واحدة ، ومن قال بوقوعه واحداً ، ومن فصّل ولم يجمل ، وكلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الأمصار في ذلك ، وبيان مآخذهم ومداركهم ، ونقله عن ابن القيم تقرير الدلائل على وقوعه واحدة إذا كان بلفظ واحد ، وقد نقل المؤلف عن جدّه الشيخ جمال الدين جعله جُعالة شرعية ألف درهم لمن يجد دليلاً شرعياً على وقوع الثلاث جملة ـ ثلاثاً ، ثم بين المؤلف أنها اذا وقعت متفرقة كانت ثلاثاً ، ولا تحلُّ له حتى تنكح زوجاً غيره ، والزوج الشرعي غير المحلّل ، ـ وهو الزوج غير الشرعي الذي لعنه الرسول وسماه التيس المستعار . ونقل المؤلف ما قاله ابن القيم في هذا السفاح ، ومخالفته للنكاح الشرعي من وجوه كثيرة ، وما يترتب عليه من المفاسد (ص ١٠٣ ـ ١١٢) وجاء في الصفحة الأخيرة قول المؤلف : « وإنما عملت هذا الكتاب لأنصف بين الفريقين فان الجد جمال الدين الإمام والشيخ تقي الدين (أي ابن تيمية) في جهة ـ وقد صنف جمال الدين فيه كتاباً ، في أنه واحدة ـ وابن رجب في جهة ، فانه صنف في الوقوع كتاباً ، وابن القيم ذكر القولين ، لكن ميله الى عدم الوقوع (أي ثلاثاً) ثم قال : فليختر العاقل ما يوجب الإنصاف . وقد تبين منه عدم ترجيحه قولاً على قول ، إذ ختم حديثه بالوعظ بدل الحكم ، وحذّر من القول على الله بلا علم .

وأما الرسالة الأخيرة ، فقد تكلمت فيها بقضية الطلاق في الإسلام ، وشروطه ، وأسبابه وآدابه ، والطلاق عند الأجانب وما آل اليه أمرهم فيه ، وشكوى قضاتهم من فوضى الآداب والاجتماع ، وانحلال الروابط الخلقية والمنزلية . ولما كنت أتكلم عن الطلاق في الإسلام قلت تحت هذا العنوان : وبعد فلشيخ الإسلام في الطلاق الشرعي والبدعي كلام يطول ، ولشرحه في كتب ابن القيم حواش وذيول ، وحسبنا أن نشير الى مراجعه فهي مطبوعة متداولة ، وفيها من حقائق التنزيل والتأويل ، ما يضمن سلامة الأسر ، بل سعادة البشر . (ثم قلت) وإنك لتجد هذه المباحث السابغة ، والحجج البالغة ، في الجزأين الثالث والرابع من الفتاوي ، والإغاثتين الكبرى والصغرى لتلميذه ابن القيم ، وفي أعلام الموقعين ، وله أيضاً سبح طويل في كتابه (زاد المعاد) وفي تهذيبه لسنن أبي داود ، وأوردت نُبَذاً قصيرة منها كلها (وتجدها في م ٢٨ من مجلة المجمع العلمي) .

هذا وقد وقعت أغلاط يسيرة في رسالة ابن عبد الهادي منها في سورة الطلاق : « فطلّقوهنّ لعدتهن » وقد كتبت : في قبل عدتهن . وقد نقص من الآية ٣٣ من سورة الأعراف : « وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » وجاءت هنات نحوية من سهو الناسخ أو الطابع ، ومن السهل تصحيحها في طبعة ثانية إن شاء الله .

طليعة التنكيل . بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني

علق عليه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

جاءت هذه (الطليعة) رداً لما جاء في كتاب (تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب) للأستاذ زاهد الكوثري . قال المؤلف: طالعته ، فرأيت الكوثري تجاوز الحدود العلمية والأدبية ، فبدأ بالطعن في جماعة المحدثين جملة ، ورميهم بالغفلة والبلادة ، وإن الخليفة الملقب بالمأمون إنما أراد بامتحانهم في القول بخلق القرآن أن يكفهم عن الخوض فيما ليس لهم به علم ، ثم بالطعن على الخطيب (وقال) ثم شرع في تتبع ما في تاريخ الخطيب فوقع له في ذلك عجائب ، منها الطعن في الأئمة الثلاثة ـ مالك والشافعي وأحمد ، وتعدى الى الطعن في أنس بن مالك رضي الله عنه وفي هشام بن عروة بن الزبير بن العوام (الى أن قال) : وتكلم في نحو مائة من حفاظ الحديث ، ونحو مائتين من ثقات المحدثين . وذكر في هذه الطليعة أنواع مغالطاته ، وتحريفه للكلم عن مواضعه .

وقد بلغت صفحات الكتاب مائة وعشراً ، ولا يستغني عن مطالعتها محدث ولا مؤرخ ، لا سيما من اطلع على كتب الكوثري وتعليقاته ، ومطاعنه في الأئمة هداة الأمة ، وقلبه للحقائق رأساً على عقب . وهذا التأليف ، و (الكوثري وتعليقاته) بقلم الأستاذ محمد نصيف ، كفيلان ببيان ذلك كله . وقد مات الكوثري رحمه الله فنمسك القلم عن الكلام ، ونسأله سبحانه حسن الختام .

محمد بهجة البيطار

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ « حسني سبح
٦ « حكمة هاشم
٧ « سامي الدهان
٨ الاستاذ سليم الجندي
٩ « شفيق جبري
١٠ « عارف النكدي

١١ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٢ الاستاذ عز الدين التنوخي
١٣ « فارس الخوري
١٤ « محمد البزم
١٥ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٦ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٧ الدكتور مرشد خاطر
١٨ الأمير مصطفى الشهابي
١٩ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١ الشيخ عبد الحميد الكيالي سورية
٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي «
٣ الاستاذ عمر ابوريشة «
٤ الشيخ محمد زين العابدين «
٥ البطريرك مار اغناطيوس افرام «
٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) «
٧ الشيخ سعيد العرفي «
٨ الاستاذ أنيس المقدسي لبنان
٩ « بشارة الخوري «
١٠ الشيخ سليمان ظاهر «

١١ الدكتور صبحي المحمصاني لبنان
١٢ « عمر فروخ «
١٣ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف «
١٤ الشيخ فؤاد الخطيب «
١٥ الفيكونت فيليب دي طرازي «
١٦ الدكتور قسطنطين زريق «
١٧ الدكتور نقولا فياض «
١٨ الأب اس. مرمرجي الدومنكي فلسطين
١٩ الاستاذ قدري حافظ طوقان «
٢٠ « محمد الشريقي المملكة الأردنية الهاشمية

٢١	الاستاذ احمد حامد الصراف	العراق
٢٢	الدكتور داود الچلبي	〃
٢٣	الاستاذ طه الهاشمي	〃
٢٤	الاستاذ عباس العزاوي	〃
٢٥	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٢٦	الاستاذ كوركيس عواد	〃
٢٧	الشيخ محمد بهجة الاثري	〃
٢٨	〃 محمد رضا الشبيبي	〃
٢٩	الدكتور مصطفى جواد	〃
٣٠	الاستاذ احمد حسن الزيات	مصر
٣١	الدكتور احمد زكي	〃
٣٢	الاستاذ احمد لطفي السيد	〃
٣٣	〃 خليل ثابت	〃
٣٤	〃 خير الدين الزركلي	〃
٣٥	الدكتور طه حسين	〃
٣٦	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃
٣٧	الأستاذ عبد الحميد العبادي	〃
٣٨	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٣٩	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٤٠	الأمير يوسف كمال	〃
٤١	الأستاذ حمد الجاسر	المملكة العربية السعودية
٤٢	〃 حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٤٣	〃 مارسه	〃
٤٤	〃 محمد البشير الابراهيمي	الجزائر
٤٥	〃 عبد الحي الكتاني	مراكش
٤٦	〃 محمد الحجوي	〃
٤٧	الاستاذ عباس إقبال	ايران
٤٨	〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٤٩	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٥٠	الاستاذ دوسو (رينه)	〃
٥١	〃 كولان	〃
٥٢	〃 كي (أ.)	〃
٥٣	〃 هنري لاوست	〃
٥٤	〃 ماسه	〃
٥٥	〃 ماسينيون	〃
٥٦	〃 اربري (أ. ج.)	انكلترا
٥٧	〃 جيب (هـ. ا. ر.)	〃
٥٨	〃 غليوم (الفرد)	〃
٥٩	〃 بروكلمن	المانيا
٦٠	〃 ريتر. هـ.	〃
٦١	〃 هارتمان (ريشارد)	〃
٦٢	〃 فيليب حتي	الولايات المتحدة
٦٣	〃 غومز (اميليو غارسيا)	اسبانيا
٦٤	الدكتور اشتولز (كارل)	النمسا
٦٥	الاستاذ موجيك	〃
٦٦	〃 ماهلر	المجر
٦٧	〃 جبرائيلي (فرنسيسكو)	ايطاليا
٦٨	〃 هيس	سويسرة
٦٩	الدكتور شخت (يوسف)	هولاندة
٧٠	الاستاذ استروب	الدانيمرك
٧١	〃 بدرسن	〃
٧٢	〃 كرسيكو	فنلاندة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢	« سليم البخاري	«
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	«
٤	« الياس قدسي	«
٥	« أنيس سلوم	«
٦	« جميل العظم	«
٧	« سليم عنحوري	«
٨	« عبد الله رعد	«
٩	« رشيد بقدونس	«
١٠	« اديب التقي	«
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	«
١٢	الاستاذ معروف الأرناؤط	«
١٣	السيد محسن الأمين	«
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	«
١٥	الأب جرجس شلحت	«
١٦	« جرجس منش	«
١٧	الاستاذ قسطاكي الحمصي	«
١٨	الشيخ كامل الغزي	«
١٩	الاستاذ ميخائيل الصقال	«
٢٠	الشيخ بدر الدين النعساني	«
٢١	« راغب الطباخ	«
٢٢	« عبد الحميد الجابري	«
٢٣	الدكتور صالح قنباز	«
٢٤	الشيخ سليمان الأحمد	«
٢٥	الاستاذ ادوار مرقص	«
٢٦	« حسن بيهم	لبنان
٢٧	الأب لويس شيخو	«
٢٨	الشيخ عبد الله البستاني	لبنان
٢٩	الاستاذ جبر ضومط	«
٣٠	« عبد الباسط فتح الله	«
٣١	الشيخ عبد الرحمن سلام	«
٣٢	« مصطفى الغلاييني	«
٣٣	الاستاذ عمر الفاخوري	«
٣٤	« بولص الخولي	«
٣٥	« امين الريحاني	«
٣٦	الامير شكيب ارسلان	«
٣٧	الشيخ ابراهيم منذر	«
٣٨	الاستاذ جرجي يني	«
٣٩	الشيخ احمد رضا	«
٤٠	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٤١	الاستاذ نخلة زريق	«
٤٢	الشيخ خليل الخالدي	«
٤٣	الاستاذ عبد الله مخلص	«
٤٤	« محمد اسعاف النشاشيبي	«
٤٥	« محمود شكري الآلوسي	العراق
٤٦	« جميل صدقي الزهاوي	«
٤٧	« معروف الرصافي	«
٤٨	« طه الراوي	«
٤٩	الاب انستاس ماري الكرملي	«
٥٠	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٥١	« رفيق العظم	«
٥٢	« احمد كمال	«
٥٣	« احمد تيمور	«

الرقم	الاسم	البلد
٥٤	الاستاذ احمد زكي	مصر
٥٥	الدكتور يعقوب صروف	«
٥٦	السيد محمد رشيد رضا	«
٥٧	الاستاذ حافظ ابراهيم	«
٥٨	« احمد شوقي	«
٥٩	الشيخ احمد الاسكندري	«
٦٠	الاستاذ اسعد خليل داغر	«
٦١	« داود بركات	«
٦٢	الدكتور امين المعلوف	«
٦٣	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	«
٦٤	الشيخ عبد العزيز البشري	«
٦٥	الدكتور احمد عيسى	«
٦٦	الأمير عمر طوسون	«
٦٧	الشيخ مصطفى عبد الرازق	«
٦٨	الاستاذ انطون الجميل	«
٦٩	« خليل مطران	«
٧٠	« ابراهيم عبد القادر المازني	«
٧١	« محمد لطفي جمعة	«
٧٢	الدكتور احمد امين	«
٧٣	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧٤	الاستاذ رينه باسه	«
٧٥	« ميشو بللير	طنجة
٧٦	« زكي مغامز	تركيا
٧٧	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٧٨	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٧٩	الاستاذ فران	فرنسا
٨٠	« كليمان هوار	«
٨١	« بوفا	«
٨٢	الاستاذ مالنجو	فرنسة
٨٣	« مرجليوث	انكلترة
٨٤	« بفن	«
٨٥	« براون	«
٨٦	« كرينكو	«
٨٧	« هومل	المانيا
٨٨	« ساخاو	«
٨٩	« هوروفيتز	«
٩٠	« مارتين هارتمان	«
٩١	« ميتفوخ	«
٩٢	« اغناطيوس غولدصهير	المجر
٩٣	« ماكدونالد	الولايات المتحدة
٩٤	« هرزفلد	«
٩٥	« كراتشكوفسكي	الاتحاد السوفياتي
٩٦	« آسين بلاسيوس (ميكل)	اسبانيا
٩٧	« لوبس (دافيد)	البرتغال
٩٨	« جويدي	ايطاليا
٩٩	« نللينو	«
١٠٠	« اوجينيو غريفيني	«
١٠١	« مونته	سويسرة
١٠٢	« كوفالسكي	بولونيا
١٠٣	« موزل	تشكوسلوفاكية
١٠٤	« سنوك هوغرنيه	هولاندة
١٠٥	« اراندونك	«
١٠٦	« هوتسما	«
١٠٧	« بوهل	الدانيمارك
١٠٨	« سترستين	السويد
١٠٩	« سعيد ابو جمرة	البرازيل

ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع

— ٢ —

٢٣ — وفي ص ١١٧ :

أنت كالدلو لا عدمناك دلواً من كبار الدلا كثير الذنوب

والظاهر أن الأصل « كبير الذنوب » لأنّ الذنوب الدلو الملأى خاصة .

٢٤ — وجاء في — ص ١٤٦ — قوله :

وما أنا ممن سار بالشعر ذكرُهُ ولكن أشعاري يسيرها ذكري

وفي الكتاب المزعوم أنه « نقد النثر » — ص ٨٤ — « يسير بها ذكري » .

٢٥ — وجاء في — ص ١٦٤ — :

عنايته بالدين تشهد أنه بقوس رسول الله يرمي وينصُلُ

وقلتم في الحاشية « نصل السهمَ : أثبته في النصل » . ولا محل لهذا المعنى ، والصواب « ينضل » بالضاد المعجمة ، قال ابن فارس « النون والضاد واللام : أُصَيْل يدل على رمي ومُراماة ، ونضَلَ فلاناً ، راماه بالنضال فغلبه » .

٢٦ — وجاء في ص ١٦٦ :

أالصدق أم أُكني عن الصدق أيَّما تخيرتَ أدَّته اليك المحافل

برفع « أيّما » والصواب النصب لأنه مفعول به لـ « تخيرتَ » .

٢٧ — وورد في — ص ١٧١ — بيتان في الورد ، وهما مذكوران في « اللطائف والطرائف » وفيها « ما أخطأ الورد منك شيئاً » بدل « ما أخطأ الورد منك لوناً » في الديوان . و « حسناً وطيباً ولا ملالا » بدل « وطيب ريح ولا ملالا » في الديوان .

قال : ومما يدخل على الأذن بلا إذن قول علي بن الجهم :

زائرٌ يُهـدي الينـا نفسه في كل عام[1]
حسن الوجه ذكي الرّ يح إلفُ المُدام
عمره خمسون يوماً ثم يمضي بسلام

وقوله : ما أخطأ الورد ....

٢٨ — وجاء في ـ ص ١٧١ ـ « مغموراً ولا مجهولاً » وفي بدائع البدائه ـ ص ١٩٠ ـ « معلولاً » .

وفي ـ ص ١٧٢ ـ « إن بُزَّ عنه لباسه » وفي البدائع « ثيابه » .

٢٩ — وجاء في ـ ص ١٧٣ ـ « أو يسلبوه المال يُحزِنُ فقدُه » واللغة الفصيحة « يَحزُن » لأنَّ الثلاثي مفضل على الرُّباعي إذا استويا في المعنى ما لم ينبه على ذلك اللغويون مثل « غفا وأغفى ووحى وأوحى » .

٣٠ — وجاء في ـ ص ١٧٣ ـ « إن المصايب ما تعدَّت دينه » ولعله من غلط الطبع « المصائب » .

٣١ — ويُلحق بالصفحة ١٧٤ وجه للخبر ورَدَ في بدائع البدائه ـ ص ١٩١ ـ « حكي أنَّ علي بن الجهم قال : كنت بين يدي المتوكل وقد أتاه رسول برأس اسحاق بن اسماعيل فقال علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول وهو يرتجز :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل
برأس اسحق بن اسماعيـل

فقال المتوكل : التقطوا هذا الجوهر لا يضع » .

٣٢ — جاء في ـ ص ١٧٥ ـ « ظفر به بغا وأحرق » وفي بدائع البدائه ـ ص ١٩١ ـ « بغا الكبير » وأن الحادثة وقعت سنة « ٢٣٧ » .

---

(١) وردت هذه الأبيات في « ص ١٨١ » من الديوان .

٣٣ — وجاء في ـ ص ١٧٨ ـ :

وأنت بفضلك ألجأتهم إلى أن تعالوا بأن يكرموا

والصواب عندي « تغالَوا » أي تنافسوا ، قال عمرو بن كلثوم :

فما برحت مجال الشرب حتى تغالوها وقالوا قد روينـا

قال أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب « تغالَوها » أي تنافسوا فيها » .

٣٤ — وجاء في ص ١٨٠ « قالت لمن تَعنى فطرفك شاهد » وقلتم في الحاشية عني يعنى : خضع مستأسراً ، وفي الذكر الحكيم : « وعنت الوجوه للحي القيوم » . قلت الذي في القرآن من باب آخر هو باب « نصر ينصر » والمضبوط في الديوان من باب « فرح يفرح » فيجب أن يؤخذ بأحدهما ، قال الجوهري : « عنا : خضع وذلّ وبابه سما ومنه قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحي القيوم » ولو كان من باب « فرح » لقال « وعنيت الوجوه » .

قال الفيومي في المصباح « وعني يعنى من باب تعب إذا أصابه مشقة » وكان قال « وعني من باب تعب اذا نشب في الاسار فهو عان ... وعني الأسير من باب تعب لغة أيضاً » فهذه المعاني كلُّها صالحة لما في الديوان .

٣٥ — البيتان الأخيران في ـ ص ١٨٢ ـ من الديوان وردا في « الجزء الخامس من تلخيص مجمع الألقاب » لابن الفوطي في الترجمة « ٢٧٠ » من باب الكاف . قال مؤلفه : « رأيت بخط كمال الدين أبي علي أحمد بن محمود البرُوجردي الكاتب لعلي بن الجهم : يا بني مصعب ... » وهو مطبوع بالهند [١] :

٣٦ — حصل اختلال في كتابة الأبيات النونية ، في البيت الثاني والرابع والسابع والثامن .

(١) ورد البيتان الأولان اللذان في «ص ٢٢٢» من الديوان في نقد النثر «ص ٨٤» .

فيجب أن يكتب الثاني :

أنشدتْ فضل ألا حَيِّيتِ عَنا يا مدينا

والرابع :

أحسنت إذ لم تجاوبهم ديار الظاعنينا

والسابع :

قلت للمولى وقد دا رت حُميا الكأس فينا

والثامن :

ربَّ صوت حسن يُنبت في الرأس قرونا

٣٧ — وورد في ـ ص ١٨٧ ـ في الحاشية « وهذا علي بعده يدَّعي الشعرا » وفي بدائع البدائه ـ ص ١٥٨ ـ « وهذا علي نجلهُ يدَّعي الشعرا » . وفي البدائع تتمة القصة قال ففضحه مروان بن أبي الجنوب في ذلك المجلس ولم يحر جواباً إلا أنه قال بعد ذلك بيتين يعنيه بهما وهما :

« بلاء ليس يشبهه بلاء ... »

٣٩ — وردت مقطوعتان من شعر علي بن الجهم في « لباب الآداب » ـ ص ٣٨٠ ـ وسراج الملوك للطرطوشي ص ١٦٦ ولعلهما لم يردا في الديوان ، فالأولى :

إن الذين سعَوا اليك بباطلٍ أعداء نعمتك التي لا تُجحَدُ
شهدُوا وغبنا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائبٍ من يشهدُ
لو يجمع الخصماء عندك مجلس يوماً لبان لك الطريق الأرشدُ
فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد (أ)

(أ) هذه الأبيات من قصيدته التي قالها في السجن وأولها :

قالت حبستَ فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمد

وقد وردت جميعها في ص ٤١ من الديوان .

خليل مردم بك

وقال الطرطوشي : وأما الكتب وصفاتها فتجلّ عن الوصف ولقد أحسن ابن الجهم في قوله :

سميرٌ إذا جالسته كان مسلياً فؤادكَ مما فيه من ألم الوجدِ
يفيدك علماً أو يزيدك حكمةً وغير حسودٍ أو مصرٍّ على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافلٍ ولا خائن عهداً على قدم العهد
زمان ربيعٍ في الزمان بأسره يبيحك روضاً غير ذاوٍ ولا جعد
ينوّر أحياناً بورد بدائعٍ أخصُّ وأولى بالنفوس من الورد

٤٠ — وفاتتكم ترجمة « علي بن الجهم » في لسان الميزان لابن حجر « ج ٤ ص ٢١٠ » قال :

وأما علي بن الجهم بن بدر بن محمد ... السامي الشاعر في أيام المتوكل فكان مشهوراً بالنصب كثير الحطّ على عليّ وأهل البيت وقيل إنه كان يلعن أباه لِمَ سماه علياً ، قتل في أيام المستعين سنة تسع وأربعين ومائتين وقد وُجدت له رواية عن أبي مسهر وعنه عبد الله بن سبيط في « فوائد أبي روق اللهواني » قال أبو الفرج الاصبهاني ... وقال ابن المعتز في طبقات الشعراء : « هجا علي ابن الجهم الطاهريين [1] ونسبه (كذا) الى الرفض فاحتالوا عليه حتى أخرجه المتوكل الى خراسان فأمرُوا بصلبه بالشاذياخ ... وهجاه البحتري ... » .

٤١ — وأورد له السمعاني في ترجمة أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الشافعي قوله :

هل لك يا هند في الذي زعموا كيلا تخيب الظنونُ والتهَمُ
كم نتجافى عن الوصال فلا نسلم من حاسديك لا سلموا

(١) في المطبوع « الطاهر » .

لو شئت حققت من ظنونهم لا تؤثمهم فطالما أثموا [1]

٤٢ — وأورد له ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار من الشعر المغنَّى قوله [2] :

دعه بداري فنعم ما صنعا لو لم يكن عاشقاً لما خضعا [3]
وكلٌّ من في فؤاده وجعٌ يطلبُ شيئاً يسكن الوجعا (أ)

وارحمتا للغريب ...

فارق أحبابه ...

فالبيتان الأولان مستدركان والحمد لله تعالى على حسن توفيقه .

(بغداد) مصطفى جواد

---

(١) مختصر تاريخ بغداد للسمعاني اختصار ابن مكرم صاحب لسان العرب « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، ورقة ٥ » .

(٢) إلا أنه لم يسمّ القائل ، بل قال « ومما غنته عجيبة مغنية الكامل من اصواتها والشعر قديم » .

(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ ورقة ٢١٣ .

* * *

(أ) ورد هذان البيتان في صلة التكملة لديوان علي بن الجهم ص ٢٥٨ .

خليل مردم بك

المُغْرِب في حُلى المَغْرِب

طُبع هذا السفر النفيس بدار المعارف بمصر المحروقة بنشر نفائس الأسفار والآثار ، وحققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف الذي عرف بتهيامه بالأندلس وحضارتنا العربية فيها ، ومخطوطة المغرب التي اعتمد المحقق الفاضل عليها هي المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهي نسخة نفيسة بخط علي بن موسى بن سعيد آخر المؤلفين الستة الذين توارثوا الكتاب مدة (١١٥) سنة ينقحون ويهذبون حتى لا يعرضوا إلا الخالص من جواهر الشعر والموشحات والأزجال .

وأصل الكتاب يضم خمسة عشر سفراً : ستة منها لمصر ، وثلاثة لبلاد المغرب ، وستة للأندلس ، والأخيرة هي التي عني بنشرها ، وقد وضع لها المؤلفون اسماً يجمع أطرافها هو « وشي الطرس في حلى جزيرة الأندلس » ولم يجد المحقق من أسفار الأندلس الستة غير خمسة قدم منها للباحثين هذا الجزء الأول الذي يحتوي ثلاثة أسفار من النص إلا قليلاً .

كانت حضارتنا الأندلسية شبه مجهولة في الأقطار العربية ، فكانت الأحكام عليها ناقصة أو ظالمة ، ولذلك اعتقدت مع الناشر أن هذا النص سيدفع المؤرخين للشعر الأندلسي الى أن يعيدوا النظر في تاريخهم وما نثروه من أحكام فيه ، فيعدّلوا في هذه الأحكام تارةً ، ويلغوها ويثبتوا موضعها أحكاماً جديدة تارةً أخرى ، ولا يختلف اثنان في أن ما نشر عن الأندلس لا يزال قليلاً ، وان نشر أيّ نص جديد يسدُّ فراغاً كبيراً لما يذيعه من معانٍ وخصائص أدبية ، ولما تفتقر اليه المؤلفات والمصنفات المنشورة من نصوص أخرى تسندها وتقوم ما فيها من خلل ونقص .

وقد نشر الأستاذ عبد الله كنون في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً ممتعاً عن هذا السفر الأندلسي الجليل ، وكان المجمع قد أرسله إليّ لتقريظه ، فحذفت من

بحثي ما وافقت فيه الباحث المغربي ، واعتبرت الباقي منه ذيلاً لبحث الأستاذ كنون النفيس .

فما عثرت عليه من الأخطاء (ص ٦/٦٤) : لابن أبي دؤاد ، بالهمز ، والصواب بغير كما في الاشتقاق لابن دريد ، وفي الصفحة ٦٧ والسطر ٨ : حيّى ، والصواب رسمها بالألف حيّا ، وجاء في (٥/٨٤) : والريج ، والصواب : والريح بالحاء المهملة ، وهي بالطبع من فساد الطبع . وفي (١٥/٧٤) جاء عجز البيت الثاني : (أيّان يبدو بالأزاهر كاسى) ، والصواب : إبّان أي حين ، وصحة المعنى على ذلك ، وفي (٧/١١٦) : «أو ما ترى أوتادها قَصْد القنا» وصواب الضبط (قِصَد) بكسر القاف وفتح الصاد جمع قِصْدة من القصد وهو الكسر ، جاء في اللسان : والقصدة الكسرة منه والجمع قِصَد ، يقال القنا قِصَد ... وأنشد أبو عبيد لقيس بن الخطيم :

ترى قِصَد المرّان تلقى كأنها تذرّع خِرصان بأيدي الشواطب

وفي (١٢/١٢٢) بين رقْها ومدادِها ، وصواب الضبط الذي لم يذكر في الاستدراكات آخر الكتاب (بين رقِّها) بكسر القاف للإضافة ؛ وفي (٢/١٨٤) : أنشد له صاحب سفط اللآلئ ، وفي السطر ١٤ من هذه الصفحة (من السقط) ، والسفط والسقط كتاب واحد واسمه الكامل (سمط الجمان وسقط اللآلي وسقط الجمان) كما هو مذكور في الصفحة ١٥ ، وهو لأبي عمرو ابن الإمام ، ذكر فيه من أخلّ ابن خاقان وابن بسام بتوفية حقه من الفضلاء .

وفي (١٣/٢٤٣) : أمسكَ دارين ، وصواب الضبط : أمسكُ ... بالضم ، وقد روي البيت التالي (بشاطئ النهر حيث النُّور مؤتنق) ، وفي الحاشية (٣) في المطمح : الروض ، ويستقيم المعنى على رواية المطمح ولا يستقيم بضبط (النور) بضم النون ، فالصواب أن يضبط بفتحها بمعنى الزهر لأنه يؤنق الناظر

أي يعجبه منظره قال صاحب اللسان : وعلى هذا يكون قولهم (روضة أنيق) في معنى مأنوقة أي محبوبه ، وأما أنيقة فبمعنى مؤنقة ، يقال : آنقني الشيء فهو مؤنق وأنيق ، ومثله مؤلم وأليم .

وفي (٣/٢٥٦) : ومن بُعْدِ ، وصواب الرواية بضم عين (بعد) مجاراةً لضمة الباء وحفظاً لوزن الشعر ، وفي (٨/٢٧٥) كالغصن النفير ، والصواب النضير ، وهو بيِّن ؛ وفي (٥/٢٨١) : قل له اشنهُ يا فتي ذا الكلام ، من زجل لأبي عبد الله بن خاطب ، والتعبير أندلسي عاميٌّ ، وهو باقٍ على ألسنة المغاربة الى يومنا هذا يلفظونه (إشِنْهُ) أي أيّ شيء هو على النحت .

وفي (١٢/٣٣٩) : والزرع والضرع : والنخل والنتاج ، ولعل الصواب : والنخل مقابلة (للزرع) ، ويكون النتاج مقابلاً (للضرع) .

ومن أخطاء العروض (١٦/٤١٣) : عيَّرتِني بسقامٍ وضنى ، والصواب : (عيَّرتني) بجعل التاء للتأنيث والشعر من بحر الرمل .

وفي هذا السفر النفيس كثير من ألفاظ اللغة التي عرَّبها الأندلسيون واستعملوها في كلامهم مثل (البلينة) تعريب Baleine التي نترجمها بالحوت ، وأنواع الحيتان لا تحصى ، وكان أبو عثمان سعيد بن عثمان معروفاً بالبلينة ، وضبط في الصفحة (١٩٢) بفتح الباء وسكون اللام مع فتح الياء ، ولعل اللفظ كان بلينة بكسر اللام وزان عجينة ، ونحن في حاجة الى مثل هذا التعريب الموافق لأوزان لغتنا العربية ؛ واستعمل الأندلسيون مثلنا كلمة (يتفرَّج) ، ويجوّزها اشتقاقها من الفرَج ، وكلمة (جرّس) بالمعنى الذي نستعمله في الشام ، لأنهم كانوا يقرعون الجرس على رأس الذي تراد فضيحته بين الناس .

وهنالك ألفاظ غير بينة الدلالة ، وكان على الناشر شرحها مثل لفظة (شراجيب) الواردة في الصحفة (١٤/٢٩٣) : أكثر شراجيبها منقوشة مذهبة

تخطف الأبصار ، والشرجب في لغتنا الفصحى الطويل ، وهو أيضاً نعت الفرس الجواد ، فالشراجيب غير بينة المراد .

وفي الكتاب روائع من شعر الأندلس الموافق للطبع والطبيعة ، ويحسن بي لإمتاع القرّاء والزرّاع أن أختم هذه العجالة ، أو أُطرّز ذيل بحث ابن كنون بهذين البيتين ، والمعنى فيهما طريف وصحيح يوافق ما أقرته الزراعة الحديثة ، وهما لأبي يحيى بن هشام شيخ كتاب الأندلس في عصره ، وان لم يكن من شيوخ الشعراء :

لاموا على حبّ الصِّبا والكاسِ لما بدا وضَح المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لسقيه إبّان يبدو بالأزاهر كاسي

التنوخي

(جَوْقة) أم (كَوْرَس) ؟

في (الوصلات) الغنائية ، في دار الإذاعة السورية يقول المذيع : (والآن تستمعون الى أغنية ... يقدمها كورس الاذاعة) .

استدعت كلمة (الكورس) هذه انتباهي منذ أمد لغرابتها فتساءلت ما منشأ هذه الكلمة ؟ أهي عربية الأصل أم هي افرنجية معرّبة وما اشتقاقها إن كانت كذلك ؟

رجعت الى ما في يدي من النصوص فتبين لي ما أذكره فيما يلي ليرى القارئ كيف تتسرّب الكلمات الأعجمية الى لساننا من الأفواه سماعاً بعضنا من بعض وتقليداً دون تروٍّ ولا تمحيص .

(chorus وتلفظ باللاتينية ‹قورُس koruss بضمتين ثقيلتين ، وبالفرنسية

choeur كُور بضمة خفيفة مبسوطة وهذه من اليونانية Khoros وتقرأ خُورُس بضمتين ثقيلتين) . ويعنون بخورس هذه : (جماعة من الناس يقومون بنشيد أو بغناء) ، و (جماعة من الموسيقيين يغنّون سواء) ، و («التَّخْت» أو المحل يجلس عليه هؤلاء) .

وكلمة (خوروس) انتقلت من اليونانية الى التركية بلفظها تماماً ، ولكن لا الى (جماعة المغنّين) بل الى (جماعة الدَّبكة) التي تصيح (وصياحها نوع من الغناء على المجاز) . والترك يستعملون (خُورا khora) من اليونانية أيضاً (لجماعة من الرجال والنساء يلتفّ بعضهم الى بعض حَلَقة يهزجون ويرقصون مثلما يفعل أهل القرى عندنا في «الدبْكة») .

فالكَوْرَس (الأصح خُورُس) لدى الإذاعة ما هو إلا (جَوْقَة) من الموسيقيين يغنّون ويعزفون جميعاً .

والجوقة ، لغةً : (الجماعةُ منّا) . تقول (جوّقهم تجويقاً ، جمّعهم) و (جوّق عليه ، جلّب وصيّح) و (تجوّقوا ، تجمّعوا) .

ففي كل ما يشتق منها ، معنى (الجَمْع والجَمَاعة ، والجَلَبة والصياح) . والعامة تستعمل كلمة (جوقة) الفصحى لما يقصده المذيع من كلمة (كورس) الأعجمية فيقولون (جوقة أم كلثوم ، وجوقة طرب عبد الوهاب ... الخ .) .

أليس المذيع - بعد هذا - بأحق من العامة أن يعدل عن الكلمة الأعجمية الى الكلمة الفصحى حين تقديمه (جوقة الإذاعة) الى مستمعيه ليصغوا الى أنغام آلاتهم الشجية ، ويهدّءوا أعصابهم المضطربة ، بسحر (معزوفاتهم) الطلية خصوصاً إذا كانت من (المقامات) المدرسية (كلاسيك) لا السوقية .

الكواكبي

أخطاء شائعة

(الرماح الردينية)

الرماح في حروب العرب لها أهميتها البالغة لأنها سلاح الكر والفر وظلت سلاحاً مهماً الى أوائل هذا القرن حيث قضت البندقية والمدفع على كل شيء ، ولهذا كثر تغني الشعراء بالرماح الخطية والردينية والخطية منسوبة الى الخط [1] وهي ساحل بلاد البحرين والقطيف . ويقال إنها - أي الرماح - كانت ترد بمراكب الهنـد الى دارين ميناء الخط فتثقف هنا فتباع فتنسب الى الخط ، كما يقال ان الردينية منسوبة الى امرأة اسمها ردينة تثقف الرماح .

هذا ما هو مشهور ولكن هناك ما ينفي هذه التعليلات لأن الرماح أو القنا من فصيلة القصب الصمد (المصمت) غير المجوف وهو من نباتات المستنقعات والمناطق الحارة والخط هو بلاد المستنقعات وحار الطقس فلا يبعد أن يكون القنا ينبت فيه ، وفي جزيرة دارين نفسها الآن عين ماء اسمها أم القنا وتجاورها عين أخرى اسمها أم الفرسان فلا بد أن هناك علاقة بين الفرسان والقنا وهذه الأسماء لا تطلق إلا على مسميات فهناك عيون أخرى تسمى بأم البردي وأم القصب وأم زمزوم (والزمزوم دوحة الأسل) وهذه الأسماء الباقية تدل على أصولها فان نفس جزيرة دارين كانت ولا تزال تسمى جزيرة تاروت لأن فيها هيكل الالهة عشتاروت .

---

(١) الخط خط السيف اي الساحل حدده ابن مقرب بقوله (وطوعوا الخط من ماج الى قطر) والمراد به خط السواد اي النخيل لأن ينابيع المياه تمتد من زاوية خليج سلوى (قطر) جنوباً الى ماج في وادي المياه شمالاً وهذا الخط كان مملوءاً بالمدن والقرى والأنهار ودفنت الرمال أغلبها وبدلت بالنخيل البرية ولحروب القرامطة أثر كبير في خراب تلك البلدان ولم تر هذه الأصقاع امناً إلا بعد ان تولاها الملك عبد العزيز آل سعود فدبت فيها الحياة ثانية .

ولا يبعد أن تكون رواية قنا الهند هذه ليست ببعيدة من رواية الرماح الردينية وهم ينسبونها الى ردينة ويزعمون أنها امرأة تثقف الرماح ولكون الاسم ورد بالتأنيث تبادر الى أذهانهم أنها امرأة مع أن ردينة أو الردينية أو الردينيات بلاد لا تزال آثارها باقية ومحتفظة باسمها وهي تقع في وادي المياه (وادي الستار سابقاً) من نقرة بني خالد تبعد أربع مراحل عن القطيف الى الشمال وتبعد عن الساحل قرابة ١٠٠ كيلومتر ووادي المياه هذا يحتوي على عدة بلدان وردت أسماؤها في أشعار العرب القديمة منها نطاع والصرار وحنيذ وثاج والردينية والحناءة وهي ذات عيون جارية ومستنقعات لا يبعد أن تنبت فيها الرماح قال النابغة :

أثيث نبته جعد ثراه به عوذ المطافل والمتالي

يكشفن الألاء مزينات بغاب (ردينة) السحم الطوال

وهذا يدل على أنها ذات مستنقعات وغاب نباته أسود كثيف طويل ولا يكون بهذه الصفة إلا غاب الرماح . وهنا يبدو لنا سؤال لماذا ينسب العرب الرماح الى الخط وهي من الهند ، مع أنهم ينسبون السيوف الى الهند نفسها ويميزون بينها وبين اليمانية ، والرماح مع السيوف صنوان في أهم شؤونهم الحربية . وهناك أيضاً ورود كلمة التثقيف وان البلدة الفلانية تثقف فيها الرماح وهذا لا يكون إلا أن تكون الرماح من نباتات البلد نفسها لأن الرماح لا تأتي من الهند إلا مثقفة ومهما كان من الأمر فان الحقيقة التي لا مراء فيها أن ردينة بلدة لا امرأة والله الموفق للصواب .

(الظهران ـ القطيف) خالد بن محمد الفرج

فهرس الجزء الأول من المجلد الثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الاستاذ مرجليوث
٥ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٦ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٧ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃 〃
١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢١ — « « « « (الجزء الثاني) « « « «

٢٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش

٢٣ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٤ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٦ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٧ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين.

٢٨ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٩ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٠ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣١ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٢ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي

٣٣ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي

٣٤ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي

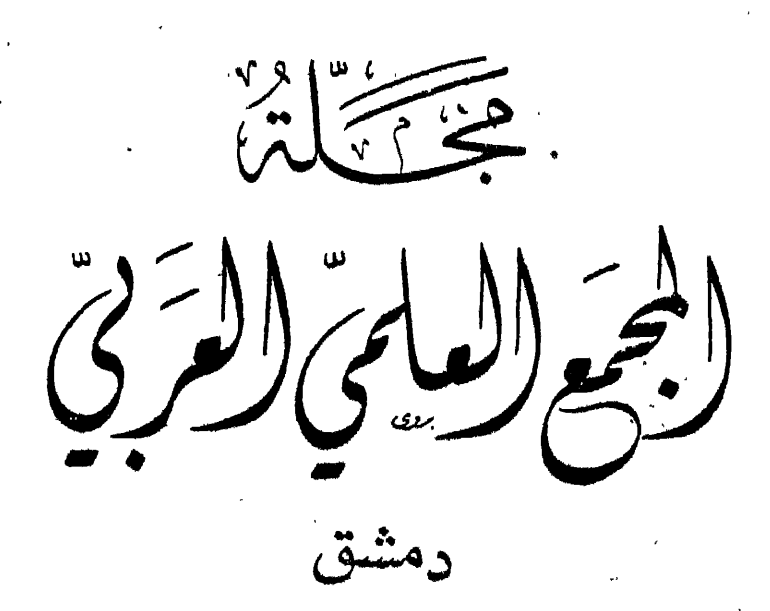
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٥ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٦ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٧ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الثاني | المجلد الثلاثون



دمشق



١ نيسان سنة ١٩٥٥ م
٨ شعبان سنة ١٣٧٤ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

مجلة



١ نيسان سنة ١٩٥٥ ٨ شعبان سنة ١٣٧٤

جرير

— ١ —

هو أبو حَزْرَة جرير بن عطية بن الخَطَفى ، واسم الخَطَفى حُذَيفة وانما لقب بالخطفى لقوله من أرجوزة :

« وعَنَقاً بعد الرسيم خَيْطَفا (١) »

ينتهي نسب جرير الى كليب بن يربوع ، وكليب ويربوع بطنان من تميم إحدى قبائل العرب المضرية . وأم جرير أم قيس بنت معيد من بني كليب ، فهو كليبي من أبويه .

ولد جرير باليمامة من نجد حوالي سنة ثلاثين ، وحملتْ به أمه سبعة أشهر ، وعيَّره الفرزدق ذلك بقوله :

« وأنت ابن صغرى لم تتم شهورها »

(١) نقائض جرير والفرزدق ج ١ ص ١ والاشتقاق لابن دريد ص ١٤١ . والخيطفة : السرعة .

ونسج الرواة حول تسميته بجرير خبراً رواه صاحب الأغاني[1] وهو :
«رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثير . فانتبهت فزعة ، فأولت الرؤيا ، فقيل لها تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشكيمة وبلاء على الناس . فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها . والجرير : «الحبل» وكانت ترقصه وهو طفل بقولها :

قصصتُ رؤياي على ذاك الرجلْ فقال لي قولاً وليتَ لم يقلْ
لتلدنّ عضلةً من العضلْ ذا منطقٍ جزلٍ إذا قال فصلْ
مثل الحسام العضب ما مسّ قصلْ يعدل ذا الميل وإمّا يعتدلْ »

أما أبوه عطية فلم يكن ذا شأنٍ يذكر ، بل وصفوه بالمهانة والشح ، ورووا أن جريراً كان عاقاً له ، وأنه كان يقول الشعر ولكنه لم يشتهر به ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٩٧ وروى صاحب النقائض شيئاً من شعره[2] .

وأما الخَطَفَى جد جرير فقد كان يقول الشعر أيضاً ، ولقب كما تقدم ببيت قاله من أرجوزة ، وكان أعلى شأناً من عطية لم يرمَ بما يعيبه ، بل كان حفيده جرير يفخر به على الفرزدق قال :

بنى الخطفى حتى رضينا بناءه فهل أنت إن لم يرضك القينُ قاتلهْ[3]

وذكر محمد بن حبيب أن الخطفى كان ذا مالٍ كثير .

وأما كليب — القبيلة التي ينتسب اليها جرير — فلم يكن يفخر بها لقلة مآثرها ، ولم يذكرها في شعره إلا قليلاً قال :

(١) الأغاني ج ٨ ص ٤٩ .
(٢) النقائض ج ١ ص ٢ .
(٣) ديوان جرير طبعة الصاوي ص ٤٨٣ .

« ويرمي نضالاً عن كليبٍ جريرها » [1]

بل كان يتخطاها الى يربوع فيفخر بها في مواضع كثيرة من شعره .

نشأ جرير باليمامة نشأة بدوية ، فكان يرعى الغنم لأبيه ، وقال الشعر في حياة أبيه وجده . ورد في النقائض [2] أن أول شعر قاله جرير أرجوزة يهجو بها غسان السليطي أولها :

« لا تحسبني عن سَليط غافــلا »

وقال محمد بن حبيب بل إن أول شعر قاله قصيدة مطلعها :

ألا حي رَهبى ثم حي المطاليا فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

وهي عتاب لجده الخَطَفَى ، وذلك أنه استنحله من ماله ـ وكان ذا مالٍ كثير ـ فقال أنحلك كما نحلت عميك عطاءً وحزاماً ، وكان ينحل كل واحد من بنيه ربع ماله ، وكان الربع في هذا العام قليلاً ؛ فتسخطه جرير وقال : قد صرتُ شيخاً من بنيك وأبا عيال ، وعاتبه واستزاده فلم يزده ، وفي تلك القصيدة يقول جرير :

فردي جمال الحي ثم تحمّلي فما لك فيهم من مقامٍ ولا ليا

وإني لمغرورٌ أُعلل بالمــنى ليالِيَ أرجو أن مالك ماليا

فأنت أبي ما لم تكن لي حاجةٌ فإنْ عرضتْ أيقنتُ أن لا أباليا

وكان ذلك في خلافة معاوية ، لأن يزيد بن معاوية تمثل بأبيات منها أمام أبيه . أما أبياتها الأخيرة التي يهجو بها الفرزدق فقد روي أن جريراً ألحقها بالقصيدة بعد عشرين سنة .

وظل جرير غير مشهور حتى وقعت المهاجاة بينه وبين الفرزدق في أواخر أيام

---

(١) ديوان جرير ص ٢٩٤ .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ص ٢ .

معاوية ، وروي أن جريراً قدم على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ألاّ يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره ، فقال جرير قولوا له أنا القائل :

فردي جمال الحي ثم تحمّلي فمالك فيهم من مقامٍ ولا ليا

الأبيات ... وكان يزيد عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها الى نفسه لأن جريراً لم يكن شعره شهر حينئذ . فأمر بإدخاله ، فلما أنشده قال يزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني قائلها . وأمر له بجائزة وكسوة [1] . على أنه ليس في ديوان جرير المطبوع شيء مدح به جرير يزيد بن معاوية .

ولم يروَ عن جرير بعد ذلك أنه اتصل بأحد من الخلفاء أو عمالهم الى أن وفد على الحكم بن أيوب الثقفي ابن عم الحجاج وزوج أخته وخليفته على البصرة ، فمدحه بأرجوزة يقول فيها :

... حتى تناهين الى باب الحكمْ خليفة الحجاج غــير المتهمْ

فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم عليّ أعرابي شيطان من الشياطين ، فكتب اليه أن ابعث به إليّ ، ففعل ؛ فقدم جرير على الحجاج فأكرمه ـ ولجرير عدة قصائد يمدحه بها ـ وقدمه الحجاج الى عبد الملك بن مروان بدمشق مع ابنه محمد بن الحجاج ، فحجبه عبد الملك ـ وكان لا يسمع من شعراء مضر لأنهم كانوا زبيرية ـ فشفع له محمد وقال إنه لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه ، وما زال به حتى أذن له وسمع قصيدته وأجازه عليها وهي التي يقول فيها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

ولجرير في عبد الملك عدة قصائد أيضاً . ومنذ ذلك الحين أصبح من شعراء

(١) الأغاني ج ٨ ص ٥٠ .

بني أمية يفد على خلفائهم ويمدحهم واحداً بعد واحد ، فقد مدح بعد عبد الملك أبناءه الأربعة الوليد وسليمان ويزيد وهشاماً ؛ ومدح عمر بن عبد العزيز كما مدح طائفة من أمراء بني أمية وولاتهم .

وربما كان أعظم حوادث حياته المهاجاة التي وقعت بينه وبين الفرزدق واستمرت نحواً من خمسين سنة ، وكان يناصر الفرزدق جيش من الشعراء يتجاوز عددهم الأربعين ، فصمد لهم جرير وحده وأسقطهم واحداً بعد واحد ، ولم يثبت له إلاّ الفرزدق والأخطل .

وكان لجرير إخوة ذكر منهم عمرو وكان أكبر من جرير ويقول الشعر ، وأبو الورد وحكيم وقد ذكرهم جرير في شعره . قال صاحب الأغاني[1] : أما أبو الورد فكان يحسد جريراً فذهبت لجرير إبل فشمت به أبو الورد ، فقال جرير :

أبا الورد أبقى الله منها بقيةً　　كفت كلَّ لوّامٍ خذولٍ وحاسدِ

وقال يعاتب حكيماً وعَمْراً :

رأيتك يا حكيم علاك شيبٌ　　ولكن ما لحلمك لا يثوبُ[2]

وعمرٌو قد كرهت عتابَ عمرٍو　　وقد كثر المعاتبُ والذُّنوبُ

وقد ماتا قبله فرثاهما بقوله :

خليليَّ كم من زفرةٍ قد رددتها　　ومن ظالمةٍ وارتْ عليَّ ضحىً تجْرا[3]

إذا ما دعا قومٌ عليَّ أخاهمُ　　دعوتُ فلم أسمع حكيما ولا عمْرا

وزوجات جرير : أم حزرة وهي خالدة بنت سعد بن أوس من بني كليب ،

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٥٠ .
(٢) ديوان جرير ص ٣٨ .
(٣) ديوان جرير ص ٢٢٢ .

كان جرير يحبها كثيراً ويتغزل بها [١] ، وتوفيت قبله ودفنت بنعف بُلَّيه [٢] فرثاها بقصيدة من حر الشعر مطلعها :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرت قبرك والحبيب يزارُ [٣]

وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لذهابها في البلاد [٣] .

ومن زوجاته أمامة بنت عمر بن حرام من بني كليب ، ولدت له من البنين عكرمة وموسى ، ومن البنات موفية وجَبَلة وزيداء وجُمادة [٤] . وكان يتغزل بها أيضاً من ذلك قوله :

ودّع أمامة حان منك رحيلُ إن الوداعَ لمن تحب قليلُ

وذكرها في عدة مواضع من شعره . ومن زوجاته زرة الديلمية كانت تكنى بأم حكيم ولدت له بلالاً ونوحاً وهي مولاة ديلية ذكرها في شعره فقال :

إذا عرضوا ألفين فيها تعرضتْ لأمّ حكيمٍ حاجةٌ في فؤاديا [٥]
لقد زدتِ أهلَ الريِّ عندي ملاحةً وحببتِ أضعافاً إليَّ المواليا

وورد ذكرها أيضاً في ص ٢٢٠ من الديوان . وورد في ص ٥٠٠ من شرح النقائض أن له امرأة اسمها سلمى ولم يزد على ذلك في تعريفها . وقد ورد ذكر سلمى في شعر جرير كثيراً من ذلك قوله :

ألما على سلمى فلم تَرَ مثلها خليلَ مصافاةٍ يُزارُ ويمدحُ

أما أولاده وأولاد أولاده فقد بلغوا في حياته عدداً كبيراً حتى كاد جرير يخطئُ في إحصائهم قال :

---

(١) انظر ديوان جرير ص ٦٠ و ٢٥٣ و ٣٦٧ و ٤٤٩ و ٦٩٦ .
(٢) ديوان جرير ص ٢٠٠ .
(٣) ديوان جرير ص ١٩٩ .
(٤) نقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٣ .
(٥) ديوان جرير ص ٥٩٩ .

ماذا ترى في عيال قد برمتُ بهم لم تُحصَ عدتهم إلاّ بعدّادِ (١)

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيةً لولا رجاؤك قد قتّلتُ أولادي

ذكر من البنين منهم حزرة ، ولعله أكبر أولاده لأنه كان يكنى به فيقال له أبو حزرة ، ذكره في شعره فقال :

يا حَزْرَ أشبهْ منطقي وأجلادْ وكَرّ ياني الأمر بعد الإيرادْ (٢)

وعدوتي في أول الجمع العادْ وحسبي عند بقايا الأزوادْ

وحبي الضيف الى جنب الزادْ

وأم حزرة خالدة بنت سعد ، وكان حزرة شاعراً قال جرير :

فإن لآخر الشعراء مني كما للأولين من النكالِ (٣)

مواسم ما بقيت لهم وبعدي مواسم عند حزرة أو بلال

ومنهم سوادة توفي قبل جرير بالشام ورثاه بقصيدة أولها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم من للعرين إذا فارقتُ أشبالي (٤)

ومنهم نوح وبلال وأمها ديلمية وكلاهما شاعر مقل (٥) ، قال جرير يذكر بلالاً :

إن بلالاً لم تشنه أُمُّهُ لم يتناسب خاله وعَمُّهُ (٦)

يشفي الصداع ريحه وشمه ويذهب الهموم عني ضمه

كأن ريح المسك مستحمه

---

(١) ديوان جرير ص ١٥٦ .
(٢) ديوان جرير ص ١٣٩ .
(٣) ديوان جرير ص ٤٢٦ .
(٤) ديوان جرير ص ٤٣ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٩
(٦) ديوان جرير ص ٥٢٣ .

ولكن بلالاً هذا خرج عاقاً لأبيه ، وقد ترجم له ابن عساكر في التاريخ الكبير [١] وروى شيئاً من شعره وذكر أنه ولي بعض الأعمال في اليمامة .

وورد ذكر نوح في شعر جرير قال :

وتعجب من شحوبي أم نوحٍ ... وما قاست رواحي وابتكاري [٢]

ومن شعر نوح قوله :

ألا قد أرى أن المنايا تصيبني ... فما ليَ عنهن انصرافٌ ولا بُدُّ [٣]

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتتي ... ولكن بنجدٍ حبذا بلداً نجدُ

بلادٌ نأتْ عنها البراغيث والتقى ... بها العين والآرام والعفر والربد

ومنهم عكرمة وموسى وأمها أمامة بنت عمر [٤] . ومنهم حجناء [٥] .

ومن بناته موفية وجبَلة وزيداء وجمادة وأمهن أمامة بنت عمر : تزوج زيداء كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطفى فولدت له مسحلاً وأيوب وكانت تكنى بأم مسحل . قال جرير في زيداء وقد خطبها ناس من بني كليب فكرهتهم :

تضجُّ زيداء من الخُطّابِ ... من قَطَريين ومن ضَبابِ [٦]

ومن أبي الدعجاء كالصُّواب ... ومن مجيبرٍ فاتحِ العِيابِ

وقال يذكر جُمادة :

لما ارتحلنا ونحو الشام نيتنا ... قالت جُمادةُ هذي نيةٌ قُذُفُ [٧]

(١) ابن عساكر ج ٣ ص ٢٩٧ .
(٢) ديوان جرير ص ٢٢٠ .
(٣) معجم البلدان مادة نجد .
(٤) نقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٣ .
(٥) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٥٣ .
(٦) ديوان جرير ص ٥٥ .
(٧) ديوان جرير ص ٣٨٧ .

ومن بناته أم غيلان ذكرها جرير في شعره فقال :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطيّ بنائم[١]

تزوجها الأبلق التيمي وذلك أن جريراً أصابته حمرة فتورم فأتي له بالأبلق وكان يرقي منها ويداويها ، فقال له ما تجعل لي إن داويتك حتى تبرأ ؟ قال له جرير أجعل لك حكمك ، فلما برئ احتكم الأبلق أن يزوجه جرير بنته أم غيلان ، وكان جرير وفياً فزوجه إياها فقال الفرزدق :

لئن أم غيلان استحلّ حرامها حمارُ الغضا من تفل ما كان ريقّا[٢]

فما نال راقٍ مثلها من لعابه علمناه ممن سار غرباً وشرّقا

ومن بناته زينب خطبها ابن عم لجرير فلم تزل به زوجته أمامة وهو لا يريد تزويجها حتى زوجه إياها فقال :

وغرتنا أمامة فافتحلنا عصيدة إذ تنجبت الفحول[٣]

إذا ما كان فحلك فحل سوء خلجت الفحل أو لؤم الفصيل

ومن أحفاده عقيل بن بلال كان شاعراً[٤] . وابنه عمارة بن عقيل كان شاعراً مجيداً مكثراً فضّله بعضهم على جرير ، وبقي الى أيام المتوكل ، وأفرد له صاحب الأغاني[٥] ترجمةً واسعةً وقرّظه وأثنى عليه . وترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[٦] والأنباري في طبقات الأدباء[٧] .

ويقول ابن دريد في الاشتقاق[٨] «ولجرير عقب باليمامة كثير» وفيما يلي شجرة تحمل أسماء من وقفنا على ذكرهم من بني الخَطَفَى جد جرير :

---

(١) النقائض ص ٤٥٤ .

(٢) النقائض ص ٨٤٠ .

(٣) نقائض جرير والفرزدق ص ٨٤٣ وديوان جرير ص ٤١٦ .

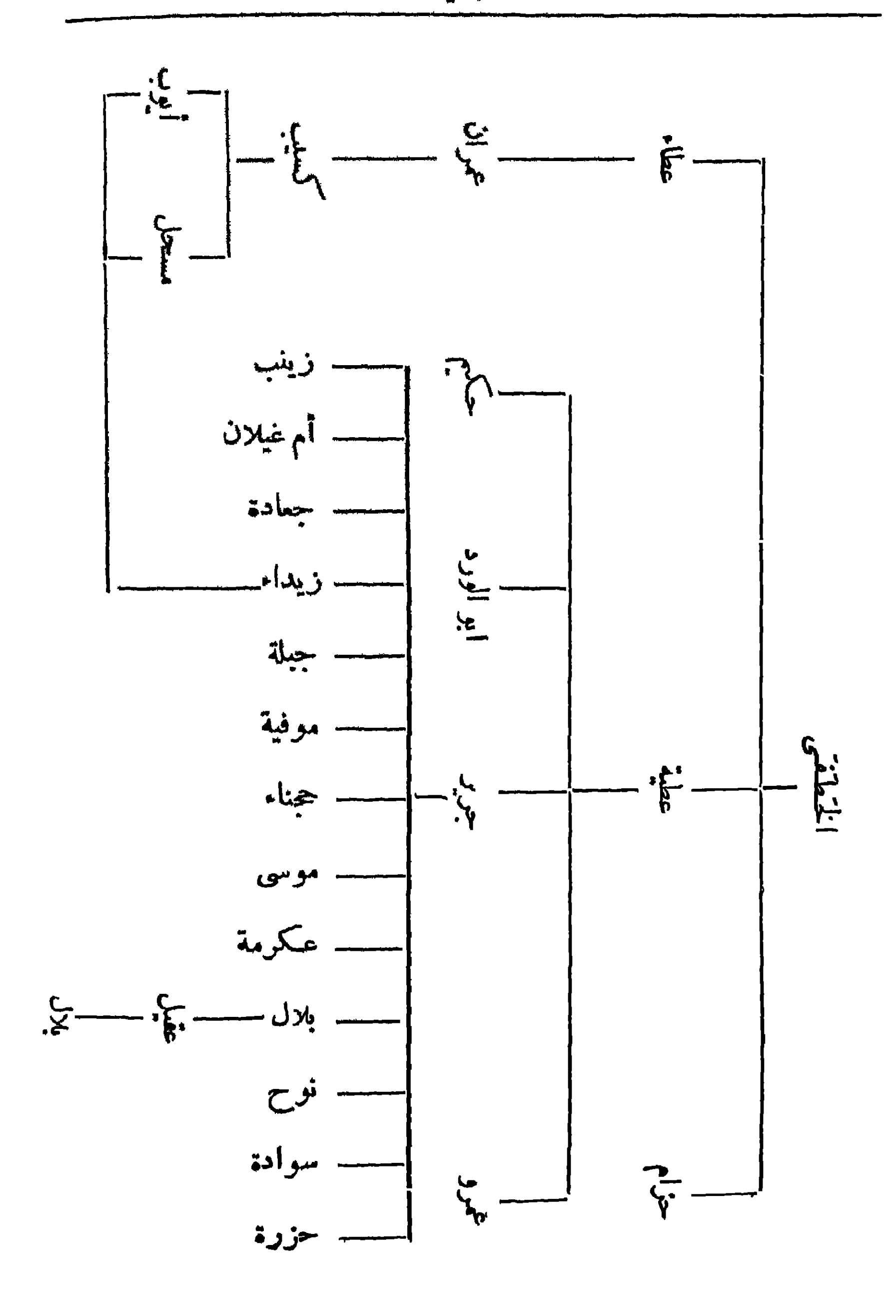
(٤) الفهرست لابن النديم ص ١٥٩ .

(٥) الأغاني ج ٢٠ ص ١٨٣ .

(٦) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٨٢ .

(٧) طبقات الأدباء ص ٢٣٣ .

(٨) الاشتقاق ص ١٤٢ .


الخطفى
عطية
ابو الورد
جرير
عمرو
زينب
أم غيلان
جمادة
زيداء
جبلة
موفية
حجناء
موسى
عكرمة
بلال
نوح
سوادة
حزرة

ومن رواة شعر جرير مربع الكلابي [١] وفيه يقول :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً   أبشر بطول سلامة يا مربع [٢]

ومنهم آخر اسمه الحسين [٣] .

ووفد جرير الى الشام كثيراً يمدح الخلفاء والأمراء ، وأكثر في شعره من ذكر الشام وذكر أمكنتها كالموقّر بالبلقاء وبها كان ينزل يزيد بن عبد الملك ، قال :

هل مثل حاجتنا اليكم حاجةٌ   أو مثل جاري بالموقّر جارُ [٤]

وقال :

أشاعت قريشٌ للفرزدق خزيةً   وتلك الوفود النازلون الموقّرا [٥]

وقال يذكر الرصافة وبها كان ينزل هشام بن عبد الملك :

إن الرصافة منزلٌ لخليفةٍ   جمع المكارمَ والعزائمَ والتقى [٦]

وقال يذكر بردى وتوما :

لا وِرد للقوم إن لم يعرفوا بردى   إذا تجوّبَ عن أعناقها السدفُ [٧]

صبحن توماء والناقوس يقرعه   قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تجف

وقال يذكر لبنان :

وتزعم أن البين لا يشعف الفتى   بلى مثل بيني يوم لبنان يشعف [٨]

وذهب الى مكة حاجاً والى المدينة زائراً ، وكان يذهب الى العراق يمدح الولاة ، وفي شعره ما يشير الى ذهابه الى مصر مادحاً عبد العزيز بن مروان قال :

---

(١) النقائض ص ٩٧٥ .

(٢) ديوان جرير ص ٣٤٨ .

(٣) النقائض ص ٤٣٠ .

(٤) ديوان جرير ص ٢١٨ .

(٥) ديوان جرير ص ٢٤٨ .

(٦) ديوان جرير ص ٤ .

(٧) ديوان جرير ص ٣٨٨ .

(٨) ديوان جرير ص ٣٧٣ .

طلبن ابن ليلى من رجاء فضوله ولولا ابن ليلى ما وردن بنا مصرا [1]

وذكر في شعره النيل فقال :

مخالفو اللؤم آلى لا يفارقهم حتى يرد على أدراجه النيل [2]

وتوفي جرير باليمامة بعد الفرزدق بأشهر سنة ١١٠ وقيل سنة ١١١ وقبره فيها ، وعمر نيفاً وثمانين سنة .

صفته وأخلاقه

ولد جرير لسبعة أشهر فظل جسمه نحيفاً ، وقد أشار صاحب الأغاني الى ما يدل على ذلك مرتين ، مرةً شبهه بالفرخ حينما أدخل على الحجاج بواسط [3] ، ووصفه مرةً أخرى بما يشعر بضآلة جسمه لما قرنه عمر بن عبد العزيز بالمدينة مع عمر بن لجأ بحبل ، حين تقاذفا [4] .

وكان جريرٌ أخنّ كأنما يخرج كلامه من أنفه ، وصفه صاحب الأغاني وهو ينشد بيتاً من الشعر فقال [5] : « ثم قال بغنته قولاً يخرج الكلام به من أنفه وكان كلامه كأن فيه نوناً » .

وكان حسن الشعر يرسله [6] كما يرسل لحيته [7] وفي شعره ما يشير الى أنه كان يخضبها لما أدركه المشيب قال :

ورأت بلحيته خضاباً راعها والويل للفتيات من خضب اللحى [8]

وكان يلبس برنس خز ويضع على رأسه قلنسوة ويرتدي الحلل والجبب التي

(١) ديوان جرير ص ٢٢٣ .
(٢) ديوان جرير ص ٤١٩ .
(٣) الأغاني ج ٨ ص ٧٥ .
(٤) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .
(٥) الأغاني ج ٨ ص ٨٢ .
(٦) الأغاني ج ٨ ص ٣١ .
(٧) الأغاني ج ٨ ص ١٣ .
(٨) ديوان جرير ص ٤ .

كانت تهدى اليه [(١)] ، ولكنه لم يكن يلبس العباءة بل يعير الأخطل لبسها قال :

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومةُ النشوانِ [(٢)]

وجرير على خبث لسانه في الهجاء كان عفيفاً ديِّناً تقياً وفياً يطيل التسبيح والاستغفار ، ويختم مجلسه بالتسبيح فيطيل [(٣)] ، وكان لا يتكلم إذا صلى الصبح حتى تطلع الشمس ولو تناحر الحي [(٤)] وكان على فروسيته من أشد الناس فرقاً من السلطان [(٥)] ، ولعل ذلك هو الذي جعل هواه السياسي مع بني أمية فلم ينصر ابن الزبير بيده أو لسانه مع أن جمهرة شعراء مضر كانوا زبيرية ، بل كان يمدح بني أمية ويشتم خصومهم كابن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث وابن المهلب ، ولم يكن يدخل فيما لا يعنيه ، إلاّ مرةً واحدة مدح الوليد ابن عبد الملك وحضه على البيعة لولده عبد العزيز قال :

الى عبد العزيز سمت عيون الر عيــة إن تخيّرتِ الرِّعاءُ [(٦)]

رأوا عبدَ العزيز وليَّ عهــدٍ وما ظلموا بذاك ولا أساؤا

فزحلفها بأزفلها اليــه أمــير المؤمنين إذا تشاءُ

وكان على مرارة خصومته مستقيماً ، لم يمدح أحداً فهجاه ، ولم يهج أحداً فمدحه ، يتكسب بالمدح ويقنع بما يقيم أوده ، فكانت جائزته من خلفاء بني أمية أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وحملان ، ولم يكن عادةً يأخذها أكثر من مرة في السنة يتحمل في سبيلها مشاقّ الرحلة من اليمامة الى الشام ، فلما شاخ وعجز عن السفر بعث بقصيدةٍ الى هشام بن عبد الملك مع ابنه عكرمة [(٧)] ، ولذلك لم يكن في خفض من العيش بل كان عيشه أدنى

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٥ وص ٢٢ وص ٤٤ وص ٦٥ .
(٢) ديوان جرير ص ٥٧٣ .
(٣) الأغاني ج ٨ ص ٤٤ .
(٤) النقائض ص ٨ .
(٥) النقائض ص ٣٢ .
(٦) ديوان جرير ص ٩ .
(٧) ديوان جرير ص ٥٠٢ .

الى الخشونة . اشترى مرة جارية من زيد بن النجار فاستخشنت عيشه ووجدته عجوزاً ففركته فقال :

تكلفني معيشةَ آل زيدٍ ومن لي بالمرقّقِ والصِّنابِ [١]
وقالت لا تضم كضم زيدٍ وما ضمي وليس معي شبابي

فقال له الفرزدق :

إن تفركك علجة آل زيدٍ ويعوزك المرقّق والصِّنابُ
فقدماً كان عيشُ أبيك مُرّاً يعيش بما تعيشُ به الكلابُ

وهو وإن رحل الى الحضر كثيراً ، فقد كان في اليمامة يعيش عيش البداة . ولعل من أحسن الشواهد على كرم أخلاقه شفاعته [٢] بالفرزدق - خصمه اللدود - لما حبسه خالد بن عبد الله القسري ورثاؤه [٣] له لما مات . وهو على بداوته وشدة عصبيته لقبيلته دمث الأخلاق لين الجانب مع الموالي فقد كان يحبهم ويمدحهم ، والموالي يحبونه ويحتفلون به . روى صاحب الأغاني بسنده عن هرون بن ابراهيم قال : « رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق ، والناس عُنُق واحد على جرير ، قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حزرة في مسيرك وكيف أهلك وأسبابك . وما يطيف بالفرزدق إلاّ نفر من خندف جلوس معه ، وذلك لمدح جرير قيساً وقوله في العجم :

فيجمعنا والغرُّ أولادَ سارةٍ أبٌ لا نبالي بعده من تعذّرا

وأهديت له يومئذٍ مائة حلة أهداها اليه الموالي سوى غيرهم [٤] » .

(يتبع) خليل مردم بك

---

(١) المرقّق : الخبز المنبسط الرقيق . والصِّناب : إدام يتخذ من الخردل والزبيب .
(٢) ديوان جرير ص ١٧٨ .
(٣) ديوان جرير ص ٤٠٧ و ص ٥٣٥ .
(٤) الأغاني ٨ ج ص ٦٤ .

حدود العقل عند الغزالي

العقل الانساني عند الفلاسفة يكون في أول أمره عقلاً بالقوة ، ثم يصير عقلاً بالفعل ، وهذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم إلا بتأثير العقل الفعال . والعقول تتميز بعضها عن بعض بمقدار استعدادها للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى منه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع عقلنا أن يدرك الصور الكلية ، وبه يصير الاحساس علماً يقينياً .

فأنتم ترون أن الفلاسفة قد بنوا المعرفة على العقل ، لأن العقل عندهم يجرد الصور الحسية من اللواحق المشخصة ، وينتزع المعاني الكلية من الصور المتخيلة ، ويؤلف هذه المعاني وفقاً لمبادئ كلية ضرورية ، فهو في نظرهم يوصل إذن الى اليقين ، لا بل هو المحك الأخير للحقيقة ، على زنده تقدح كل معرفة ، فلسفية كانت أو دينية أو صوفية .

ما هو موقف الغزالي من العقل ، هل العقل في نظره قادر على إدراك الحقائق بنفسه أم هو محتاج الى معونة خارجية ؟

للاجابة عن هذا السؤال ينبغي لنا أولاً أن نحدد موقف الغزالي من المعرفة على الاطلاق .

ان موقف الغزالي من المعرفة يختلف عن موقف الفلاسفة في مبادئه وغاياته . فهو قد شك في المعرفة شكاً عاماً ، شك في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات والعقليات . بدأ شكه بنقد مذاهب زمانه ، فتبين له أن هذه المذاهب متعارضة ، وان سبب تناقضها يرجع الى فساد الطريقة المتبعة في تكوين العقيدة واعتناقها ، وهذه الطريقة هي طريقة التقليد ، فان التقليد لا يوصل الى الحقيقة ، ويكفي

أن يكون الاعتقاد مبنياً على التقليد حتى ينسرب اليه الشك ، قال : «فإن صبيان النصارى لا نشوء لهم إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام» . لذلك يجب على طالب الحقيقة أن ينبذ التقليد ، وأن لا يبني بحثه عن الحقيقة على العلم الموروث ، لأن المقلد يتحتم عليه المكوث في الضلال ان كان فيه ، أو التقيد بمعتقده التقليدي ، والامتناع عن رؤية الحقيقة اذا لاحت له . أما الباحث عن الحقيقة فلا يعتقد شيئاً أصلاً بل ينظر الى الدليل ويسمي مقتضاه حقاً ونقيضه باطلاً . وهذه هي طريقة الشك بعينها ، فالشك في نظر الغزالي هو إذن الخطوة الأولى للبحث عن الحقيقة ، لأن من لا يشك لا يبحث ، ومن لا يبحث لا يجد ، ومن لا يجد يبقى متخبطاً في غياهب الجهل .

وما كاد هذا الشك يدخل قلب الغزالي حتى استولى عليه كله . طمع أولاً في اقتباس اليقين من الحسيات ، فحكم عليها بما حكم به على التقليديات ، ثم طمع في اقتباس اليقين من العقليات ، فلم يجد فيها ما ينقذه من الضلال ، لأنه قال : إذا كان حاكم العقل يكذب حاكم الحس ، فلماذا لا يكون هناك وراء إدراك العقل حاكم آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وأيّد ذلك بقوله : يمكن أن تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم وتكون اليقظة نوماً بالاضافة اليها ؛ فبمَ نأمن أن يكون جميع ما نعتقده في يقظتنا حقاً . فأنتم ترون أن رحاب الشك عند الغزالي تمتد الى التقليديات والحسيات والعقليات ولولا النور الذي قذفه الله في صدره لبقي على مذهب السفسطة ، الا أنه استطاع أن ينقذ نفسه من الشك بطريقة الكشف الباطني ، فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ؛ ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن ويقين بالنور الذي أشرق عليه من الجود الالهي .

ما هو هذا النور الذي قذفه الله في الصدر ؟ إننا لا نجد في تآليف الغزالي جواباً على هذا السؤال . فالغزالي يقول في المنقذ من الضلال إن هذا النور هو مفتاح أكثر المعارف ، وأن من ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيَّق رحمة الله الواسعة . وان هذا النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحايين ، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام : إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها . والذي يستنتج من هذا النص أن الغزالي يقول : إن هذا النور مفتاح أكثر المعارف ، لا مفتاح جميع المعارف ، وان الكشف ليس موقوفاً على الأدلة المجردة ، بل قد يكون بالأدلة المجردة . وبغير الأدلة المجردة . ومعنى ذلك كله أن للعقل بذاته مبادئ أولية كالقول ان الكل أعظم من الجزء ، وان النفي والإثبات لا يجتمعان معاً في الشيء الواحد في وقت واحد ، وأن الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً معدوماً واجباً محالاً ، وان حدوث الشيء بدون محدث محال . فهذه المبادئ الأولية ضرورية ويقينية يقرها كل ذي عقل سليم لمجرد حضورها في الذهن . وهي فطرية فينا ، لا اختيارية ولا مكتسبة ، لأنها من خواص العقل ، واذا كان العقل محتاجاً في بعض الأحايين الى الجود الإلهي للخروج من الشك ، فان هذا الجود لا يفعل فعله إلا اذا كان مصحوباً باقتناع داخلي ذاتي بصحة مبادئ العقل .

واذا سألنا الآن سائل : الى أي أصل تستند مبادئ العقل عند الغزالي . هل تفرض نفسها على العقل بنفسها ، أم تفتقر الى أصل آخر تستند اليه ، وتستمد منه ثباتها ومتانتها . وبكلمة أخرى ما هو المحكّ الأخير للمعرفة ؟

قلنا اننا نجد عند الغزالي في هذه المسألة رأيين متعارضين : فهو يعترف أولاً أنه لم يستطع أن يشفي نفسه من الشك إلا بمعونة خارجية . وهذه المعونة الخارجية هي النور الذي ينبجس في القلب من الجود الإلهي . وهو يقول ثانياً إنّ مبادئ العقل ضرورية يقرها حتماً وبغير برهان كل ذي عقل سليم لمجرد

حضورها في الذهن ، فهي تستمد إذن قيمتها من الوضوح الذي فيها . ومن تصفح كتاب القسطاس المستقيم ، والمنقذ من الضلال ، والمستظهري ، وجد فيها أقوالاً متعارضة تؤيد هذين الرأيين .

فمن النصوص التي يؤيّد ظاهرها حاجة العقل الى معونة خارجية :

١ — طرح الباطني على الغزالي هذا السؤال : « فبمَ عرفتَ أن ذلك الميزان (ميزان المنطق) صادق أم كاذب ، أبعقلك ونظرك ، فالعقول متعارضة ، أم بالإمام المعصوم الصادقِ القائمِ بالحق في العالَم ، وهو مذهبي الذي أدعو اليه » فأجابه الغزالي : « ذلك أيضاً أعرفه بالتعليم ، ولكن من إمام الأئمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، فاني وإن كنت لا أراه ، فإني أسمع تعليمه الذي تواتر إليّ تواتراً لا أشك فيه ، وإنما تعليمه القرآن »[١] . فكأنّ الغزالي يعترف هنا بأنّ صدق الميزان لا يعرف بالعقل بل بالتعليم من النبي .

٢ — ثم إن الغزالي لا ينفكّ يردّد في كتاب القسطاس المستقيم أنّ الله علّم الموازين لجبريل ، وجبريل علمها للأنبياء ، وهؤلاء نقلوها الينا في كتبهم . قال : فانّ الله هو المعلّم الأول ، والثاني جبريل ، والثالث الرسولُ ﷺ . والخلق كلّهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى معرفته إلاّ بهم[٢] .

٣ — والغزالي يردّ على من يسأل ، وكيف وصلت هذه الموازين الى الأمم التي عرَفتها قبل مجيء الرسل والأنبياء (اليونان مثلاً) فيقول : « أما الموازين فأنا استخرجتها من القرآن ، وما عندي أني سُبِقتُ الى استخراجها ، ولها عند مستخرجيها من المتأخرين أسماء أُخر سوى ما ذكرته . وعند بعض الأمم السابقة على بَعثة محمدٍ وعيسى صلى الله عليهما وسلم أسامٍ أُخر قد تعلموها من صحف ابراهيمَ وموسى عليهما الصلاة والسلام »[٣] .

٤ — وهو يُرْجع أيضاً نشوء جميع المعارف المنتشرة بين البشر الى مصدر

---

(١) القسطاس المستقيم ، ص — ٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص — ٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص — ٥٩ .

إلهي ، أي الى وحي قديم أنزله الله تعالى على أنبيائه ، وعلّمهم به كلّ أنواع الحكمة ، فعلم الطب لم يكن نتيجة اختبار الأطباء وتجاربهم واستنتاجهم العقلي ، بل كان ثمرةَ وحي أنزله الله تعالى على أنبيائه : « فان أدوية البدن تؤثّر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء ، الذين اطّلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء »[١] ، وكذلك علم النجوم ، فالسبيل اليه هو إلهامٌ إلهي ، وتوفيقٌ من جهةِ الله تعالى ، وكذلك أيضاً الرياضيات فإنّ مبادئها مأخوذة عن نبي مشفوع بالوحي والمعجزة . وهكذا قل في سائر العلوم .

ومن النصوص التي تدل على أن المِحَكّ الأخير للمعرفة هو وضوح المعاني وبداهتها قولُ الغزالي بوجوب الرجوع الى الأوليات عندما تعترضنا قضية غيرُ بينة الصدق : « خذ عِيارَه من العلوم الأولية الضرورية المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل ، فانظر في الأوليات هل تتصور أن يَثْبُتَ حكم على صفة إلاّ ويتعدّى الى الموصوف ؟ »[٢] . وفي كتاب المستظهري يقول الغزالي إنّ التلميذ إنما يقتنع بصحة ما يلقيه عليه معلمه من المعارف ، لا بمجرد إيمانه بقدرة معلمه وصدقه ، بل لأنه يرى بنور عقله صوابَ تلك المعارف .

فهذه النصوص المتعارضة تدل كما ترون على أمرين متناقضين الأول هو احتياج العقل في الوصول الى اليقين الى معونة خارجية . والثاني القول بأن المِحَكّ الأخيرَ للمعرفة هو وضوح المبادئ العقلية ، وفي هذا كما لا يخفى تناقض ظاهر . ولكننا اذا علمنا أن المعونة الخارجية لا تنفي بداهة العقل بل تقتضيها وتوجبها ، وأنّ معرفة صحة الموازين بالتعليم من النبي لا تنفي أنّ العقل يتحقق صحتها أثناء أخذها كما يتحقق التلميذ صحة تعاليم معلمه ، اذا علمنا ذلك كلّه لم نجدْ في هذه الأقوال المتعارضة بحسب الظاهر تناقضاً حقيقياً . فالله قد أنزلَ الموازين

(١) المنقذ من الضلال ، ص — ٨٢ .
(٢) القسطاس المستقيم ، ص — ٣٣ .

في كتبه ، ثم أتى طالبو العلم ، وأجالوا النظر فيها فتحققوا صحتها بنور عقولهم .

يقول الغزالي : « والقوة العقلية كأنها القوة الباصرة في العين ، ورؤية الجزئيات الخيالية كتحديق البصر الى الأجسام المتلونة ، وإشراق نور الملك على النفوس البشرية يضاهي إشراق نور السراج على الأجسام المتلونة أو إشراق نور الشمس عليها ، وحصول العلم بنسبة تلك المفردات يضاهي حصول الأبصار بائتلاف ألوان الأجسام ، ولذلك شبه الله تعالى هذا النور على طريق ضرب مثال محسوس بمشكاة فيها مصباح » (معيار العلم ، ص ١٣٦ — ١٣٧) ، فلو لم يكن في العين استعداد للأبصار لما رأت شيئاً بالرغم من إشراق نور الشمس عليها ، فحصول الأبصار ناشئ إذن عن شرطين أحدهما داخلي ذاتي والآخر خارجي . وكذلك حصول العلم في النفوس البشرية ، فهو تابع لشرطين أحدهما استعداد القوة العقلية ، والثاني إشراق نور الملك عليها .

ومما يؤيد ذلك أن العلوم في نظر الغزالي انما تثبت في القلب بطريقين أحدهما طريق الاستدلال والتعليم والثاني طريق الإلهام ، وهو يفضل العلم الذي يحصل في القلب بطريق الإلهام على العلم الذي يحصل فيه بطريق التعلم .

ومن أحسن الأمثلة الدالة على إدراك الحقائق العقلية بطريقي الاستدلال والالهام مثال ذكره الغزالي في كتاب ميزان العمل . قال (ص ٤٧) : « إن أهل الصين والروم تباهوا بحسن صناعة النقش والتصوير بين يدي بعض الملوك . فاستقر رأي الملك على أن يسلم اليهم صُفَّة ينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ، ويُرخى بينهم حجاب بحيث لا يطلع كل فريق على صاحبه ، فاذا فرغوا رُفع الحجاب ، ونظر الى الجانبين ، وعُرف رُجحان مَن رَجَح من الفريقين ، ففعل ذلك ، فجمع أهلُ الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ، ودخل أهل الصين وراء الحجاب من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه ، والناس يتعجبون من توانيهم في طلب الصبغ . فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنا أيضاً قد فرغنا . فقيل لهم كيف فرغتم ،

ولم يكن معكم صبغ ولا اشتغلتم بنقش ، فقالوا ما عليكم ، ارفعوا الحجابَ ، وعلينا تصحيح دعوانا ، فرفعوا الحجاب واذا بجانبهم وقد تلألأت فيه جميعُ الأصباغ الرومية الغريبة إذ كان قد صار كالمرآة لكثرة التصفية والجلاء ، فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء وظهر فيه ما سعى في تحصيله غيرهم » .

وهذا المثال أيضاً يدل على أن لتحصيل المعرفة طريقين أحدُهما تحصيل عين النقش كطريق أهل الروم ، والثاني الاستعداد لقبول النقش من خارج . ومعنى ذلك أن النفس مستعدة في نظر الغزالي لأن تتجلى فيها حقائق العلوم مباشرة ، وذلك بالتعرض للنفحات الإلهية .

يقول الغزالي : « اذا فرضنا مرآة صدئة قد ستر الخبث صفاها ومنع انطباع صورنا فيها ، فكمال المرآة أن تستعد لقبول الصور فتحيلها كما هي عليها ، وعلى مكملها وظيفتان إحداهما الجلاء والصقل وهي إزالة الخبث الذي ينبغي أن لا يكون ، والثانية أن يحاذى بها نحو المطلوب حكاية صورته ، فكذلك نفس الآدمي مستعدة لأن تصير مرآة يحاذى بها شطر الحق في كل شيء فتنطبع به كأنها هو من وجه وان كانت غيره من وجه آخر كما في الصورة والمرآة » (ميزان العمل ، ص ٣٩ ـ ٤٠) .

وجملة القول ان للمعرفة طريقين أحدهما طريق الاستدلال والآخر طريق الإلهام أي طريق التعرض للجود الإلهي والترصد له . والعقل لا يحتاج الى هذه المعونة الخارجية في المنطق والرياضيات والطبيعيات ، ولكنه يحتاج اليها في الإلهيات . واذا احتاج الى معونة خارجية في مسائل التجربة فان هذه المعونة لا تنفعه إلا على سبيل الدعم والتثبيت ، وما صب النور الإلهي على مبادئ العقل ليكسبها وضوحاً وبداهة ، ولكن ليزيل عنها مداخل السفسطة ، ويعيد النفس الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل السفسطة لما احتاج العقل الى هذا النور .

فالغزالي يؤمن بصلاح النظر ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور

التجربة ، ولكنه لا يؤمن بأن العقل المجرد عن الشرع وعن الوحي والإلهام يصلح للخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم إنه يصرّحُ بأن من وزن الذهب بميزان يمكنه أن يزن به الفضة وسائر الجواهر . ولكن هذا القول لا يدل على قدرة العقل على إدراك الحقائق الإلهية ، لأن الفضة وسائر الجواهر في والذهبُ من جنس واحد ، أما الصفاتُ الإلهية ، وقدمُ العالم ، وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائلُ الحشر والنشر ، فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها إلاّ بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين .

واليكم بعض النصوص التي تدل على عجز العقل عن إدراك أسرار الأمور الإلهية .

١ — قد يكون أكثرُ هذه النصوص دلالةً على عجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية ما ذكره الغزالي في معرض حديثه عن الفلاسفة وقولهم : إنّ الله لا يعرف إلاّ نفسه . قال : « وهكذا يفعلُ الله بالزائغين عن سبيله ، والناكبين لطريق الهدى ، المنكرين لقوله : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، الظانين بالله ظنّ السوء ، المعتقدين أنّ الأمورَ الربوبية تستولي على كنهها القوى البشرية ، المغرورين بقولهم ، زاعمين أنّ فيها مندوحةً عن تقليد الرسل وأتباعهم . فلا جَرَم اضطرّوا الى الاعتراف بأنّ لباب معقولاتهم رجعت الى ما لو حكي في منامٍ لتُعُجِّبَ منه » (التهافت ، ص ١٢٠ — ١٢١) .

٢ — ومن هذه النصوص قوله في معرض الكلام عن صفات الله : « فجميع ما ذكروه من صفات الأول أو نفوه لا حجة لهم عليه إلاّ تخمينات وظنون تستنكف الفقهاء منها في الظنيات . ولا غَرْوَ لو حار العقل في الصفات الإلهية ولا عَجَبَ . إنما العجب من عُجْبهم بأنفسهم وبأدلتهم ، ومن اعتقادهم أنهم عرَفوا هذه الأمور معرفةً يقينية ، مع ما بها من الخبط والخبال » (تهافت ٥٣) .

وقال أيضاً : « ففي الناس من يذهب إلى أنّ حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل . بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . ولذلك قال صاحب الشرع تفكّروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله . فما إنكاركم على هذه الفرقة المعتقدة صدقَ الرسول بدليل المعجزة ، المقتصرة من قضية العقل على إثبات ذاتِ المرسِل ، المتحرّزةِ عن النظر في الصفات بنظر العقل ، المتبعةِ صاحبَ الشرع فيما أتى به من صفات الله ، المقتفيةِ أثرَه في إطلاق العالِم والمريد والقادر والحي ، المنتهيةِ عن اطلاق ما لم يُؤْذَنْ فيه ، المعترفةِ بالعجز عن دركه بالعقل . » (التهافت ص ١٨٠ — ١٨١) .

٣ — ومن هذه النصوص اعتراضه على محاولة الفلاسفة شرحَ كيفيةِ خلقِ العالَمِ وصدورِ كثرته عن الواحد الأول . قال : « وما المانع من أن يقال : المبدأ الأول عالِمٌ قادر مريد ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يخلُق المختلفات والمتجانسات كما يريد وعلى ما يريد . فاستحالة هذا لا تعرف بضرورةٍ ولا نظر . وقد وردَ به الأنبياء المؤيَّدُون بالمعجزات ، فيجب قبوله منهم . وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالإرادة ، ففضول وطمع في غير مطمع . والذين طمعوا في طلب المناسبة ومعرفتها رَجَع حاصل نظرهم الى أن المعلولَ الأولَ من حيث أنه ممكن الوجود صدر منه فلك ، ومن حيث أنه يعقِل نفسه صدر منه نفس الفلك . وهذه حماقة لا إظهار مناسبة فلتُقْبَلْ مبادئُ هذه الأمور من الأنبياء وليُصَدَّقوا فيها ، فانّ العقلَ لا يحيلها وليُترك البحث عن الكيفية ، والكمية ، والماهية فليس ذلك مما تتسع له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في ذات الله » . (التهافت ص ١٣١ — ١٣٢) .

٤ – ومن هذه النصوص قولُ الغزالي مجيباً الفلاسفة الذين يزعمون أنهم توصلوا بطريق العقل الى معرفة الغرض من حركة الأجرام السماوية . قال :

« ان هذه خيالاتٌ لا حاصل لها ، وإنّ أسرارَ ملكوتِ السموات لا يُطلَعُ عليها بأمثال هذه الخيالات ، وإنما يُطلِعُ الله عليها أنبياءه وأولياءه على سبيل الإلهام لا على سبيل الاستدلال » (تهافت ٢٥٢) .

وقال أيضاً : « وأنّ هذا إنْ كان صحيحاً فلا يطّلعُ عليه إلاّ الأنبياء بالهام من الله أو وحي . وقياسُ العقل ليس يدل عليه » (تهافت : ٥٧) .

وقال في مكان آخر : « وما ذكرتموه ، وإن اعتُرف بامكانه ، فلا يُعرف وجوده ، ولا يتحقق كونه ، وإنما السبيلُ فيه أن يُتَعَرَّفَ من الشرع لا من العقل » (تهافت : ٦٢) .

وقال أيضاً : « ومن الأشياء ما تُعرَفُ استحالته ، ومنها ما يُعرَفُ إمكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده ، فلا يقضي فيه باستحالة ولا إمكان » (تهافت : ٦٩) .

٥ — ومن هذه النصوص أخيراً ، قول الغزالي إنّ العقل عاجز كل العجز عن تمييز الخير من الشر ، وإنّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هي الوحي . قال : « إن العقل لا يهدي الى الأفعال المُنْجية في الآخرة ، كما لا يهدي الى الأدوية المعيدة للصحة » (الرسالة القدسية أصل ٩ ورقة ٣) .

وقال أيضاً : « ان العقل لا يرشد الى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد ، ولا يُفرِّق بين المشقي والمسعد » (الاقتصاد في الاعتقاد ٨٠).

وقال أيضاً : « وندعي أنه لو لم يرد الشرع لما كان يجب على العباد معرفة الله وشكر نعمته » (الاقتصاد في الاعتقاد ٧٧) .

وقال أيضاً : « ان في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسراراً ولطائفَ ليست في سَعَة العقل وقوته الإحاطةُ بها ، كما أنّ في خواص الأحجار أموراً وعجائبَ غاب عن أهل الصنعة علمها » (الاحياء ج ١ ص ٢٠) .

وفي وسعنا أن نذكر نصوصاً أخرى غير هذه .

أفلا تكفي هذه النصوص التي أوردناها للدلالة على أن العقل عاجز عن الإحاطة بأسرار الامور الإلهية .

واذا أردنا الآن أن نلخص موقف الغزالي من العقل قلنا ان أحكام العقل عنده صادقة في العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية ، وفي كل ما يتعلق بأمور التجربة ، فهو لم يشك في مبدأ الهوية لأن هذا المبدأ أساس المنطق والرياضيات . ولولاه لما صدق عندنا قياس ، ولا ثبت استنتاج ، وهو لم يشك في مبدأ السببية من حيث هو مبدأ عقلي ، بل شك في ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض ، ارتباطاً حتمياً ، فأرجع قانون السببية الطبيعية الى الاعتياد ، وجعل الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها . والسببية الحقيقية ترجع عنده الى علاقة إرادية بين الله والعالم ، أما ارتباط الأسباب والمسببات الطبيعية بعضها ببعض فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له إلا إذا استند الى إرادة الله ، فالغزالي لم يشك إذن في أحكام العقل إلا شكاً عاماً موقتاً ، فلما وجد نفسه على شفا جرف هار التجأ الى الله تعالى ، فأنقذه الله من الشك ، فهو بالرغم من شكه في كل شيء لم يضيع ساعة واحدة ثقته بالألطاف الإلهية ، وهذا النور الذي قذفه الله في الصدر لا نعرف له تأويلاً إلا قولنا بأنه اقتناع داخلي بصدق أحكام العقل ، فالعقل لا يحتاج إذن الى معونة خارجية إلا في حالتين : الأولى لشفائه من الشك إذا ما انتابته آفته ، والثانية لتنبيهه وإرشاده الى الأمور الإلهية التي لا يمكنه الاطلاع عليها إلا بالوحي والإلهام . أما فيما عدا ذلك فالعقل في نظر الغزالي آلة سليمة صالحة مفيدة وضرورية لاقتناص المعرفة ، أساسه الضروريات العقلية ، وسبيله النظر ، وميزانه قواعد المنطق ، ومحكه الأخير الوضوح والبداهة .

جميل صليبا

العرب والهندسة المستوية

أخذ اليونان الهندسة عن الأمم التي سبقتهم وقد درسوها درساً علمياً وأضافوا اليها إضافات هامة وكثيرة جعلت الهندسة علماً يونانياً . وأول من كتب منهم فيها اقليدس ، وعُرف كتابه باسم « كتاب اقليدس » . وفي هذا الكتاب قسّم اقليدس الهندسة الى خمسة أقسام رئيسية ووضع قضاياه على أساس منطقي عجيب لم يُسبق اليه جعل « الكتاب » المعتمد الوحيد الذي يرجع اليه كل من يريد وضع تأليف في الهندسة .

وما الهندسة التي تدرس في المدارس الثانوية في مختلف الأنحاء إلا هندسة اقليدس مع تحوير بسيط في الاشارات وترتيب النظريات ونظام التمارين .

وحينما نهض العرب نهضتهم العلمية أخذوا كتاب اقليدس وترجموه الى لغتهم وتفهموه جيداً وزادوا على نظرياته ووضعوا بعض أعمال عويصة وتفننوا في حلولها .

ويقول ابن القفطي عن كتاب اقليدس « . . . وسمّاه الاسلاميون (الأصول) ، وهو كتاب جليل القدر عظيم النفع ، أصل هذا النوع ، لم يكن لليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن ولا جاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله . وما في القوم إلاّ من سلم الى فضله وشهد بغزير نبله . . » وقال ابن خلدون في مقدمته : « . . . والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة (الهندسة) كتاب اقليدس يسمى كتاب الأصول أو كتاب الأركان وهو أبسط ما وضع للمتعلمين وأول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور . ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن اسحق ولثابت بن قرة

وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة : أربع في السطوح وواحدة في الأقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض ، وثلاث في العدد ، والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المجسمات . وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعل ابن سينا في تعاليم الشفاء وأفرد له جزءاً أخصه به . وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم . وشرحه آخرون شروحاً كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق ... »

وألّف العرب كتباً على نسقه وأدخلوا فيها قضايا جديدة لم يعرفها القدماء . فقد وضع ابن الهيثم كتاباً من هذا الطراز يستحق أن يعتبر واسطة بين كتاب القواعد المفروضة والبراهين الاستقرائية لاقليدس وكتاب المحال المستوية السطوح لابولونيوس وبين كتابي سمسون Simson وستوارت Stewart فانه يمثل تلك الكتب كمال الهندسة الابتدائية المعدّة لتسهيل حلّ الدعاوى النظرية . ويعترف ابن القفطي بفضل ابن الهيثم في الهندسة فيقول : « إنه صاحب التصانيف والتآليف في علم الهندسة . وكان عالماً بهذا الشأن متقناً له ، متفنناً فيه ، قيماً بغوامضه ومعانيه ، مشاركاً في علوم الأوائل، أخذ عنه الناس واستفادوا ... » (١)

وألّف محمد البغدادي رسالةً موضوعها تقسيم أي مستقيم الى أجزاء متناسبة مع أعداد مفروضة برسم مستقيم وهي اثنتان وعشرون قضية : سبع في المثلث ، وتسع في المربع ، وست في المخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق وألف ابن الهيثم كتاباً في ذلك « ... كتاباً جمعتُ فيه الأصول الهندسية والعددية من كتاب اقليدس وابولونيوس ، ونوّعتُ فيه الأصول وقسمتُها وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والحسية (٢) والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابولونيوس » .

(١) ابن القفطي : اخبار العلماء ، ص ١١٤ .
(٢) طبقات الأطباء : ج ٢ ص ٩٣ .

وابن الهيثم هذا من الذين اشتغلوا بالبصريات فكان أنبغ علماء العرب والمسلمين فيه . وقد ترك تراثاً ضخماً مليئاً بالابتكار والموضوعات الجديدة كانت أساساً لبحوث علماء القرون الوسطى ، كما كانت أساساً لكتاب Peckhan في البصريات ، وهذا الكتاب يُعَدُّ من أجل الكتب التي أحدثت أثراً بعيداً في العلم المذكور[1] ، وقد أتى على مسائل أدت الى استعمال الهندسة . ومن هذه المسائل ما هو صعب ويحتاج حله الى وقوف تام على الهندسة والجبر وبراعة في استعمال نظرياتها وقوانينها .

ومن المسائل التي وردت في نظريات ابن الهيثم المسألة الآتية : « .. كيف ترسم مستقيمين من نقطتين مفروضتين داخل دائرة معلومة الى أي نقطة مفروضة على محيطها بحيث يصنعان مع المماس المرسوم من تلك النقطة زاويتين متساويتين ... »

وللعرب مؤلفات عديدة في المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وفي التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمتعلمين ، وفي موضوعات أخرى كتقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ، ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمعادلات جبرية وفي محيط الدائرة وغير ذلك مما يتعلق بالموضوعات التي تحتاج الى استعمال الهندسة .

ويتجلى من نتاج علماء العرب أنه كان يسود بعض مصنفاتهم مسحة عملية واتجاه لتطبيق النظريات الهندسية والحسابية والجبرية على الأغراض العملية من شؤون حياتهم ولوازم مجتمعهم . فلقد وضع ابن الهيثم (مثلاً) مقالة (في استخراج سمت القبلة) ومقالة (فيما تدعو اليه حاجة الأمور الشرعية من الأمور الهندسية) ومقالة (في استخراج ما بين البلدين في البعد بجهة الأمور الهندسية) . وكذلك وضع ابن الهيثم كتاباً طابق فيه بين الأبنية والحفور بجميع الأشكال

---

(١) راجع كتاب تراث العرب العلمي لقدري حافظ طوقان : فصل ابن الهيثم في قسم التراجم .

الهندسية . وقد قال في ذلك « ... مقالة في إجارات الحفور والأبنية طابقت فيها جميع الحفور والأبنية بجميع الأشكال حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع المخروط الثلاثة المكافيء والزائد والناقص ... »

وبيّن العرب كيفية ايجاد نسبة محيط الدائرة الى قطرها . ويتبين من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ان القيم التي وردت فيه للنسبة التقريبية هي :

$$\frac{٢٢}{٧} \quad و \quad \sqrt{١٠} \quad و \quad \frac{٦٢٨٣٢}{٢٠٠٠٠}$$ (١)

وان أهل النجوم كانوا يستعملون القيمة الأخيرة وهي بالكسر العشري ٣٫١٤١٦ . وورد في الكتاب الحاشية الآتية ، وهي كما يعلق عليها الأستاذان مشرفة ومرسي احمد (تستحق الذكر والاهتمام) « .... وهو تقريب لا تحقيق ، ولا يقف أحد على حقيقة ذلك . ولا يعلم دورها إلا الله . لأن الخط ليس بمستقيم فيوقف على حقيقته ، وإنما قيل ذلك تقريباً كما قيل في جذر الأصم انه تقريب لا تحقيق لأن جذره لا يعلمه إلا الله . وأحسن ما في هذه الأقوال أن تضرب القطر في ثلاثة وسبع لأنه أخف وأسرع . والله أعلم » .

ولم يقف العرب في النسبة التقريبية عند أهل النجوم بل أوجدوها الى درجة من التقريب كانت محل دهشة العلماء . فلقد حسبها الكاشي فكانت ٣٫١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ . ولم نستطع أن نتأكد من استعمال علامة

---

(١) جاء في كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ما يلي :

« ... وكل مدورة (أي دائرة) فان ضربك القطر في ثلاثة وسبع هو الدور (المحيط) الذي يحيط بها وهو الاصطلاح بين الناس من غير اضطرار . ولأهل الهندسة فيه قولان آخران : أحدهما أن تضرب القطر في مثاله ثم في عشر ثم تأخذ جذر ما اجتمع . فما كان فهو الدور . والقول الثاني لأهل النجوم منهم وهو أن تضرب القطر في اثنين وستين ألفاً وثمانمائة واثنتين وثلاثين ثم تقسم ذلك على عشرين ألفاً فما خرج فهو الدور . وكل ذلك قريب بعضه من بعض .. »

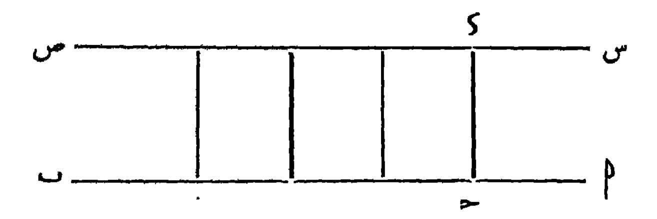
الكسر العشري (الفاصلة) · ولكن لدى البحث تبيّن أنه وضعها على الشكل الآتي :

صحيح

٣ ١٤٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢

وهذا الوضع يشير الى أن المسلمين في زمن الكاشي كانوا يعرفون شيئاً عن الكسر العشري ، وانهم بذلك سبقوا الأوروبيين في استعمال النظام العشري ·

وامتاز العرب في بعض البحوث الهندسية فدلّلت على إحاطتهم بالمبادئ والقضايا التي تقوم عليها الهندسة ولا سيا فيا يتعلق بالمتوازيات · فلقد تنبه الطوسي لنقص اقليدس (في قضية المتوازيات) وحاول البرهنة عليها وبنى برهانه على فرضيات



اذا كان ﺣ د عموداً على ﺃ ب في نقطة ﺣ · واذا كان الخط (س د ص) يصنع مع الخط (ﺣ د) زاوية حادة كالزاوية (ﺣ د ص) فحينئذ جميع الخطوط العمودية على (ﺃ ب) والموجودة بين (د ص) و (ﺃ ب) والمرسومة من جهة (د ص) تقصر تدريجياً · أي انه كلما بعد الخط العمودي على (ﺣ ب) عن (ﺣ د) زاد النقص في الطول ·

فلقد كان لهذا البرهان أو الاتجاه في معالجة قضية المتوازيات وللبحوث الأخرى التي وردت في كتاب (تحرير اصول اقليدس) وفي الرسالة الشافية للطوسي أثر في تقدم بعض النظريات الهندسية · وقد نشر جون واليس John wallis

هذه البحوث في اللاتينية سنة ١٦٥١ [١] وبهذه المناسبة لا بد لنا من الاشارة الى أن (تحرير أصول اقليدس) قد طبع في روما بالعربية سنة ١٥٩٤ [٢] والرسالة الشافية طبعت بمطبعة دار المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٨ هـ .

وسخّر بعض علماء العرب (ولا سيما ابن الهيثم) الهندسة بنوعيها المستوية منها والمجسمة في بحوث الضوء وتعيين نقطة الانعكاس في أحوال المرايا الكروية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة . وابتكروا لذلك الحلول العامة وبلغوا فيها الذروة . فقد استغل ابن الهيثم الهندسة الى أبعد الحدود في حلول كثير من القضايا المعقدة المتعلقة بالضوء وتناول دراسة (تعيين نقطة الانعكاس) على أساس منطقي سليم ، فعني أولاً بوضع بضع عمليات هندسية هي في ذاتها على جانب من الصعوبة ذكرها وبيّن كيفية إجرائها ، ووضع لها البراهين المضبوطة ، وذلك كله على أساس هندسي صحيح ، ثم اتخذ هذه العمليات الهندسية مقدمات الى الحلول التي أرادها لتعيين نقطة أو نقاط الانعكاس . ولم يقف عند هذه الحدود بل ساق لتلك الحلول براهينها الهندسية . وعلى هذا فبحوثه (كما يقول الأستاذ مصطفى نظيف) يجب أن تراعى كوحدة واحدة تتكون من قسمين أحدهما المقدمات الهندسية ، والثاني الحلول العامة المبنية على تلك المقدمات [٣]

---

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ١٢٨ ، راجع سارطون مج ٢ ص ١٠٠٣

(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات ، ص ١٢٧ .

(٣) راجع كتاب الحسن بن الهيثم لمصطفى نظيف مج ٢ ص ٤٩٢ :
أما المقدمات فهي ست . وقد أورد ابن الهيثم لكل منها وبرهن عليها ببرهان هندسي صحيح . ومن دراسة هذه المقدمات يتبين أن المقدمتين الأولى والثانية متشابهتان ، بل هما في الحقيقة صورتان لعملية هندسية واحدة . وكذلك المقدمتان الثالثة والسادسة متشابهتان وهما أيضاً صورتان لعملية هندسية واحدة . ولهذا —

ويتبين من هنا أنه ما كان لابن الهيثم أن يبتكر في علم الضوء ولا أن يتوفق في شرح بعض طرقه وعملياته ونظرياته لولا استعانته بالهندسة وتطبيقها في مسائل الضوء وجلائها مما جعل لبحوث ابن الهيثم قيمة علمية وعملية كانت ولا تزال محل تقدير الباحثين والعلماء في الشرق والغرب على السواء ·

قد يستغرب القارئ اذا علم أن الأوروبيين لم يعرفوا الهندسة إلا عن طريق العرب · فلقد وجد أحد علماء الانكليز في أوائل هذا القرن (حوالي سنة ١٩١٠ م) مقالتين هندسيتين قديمتين في مكتبة كنيسة وستر : الأولى كتبها

— جمل الأستاذ مصطفى نظيف من مقدمات ابن الهيثم الست أربع عمليات هندسية تشملها جميعاً وهي :

١ — المعلوم نقطة ا على محيط دائرة قطرها ب حـ . ويراد إخراج مستقيم من ا يقطع محيط الدائرة في د والقطر ب حـ (هو او امتداده) في نقطة هـ بحيث يكون د هـ يساوي طول مستقيم معلوم ·
[وقد استعمل ابن الهيثم أثناء حله هذه العملية القطع الزائد] .

٢ — المعلوم مثلث ا ب حـ قائم الزاوية في حـ . ونقطة د على الضلع حـ ب (هو او امتداده من جهة ب) · ويراد من النقطة إخراج مستقيم يقطع الضلع الثاني ا ب (هو او امتداده) على نقطة ك ويقطع الوتر ا حـ (هو او امتداده) على نقطة ط بحيث تكون النسبة $\frac{\text{ط ك}}{\text{ط حـ}}$ = نسبة معلومة ولتكن ل .

٣ — المعلوم دائرة مركزها حـ وقطرها ا حـ ب . ونقطة هـ مفروضة . والمطلوب إخراج مستقيم من نقطة هـ يقطع محيط الدائرة في نقطة د والقطر ا ب على نقطة س بحيث يكون د س = حـ س .

٤ — المعلوم دائرة مركزها حـ ونقطتان هـ ، د حيثما اتفق · ويراد ايجاد نقطه ا على محيط الدائرة بحيث اذا وصل المستقيمان هـ ا ، د ا احاط احدهما مع الآخر بزاوية . وكانت الزاوية التي يحيط بها احدهما والمماس من نقطة ا مساوية الزاوية التي يحيط بها الآخر وهذا المماس .

(جربرت) الذي صار بابا سنة ٩٧٩ م باسم البابا سلفستر الثاني . ولم يكن كتاب اقليدس في الهندسة معروفاً حينئذٍ إلا في العربية . والثانية يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثاني عشر للميلاد وكاتبها راهب اسمه ادلرد اوف باث Adelard of Bath ، فكان قد تعلم العربية ودرس في مدارس غرناطة وقرطبة واشبيلية . والمقالتان باللاتينية من نسخة ترجمت عن ترجمة اقليدس العربية . وبقيت هذه الترجمة تدرس في جميع مدارس أوروبا الى سنة ١٨٥٣ م حينما كشف أصل هندسة اقليدس اليوناني [١] .

واشتغل العرب في المربعات السحرية التي هي من أصل صيني . وقد أخذ بها علماء الهند والعجم وغيرهم وتوسعوا فيها .

وقد رأى العرب فيها جمعاً بين بعض الأعداد وبعض الأشكال . وأول من بحث فيها ثابت بن قرة [٢] وتبعه في هذا بعض علماء العرب . وقد ظهرت كثيراً في مؤلفاتهم وأطلقوا عليها اسم (الأشكال الترابية) .

ورأى فيها أصحاب الطلاسم والذين يعنون بالسحر والتدجيل منافع وفوائد يمكن استعمالها في الولادة وتسهيلها ، والمراهم والشربات وأفعال الترياقات وألحان الموسيقى وتأثيراتها في الأجساد والنفوس .

وجاء في هذا الشأن أن : « ... ما من شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والإلهية خاصية ليست لشيء آخر . ولمجموعاتها خواص ليست لمفرداتها من الأعداد والأشكال والصور والمكان والزمان والعقاقير والطعوم والألوان والروائح والأصوات والكلمات والأفعال والحروف والحركات فاذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها ... » [٣] . ولسنا بحاجة الى القول

---

(١) راجع المقتطف مج ٣٨ عدد فبراير ١٩١١ ص ٢٠٢ .
(٢) راجع ثابت بن قرة في كتاب تراث العرب العلمي لقدري حافظ طوقان في قسم التراجم .
(٣) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ٧١ .

ان كثيرين من رياضيي العرب لم يعتقدوا أن هناك منافع أو فوائد تأتي عن هذه المربعات بأعدادها وأشكالها بل كانوا يرون فيها تسلية فكرية ومتعة عقلية لا أكثر .

ولا بدّ لنا قبل الانتهاء من هذا المقال من التعرّض لآراء علماء العرب في فوائد الهندسة ، فقالوا ان الهندسة على نوعين : عقلية وحسية . فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض ، وهي ما يرى بالبصر ويدرك باللمس . والعقلي بضد ذلك وهو ما يعرف ويفهم .

وقد بحث العرب هذا كله بالتفصيل في مؤلفاتهم ورسائلهم ، وكانوا يرون أن في الهندسة فوائد وأدركوا اتصالها بالحياة العملية وتمادوا في تقدير أثر الهندسة على الانسان من الناحية الروحية .

فالنظر في الهندسة الحسية « ... يؤدي الى الحذق في الصنائع كلها وخاصة في المساحة ، وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والعقارات في معاملاتهم من جباية الخراج وحفر الأنهار وعمل البريدات وما شاكلها .. »

والنظر في الهندسة العقلية يؤدي الى الحذق في الصنائع العلمية « ... لأن هذا العلم هو أحد الأبواب التي تؤدي الى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلم وعنصر الحكمة ... »

وكان بعض علماء العرب يرى أن الهندسة العقلية هي أحد أغراض الحكماء الراسخين في العلوم الإلهية المرتاضين بالرياضيات الفلسفية ، وإن تقديم علم العدد على علم الهندسة هو تخريج المتعلمين من المحسوسات الى المعقولات ، وترقية من الأمور الجسمانية الى الأمور الروحانية .

(نابلس) قدري حافظ طوقان



الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
(١٨٧٦ — ١٩٥٣)

محمد كرد علي (١)

حياته وآثاره

تمهيد

حياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حافلة شاملة ؛ وقف دون تسجيلها كتّابنا ، وحار فيها المترجمون ، فلم يبدئوا ولم يعيدوا . لذلك خلت صحفنا العربية ومصادرنا الأدبية والتاريخية من ترجمة له أو حديث نافع فيه . ولذلك كانت مهمتنا عسيرة ، فليس لنا من مَعين إلاّ كتبه وآثاره ، وما ترك قلمه في ترجمة حياته ، وما وقع له ؛ فعليها اعتمدنا ومنها اقتبسنا ، وبعبارتها الحرفية أخذنا ، لئلا نحيد عن خطة الدارس النزيه ؛ ونحن لا ندّعي الإحاطة والتوفيق في رسم سيرته أو تعداد كتبه ومقالاته .

وكيف ندّعي الإحاطة في سيرة رجل طوى سبعاً وسبعين سنة في عمل مستمر ، ويقظة عجيبة ، لا يكاد يستقر في بلد حتى ينتقل الى غيره ، فيطوّف في بلاد كثيرة يزور بعضها مرات عدّة ، فيسافر الى لندن ، وبرلين ، وباريس ، ومدريد ، وروما ، وبودابست ، والآستانة ، والقاهرة ، والمدينة المنورة . ولا يكاد يقر قراره في مسلك واحد ، فهو في الصحافة والجامعة والوزارة والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع اللغويّ بمصر ، ومع الشرقيين والمستشرقين .

لقد كان ـ رحمه الله ـ حركةً لا تهدأ في الكتابة والتأليف . وكان

---

(١) لمناسبة الذكرى الثانية لوفاته رحمه الله .

لسانه لا ينقطع عن حديث عذب متصل ، ونكتة بارعة تسبق نكتة بارعة ، وضحكة يطلقها لتلحق بضحكة تسبقها ، وقهقهة لطيفة يميل لها جسمه ، وتنفرج أساريره ، فكأنّ عينيه الشهلاوين تبتسمان من وراء نظارتيه ، ووجهه الأبيض المشرق يحمرّ بالسرور والنضرة . ذلك أنه يحب الطرب والموسيقا والجمال ، ويعشق الحكاية والقصة والنكتة ، ويهيم بالمجلس اللطيف والعشرة الصافية ، فيفيض بالسحر الحلال من جمل الدعابة والتحبب ، وتنقلب نفسه الكبيرة في دقائق الى براءة الطفل وسحر السذاجة ، فيخيل اليك أنه أول مرة يضحك فيها بعد طول عبوس ، وتستطيع حينذاك أن تطلب فتجاب ، وأن تقول فيستمع اليك ، على أن تتلطف في الحديث ، وتبتعد عن السفاسف في القول ، فان كنت لا تملك شيئاً من هذا فاسكت .

ذلك لأن كلمة عابرة ونكتة سافرة ، تؤذي سمعه وذكاءه ، فينقلب المجلس إلى كدر ، وتسمع ما لا قِبل لك به ، وتعرف حينئذ أن ليس لك معه لقاء ، وان تملك معه الصفاء ، وخير في هذا ، أن تزايل المكان وتبرح المجلس ، فالرجل أديب فنان لا يرتضي لجليسه غير الرقة في الأسلوب والدقة في الحديث .

وأما إذا كنت تحدث في الجهد والسعي والصبر على العلم ، فهو شديد الإقبال على المشتغلين ، كثير التحمس للمجتهدين ، يحبّ النظام ويعشق التدقيق والتحقيق ، ويكره الفوضى ويحارب الرياء ، لا يفرّق بين دين ودين لأنه يمقت التعصب ، وطبقة وطبقة لأنه يرى الناس أخوة . وانما همّه أن يرى من يعمل فيجيد ، ويقرأ فيفهم ، لا يؤخذ بالشهادات ولا يخدع بالألقاب ، فاذا كان لك سعي حميد إلى جانب ذلك رفعك فوق مكانتك ، وأحبّك فوق رتبتك ، ومال إليك بسمعه ، ودعا لك في مجالسه ، فأنت تطير بجناحين من

مديحه ، ذلك لأنه أديب عاطفي يحب ويكره ، ويذم ويمدح ، فاذا ارتسمت صورة من حب لم يطمسها واش ، واذا ارتسمت صورة من كره لم يمحها مادح ، إلا اذا رأى بالتجربة وخبر بنفسه ، وقرأ بعينيه ، فأنت حيث يضعك أدبك وقلمك وعملك .

دخلتُ عليه كثيراً في بيته ، والعباءة على كتفيه ، بـ « جسرين » أو في دمشق ، فرأيته يذيب نور عينيه في صحيفة أجنبيه وصلت منذ أيام ، يقرأ فيها عن رأي الغربي في الشرق أو مجلة مستشرقة تنشر في أدبنا وثقافتنا ، فهو شديد التتبع لما يقع وراء الحدود وفي الآفاق العليا ، وهو شديد النهم لمعرفة أخبار المطبوع والمخطوط ، عاش عُمره لهما وقضى في سبيلهما .

كانت المقالات والكتب تعرض عليه فيتولاها بالنقد والتجريح والاصلاح والتبديل قبل النشر ، لا يسكت عن خطأ ولا يخشى فى الحق لوماً . بل يقول في صراحةٍ ما يعتلج بقلبه ويلج في صدره ، كأنه يستريح بعد القول ، لا يستطيع أن يكتم بغضاً أو نقداً ، وهذا الخلق كثَّر أعداءه وجمع الخصوم عليه . وهو عصامي يعتزُّ بأنه صمد كثيراً للحياة والمبغضين ، ويفخر بأن كتبه أوصلته الى الوزارة ورئاسة المجمع ، وقد بلغهما عن كفاية وعلم ، وبلغ كثير غيره عن ضعة في النفس ، وذلّة في الحياة ، وتمسح بالسلطان .

رأيته يبكي حين دخل عليه عالم أجنبي ، كان يسعى إلى يدي رئيسنا ليقبلها ، فهاله إكبار الغرباء لسعي العلماء ، وقنع من جدّه بهذا الجزاء . ولا تسل عن ذاكرة عجيبة ومقدرة في الوصف غريبة ، حين سأله العالم عن أمور عفى عليها الزمان منذ بعيد ، فقد كانت ذاكرته تزداد مع الشيخوخة ، وتقوى كلما نحل جسمه وضعفت عيناه .

كان في عشر الثمانين من عمره يعمل لكتاب « البيزرة » في مخطوطة مصحَّفة ، فما نزلت مخطوطتها من يده ، ولا ملَّ صحبة سطورها ، فهو يستلذّ العمل في

سبيل المجمع العلمي : مطبوعاته شاهدة على قوة ، ومجلته دلالة على استمرار ، لأنه رأى ولادة المجمع العلمي بدمشق ، ووقف حياته في الدفاع عنه ، فاستهدف لغضب الطامعين في دخوله ، والغاضبين لوجوده ، والحاسدين لجهوده . وبعض الناس لا يريد أن يعمل ولا يريد لغيره أن يعمل . وقد شب كثير مع الرئيس وشابوا ، فأصبح في سدة العلماء المشهورين ، وما يزالون من دمشق في شهرة فقيرة ، وعدة من العلم يسيرة ، وهو في بحر من رسائل المديح تأتيه من الغربيين والشرقيين .

يعمل الموظفون في دوائرهم ، وحولهم من يعينهم أو يكتب لهم ، ويعمل الرئيس في كتبه وحده ، يكتب بخطه ، ويصحح بقلمه ، ويراسل بيده ، ولا معاون يكل اليه الأمر ، أو يكتم له السر ، وقد يخط عشرات الرسائل ، ويصحح عشرات الصفحات يحققها ، وينظر في مقالات غيره من الأعضاء والأدباء والعلماء ، وهو لا يشكو ولا يتذمر ، لأن الخلود يكلف النوابغ جزية يسيرة : هي أن تصمد قلوبهم لهذا السعي المتواصل ، ولو دلفوا إلى الثمانين [1] .

رحم الله محمد كرد علي ، إنه لم يرحم قلبه ، ولم يشفق على عينيه ، ولم يحرص على صحته ، وإنما أنفق ذلك في سبيل هذا الوطن وأبنائه ، فله من الوطن الإكبار والتخليد ، ومن المجمع العلمي العربي دمع لا ينفد ، وحسرة لا تنقضي ، ومكان لا ينسى .

ولقد أراد مجمعنا العلمي بدمشق أن يرسل في ذكراه سطوراً موجزة ، تصف حياته وتعدد آثاره ، يقدمها إكليلاً الى ضريحه الخالد ، فكلفني وشرفني بهذه المهمة ، فبذلت ما وسعني ، وهذا جهد المقل ، داعياً الى الله أن يمطر ضريحه بوابل رحمته ، وأن يسكنه فسيح جنته .

(١) رسم العلامة المرحوم أخلاقه وحياته وما اتى خلال عمره ، في مقال جميل ننصح الذين يعشقون الأدب أن يقرءوه ، فهو من أطيب ما خطته أنامله ، وهو فيه كأنه ينعي نفسه ويلخص ما علمته الأيام من دروس ، وكان علينا أن ننقله هنا ولكن المجال ضيق ، فنحيل القارئ اليه في مذكراته ٦٤٩/٢ – ٦٥٣ .

أيام الحداثة والدراسة

« ١٨٧٦ – ١٨٩٢ »

ولادته

قدم جدّه « محمد » من السليمانية [١] بشمالي العراق ، وهو تاجر كرديّ من الأيوبية ، فاتصل بالشام ورحل الى الحجاز والأستانة ثم عاد الى دمشق واستقر فيها [٢] . ونشأ أبوه « عبد الرزاق » في الخياطة أول الأمر ، ثم عمل في التجارة فربح [٣] ، واشترى مزرعة في الغوطة بقرية « جسرين » ، وتزوج امرأة شركسية أصلها من قفقاسيا [٤] ، فولد له منها غلام ، في أواخر صفر سنة ١٢٩٣/١٨٧٦ ، سمّاه « محمداً » ولقبه بـ « فريد » .

الدراسة الابتدائية

ودبّ الطفل « محمد فريد » في بيت أبيه ، في زقاق البرغل ، وأحاطته أمه بعناية فائقة ، ومنحه أبوه عطفاً غالياً ، ثم أسلمه في السادسة من عمره الى مدرسة كافل سيباي الأميرية الابتدائية « وهي المدرسة السباهية » [٥] ، يتعلم فيها خلال العام ، فاذا كانت العطلة الصيفية استسلم الصبيّ الى البيت ، يسرح ويمرح ، يطوّف

---

(١) بلدة قائمة على سفح جبل مارمير ، تبعد عن كركوك ٧٢ ميلاً .

(٢) قص علاّمتنا الراحل في خطط الشام ما وصل اليه من أن خلافاً وقع بين جده ومحافظ الحج ، سافر له الجدّ شاكياً الى الأستانة ، وخاب في سعيه فافتقر وهلك – خطط الشام ٦/٤١١ .

(٣) قصّ علينا كذلك من أمر ابيه وسفره الى الأستانة واتصاله بكبار القوم هناك وفي دمشق ما نحيل به القارئ الى المذكرات ، بالصفحات ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤٣ .

(٤) يقول الرجل في مذكراته ص ٥ : « فأنا على رغم من آمن وكفر من جنس آريّ لا يقبل النزاع » .

(٥) انظر ثمار المقاصد ليوسف بن عبد الهادي ، وتعليق الدكتور اسعد طلس ، بحاشية الصفحة ٩٩ .

الماء عصر كل يوم في صحن الدار ، ويسبح في الحوض حتى يتبرّد . فاذا سار الى « جسرين » ركب مع أبيه على فرسه ، واجتاز الغوطة ، ورأى الظلّ والنور يتلاعبان طول الطريق على رأس أبيه ، ويجريان أمامه في خطوط عرضية تمرض وتدق ، ورأى الانسان والحيوان يعيشان في خدمة المدنية وأهلها ، وشهد الحصاد والرجاد ، والبيادر والنواطير ، فكان يقضي نُهُرَه في الحقول الواسعة ، يطيّر طيارته في الهواء ، أو يسبح في ماء النهر ، أو يعبث ساعات من نهار بالأرجوحة مع أخته تقذفه ويقذفها(١) .

لذلك كان الصيف حلماً من أحلام الصبي ، وكانت القرية سكناً ومرتعاً خصباً لخياله وآماله ، يستمتع بالضفادع في مناقعها ، ويطرب لأصواتها ، ويأنس بالفلاّح ويسرُّ لدعابته ، فأحبَّ القرية وعشقها ، ووقعت « جسرين » من نفسه موقعاً خالداً ، عاش فيها أحلى حياته ، وسجّل فيها أجمل مؤلفاته .

وترعرع الطفل في كنف الرعاية والعناية عند النساء كذلك ، وأحسّ بذلك منذ نعومة أظفاره ، فخلّف في نفسه حساً دقيقاً رائعاً ، ابث يصحبه بعد الستين والسبعين ، إذ يقول بعد نصف قرن :

« شعرتُ أول ما وعيت على نفسي بعطف النساء ، وكنت أحبّ الاجتماع اليهنّ ، وأفضّله على الاجتماع الى أترابي ، وأُحبُّ سماع كلام من يختلف منهن الى دارنا في القرية ودارنا في المدينة ، ومنهنّ من أرضعنني فصرتُ ابنهنّ من الرضاع ، وغدا أولادهن أخواتي وإخوتي . وكان الكهلات والشابات والعجائز من أولئك النسوة ، الفلاحات منهن والبلديات يضممنني إلى صدورهن ، ويقبلنني ، وأضمهنّ وأقبلهنّ »(٢) .

---

(١) المذكرات ١٢ .
(٢) المذكرات ز ١٤ .

وهكذا كان لطفولته المرحة ، وحياة الطبيعة وعناية النساء به أثر كبير في حياته ، فقد كان يقول : «وبقيت بعد ذلك أوثر مجلس النساء مهما كان لونه على مجالس الرجال الى أن شببت وشبت» . ورافق النساء والطبيعة ، شعور بالموسيقا والطرب ، فقد كانت أمه تصحبه الى حفلات الاعراس لذلك الزمان ، فيشهد «التخت» ويسمع الى المغنيات ، وينظر الى الجمال والفتنة فيما يرى وفيما يسمع ، فنشأ عنده حس الفن ، ونما حتى عشق الألوان والأصوات . واحتل ذلك من نفسه موقعاً كبيراً ، وأثار في أدبه وكتابته سطوراً لا تمحى ، ظهر أثرها فيما كتب وفيما سطر ؛ فهو يذكر بعد سنين عاماً لون حذائه للعيد ، وما يقدم من حلوى في البيوت ، وما يقوم من ملاعب في الشوارع .

كل هذه المشاهد الفاتنة ، في المدينة والقرية ، أثرت في عقل الصبي واشتركت في تفكيره وذكائه ، فقد قرأ في كتاب الطبيعة ، وسبح في مفاتنها منذ صباه ، وتفتحت عيناه على أجمل ما يسر العيون ، فأشرقت في نفسه ألوان الفهم ، وأشربت روحه حب النكتة والقصة والخيال .

فلما كان في السادسة زار مع أمه بيت الشيخ محمد الطنطاوي بالقيمرية ، ووقع بصره على رفوف للكتب ، فشهق لمرآها ، وسأل عنها فأجابته : «إنها كتب يقرأ فيها العلماء» فأحب ألوانها وطريقة ترتيبها ، ودعاه ذلك الى أن يقول في لسان الصبي الساذج : «أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة» ؛ ودفعه أبوه الى الكتب ، ودفعته أمه الى حبها ؛ واندفع هو بسائق وعده الى هذه الصنعة ، مع أنه يقول في أبيه : «ووالدي كان عامياً يقرب من الأمية ، أنفق عن سعة ليعلمني ، فكان مدة سنين يدر الرواتب على أساتذتي ، وقد ابتاع لي مكتبة»[١] . ولهذه المكتبة وهؤلاء المعلمين أثر في تربيته وثقافته وتفوقه على أقرانه .

---

(١) خطط الشام ٦/٤١٣ .

الدراسة الثانوية

ولما أتمّ الدراسة الابتدائية حوالي سنة ١٨٨٦م ، انتقل الى الدراسة الرشدية ، وسمي «محمد تعديل» نسبة الى حيّ كان يسكنه أبوه على عادة ذلك الزمن . وراح في هذه الحقبة يقرأ ويقرأ حتى هام بالمطالعة ، وأصبح يسهر الليل حتى الهزيع الثاني منه ، في قراءة جريدة أو كتاب . فضعف بصره ، وساءت صحته ، ونصح له الأقارب والأصدقاء في الاعتدال ، ولكنه مع ذلك ما كان يذعن إلاّ حين يُطفئ أهله المصباح لينام ويستريح .

وأنّى لنفسه المتيقظة أن تستريح ، وهو في كل يوم يقع على ألوان من الإغراء في المطالعة والجدّ ، فقد دخل على صفّه ذات يوم ، رجلٌ في عمامة وجبة ، يتحدث في لهجة مغربية ، فدهش الطفل لما رأى ، ولما سأل عنه قيل له : إنه المفتش العلامة الشيخ طاهر الجزائريّ ، وهو أمنع من شيخه وأستاذه ، وأنه يستطيع أن يعزل الأستاذ ، فقال في نفسه : «يا ليتني أكون مثله !» .

وهكذا أعجب وهو صغير بالكتب الجميلة المصفوفة والعلماء المهيبين المحترمين ، فأحب أن تكون له الكتب في بيته حين يكبر وأن يكون في العلماء المهيبين لعصره ، فاستزاد من الكتب ، وأطاعه أبوه فابتاع له جملة منها في التركات . - وكانت تباع التركات في الجامع الأمويّ بعد صلاة الجمعة - وصحب الكتب وقرأ فيها ، وراح يعبُّ من الصحف ، وهو في الثالثة عشرة من عمره : «بدأت أقرأ الجرائد اليومية في الثالثة عشرة من عمري ، وأنا في السنة الأخيرة من المدرسة الابتدائية ، وبعد حين اشتركت بجريدتين : بيروت الأسبوعية ولسان الحال نصف الأسبوعية» . ووصف لنا ما كان يقرأ فيها : «أولعت بمطالعة لسان الحال لأن فيها أخباراً طريفةً معرّبة عن الانكليزية ، واشتركتُ لما كنت في السنة الثانية من المدرسة الثانوية بجريدة افرنسية أسبوعية تصدر

في باريز اسمها « صديق الريف » ، وأطالع بعض الصحف التركية الصادرة عن الأستانة ، ولا سيما المجلات الأدبية والتاريخية »[1] .

وبذلك انتقل من كتاب الطبيعة المفتوح في صباه الى كتب مطبوعة في شبابه ، ومال الى الصحف والمجلات يقرأ فيها حتى عشق المطالعة ونال منها حظاً وافراً في ثقافته ولغته وأسلوبه ، ونالت من صحته وعينيه . وهذه الثقافة لم تقف على لغة واحدة ، وانما اشتركت فيها ثلاث لغات ، كان يقرأ عن آدابها في صحفه ، وهي العربية والتركية والفرنسية[1] فسبق اخوانه ، وفاقهم ثقافة في الحياة ، ونشأ فيه ميلٌ عميق الى الخيال والأدب والصحافة والثقافة العامة ، وسنرى أثر ذلك في حياته المقبلة ، حين أصبح صحافياً وغدا منشئاً مترسلاً ، يعمل للثقافة الغربية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، يشرك هذه وهذه معاً في جهده ، ويتخذ الطبيعة مصدر وحيه ، ومن الرحلات مادة كتابته ، ومن الآثار والكتب مجموع دراساته وتآليفه .

ولن نستغرب قوله : « وما بلغت السادسة عشرة حتى أخذت أكتب أخباراً ومقالات في الجرائد » ، بل هو يعجب لهذا الأثر فيقول : « ما كنت أظن أن هذه البداءة تنتهي بي الى الغرام بالصحافة »[1] .

وتعلق الشاب في دراسته الثانوية بالشعر العربي وبالسجع المنمّق وشارك في الأسلوب القديم ، وعكف على شيوخه يعبّ من علمهم وأدبهم ، وهم من مشهوري عصره لبلده : السيد سليم البخاري ، والشيخ محمد المبارك ، والشيخ طاهر الجزائري . وأخذ منهم حبّ الكتب القديمة ، وعشق هذه الثروة الكبيرة ، فجمع في نفسه حباً عارماً لكنوز الأجداد وآثارهم وكتبهم ، فقضى صحبتهم أكثر عمره .

ومن العجيب أن يتجاور القديم والحديث في نفس هذا الشاب وأن تتصاحب

---

(١) المذكرات ٥١ .

الثقافة الصحفية الجديدة والثقافة العربية القديمة ، وأن يعيش في قلبه شعوران عميقان أحدهما يدفعه الى أن يأخذ بحظه الكبير من قراءة هذه الكتب الصفراء المثقلة بالهوامش والتعليقات لعله يفهم العقل العربي على أربعة عشر قرناً فيه التاريخ والأدب ، وثانيهما يدفعه الى أن يأخذ بحظه الواسع من قراءة هذه الصحف الجديدة المصورة والمبوبة التي لا تمتُّ الى القديم بشيء ، وانما تحمله الى أجواء البوسفور والسين .

لذلك عاش في مدرسته الثانوية ، وقد ثقف من العربية على شيوخه ، وأخذ من الفرنسية بالمدرسة العازارية ، حتى ترك دراسته الثانوية ، وهو على شيء كثير من الثقافة العامة كما كانت لزمنه ، والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار . والذين يعرفون القرن التاسع عشر في الشام يشهدون بأن الأمية كانت ضاربة بجرانها في هذا البلد ، وأن الكتب المطبوعة نادرة عزيزة ، وأن المتعلمين أندر من الكتب ، لذلك سبق الشاب زمانه ، وكان « فريداً » حقاً ، كما لقبه أبوه .

* * *

في غمار الصحافة

« ١٨٩٢ — ١٩١٨ »

في الوظيفة

بعد أن قضى الشاب في دراسته الثانوية سنوات من عمره ، دخل غمار الوظيفة على عادة اقرانه ، وهو في السابعة عشرة ، فكان موظفاً كاتباً في قلم الأمور الأجنبية ، سنة ١٨٩٢ ، وكان يجيد الفرنسية والتركية والعربية . ولسنا نعلم مدى رضاه عن عمله هذا خلال ست سنوات ، وما كان يعترضه أثناءه ، وإنما عرفنا أنه كان معتزاً بفرنسيته : « ومعرفة المسلم لهذه اللغة أمر مدهش آنذاك » . ويبدو أن اللغة

أعانته على الوظيفة ، ودفعته الى الترجمة فشرع بنقل رواية فرنسية هي « قبعة اليهودي ليفمان » أعانه في سبكها أستاذه الشيخ محمد المبارك .

في التحرير

وشرع بعد ذلك يرسل في الصحف مقالات باسمه يصفها بقوله : « لم تصل الى أكثر من أقوال مبتدئ » ، وقوله : « لم أكن يومئذ أكثر من طائر لا زغب له ، أمام بواشق كاسرة »[١] .
وشجعه هذا الى أن يدخل في تحرير الصحف ، سنة ١٨٩٧ ، وهو في الثانية والعشرين : « ويبلغ بي الحال الى أن أحرر أول جريدة ظهرت في دمشق ، واطرد صدورها مدّة ، واسمها الشام ، وكانت تصدر أسبوعية لصاحبها مصطفى أفندي واصف الشقللي ، مدير مطبعة الولاية ، ومدير إطفاء الحريق . وفي مطبعة الولاية كان يطبع جريدته ، ولم يكن يحسن الكتابة بالعربية فاتكل على صهره أديب أفندي الطناحي المصري ، وكان هذا يلفق بين جمل يحفظها لبعض الكتاب المحدثين ، ومنها عبارات لأديب اسحق ، ويصوغ من عنده بعض جمل . واتكل أيضاً على اسماعيل افندي النابلسي من أبناء الأعيان ، وكلا الرجلين لم يدرس آداب اللغة العربية الدرس المطلوب »[٢] .

ثم قال : « ملّ صاحب الشام ، على ما قال ، من إعنات هذين المحرّرين له ، فعهد إليّ بتحرير جريدته ، ولما أخذتُ بالنقل عن التركية والفرنسية شعرتُ بخطورة العمل الذي وسّد إليّ ، وأشد ما كان يؤلمني كابوس المراقبة ، وما ألقاه من الغيظ حتى يؤذن للجريدة بالطبع » .

ولبث الشاب يحرّر في هذه الجريدة ثلاث سنوات ، على الرغم من كلّ ما كان يعترضه فيها ، فقد رضع لبان الصحافة قارئاً صغيراً على مقاعد الدرس ، وغذاها شاباً وهو لمّا يبلغ الخامسة والعشرين ، فظهر في حياته أول أثر من

(١) المذكرات ٢١ .
(٢) المذكرات ٥١ .

آثار نشأته وثقافته وقراءاته . ولم يقف عند هذا ، بل راح يكتب لكبرى الصحف المصرية آنذاك ، وهي مجلة « المقتطف » وذلك لأن صاحب المقتطف شكا الى الأمير شكيب أرسلان شدة الارهاق الذي يلاقيه من تحرير صحيفته كلها بنفسه ، وهي في حجم يزيد على مئة صفحة في كل شهر ، فأحاله على صديقه الشاب محمد كرد علي ، وقبل هذا مغتبطاً ، فأرسل اليها أولى مقالاته : « أصل الوهابية » ، وأصبح ذلك سبيله الى الشهرة ، حيث يقول في مذكراته : « وبكتابتي في هذه المجلة امتدت شهرتي » [1] .

بهذا خرج الشاب من نطاق إقليم ضيّق محدود هو الشام ، الى إقليم واسع كان معدن الصحافة وموضع الثقافة ومصنع الكتابة ، وهو مصر . وهذا الذي نقل الشاب من ميدانه الاقليمي الى جوار الأعلام المشاهير .

في مصر

ولا شك في أن آفاق سوريا ضاقت في عيني محمد كرد علي فطمح الى آفاق كبرى ، وحلّق خياله في سماء الغرب ، لما كان يقرأ منذ طفولته عن أخباره وآثاره ، فأحب أن يزوره ليعبّ من ثقافته ، وأعرب عن هذه الأمنية في صدر كتابه « غرائب الغرب » : « كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوربا رحلة علمية أقضي فيها ردحاً من الدهر ، للتوفر على دراسة حضارة الغرب من منبعثها ، واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المتزهون ، والعلماء العاملون ، والساسة المستعمرون ، والقادة الغازون ، والتجار والصنّاع والزراع والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاها » [2] .

ولذلك قرّ رأيه على مغادرة بلاده الى باريس لقضاء بضعة أشهر المدرس والنظر ، ولا عجب في أن يقصد باريس دون غيرها من العواصم ، فقد تأثر بما قرأ في

---

(١) المذكرات ٥٢ .
(٢) غرائب الغرب ٤ .

الفرنسية من غير شك ، وأخذ بجمالها وروعتها بما تلقنه في العازارية وغيرها عن أساتيذه . وسافر سنة (١٩٠١) وهو في السادسة والعشرين .

ودخل مصر ، ونزل بها أياماً يرحل بعدها الى عاصمة الفرنسيين ، ولكن أصحابه في القاهرة عرضوا عليه البقاء ، وحدثه صديقه الأستاذ السيد محمد رشيد رضا[1] صاحب المنار أن يحرّر في جريدة «الرائد المصري» لصاحبها نقولا شحاده ، وهي نصف أسبوعية فقبل . وكانت هذه الجريدة تنال من أصحاب المقطّم بتشجيع المؤيد ، وكان صاحبها جاهلاً بالعربية ، ومع ذلك ظلّ محمد كرد علي يحرّر فيها ، فقد كان يستمتع بصحبة المصريين من العلماء ، وينتفع بالكتّاب من النازلين في أرضها ، فتعرّف الى محمد المويلحي وابنه ابراهيم - وكانا يحرّرات «مصباح الشرق» - والى الشيخ محمد عبده ، وكان يدرّس في الرواق العباسي بالأزهر ، لحضر الشاب دروسه في التفسير مرتين في كل أسبوع ، وغشي مجلسه الخاص بـ «عين شمس» مرة في الأسبوع ، فتعرّف الى جماعة من الفضلاء والعلماء ، وانتفع في الاستماع اليهم ، كما انتفع بذلك الشاعر محمد حافظ ابرهيم .

وقد سجّل في مذكراته هذا الاعتراف فيما بعد قائلاً : «وكان يوم الاستقبال في داره بعين شمس أعظم واسطة لمعرفة طبقات من أعيان الأمة وعلمائها وقضاتها ورجال سياستها وغيرهم»[2] . وكان الفضل في تقديمه الى الفضلاء من المصريين لصديقيه : رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا .

وقد ذكر كثيراً من المصريين والسوريين تعرّف اليهم ، وكلّهم في الأعلام المشهورين ، خلّفوا صفحات نيّرة في حياة العصر الفكرية والأدبية ، أمثال : قاسم أمين ، وفتحي زغلول ، ابرهيم اليازجي ، يعقوب صروف ، فارس نمر ، حافظ ابرهيم ، خليل مطران ، عبد العزيز فهمي ، جرجي زيدان ، علي يوسف ،

---

(١) المذكرات ٥٥ .
(٢) المذكرات ٢٥١ .

مصطفى كامل ، سليمان البستاني ، أحمد تيمور ، أحمد زكي ، ولي الدين يكن ، شبلي شميل ، وغيرهم كثير من المعاصرين .

ونحن إنما بسطنا هذه الأسماء ، وأفضنا بعض الافاضة في تعدادهم لننتهي الى أن الرجل دخل جامعة أدبية فكرية واجتاز المرحلة الأولى فيها ، فتكونت ثقافته ، وقويت معرفته ، وأخذ من كلّ بطرف ، فعوضت عليه سني الدراسة العالية – كما نسميها الآن – وكفته مؤونة الشهادة العليا والألقاب الجامعية وما اليها من تهيؤ ومحاضرات ، ولا ريب في أن هذه المحاورات والمجالس كانت أشبه بالمحاضرات العامة ترهف العقل وتغني الثقافة .

ولعل مشاهدة الأعلام والاجتماع اليهم تزيد في ثقافة القارئ ، وتكسبه بالحسّ تجربة ومعرفة . والرجل نفسه يعترف بهذا الأثر في مذكراته : « ومن أعظم ما استفدته من رحلتي هذه الأخذ عن عالم الإسلام والإصلاح الشيخ محمد عبده وحضور مجالسه الخاصة والعامة »[١] .

ولسنا نتطرّق الى وصف البيئة في مصر ، وحال السياسة والخطابة ، وقيام الدعوة الى الوطنية والاستقلال ، وما كان في الصحف المصرية الكبيرة من أدب وبيان ، لنشير الى أثرها في أدب الشاب وفي روحه ، فلذلك كتب يحسن الرجوع اليها [٢] في فهم العصر والمصر والأثر .

عودته الى دمشق

وعلى كلّ ، لم يطل مقام الرجل في مصر ، فقد سلخ عشرة شهور فحسب ، قام بعدها وباء في القطر ، اضطر محمد كرد علي إلى الرحيل عنها فهجرها الى دمشق ، وعاد الى وسطه الضيّق ، يتحمّل عنت الحكام ، وجهل الجهلة ، وحسد الحاسدين ،

(١) خطط الشام ٤١٣/٦ .

(٢) نضرب لذلك مثلاً كتاب أنيس المقدسي في العوامل الفعالة في الأدب العربي الحديث ، وكتاب عمر الدسوقي في الأدب الحديث ، وكتاب عبد الرحمن الرافعي « مصطفى كامل » مصر سنة ١٩٥٠ .

ولعله صرّح إثر عودته ببعض الآراء الإصلاحية التي حملها معه من مصر ، ونثر بعضاً من الأفكار الاجتماعية ، فحملها الجواسيس والوشاة ، ممن يتصيّدون الغائب بعد أوبته بتصريح أو تلميح ، وانتقلت الى آذان السلطة الحاكمة ، فضايقته وراقبته ، ورأت أن تتخلص منه بالسجن أو بالإبعاد .

لذلك ألصقت به تهمة الطعن على أحد الأعيان ، أو كتابة المناشير ضد الوالي ، وشرّدته عن داره أياماً ، قضاها مختبئاً في قرى الغوطة ، في خوف وذعر ، وصفها صديقه الأمير شكيب أرسلان [١] بقصيدة طويلة نروي منها :

فكم في الزوايا تخبّأ فتى طريد الكتاب شريد القلم
ونحو « المليحة » رام الخفا وكم بالمليحة من متّهم
وكم ذاب « جسرين » من ليلة على مثل جمر الغضا في الضرم [٢]

وزاد هذا التضييق حتى ذاع في الأسماع أنه منفيّ الى رودس أو الى فزان ، فسئم التخفي ، وتحمّل ثانيةً الى مصر ، وهو في الثلاثين من عمره تقريباً .

في مصر سنة ١٩٠٥ دخل مصر ، فتولّى تحرير جريدة « الظاهر » [٣] ، وهي يومية صاحبها السيد محمد أبو شادي ، وأصبح بعد قليل رئيس تحريرها . وأصدر معها مجلة « المقتبس » الشهرية ، وطبعها بمطبعة الظاهر ، وراجت المجلة في الناس . وحين توقفت جريدة الظاهر [٤] طفق يترجم روايات عن الفرنسية لمجلة « مسامرات الشعب » وصاحبها خليل صادق .

(١) قامت بين الراحلين صداقة متينة ، وشابها بعض الكدر حين رشحت بعض المراجع الأمير شكيب أرسلان الى رئاسة المجمع ، كما في المذكرات ٢١٨ — وفي مذكراته ١٠١٦ يقول : إن المجمع قرر أن يستعاض عن تأبين الأمير شكيب بكتاب يؤلفه أحد الأعضاء في سيرته السياسية والأدبية ، ولكن هذا الكتاب لمّا يصدر بعد ، على شدة وفاء الأمير للراحلين من أصدقائه كأحمد شوقي ، ورشيد رضا ، ونحن في سبيل انجاز كتاب عنه يصدر قريباً .

(٢) انظر بقية ابياتها في خطط الشام ٤١٤/٦ .

(٣) المذكرات ٥٦ : « لمحمد بك أبي شادي » .

(٤) توقفت جريدة الظاهر لعجزها عن دفع الرواتب — المذكرات ٥٩ .

ودعاه بعدها صاحب «المؤيد» الشيخ علي يوسف للتحرير في جريدته، وعليها قامت شهرته، فهي الدعامة الثانية بعد المقتطف في تعريفه الى المصريين، فدخل في صميم حياتهم، وأصبح يعرف ما تقف عليه الخاصة فحسب. وشغفته البلاد حباً حتى قال: «وأصبحت في مصر كأني في بلدي تهمني من وراء الغاية سياستها وسيادتها»[1].

وظل يحرر في «المؤيد»، وتنتشر مقالاته فيها، وكانت لسان حال العالم الاسلامي الواسع، فعرفه القاصي والداني، وغدا ملء الأسماع وموضع الرعاية، وحقق حلماً من أحلامه.

وجاري في «المقتبس» ما كان عليه الغربيون من نشر البحوث العلمية والأدبية والتحقيقات التاريخيه، فكان ينقل عن مجلات العالم أنباء في العلم والحضارة والتقدم والاختراع. ويكتب في أعلام المشارقة والمغاربة، ويعرّب روايات عدّة عن الفرنسية، وينشر الى ذلك كتباً قديمة عن مخطوطات قديمة نادرة، فهو بذلك جمع بين القديم والحديث، وهذا أثر آخر من آثار دراسته الأولى، فقد تثقف على الشيوخ فأحب المخطوطات والكتب القديمة، وأخذ من الصحف خلاصات الأنباء والآراء الغربية.

ومجموعة مجلة المقتبس من أنفس ما تذخر به مكتبتنا العربية الحديثة في علوم اللغة والأدب والتاريخ، إلى مقالات في الرحلة ووصف المخطوطات في عواصم الشرق العربي، وقد بلغت تسع مجلدات في (٦٥٠٠ صفحة) صدر ثلاث منها في مصر وسائرها في دمشق.

ومن أراد أن يعرف الموضوعات التي طرقها الرجل في جريدة «الظاهر» و «المؤيد» و «المقتبس» يستطيع أن يرجع إلى كتبه فانه واجد فيها نصوص

(١) المذكرات ٥٩.

أكثر هذه المقالات ، وبها يحكم على ذوقه في النقد ، وسعيه في الاصلاح الاجتماعي وحبّه للقديم من تراثنا ، ووقوفه على كتب الغربيين في الاجتماع والرواية والقصة .

في سوريا لبث محمد كرد علي في مصر حتى سنة ١٩٠٨ ، فلما أعلن القانون الأساسي ، وسقطت دولة الاستبداد ، ظن الناس خيراً بالدولة العثمانية ، فتحمّل الرجل الى وطنه ووصل دمشق ، فأنشأ فيها مطبعة ، وأصدر « المقتبس » اليومي ، وهي أول جريدة يومية صدرت في دمشق [١] وهو في الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً .

وكانت هذه الجريدة تكتب في الثقافة العامة ، والأدب ، والسياحة ، والشعر ، وتنشر مقالات في وصف المدن السورية ، ورسائل من الغرب . وتجد فيها آثار الأعلام في الشام والعراق ومصر كرفيق العظم ، وعبد القادر المبارك ، ومعروف الرصافي ، والزهاوي ، وشوقي ، وغيرهم من رجال لبنان والمهجر ، في صفحات أربع واسعة كأنها من جرائد اليوم قوة في التحرير ، ومتانة في التعبير ، وسعة في الأخبار . وهي تنقل عن أختها المقتبس الشهرية وعن غيرها ، أو تعير بعض مقالاتها للمقتبس الشهري ، وكان يعينه في إدارتها أخوه الأستاذ أحمد كرد علي .

وقد عانت الجريدة كثيراً من جراء الصراحة والحرية ، والنقد [٢] ، فقامت السلطة لإيقافها أو تخفيف حدّتها ، فحاولت ذلك باللين حيناً والتهديد أحياناً ، وأقامت الدعاوى المختلفة ، وقد عرفنا أن الأستاذ فارس الخوري كان يرافع عن زميله وصديقه محمد كرد علي ، ورأينا من أخبار هذا الدفاع في جريدة المقتبس .

---

(١) المذكرات ٦١ .

(٢) في خطط الشام ٤٢٢/٦ يقول العلاّمة محمد كرد علي : « كان مذهب المقتبس معاونة الحكومة بالمعقول ، وانتقادها عند الاقتضاء ، وفتح الصدور للمدنية الغربية » — وكذلك المذكرات ٦٣ .

واشتدت السلطة بعد ذلك ضد الرجل[١] ، فهددته بالاغتيال ، ثم عمدت الى إغلاق جريدته ، وترصد الوالي في القبض عليه .

في الغرب سنة ١٩٠٩

لذلك هرب الرجل من دمشق ، وبلغ لبنان[٢] ، وركب منها البحر الى فرنسا ، وقد بسط تفصيل الرحلة في كتبه ، فكأنها أقرب الى الخيال لشدة ما لاقى من عذاب ، وهول ما صادف من تخفّ ، حتى لكأنه ، وهو يروي خبرها ، كان يرى في كل شخص عيناً ، وفي كل زاوية رصداً .

وبلغ باريس - وهو في الرابعة والثلاثين - فزار معالمها التاريخية ومؤسساتها الثقافية ، وخص المجمع العلمي الفرنسي فيها بوصف مسهب قال فيه :

« وحدثتني النفس ببلادنا الشرقيـة ، وقلتُ : هل يكتب لنا المستقبل تأليف مثل هذه المجامع ، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين ، أو نظل كما نحن لا نعمل فرادى ولا مجتمعين »[٣] .

ونحن نرى في هذه الجملة نواة لتفكيره بإنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، فقد صرّح في تقاريره بعد عشر سنوات ، أن المجمع في دمشق وضع على غرار المجمع في باريس . فالرجل كان يرى لبلاده أن تأخذ أحسن ما عند الغرب ، ولعله حين سمى جريدته ومجلته بـ « المقتبس » كان يؤمن بالاقتباس من العرب القدماء والغربيين المحدثين على السواء ، نجمع على صعيد واحد أمجادنا القديمة الموروثة وأمجاد الغربيين المكتسبة .

---

(١) دخل محمد كرد علي في جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب العثماني بنحو اثنتي عشرة سنة ، ثم فهم أن مرامي الاتحاديين تتريك العناصر ، فألف كتلة من العرب والترك سماها : « حزب الحرية والائتلاف » ثم حل الحزب - خطط الشام ٤٢٢/٦ .

(٢) المذكرات ٨٦ - ويتحدث الكاتب أمين الريحاني عن زيارة العلامة كرد علي وهربه الى الفريكة في كتابه ملوك العرب ١٠/١ فيقول : « أقام محمد كرد علي عندنا أسبوعاً عددناه من شوارد الزمان » .

(٣) غرائب الغرب ١٠٦/١ .

ورأى في هذه الرحلة مكتبات ومتاحف وكنائس ودور تمثيل ، وعاد من باريس الى الآستانة ودمشق فوصلها سنة ١٩١٠ ، وهو يحمل في صدره صوراً للحرية ، وعلى أطراف قلمه آيات للعمل والسعي ، فأطلق الاتحاديون جواسيسهم وأعوانهم ، يهدّدونه ليكمّ فمه ويسكت عن هذه الثورة الفكرية التي كانت تضطرم في قلبه . ولعله ملّ ذلك كله ، وسئم الصحافة ورأى أن يهجرها الى غيرها من الصناعات وقد جاوز الخامسة والثلاثين من عمره .

قبيل الهجر سنة ١٩١٣

حدثنا الرجل من قبل أنه حين قصد مصر سنة ١٩٠٦ ، نصحه صديقه جرجي زيدان بأن ينقطع عن السياسة إلى مجلته يعمل للعلم والبحث ، وحدثنا كذلك أنه حين زار مصر سنة ١٩٠٨ نصحه صديقه يعقوب صروف أن يقتصر على المجلة وأن لا يدخل في السياسة . والرجلان على قدر عظيم من العلم والذكاء والبحث والتحقيق ، وقد أدركا أن الأستاذ محمد كرد علي لم يخلق للصحافة اليومية والعمل السياسيّ ، وإنما هو بالبحث ألزم وبالتحقيق أحقّ . وكأنما عرفا من خلق الرجل في عصبيته وصراحته وشدة ذكائه ما يجب أن يعدّ لمستقبله وما يتخذ لعمله .

وقد حاول أن يكون صحافياً خلال عشرين عاماً يعيش من قلمه ، في حكومة تحارب القلم ، ويروج بعلمه في سلطة تقتل العلم ، لذلك ضاقت نفسه بحياته : تهديد إثر تهديد ، ورحلة بعد رحلة ، فما يظهر إلاّ ليختفي ، وقومه في تباغض وتحاسد ، والنوافذ مغلقة على النور ، والحياة أشبه بالسجن . لذلك آلى على نفسه أن يستمع الى هذين الصوتين القديمين ، وأن يعتمد على البحث والتحقيق ، فهو يزحف نحو الأربعين من عمره ، وله أن يكتب في تاريخ بلاده وخططها ومعالمها القديمة والحديثة وأنظمتها وحضارتها .

لذلك فكر في أن يرحل باحثاً لتأليف هذا الكتاب ؛ وقد وضع قبالة عينيه ما صنع الأمير « ليوني كايتاني » مؤلف تاريخ الاسلام الكبير ، ورأى أن يسافر اليه ، فعنده مكتبة منقطعة النظير في الغرب كلّه ، جمع فيها مصادر الإسلام

والعرب من مخطوط ومطبوع ؛ وصوَّر لها كلّ ما في العالم من مخطوطة ترشده الى بحثه ، فلماذا لا يشدّ اليها الرحال ، ويصنع كالمستشرقين والغربيين ؟ !

في الغرب

وعلى هذا سافر من بيروت على باخرة تقلُّه الى رومة ، وقد عرجت على الاسكندرية في طريقها ، فنزل في مصر ، ولما وصل رومة ، قصد الى مكتبة البرنس كايتاني وراح ينهل منهـا ، ويجمع مادة كتابه « خطط الشام » .

وتنقل بعد ذلك من ايطاليا الى سويسرة فالمجر ، ووصف أجمل مافي هذه الربوع في كتابه « غرائب الغرب » وخصَّ بها أكثر الجزء الأول ، ثم عاد الى الأستانة ، فجنح الى وطنه [١] ، وآب الى دمشق ، لعله يستريح من سفر ، أو يستجمّ من تعب .

رحلات الدعاوة

وأين الراحة وأين القرار ؟ وقد دخلت الدولة الحاكمة في الحرب ، واسترخصت أرواح الناس في وجنَّدت المفكرين للدعاوة لها ، وجمعت من الشام طبقة من العلماء والأدباء ورجال الدين وجعلتهم وفداً الى الأستانة ليروا ويصفوا . وكان سفر الوفد ، أواخر سنة ١٩١٤ ، فخطب أعضاؤه ، ونظموا الشعر خلال الرحلة . فلما عادوا كلَّف القائد جمال باشا أربعة منهم بتأليف رسالة عن الرحلة ؛ وهم : محمد كرد علي عن المقتبس ، ومحمد الباقر عن البلاغ ، وحسين الحبال عن أبابيل ، وعبد الباسط الأنسي عن الإقبال . وصدر الكتاب الصغير .

ثم رحل أنور باشا الى الحجاز ، وطلب الى محمد كرد علي أن يؤلف في الرحلة ففعل [٢] وهو يقول بعد ذلك في الكتابين إنهما : « من كتب الدعاية السمجة في

(١) قبل نشوب الحرب العامة ببضعة أشهر أوقف والي دمشق المقتبس ، وضايقته السلطة حتى أعلنت الحكومة العثمانية النفير العام – انظر خطط الشام ٦/٤١٨ .

(٢) سافر العلامة الى المدينة المنورة وقضى فيها ثلاثة وعشرين يوماً – انظر المذكرات ٨٩ ، وارجع الى زبدة رحلته في المذكرات ٧٨٤ بعنوان : « في مدينة الرسول » ، وقد عدَّد فيها المخطوطات ووصفها .

الحرب الممقوتة » ، ويقول كذلك : « وأنا غير راضٍ عن أكثر ما فيها وهما كتابان لغيري لا لي » .

وقامت في الشام جريدة « الشرق » وهي كذلك للدعاوة في سبيل تركيا وألمانيا فتولى رئاسة تحريرها مدة(١) ، وكان يكتب فيها نفر من الأدباء والكتاب .

ولعل الرجل ملّ من الحرب ومقالات الدعاوة السياسية ، ففكر في التجارة(٢) والسفر الى الأستانة . ولما بلغ عاصمة العثمانيين حال الاتحاديون بينه وبين العمل بإيعاز من أحمد جمال باشا ، وقال : « ومنعوني من معاطاة أعمال لا أعرفها في الحقيقة » ، ولكنه اطلع في استانبول على خزائن دار السلطنة ومخطوطاتها النفيسة .

ولما سقطت دمشق بيد الحلفاء سنة ١٩١٨ ، عاد اليها بعد ثلاثة شهور من سقوطها ، لعله يصدر « المقتبس » ثانية ، لكن الحاكم العسكري أراد أن يصرفه عنها ، فجعله في رئاسة « ديوان المعارف » ـ وهو في الثالثة والأربعين تقريباً ـ .

ديوان المعارف

وهكذا عاد الرجل موظفاً كما كان منذ خمس وعشرين سنة ، على أنه تسلّم منصباً في الثقافة يخدم به معارف أمته ، والمستوى العلمي في بلاده ، ومع ذلك « قبله متكارهاً »(٣) كما قال ، وقد كان يرأس جملة من الشيوخ تعمل لتنقيح المفردات والنظر في المؤلفات ـ على حد تعبيره ـ .

وبذلك طلّق الصحافة ، وفارق هذه المهنة التي ألفها صبياً ، وأحبّها شاباً ، وعمل لها خلال ربع قرن ، يتمرّس بها في أرفع الصحف العربية بدمشق

(١) في خطط الشام ٦/٤١٩ : « عهدت إليّ برئاسة تحريرها فوليته مدة » .
(٢) في خطط الشام ، بالصفحة نفسها : « وقصدت الى الأستانة للتجارة فمنعني الاتحاديون هناك » .
(٣) خطط الشام ٦/٤٢٠ .

والقاهرة ، وفي أرقى الأوساط الفكرية والأدبيــة ، فقد كانت له مدرسة رفيعة ، وجامعة راقية ، جمعته الى صدور المشارقة والمغاربة ، فأفاد من مجالسهم ، وانتفع بكتاباتهم ، ولكنه رأى آخر الأمر أنها حرفة شاقة ، ورأى أن السياسة متقلبة ، فآثر أن ينصرف الى التأليف والكتابة في المجلات العلمية[1] ، وأن يختم حياته الصحفية ، فقد أصبح صاحب رسالة فكرية سامية ، فيما يرى ، وقد جاوز الأربعين من عمره منذ سنوات .

* * *

في المجمع العلمي العربي
« ١٩١٨ — ١٩٥٣ »

في العهد الفيصلي

هــذه الرسالة التي كان ينهض لها ويدعو اليها هي رسالة التأليف والتحقيق ، أحبها منذ تعرّف الى شيوخه الجزائري والمبارك والبخاري ، وعرف تعلّقهم بالقديم ونشره ، وأكبرها حين رأى المصريين ينشرون الكتب العلمية والنصوص القديمة ؛ ثم عشقها حين اختلف إلى مكتبة الأمير كايتاني ومكتبات المستشرقين ، وتعلّق بها حين زار المجمع العلمي الفرنسي بباريس .

ورأى أن تحقيق الكتب لا يكون في المجلات والصحف ، وإنما يجب أن تقوم بها هيئة رسمية ، أو مجمع علمي كمجامع الغرب ، فقد آن أن يعمل العرب للحفاظ على لغتهم ، بعد أن جلا العثمانيون عن سوريا ، وأشرق على البلاد فجر جديد ، وأصبحت الأمة في أعياد الاستقلال ، أمراؤها من العرب وضباطها من العرب ، فيجب أن تكون معارفها عربية ، ودروسها قومية ؛ فلِمَ لا يكون لسوريا مجمع علمي عربي ينقح المفردات ، وينشر المؤلفات ،

---

(١) المذكرات ٦٣ .

ويرسل المحاضرات ؟ وأبدى الرجل رغبته فوافق الحاكم العسكري في دمشق رضا باشا الركابي على ذلك ، في ٨ حزيران ١٩١٩ ، وانقلب « ديوان المعارف » برئيسه وأعضائه مجمعاً علمياً مرتبطاً بالحاكم العام مباشرة [١] ، وكان عدد الأعضاء ثمانية [٢] .

وقام المجمع بنصيبه في تقدم العربية ونشر الثقافة ، برئاسة محمد كرد علي ، وانبرى أعضاؤه يحاضرون الجمهور في مختلف الموضوعات ، ويحققون المؤلفات ، ويسهرون على جمع المخطوطات ودراستها ووصفها . وعادت الى العادلية والظاهرية أمجادهما القديمة ، فشهدتا من جديد علماء الشام في القرن العشرين ، يعملون كأجدادهم لإعادة التاريخ الزاهر ، والمجد الغابر ، فما يزال يرن في سمع الزمان ما وقع فيها من أمجاد خلال ستة قرون ، من القرن السابع الى القرن الثالث عشر . ففي العادلية وضع المقدسي تاريخه كتاب الروضتين ، وعمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، ونزل ابن خلدون ، ودعا ابن مالك النحوي الى دروسه ومحاضراته .

وهذا الزمان يعيد نفسه ، فقد استيقظت الأمة بعد رقاد ، وهبت بعد الاستعباد ، ونشطت من عقالها لتنشر في العالم دواوين الشعراء وكتب العلماء وآثار النحاة والفقهاء ، وقام المجمع العلمي في جد ونشاط خلال ثلاثين عاماً ما فتر ولا وهن يطبع النفائس ويجلو عرائس الفكر .

ومرت بالبلاد ثورات وسقطت وزارات ، وقامت حكومات مختلفة ، والمجمع قائم لا يتأثر إلا باللغة ، ولا يعمل إلا للثقافة يحاضر ويحقق وينشر ، ولسانه

---

(١) المذكرات ٢٧٧ .

(٢) لن نفيض في وصف المجمع العلمي هنا ، وانما نحيل القارئ المستزيد الى رسالة بالفرنسية ، ألفناها في المجمع وآثاره ومقالاته وكتبه ، يحسن الرجوع اليها ، وهي بالاشتراك مع المستشرق الأستاذ هانري لاووست عضو المجمع العلمي بدمشق ، ونشرت سنة ١٩٥٠ .

مجلة راقية تحمل الخير والنور ، منذ ثلاثين عاماً حتى اليوم [١] ، وقد ماتت صحف أدبية ، وقضت منتديات خطابية ، وحلّت جمعيات ثقافية ، والمجمع ما يزال يبعث الإيمان بالماضي القديم ويرسل الإشعاع للمستقبل القريب .

واذا كنا بسطنا القول في المجمع ، فذلك لأننا نرى فيه جهد الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ونشاطه ، فقد كان واسطة العقد وموضع الحركة [٢] ، يراسل المستشرقين ويكاتب المصريين ، في سبيل المجمع ، فكأنه قطعة من حياته ، أو كأن حياته قطعة من المجمع ، يدوّي صوته فيه كل صباح ، وتنعقد حوله الحلقات ، وتتصل فيها الأحاديث والنكات ، وتبرم فيها المشاريع والقرارات .

ولن نسترسل فيما وقع للرئيس خلال هذه السنين ، فقد حدّثنا عن ذلك في مرارة وأسى ، حين رأى منافسين ومبغضين وحساداً ، من الأفراد والهيئات ، فتجهّم له الزمان حيناً وهشّ له أحياناً ، ولقد قال في مذكراته : « لقيت الألاقي من الحكومات السورية في هذا المجمع العلمي كأنه كان بعض ملكي » [٣] .

في الوزارة

وقد اختير مرتين للوزارة ، أولاهما في ٧ ايلول ١٩٢٠ ، فزار خلالها أوربا للمرة الثالثة ، وطاف بلجيكا وهولاندة وانكلترة واسبانيا وألمانيا وسويسرا . وثانيتهما في ١٥ شباط ١٩٢٨ [٤] ، فسافر خلالها كذلك الى أوربا للمرة الرابعة وطاف انكلترة وفرنسا وبلجيكا ، وقد أربى على الخمسين يسافر بين العواصم ، ويتصل بالمستشرقين والعلماء ويزور المكتبات والمتاحف ، ويفيض في المحاضرات والمؤتمرات [٥] .

(١) حللنا أم المقالات التي جاءت في المجلة ، في رسالتنا السابقة بالفرنسية .
(٢) بدأ المجمع بثمانية اعضاء ، وهم اليوم يبلغون التسعين : اعضاء عاملين ومراسلين .
(٣) المذكرات ٢٨٤ .
(٤) يقول في مذكراته ١٠١٥ : إن الكتلة الوطنية أبعدته فيما بعد عدة سنين عن منصبه لأنه قبل بدخول وزارة الحسني ، وقد عاد الى رئاسة المجمع سنة ١٩٤١ .
(٥) سافر العلاّمة الى مصر سنة ١٩٢٨ ، وقد انتدبه المجمع ليمثله في حفلة تكريم احمد شوقي بمصر — المذكرات ٢٩٧ .

وخلال هاتين الوزارتين أرضى أناساً وأغضب آخرين على عادة الحكم في ربوعنا ، فزاد في خصومه ، وهو يرى في الوزارة آنذاك رأياً يثبته في مذكراته ننقل بعضه : «وزارتنا وزارة متواضعة ليس لها من الروعة في الحقيقة ما لوظيفة مأمور المركز» [1] في مصر .

وقد قام الرجل سنة ١٩٢٤ ، وهو في الخمسين من عمره تقريباً ، بتدريس الأدب العربي ، واللغة العربية نحوها وصرفها في معهد الحقوق بدمشق ، ولكنه انصرف عن التدريس لما وقع من دسائس ضدّه . وأنشأ خلال وزارته مدرسة الآداب العليا ، وهيأ الأسباب لافتتاح كلية الإلهيات ، فدلَّل على فهم ، وسعة أفق ، وعظيم اهتمام بالجيل الصاعد .

وكان الأستاذ الرئيس [2] حين يستريح من سفر أو ينصرف من الوزارة ، يقبل على كتبه وصحفه ، يحقق آثار السلف الصالح وينشرها ، أو يجمع منها تاريخاً لبلاده ، أو جغرافية لبعض أقاليمها ، أو يصحّح ما يُرسل الى المجلة ، أو ينظر فيما يقدّم الى المجمع من كتب ، وما يُهدى اليه من مطبوعات ، لا يقف ولا يتوانى ، حتى أثقل كاهله الجدّ والتأليف ، وأسقم عينيه تقلب المداد ، وكلّ قلبه من الآثار والأسفار ، فقد أشرف على قمة من الكتب أخرجها للناس ، ومحاضرات جلاها للناشئين ، ومقالات دبجها في المجلة .

وقد انتخبه المجمع اللغوي بمصر عضواً فيه ، فكان يسافر خريف كل عام ، يناقش ويحاضر ، ويزور ، ويكتب ويؤلف ، حتى منعه أطباؤه من السفر ، فحيل بينه وبين إخوان في مصر أحبهم وأكبرهم ، رغم سعي السعاة ووشاية الواشين ، وزاد في ذلك قعوده عنهم وبعده منهم ، فتألم وتحسر ، وذكر مرتع صباه ومصنع عبقريته وجهده ، في حنين موجع وأسى بالغ .

---

(١) المذكرات ٤٥٤ .

(٢) كان احب الالقاب اليه لقب الأستاذ الرئيس ، انظر المذكرات ص ٧ .

وكان قلبه خلال السنوات العشر الأخيرة ـ وهو يزحف الى السبعين ـ يتأثر بالعلة ، ويأبى أن يتحمّل فوق ما حمل ، يريد أن يقف ويريد له صاحبه أن يسير في الطريق ليعمل في الثقافة والتأليف ونشر كتبه المخطوطة وإعادة ما طبعه منقحاً مزيداً فيه ، ولكن القلب أبى أن يستمهل ، فوقفت نبضاته يوم الخميس في ٢ نيسان ١٩٥٣ وهو في السابعة والسبعين .

وشيعته البلاد ، وبكاه الكتاب والنقاد ، وأبّنه على قبره الأديب القانوني معالي الدكتور منير العجلاني باسم المجمع العلمي العربي فقال : « إن ثمة امارتين في العالم العربي : امارة الشعر وكانت معقودة اللواء للمرحوم احمد شوقي ، وامارة العلم وكانت معقودة لفقيدنا العلامة محمد كرد علي » ، ثم قال : « إن الفقيد كان رائداً وقائداً ومعلماً ومرشداً ، وله أوليات خالدة ، فهو أول من أنشأ مجلة أو جريدة في الشام ، وهو أول من أنشأ المجامع العلمية » .

ودفن الفقيد الغالي في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان في دمشق التي أحبّها وعمل لها ، ورفع منارتها عالياً ، وسيّر ذكرها بين الناس في القرن العشرين .

وافتقده المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد ربّاه الرئيس الراحل جنيناً ، ورعاه خمسة وثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنه إلاّ لماماً ، فقد كان بيته وكان كعبته .

* * *

ثقافته وأسلوبه

كلِف محمد كرد علي منذ صباه بمطالعة الصحف ، وتعلّق باللغة الفرنسية في شبابه ، فنظر في الكتب الغربية ، ثم أخذ على شيوخه نقرأ الكتب القديمة ، وقد بسطنا ذلك من قبل . ولكننا لم نتقص خبر هذه الكتب التي قرأها لنقف على مبلغ دراسته ومدى ثقافته ، فليست الدراسة في عدد السنين على مقاعد الدرس ، وليست الثقافة في صورة الشهادة ورنين اللقب ، وإنما هي في قراءة

الكتب الأمهات التي تكوّن العقل ، وفي مبلغ هضمها واستساغتها والافادة منها .

والأستاذ الراحل وصف لنا ثقافته وعدّد لنا قراءاته فكفانا مؤونة الحدس ، قال : «وأهم ما أولعتُ بمطالعته ـ بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي ، وجانب من المخطوط الذي عثرتُ عليه ـ كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأحوال الشعوب ومدنياتهم. وطالعتُ بالافرنسية أهم ما كتبه ڤولتير ، وروسو ، ومونتسكيو ، وبنتام ، وسبنسر ، وفوليه ، وتين ، ورنان ، وسيمون ، ... وتدارستُ المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية والأدبية باللغة الفرنجية . وجريتُ منذ نشأتُ على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي أن أقرأ أكثر مما أكتب ، وقلما دوّنتُ موضوعا لم أدرسه في الجملة ولم تتشربه نفسي»[1] .

ذلك ما قرأ من كتب الغرب ، نقلنا بعضه كأنموذج على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء ، ومنه ندرك سعة أفقه ، ومسرح خياله ، فهو قد أطل على الفلسفة الغربية وعلم الاجتماع من خلال الكتب الفرنسية ، وزادته الرحلة الى الغرب فهماً واطلاعاً .

أما الكتب العربية التي قرأ فيها ، فقد ذكر جانباً منها قال : «وإني لا أزال أذكر ما كنت أكثر من مطالعته واستظهاره ، أيام ولوعي بالأدب من مقامات الحريري ، ورسائل الخوارزمي والصابي ، وتاريخ اليميني للعتبي ، والزمخشري والأصفهاني ... ولما كتب لي الاطلاع على الآداب الفرنسوية والتركية أنشأت أبحث عن كتب كتبت بلا تكلف وتعمّل ، ككتابات الجاحظ وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وسهل بن هرون ، وأبي حيان التوحيدي»[2] .

ثم أفاض في ذلك فرسم لنا قراءاته ، يريد أن يدلنا على الطريق التي سلك والكتب التي تأثر بها أسلوبه وكتابته ، قال :

---

(١) خطط الشام ٦/٤١٣ .

(٢) مجلة المقتبس ، المجلد الرابع ، سنة ١٩٠٩ ص ٥١٠ .

« إني أتلو القرآن بتدبر ، قرأته على أساليب مختلفة لتفهمه وتمثل بلاغته ، وإني طالعتُ طرفاً صالحاً من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، وحفظت المعلّقات السبع وطرفاً صالحاً من دواوين العرب ، وحفظت نحو نصف ديوان المتنبي ، وعدّة قصائد لعمر بن أبي ربيعة ، والبحتري ، وأبي تمام ، والرضيّ ، وابن الرومي ، والطغرائي ، والأرجاني ، والمعرّي ، وعلي بن عبد العزيز ، وغيرهم من الشعراء المحدثين والمخضرمين .

« وتدارست الكامل للمبرد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والتاريخ اليميني للعتبي ، والمثل السائر لابن الأثير ، واستظهرتُ أشياء كادت تفسد عليّ ملكتي مثل مقامات الحريري ، ورسائل الهمذاني ومقاماته ، ورسائل الخوارزمي ، وبديعية النابلسي .

« وما أخرجني من تكلّف النسج على منوال المتأخرين كالقاضي الفاضل ، والصابي ، وابن الأثير ، إلاّ الولوع بعد حين برسائل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيدي . أما ما وصل إليّ مما كتبوه وكتبه أمثالهم من السهل الممتنع ، فقد قرأته مرات ، ولا أزال أقرؤه »[1] .

هذا ما سجله الرجل في كتاب صدر قبيل وفاته ، جعل فيه زبدة قراءاته وخلاصة أدبه ، ليشير في وضوح الى عزوفه عن الأسلوب المنمق وكتابة السجع ، وتعلقه بالسهل الممتنع ، وهو يقول في محل آخر : « وعمدتُ الى الكتابة المرسلة بدون تكلّف الأسجاع والازدواج »[2] .

وقد روينا أمثلة كثيرة من أسلوبه خلال حديثنا عنه ، نستشف منها الرقّة في الأسلوب من غير تفخيم ، والسهولة في التعبير من غير تكلف ، فهو يتحدث حديث الراوي والقاصّ ، ويكتب كتابة المترسّل المحدث ، فلا يزاوج بين الجمل ولا يتكلف الكناية والاستعارة والجناس والسجع ، وإنما يرسل نفسه على

(١) المذكرات ٤/١١٩٣ ، سنة ١٩٥١ .
(٢) المذكرات ٣٠٧ ،

سجيتها ، يكتب في جمل تطول حيناً وتقصر حيناً ، تُعنى بالمعنى أكثر من اعتدادها بالمبنى حتى لتشبه الأحاديث المبسوطة والرسائل المكتوبة .

وقد يشتط الخيال وتجمح الذكرى ويفيض الشعور ، فينشئ في جمل مقتضبة وعبارات متراصة ، وذلك حين يذكر الشباب ، أو يرسم الشيخوخة ، أو يأسى للعمر ، أو يصف الغوطة .

والأستاذ الرئيس قد يتخير اللفظ ويسعى له وذلك حين يكتبُ في تحليل الأدب فحسب ، فيؤثر بعضه على بعض . وأقرب الألفاظ الى نفسه ما وقع في كتب القدماء ، أو ما سهل على الأذن ورق على السمع ، يريده لنفسه ، ويطلبه لزملائه . وما أذكر أنه قرأ مقالة للمجلة أو بحثاً للنشر إلا أعمل قلمه في إصلاح بعض المفردات والتراكيب مما لا يروقه أو لا يستحسنه . وقد يزيد في التهذيب حتى يحذف المديح الفائض ، لا يخاف ولا يتردّد ، ولا يحسب للكاتب في ذلك حساباً مهما علت مكانته وسمت مرتبته ، فهو نقّاد جريء لا يخاف في اللغة لومة لائم .

وتغلب على مقالة الرئيس ومحاضراته فكرة الاستقصاء ، فيسترسل في ذكر المصادر والكتب والمؤلفين ، فكأنه يستوعب في فكره كل شيء ، أو كأنه يريد أن يذكر كلّ ما يعلم ، فيتدفق بفيض غزير وعلم كثير ، يعرض خلاصة ما رأى وما قرأ وما سمع .

وقد نُشرت في مصر كتبٌ اختارت من أسلوبه ، وجعلته بين « مشهوري أدباء الشرق » ، وقرنته في صعيد واحد الى العقاد ، وطه حسين ، ومطران ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني ، والمنفلوطي ، والرافعي ، وولي الدين يكن ، وقاسم أمين [1] ... وروت من نثره ونثرهم ، فهو وحده بين جمهرة المصريين يمثل الشام ، وهو وحده رفع لواءنا في دولة الأدب .

---

(١) انظر « أشهر مشاهير أدباء الشرق » ، وضعه محمد محمد عبد الفتاح ، ونشره في مصر ، بغير تاريخ ، على جزءين اثنين — وانظر كذلك في « الأدباء الخمس » جمعه اسماعيل عبد الحميد ، ونشره في مصر ١٩٢٥ .

كتبه ودراساته

بهذا الأسلوب أنشأ الأستاذ الرئيس كتبه ، وقد درج مع الزمن فسار صعداً ، واتبع سنة التطور . ونحن نستطيع أن نقسم آثاره الى أربعة أقسام :

أ — كتب مترجمة ومعربة .

ب — أدب المقالة .

ج — دراسات تاريخية وأدبية .

د — تحقيق الكتب .

أ — كتب مترجمة ومعربة :

كلف الشاب بالعربية والفرنسية معاً — كما قلنا — وبدأ أول الأمر يترجم روايات برمتها عن الفرنسية ، فنشر « قبعة اليهودي ليفمان » سنة ١٨٩٤ ، نثر بعضها وأعانه في صنع قسم منها أستاذه السيد محمد المبارك وسماها « يتيمة الزمان » ، وقد تناولها بعض النقاد بكلام جارح ، نشره في الصحف .

ثم ترجم في مصر « الفضيلة والرذيلة » تأليف (جورج أونه) الفرنسي المعاصر ، ورواية « المجرم البريء » وذلك في سنة ١٩٠٧ ؛ وعرّب تاريخ الحضارة لشارل سنيوبوس بمصر سنة ١٩٠٨ .

وهذه الكتب تعدُّ في عبث الشباب ، تمرّن بها على طريقة الترجمة ليفيد من اللغتين ويزيد من ثروة مفرداتها ، وقد كان المترجم لا يعتد بها ، فقال في أحدها : « يا ليتني نبذتُ رواية يتيمة الزمان في زنبيل سقط المتاع » .

وقد عرّب كتباً أخرى في الحرية لجول سيمون ، ونشر فصولاً منه في المؤيد بمصر ، وترجم الأسماء التركية لرضا باشا ثم طواه .

ولولا أمانتنا في إيراد كلّ ما كان لحياته لأهملنا ما وقع من قلمه في الترجمة ، فهو نفسه يقول : « وليس لي يد في القصص التي نشرتها أول أمري لأنها مترجمة »[1] .

---

(١) المذكرات ١٠٤٦ .

ب — أدب المقالة :

نشر كاتبنا مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية ، بمصر والشام ، وأرسل محاضراته في مصر وسوريا والأستانة ، ثم جمع بعض ذلك [١] في كتبه ، كما فعل الكتاب المصريون المحدثون كالعقاد والمازني والزيات والرافعي وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل ، وهو في هذا لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، فقد نبغ فيهم وعاش معهم ، وفعل مثلهم .

وقد جعل كتبه على الموضوعات ، في الرحلة أو الاجتماع ، أو حياته الخاصة ، وطبعها بالعناوين التالية :

١ — غرائب الغرب [٢] (١٩٢٣) جمع فيه وصف رحلاته الثلاث الى أوربا ، وهو طريف في أسلوبه ، يجمع المشاهدة والعيان الى النقول والمصادر والوثائق . فهو يصوّر فيها ما رأى وما سمع وما قرأ ، في إنشاء جميل يحوي الأدب والاجتماع والتاريخ والاقتصاد ؛ ويشمل في أوصافه القصور والمؤسسات والجامع والمتاجر ، والأخلاق والتقاليد ، ويوازن أبداً بين الغرب والشرق ، يتمنى لقومه خير ما يرى عند الغربيين .

٢ — القديم والحديث [٣] (١٩٢٥) : وفي هذا الكتاب مقالاته التي نشرها في المقتطف والمقتبس والمؤيد والظاهر ، يجمع بينها حديثه عن العادات والآداب والتقاليد ، ينهل من مصادرنا القديمة وينقل عن الكتب الغربية وصحف أوربا . وقد كان الأستاذ الرئيس يرضى عن هذا الكتاب .

---

(١) ما تزال بعض مقالاته ومحاضراته مخطوطة لم تطبع ، وكان ينتظر أن يمدّ في اجله ليطبعها بنفسه ، فكان يعلن عنها في ختام كتبه ، وهي : « المقالات ، المحاضرات ، الكناش » وأعلن عن بعضها الآخر في خطط الشام ٦/٤٢٤ وهي : « حرية الوجدان ، الحرية المدنية ، الحرية السياسية معربة عن جول سيمون » .

(٢) جزءان في ٦٤٠ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٣ .

(٣) جزء واحد في ٣٤٦ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٢٥ .

٣ — أقوالنا وافعالنا [١] (١٩٤٦) : وصف فيه الأخلاق والعادات التي تعيش بيننا ، وانتقد أخطاءنا وأعرب عن سوءات عيوبنـا ، ورسم لنا سبل الإصلاح . ووازن بين حاضرنا وحاضر الغرب ، فهو صورة للشرق العربي في صدر القرن العشرين ، كتبه على شكل بحوث قصيرة ومقالات ، تنم عن خبرة وتجربة وسعة قراءة وعظيم اطلاع . ويبدو أنه فكر فيه قبل عشرين عاماً تقريباً ، فأراد له عنواناً : «أخلاق المعاصرين» [٢] .

٤ — المذكرات [٣] (١٩٤٨ — ١٩٥١) : راج أسلوب المذكرات في العصر الحاضر على غرار الآداب الغربية ، مما كتبه روسو وغيره ، فأصدر الدكتور طه حسين «الأيام» ، والمازني رسم حياته في كثير من فصول كتبه ، وأنشأ أحمد أمين وغيره في تقليد هذا الطراز . أما الأستاذ كرد علي فقد عاش في بيئات مختلفة ، ورأى دولاً عدة وأقطاراً متباينة ، فرسم حياته وما وقع له خلال هذه الحياة في الشرق والغرب على شكل مقالات ، لا يربط بينها إلا أنها من ذاكرته . وقد تحدث فيها عن أسفاره ووزارته ، وهجرته من الشام وموقف الحكومات التركية والفرنسية والانكليزية وعملائها منه ، وما صنعه في سبيل بلاده ، وما يؤخذ عليه من أخطاء .

والكتاب صريح جريء يصف ما للرجل وما عليه . وهو شبيه بمذكرات الغربيين لولا أنه غير مرتب على التاريخ وليس مبوباً على الموضوعات ، فكأنه مجموعة أفكار تعرض له فيمليها ويرسلها الى المطبعة . وقد فضح الكتاب أسماء كثيرة ، ومدح شخصيات عجيبة ، وغلبت عليه العاطفة ، فقد بدأ بتدوين هذه المذكرات حوالي سنة ١٩٣٨ ، وسنه قد زادت على الستين ، وذاكرته ما تزال قوية تسجل دقائق الأشياء ومنسيّ الألوان ، وشتيت التفاصيل والملاحظات .

---

(١) جزء واحد في ٤٢٧ صفحة ، نشر بمصر سنة ١٩٤٦ .
(٢) انظر خطط الشام ٦/٤٢٤ .
(٣) اربعة اجزاء في ١٣٢٠ صفحة ، نشر بدمشق سنة ١٩٤٨ — ١٩٥١ .

وقد انقسم الناس في هذه المذكرات الى محبذ ومستنكر ، لغلبة الهجوم فيها على بعض السياسيين والحزبيين من رؤساء ومرؤوسين ، ولكنها تنفع المؤرخ وتفيد الباحث ، فتفصل ما أهمل تاريخه الكبير ، وتتوسع في تصوير العصر ، فكأنها تتمة لخطط الشام ، وتاريخ لصدر القرن العشرين على أسلوب المذكرات . أما الهجاء فيذهب مع الريح ، وتبقى الصور الحقة في أمور الدولة العثمانية وأسرار الانتداب ومزايا الاستقلال ، وفي موقفه من هذه العهود جميعاً ، وقد لخص ذلك بقوله : « ولا أمثل لما يدعوني الى معاناة ما أعاني إلا بمسألتين ، صرفت فيها جانباً من اهتمامي منذ وعيتُ على نفسي ، وهما الاستثمار التركي ببلاد العرب ، والاستعمار الافرنسي في بلاد الإسلام » .

وظل يكتب في المذكرات حتى أواخر أيامه ، ووعد أنه لا ينثني عنها قائلاً : « ما دمت أتمكّن من مسك القلم ، وأصبر على التحديق في الخطوط التي أخطها » . وكان وفياً للوعد ما وفت له الأيام ، وكانت على أن يظهر الجزء الخامس أو السادس بعده لو عاش لهما ، ولكن العمر قصير والزمان غادر ، فسكت لسانه عن إكمال ما بدأ به ، ووقف بيانه عن كشف سائر المؤامرات التي حيكت ضدّه خلال حياته الطويلة .

٥ — البعثة العلمية الى دار الخلافة الإسلامية (١٩١٦) (١) .

٦ — الرحلة الأنورية الى الأصقاع الحجازية (١٩١٦) (٢) .

وهذان الكتابان صورة من صور الدعاوة للدولة الحاكمة ، كتب فيهما الأستاذ كرد علي مقالات تمليها المناسبات الحربية ، لا ترتفع الى مستوى أدبه ، ويبدو عليها طابع خاص يرى فيه هو نفسه : « دعاية سمجة » فهذان الكتابان لا يقعان من مؤلفاته موقع الحب والاصالة .

---

(١) تأليف : محمد الباقر ، ومحمد كرد علي ، وحسين الحبّال ، وعبد الباسط الأنسي ، بيروت ١٩١٦ في ٢٩٦ صفحة .

(٢) طبع في بيروت سنة ١٩١٦ في ٣٠٠ صفحة .

ج — دراسات تاريخية وأدبية :

أنشأ الأستاذ كتباً في الأدب والتاريخ ، تعدُّ مصدراً للشادين في مطلع القرن العشرين ولا تزال وحدها دلالةً على انتاجنا في هذا الباب .

٧ — خطط الشام (١٩٢٥) : أراد المؤلف أن يكتب تاريخاً سياسياً ومدنياً مطولاً للديار الشامية على عادة المستشرقين والعلماء الغربيين ، فسافر إلى خزانة الأمير كايتاني بروما ، ولبث فيها يبحث خلال شهر كامل مدة ثلاث ساعات في الصباح ، يتزود من مصادرها حتى كانت له مادة واسعة . وسافر بعدها الى ربوع الغرب يطوف مكتباتها لاستكمال بحثه ودرسه ، حتى أنفق في ذلك قرابة ألف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهباً ، وعمل له خمساً وعشرين سنة ، طالع خلالها زهاء ألف ومائتي مجلد [1] باللغات العربية والتركية والفرنسية . وقد أخرجه في في ستة أجزاء واسعة .

وقد بحث في هذا الكتاب تاريخ الشام . ونظمه الاسلاميــة ، والحضارة القائمة فيه على مرّ الأزمان ، والدول التي تعاقبت على الأرض ، والحالة الأدبية والاقتصادية خلال هذه الحقب . ولما انتهى منه تنادت لجنة من فضلاء الشام [2] فجمعت لطبعه ألف ليرة عثمانية ، ونشرت منه ألفي نسخة . وقد كان وحده مصدر التاريخ في بلادنا ، فهو يحوي ما تفرق من المصادر والكتب ، ينقل عنها أحياناً نصوصاً كاملة ، وأحياناً يختصر منها ، فكأنه جمع المؤرخين على صعيد واحد . وقد كلّف زملاءه بالكتابة عن خطط مدنهم ، وسجل لهم يدهم في ذلك فأشركهم في عمله . وما يستطيع أن يقوم فرد وحده لهذا العبء

---

(١) نقلنا هذا الاحصاء عن كتابه خطط الشام بقلمه . وقد بلغت الخطط ١٩٤٠ صفحة .

(٢) هذه اللجنة كانت تسمي نفسها لجنة طبع الخطط : « بدر الداغستاني ، خليل مردم بك ، سامي العظم ، فخري البارودي ، فوزي الغزّي ، لطفي الحفار » ، وقد فتحت باب الاشتراك منذ اول ايلول ١٩٢٥ ، وكانت المفاوضة مع السيد لطفي الحفار بدمشق .

ويكتب له النجاح ، لذلك رأى النقاد أنه لم يسجّل في ذيول الصفحات [١] مصادر أقواله وأحكامه ، يعيّن الكتاب والصفحة وسنة الطبع ، كما يفعل الغربيون ليومنا هذا ، وأغفل الفهارس والمصادر [٢] .

وفي صدر الكتاب ، وضع الرجل قائمة كبيرة لكتب عربيـة مخطوطة ومطبوعة ، الى قائمة كبيرة بالكتب الغربية وصحف الاستشراق ، تدل على جهد وعناية ودقة ؛ وتصور نشاط الرجل وسعيه خلال ثلاثين عاماً أنفقها من عمره لخطط بلاده .

وفي سنة ١٩٤٤ ، اختصر الرجل جزءاً من كتابه ، وجعله في عبارة موجزة ، وأسلوب حديث ، وعنون له : « دمشق مدينة السحر والشعر » ونشرته دار المعارف في مصر ، لسلسلة « اقرأ » [٣] .

٨ — الاسلام والحضارة العربية (١٩٣٤) [٤] : سافر الأستاذ الرئيس الى أكسفورد سنة ١٩٢٨ ، ليمثـل المجمع العلمي بدمشق في مؤتمر المستشرقين ، وعاد منه بآراء ومقالات عن المستشرقين ونظرتهم الى الدين الاسلامي .

ثم دُعي ثانية الى مؤتمر المستشرقين بليدن (هولندا) سنة ١٩٣١ ، وفكر في موضوع يلقيه بالمؤتمر ، فكان أن اقترح أحد الأعضاء بدمشق أن يردّ على أكاذيب بعض المستشرقين ، ودسائس المغرضين ضدّ الدين الاسلامي [٥] .

---

(١) وعدت اللجنة بأن تشرع في طبع معجم خطط الشام ، وهو يدخل في ثلاثة او اربعة مجلدات مشفوعاً بالصورات ، ولكنه لم يظهر .

(٢) قرأنا في الكلمة التي ألقاها الأمير مصطفى الشهابي لحفل استقباله عضواً بمجمع اللغة العربية في مصر ، إشارة الى هذا الكتاب يقول فيها عن الأستاذ الرئيس : « وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلاّ أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة » .

(٣) اقرأ ، في ١٥٢ صفحة ، نيسان ١٩٤٤ .

(٤) في جزءين ٣٦٣ + ٥٧٨ صفحة ، مصر ١٩٣٤ — ١٩٣٦ .

(٥) كان حلم المرحوم كرد علي أن تنشأ مجلة تعنى باللغة الفرنسية والانكليزية لبيان حقائق الإسلام — انظر المذكرات ٣٧٩ .

فتعهد الرجل بذلك ، وراح يهيئ دراسته وردّه ، وطال الأمر ، وقعد الأستاذ عن السفر الى المؤتمر لعذر طارئ ، ولكنه ظل يكتب في الموضوع ، ويفصّل الأمر فيه ولبث على ذلك ثلاث سنين ، يعمل كل يوم ثماني ساعات حتى انتهى منه . فكان في المحاماة عن الاسلام والذود عن حياضه ، وأصبح مثلة طيبة في التعريف به والدعاوة له ، وبيان أغراضه وأهدافه ، وفضله على المدنية الحاضرة ، وأفضليته على غيره في نظم الحياة ، يبحث في ادارة المسلمين وحياتهم وأساليب عيشهم ، ويعتمد في ذلك على نصوص رآها ، وقراءات كانت له . واذا كان للمعرّي أن يتأخر وأن يصف جنته (في رسالة الغفران) ، لجعل الأستاذ الرئيس فيها ليده في هذا الميدان ، وقد غفر له ربُه ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر بفضل هذه الصفحات المشرقة ، التي تعدُّ من أوسع المراجع في الحضارة الاسلامية لكاتب مسلم متبحر مخلص .

وقد سلخت من الكتاب عدة محاضرات نشرت في مصر بعنوان : « الإدارة الاسلامية في عز العرب » ، طبعت بنفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية .

٩ — أمراء البيان (١٩٣٧) [1] : كان المؤلف يكتب في صدر شبابه بمجلة المقتبس مقالات في الأعلام عنوانها : « صدور المشارقة والمغاربة » ، ثم رأى أن يتوسع في أعلام الأدب العربيّ ، بعد أن وقع على كتبهم ، وطبع رسائلهم ، فأرسل دراسة واسعة عن عشرة منهم : عبد الحميد الكاتب ، عبد الله ابن المقفع ، سهل بن هرون ، عمرو بن مسعدة ، ابرهيم الصولي ، أحمد بن يوسف الكاتب ، محمد عبد الملك الزيات ، الجاحظ ، التوحيدي ، ابن العميد .

وقد جاء كتابه هذا في أسلوب مشرق وعبارة بليغة ، ومنهج واضح ، فبلغ بدراسته لهؤلاء الأدباء مكاناً رفيعاً ، جعل الكتاب محل القصد في الجامعات ، وخاصة بمصر . وما يزال الى اليوم أوسع ما كتب عن هؤلاء الأعلام باللغة العربية .

(١) نشر في ٥٧٨ صفحة ، بمصر سنة ١٩٣٧ ، ولعله فكر في جمعه قبل سنة ١٩٢٠ فجعل اسمه في خطط الشام ٦/٤٢٤ : « امراء الانشاء » .

١٠ — كنوز الأجداد (١٩٥٠) [١] : وهذا الكتاب في الأعلام كذلك ، ولكنه لم يقف عند المترسلين والشعراء ، وإنما تجاوزهم الى كثير ممن خدم الثقافة الاسلامية ، ففصّل فيهم القول كما وسعه ، وتحدّث عمن طالت عشرته لم واغترافه من معين أسفارهم بين رجال الاسلام . فكتب في الأشعري ، والأصبهاني ، والبلوي ، والتنوخي ، والبيروني ، والماوردي ، والجرجاني ، والغزالي ، والحريري وغيرهم ... وهم يزيدون عدداً على الخمسين ، ترجم لكل منهم في صفحات ، فجعله نواة لكتاب في تاريخ الأدب العربي ، على مفهوم بيّن غربيّ ، وفي مقياس واسع ، وقد رتبهم على الوفيات .

وقد قدّم بين هذه التراجم ترجمةً مطوّلة لأستاذه [٢] الشيخ طاهر الجزائري ، وقد عرفه منذ صغره — كما رأينا — وأكبره منذ نشأته ، وسار على خطاه وانتفع بعلمه ، فوفّاه حقه ، وأدى نحوه دَينه ، وجعله في الأجداد الذين خدموا تراث الإسلام وكانوا في الأعلام ، لكن الزمن بعيد بينه وبينهم ، فتوّج به صفحات الكتاب ، وافتتح التراجم به .

١١ — غوطة دمشق (١٩٤٩) [٣] : أحبّ المؤلف الغوطة حباً جماً خالط لحمه ودمه ، فقد ورث فيها قطعة من أرض « جسرين » عن أبيه — كما قلنا — سكن الى ظلها ، وارتوى بمائها ، وعاش مع أبنائها ، واختلط برجالها ، فكأنها بلده وحكومته ومجمعه ، فيها مجلس شوراه ، وبها أسماره ونوادره ؛ ألِفها حتى حسب نفسه فلاحاً من فلاّحيها [٤] ، وشاطر أهلها عواطفهم في فرح وحزن ، فقال :

---

(١) نُشر في ٤٣٦ صفحة ، بمصر سنة ١٩٥٠ .

(٢) لعل الأستاذ الرئيس جعل هذه الترجمة في جملة ما كان يعتزم نشره عن المحدثين لعصره كاليازجي ومحمد عبده وتيمور باشا ، لكن الأجل لم يفسح له في تحقيقه وهذا الكتاب سيكون عنوانه : « مكتشفات الأحفاد » — انظر خطط الشام ٤٢٤/٦ وتراجم المعاصرين في مجلة المجمع العلمي ظل ينشر منها حتى قبيل وفاته .

(٣) طبع الكتاب اول مرة سنة ١٩٤٩ ، ثم أعيد سنة ١٩٥٢ بدمشق على تنقيح وزيادة .

(٤) المذكرات ٧٤٩ .

« حزنتُ على الغوطي عبداً ، وفرحت له حراً ، آلمني عبوسه وتشاؤمه ، وسرّني ضحكه واستبشاره »[١] .

عاش في الغوطة قرابة ستين سنة حتى أصبحت « أحب بقعة الى قلبه في الأرض »[٢] ، فدرس أخلاقها ، وعاداتها ، ومدنيتها ، وخير كلامها ، ووقف على الفصيح والدخيل ، والحديث والقديم من تاريخها ، فسجّل ما سكت التاريخ عنه ، وأرّخ للغوطة على منهاج لطيف ، سيكون في تواريخ القرى الحافلة ، يبذّ تاريخ داريا والمزة وغيرهما . وقد كتبه في عاطفة المحب ، وشوق الودود ، وإخلاص الشاعر الوفيّ ، والأديب البليغ ؛ فكسا الغوطة ثوباً من حياة ، وردّ اليها الجميل ، لما قدّمت من خير الى دمشق ، فقد أحالتها من صحراء قاحلة الى واحة ساحرة .

د — تحقيق الكتب :

فتحت مجلة المقتبس صدرها منذ السنة الأولى لتحقيق الكتب القديمة عن مخطوطاتنا المخبوءة ، بعنوان « صحف منسية » فنشرت كتاب الأشربة لابن قتيبة ، والمقامات اللزومية ، وتذكرة ابن العديم ، ورسائل كثير من البلغاء .

وعُنيت كذلك بوصف الخزائن الخطية في الأستانة والمدينة والقاهرة ، ولا شك في أن صحبة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري[٣] دفعت الأستاذ الرئيس الى محبة المخطوطات والعناية بها ، فعمل على تحقيقها وهو في الثلاثين من عمره ، وظلّ على ذلك حتى أسلم أنفاسه .

وقد أخرج عدداً من النفائس ، وشجع الشباب والأقران على إخراج مثلها ، واقتنى للمجمع العلمي من صورها ما يشهد له أبد الدهر ببعد النظر ، وعمق الفهم ، وسعة المعرفة .

---

(١) الغوطة ٢٥١ ، اقرأ ١٥١ .

(٢) مجلة المقتبس ٤/٤٦٥ .

(٣) نقل في مقدمة « حكماء الاسلام للبيهقي » ص ٩ : « وقال أستاذي السيد محمد المبارك : تصحيح الكتب القديمة أولى من الاشتغال بتأليف كتب جديدة » .

١٢ – رسائل البلغاء (١٩٠٨)[1] : نشرتْ المقتبس – كما قلنا – أكثر هذه الرسائل بعناية المستشرقين والشرقيين ، ثم جمعها الرجل ونشرها في مصر ، فكانت المصدر الفذ لهؤلاء البلغاء ، وما تزال . واليها يرجع الباحثون لدراسة رسائل عبد الحميد الكاتب ، وابن القارح ، والمعرّي ، وابن شرف القيرواني وابن قتيبة ، والوطواط ، وابن طاهر البغدادي ، وابن المدبر ... وغيرهم وقد هذّبت الطبعة ونقحت عدة مرات حتى قاربت الكمال .

١٣ – سيرة أحمد بن طولون (١٩٣٩)[2] : كتب هذه السيرة أبو محمد عبد الله البلوي ، وفصّل الأمر في حياة آل طولون ، وزاد على ما في التواريخ المتداولة ، فهو أوسعها وأهمها في هذا الباب . وكانت مخطوطة السيرة من أوراق الدشت بالظاهرية ، وهي في خطّ قديم ، صعب القراءة ، لكن جهد الأستاذ الرئيس ذلّل العسير ويسّر النص ، فوضع أيدينا على صلات الشام ومصر للقرن الرابع الهجري كما صوّرها المؤلف . وفي صدر هذه السيرة مقدّمة علمية لحمتها الطابع النقدي ، كما عرف به الأستاذ الراحل .

١٤ – المستجاد من فعلات الأجواد (١٩٤٦)[3] : وهذا مصدر ثمين ألّفه المحسّن التنوخي ، في القرن الرابع ، وضمنه أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام ، على أدب جمّ ، ونكت مستفيضة ، تقف لأخبار الجاحظ في البخلاء ، وتصوّر الحياة الاجتماعية في العصور الاسلامية الأولى ، تصويراً لا يخلو من مغالاة واسراف . والنسخة التي اعتمد عليها علامتنا في طبع الكتاب أخذها من الظاهرية .

١٥ – تاريخ حكماء الاسلام (١٩٤٦)[4] : لظهير الدين البيهقي ، وهو من أعلام القرن السادس ، جمع فيه أخبار العلماء والحكماء والأطباء ، وصوّر

(١) طبع أول مرة سنة ١٩٠٨ ، وثانية سنة ١٩١٣ ، وثالثة سنة ١٩٤٦ بمصر .
(٢) طبع في دمشق ١٩٣٩ ، وهو في ٤٠٠ صفحة .
(٣) طبع في منشورات المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٦ .
(٤) طبعه المجمع العلمي في منشوراته بدمشق سنة ١٩٤٦ .

لنا عيشهم ودراساتهم ، وما أثر لهم من حكم ، وما وصل عنهم من تفكير . وهو مصدر هام في الفكر الاسلامي ، يترجم للرجال في إيجاز لا تجد بعضه في المطولات . ونسخة الأصل جاءت من مخطوطات برلين .

١٦ — كتاب الأشربة (١٩٤٧) [1] : لابن قتيبة ، يجمع الأدب والفقه في لغة مشرقة ، وأخبار لطيفة ، وقد طبع الكتاب من قبلُ المستشرق أرتوركي ونشره سنة ١٩٠٧ ، وأعاد علامتنا طبعه على ثلاث نسخ مخطوطة ، جاء وافياً بالتدقيق والتحقيق .

١٧ — البيزرة (١٩٥٣) [2] : وهذا الكتاب في الصيد وآلاته ، والحيوانات وأضرابها ، وما قيل فيها من أدب طريف وشعر لطيف ، وقد نسب الى كشاجم حيناً والى بازيار العزيز بالله الفاطمي حيناً آخر ، صححه علامتنا الفقيد وكتب مقدمته ، وكان آخر كتبه ، انتهى بعد موته ، فقد كان يراجع فيه خلال مرضه الأخير ، ولعله قضى وهو يصحح كلماته ، وحشرج وهو يفكر في ألفاظه ، فأسلم الروح وبين يديه كتاب جديد ينفع به العربية ، وعمره قد أربى على السابعة والسبعين أنفقها في السعي والجد من غير أن تعرف حياته معنى للراحة أو مغزى للاستقرار .

فكان إماماً في الصحافة ، وحجة في التحقيق ، وعلماً في الكتابة والتأليف ، ورئيساً جليلاً ، وزعيماً من زعماء الفكر في القرن العشرين .

رحمه الله رحمةً واسعة ، وألهم الشباب ان يقتدوا بجدّه وسعيه .

* * *

(١) من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٧ .

(٢) طبع في المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٣ .

مؤلفات الأستاذ الرئيس

	الصفحات	السنة
١ — قبعة اليهودي ليفمان (يتيمة الزمان)		مصر ١٨٩٤
٢ — الفضيلة والرّذيلة	٢٦٧	مصر ١٩٠٧
٣ — الجرم البريء (أربعة أجزاء)	٨٠٠	مصر ١٩٠٧
٤ — تاريخ الحضارة (شارل سنيوبوس) (جزء)	٢٢٠	مصر ١٩٠٨
٥ — رسائل البلغاء	٥٢٢	مصر ١٩٠٨
٦ — غرائب الغرب (جزءان)	٦٤٠	مصر ١٩١٠
٧ — البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية	٢٩٦	بيروت ١٩١٦
٨ — الرحلة الأنورية الى الأصقاع الحجازية	٣٠٠	بيروت ١٩١٦
٩ — خطط الشام (ستة أجزاء)	١٩٤٠	دمشق ١٩٢٥—١٩٢٨
١٠ — القديم والحديث	٣٤٦	مصر ١٩٢٥
١١ — الاسلام والحضارة العربية	٩٤١	مصر ١٩٣٤
١٢ — أمراء البيان (جزءان)	٥٧٨	مصر ١٩٣٧
١٣ — سيرة أحمد بن طولون	٤٠٠	دمشق ١٩٣٩
١٤ — دمشق مدينة السحر والشعر	١٥٢	مصر ١٩٤٤
١٥ — المستجاد من فعلات الأجواد	٢٨٤	دمشق ١٩٤٦
١٦ — تاريخ حكماء الإسلام	٢٠٤	دمشق ١٩٤٦
١٧ — أقوالنا وأفعالنا	٤٢٧	مصر ١٩٤٦

		الصفحات		السنة
١٨ — الأشربة		١٢٧	دمشق	١٩٤٧
١٩ — المذكرات	(أربعة أجزاء)	١٣٢٠	دمشق	١٩٤٨—١٩٥١
٢٠ — غوطة دمشق		٣٥٨	دمشق	١٩٤٩
٢١ — كنوز الأجداد		٤٣٦	دمشق	١٩٥٠
٢٢ — البيزرة		٢١٢	دمشق	١٩٥٣

(بلغ مجموع هذه الصفحات ١٠٢٥٤ تقريباً ، عدا مجلة)
(المقتبس وقد صدرت في تسعة أجزاء وتبلغ ٦٤٧٦ صفحة)
(وجريدة المقتبس أصدرها مع أخيه خلال سنين عدة)

الدكتور سامي الدهان

في اللغة أبناء عَلاّت

كما في البشر

كما يكون في العائلات البشرية بنو عَلاّت أي أولاد لأبٍ واحد ولدوا من أمهات شتى كذلك في اللغة العربية « أبناء عَلاّت » أو نقول « مشتقات عَلاّت » .

نرى طائفة من الكلمات ذات وحدة في مادتها وحروفها فإذا نقّبت عن أصل المادة التي اشتقت منها أو تولّدت منها مجموعة تلك الكلمات رأيتَ أن ذلك الأصل تارةً يكون عربياً من وضع العرب الأقحاح فولد ألفاظاً عربية قحة وتارةً تجده من لغة الفرس مثلاً وقد ولد ألفاظاً فارسية استعربت بلسان العرب وأصبحت مع الألفاظ العربية المشاركة لها في المادة إخوة مندمجة في أسرة لغوية واحدة : متحدة الأب مختلفة الأم .

ولا يتضح هذا في النفس ما لم نُلِمّ ببعض الشواهد عليه :

— ١ —

« مَرْج »

مادة مَرْج : قد تكون أماً عربية لعدة كلمات اشتقت منها أو تولدت منها ، نرى في كتب اللغة أن تلك المادة أي مادة « مرج » تدل في أصل معناها على القلق والاضطراب كما في اللسان ويلزم من اضطرابِ الشيء وقلقِهِ فسادُه وعدم صلاحيته للانتفاع به . فكان الفساد من معاني المَرْج . ولا شيء من أقوال اللغويين يدل على أن « المرج » بهذا المعنى فارسيّ الأصل فهو إذن عربيٌّ محض ، وقد اشتق منه مشتقات عربية كثيرة :

١ — مَرِج الخاتم في إصبعي مَرَجًا قلِق . وكذلك السهمُ يُقلقه الدم اللاصق به فيختلُّ حركته ويطيش ويسقط يقال سهمٌ مريج . واذا كان السهم أعوجَ ملتويًا قيل فيه أيضًا سهمٌ مريج . ولا غرو فإن « المَرج » يكون بمعنى الفساد كما مرَّ واعوجاج السهم والتواؤه فساد فيه . ومما يدل على أن معنى الفساد في كلة المرَج مأخوذ من معنى القلَق في الخاتم قولُ صاحب النهاية « مَرِجَ الدينُ فسد وقلِقت أسبابه » . وكذا الأمر والعهد والأمانة يقال فيها مرِجت اذا فسدت .

٢ — ومن مشتقات « المرْج » العربي قولهم « مَرَج فلانٌ أمرَه يمرُجه » إذا ضيعه : فهو منه في قلقٍ واضطراب . ورجل مِمراج يمرُج أمورَه ولا يُحكمها فهي قلِقة مضطربة .

٣ — ومن سلالة « مَرْج » العربية أمرَجت الناقة فهي مُمرِجة إذا ألقت ولدها قبل تكوّنه جنينًا . فهذا من « المرج » العربي الذي معناه الفساد .

مادة مَرْج الفارسية : هي أمٌّ أعجمية لطائفةٍ من الكلمات العربية اشتُقت منها أو تولدت منها : جاء في المخصص لابن سيده (جزء ١٠ ص ١٢٧) مانصه : « والمَرْج الأرضُ المغيضةُ الواسعةُ التربة المِعشاب . وأصله فارسي . وقد جرى في كلام العرب وصُرِّف . قال العجاج — ووصف عَيْرًا وأتُنًا — « وقد رَعى مَرْجَ ربيعٍ مُمرَجًا » . « والممرَج المرْعيُّ » انتهى قول ابن سيده .

والأصل الفارسي الذي عرَّب العرب منه كلة « مَرْج » هو « مَرْغ » بفتح الميم وسكون الراء والغين المعجمة . وقد فسر شمس الدين سامي في قاموسه التركي كلة « المرغ » بكلمة « چاير » التركية . وتفسر المعاجم التركية كلة « چاير » بالمرْج وبالمرْعى . فلم يبق شك في أن « مَرْج » العربية التي معناها مَرْعى الدواب معرَّبة من « مَرْغ » الفارسية . عُرِّبت في زمن الجاهلية . واستُعملت في كلامهم كسائر ألفاظهم الفحة العربيةِ الأصل . ثم إن « مَرْج »

الفارسية هذه ولدت أولاداً ومشتقات عِدّة : قال صاحب الصحاح في تفسير معنى «المَرْج» الفارسية ما نصّه «المرج الموضع الذي تُرعى فيه الدواب» وزاد عليه صاحب اللسان قوله «مَرَجَ الدابةَ يمرُجها اذا أرسلها ترعى في المَرْج». فدلّ بقوله «ترعى في المرج» على أن فعل مَرَجَ الذي هو بمعنى أرسل إنما اشتُق من كلمة «المرْج» الفارسية . وزاد هذا القول تثبيتاً الشيخ الفيومي المصري [1] في مصباحه : ونصه «المرْج أرضٌ ذات نباتٍ ومرعى . ومَرَجَتْ الدابةُ رعت في المرج ومَرَجتُها أنا أرسلتُها ترعى في المرج» فانظر كيف أن كلمة «المرج» الفارسية دخلت في تفسير معنى فعل «مَرَجَ» الدابة المعرّب الذي كادوا يجمعون على أن معناه إرسالُها في المرعى .

وليس هذا فقط بل إن «مَرَجَ» بمعنى أرسل الدابة استعمله العربُ في معنى مجازي وقد جاء بهذا المجاز الوحي الإلهي : ففي التنزيل في سورة الرحمن : «مَرَجَ البحرين يلتقيان» قال الإمام الطبري شيخ المفسرين : «يقول تعالى ذكره : مَرَج ربُّ المشرقين وربُّ المغربين البحرينِ يلتقيان : يعني بقوله مَرَجَ أرسلَ وخلّى من قولهم مَرَجَ فلان دابته إذا خلّاها وتركها» وذكر سند هذا التفسير فأوصله الى ابن عباس . ثم انتقل الطبري الى تفسير المراد من إرسال البحرين . فقال إن معنى إرسالِهما إطلاقُهما يجريان حتى إذا التقيا وقفَ كل واحد منهما عند حدود برزخه فلا يبغي أو يطغَى على الآخر» . فمَرَجَ

---

(١) قال بعض الاخوان ان الفيومي صاحب المصباح ليس مصرياً وانما هو عراقي . والفيوم التي نسب اليها هي مدينة في العراق مسماة باسم الفيوم المصرية : جاء في معجم البلدان عند ذكر فيوم العراق ما حاصله: طاح أعرابي «أي ضل في البلاد» فمرض فقصد الفيوم للاستشفاء فوصفوا له دهن البنفسج فقال :

«عجبت لعطارٍ أتانا يسومنا بدسكرة الفيّوم دهن البنفسج»
«فويحك يا عطار هلا أتيتنا بضغث خزامى أو بخوصة عرفج»

يريد انه إنما يشفيه عقاقير بلده لا دهن البنفسج «البنفشه» الفارسي .

البحرين في الآية بمعنى أرسل . وهذا إرسالٌ مجازي . أما الإرسال الحقيقي فني إرسال الدابة طليقةً في المرعى كما لا يخفى .

فقد تحصل معنا أن كلمة « مَرْج » التي معناها المرعى فارسية الأصل وأن من أولادها اللواتي اشتُقت منها مَرَجَ الدابة إذا أرسلها في المرج لترعى ومَرَجَ البحرين أرسلها تعالى فيلتقيان ولا يبغيان . على ان اللسان يقول أيضاً: « والمرجُ الخلطُ ومَرَجَ الله البحرين خلطهما حتى التقيا » فيكون للمرج في الآية معنى غير الإرسال . لكنه مأخوذ أيضاً من الأصل الفارسي أعني اختلاط الدواب في المرعى .

٢ — ومن مشتقات « مَرْج » الفارسية قولُ العرب « مَرِج الناسُ » اذا اختلطوا اختلاطَ الدواب التي تُخلّى في المرعى فتسرح حيث شاءت .

٣ — ومنها « رجل مَرّاج » قال صاحب اللسان : معناه أنه يزيد في الحديث . وهذه الزيادة خلط بين شيئين : فلا جرم أن يكون « مرّاج » هذا من « مَرْج » الفارسية التي تختلط فيها دواب الرُعاة في المرعى . ويقولون أيضاً فلان سرّاج مرّاج أي كذاب (١) .

مشتقات أخرى

يحتمل أن تكون من نتاج « مرج » العربية
أو « مرج » الفارسية

١ — مَرِج الأمرَ مَرَجاً اختلط والتبس على الناس فلم يعودوا يعرفون وجه الصواب فيه « فهم في أمرٍ مريج » كما في التنزيل . ويقال « غصنٌ مريج » ملتوٍ مشتبك قد التبست شناغيبه . ويلزم من التباسه على هذا الشكل فسادُه وعدم الانتفاع به . فالمرج بهذا المعنى مأخوذ من الأصل العربي الذي هو بمعنى

(١) وهنا يصح السؤال عما اذا كانت كلمة « سرّاج تصلح ان تقوم مقام كلمة شارلاتان « charlatant » الفرنسية اولا ؟

« القلق والاضطراب » . أو يقال هو من الأصل الفارسي الذي معناه « تخلية الدواب في المرج مختلطةً تسرح كيفما شاءت » إذ أن التباس الأمر واختلاط وجهات النظر فيه يشبه اختلاط الدواب في المرعى وتسرحها أنى شاءت : فلا يعود النظر يقدر على تعيين وجهةِ كلٍ منها ، أو أن الرعاة لا يكادون يميزون بين دوابهم بعضها من بعض : ففعل « مَرِجَ الأمر » بمعنى التبس واشتبه يحتمل أن يكون متولداً من الأصل العربي بمعنى الفساد والقلق ، أو من الأصل الفارسي وهو اختلاط الدواب في المرعى .

٢ — « المرْج » بمعنى الفتنة يحتمل أن تكون من مَرَجَ الدوابَّ في المرعى مختلطةً تفعل ما تشاء ويذهب كلٌ منها أنى شاء لا راعي لها ينظِّم حركاتها كما يحتمل أن تكون من قلَق الخاتم في الإصبع واضطرابه . وكذلك الناس في الفتنة مضطربون في أعمالهم قلِقون في معايشهم ومشاغل حياتهم .

٣ — « مارج من نار » يحتمل أن يكون من « مَرج » العربية بمعنى القلق والاضطراب : فقد فسروا المارج بالشُعلة الساطعة ذات اللهب الشديد « فهي دائماً في قلق وارتعاش بالطبع » ـ ويحتمل أن تكون من « مَرْج » الفارسية بمعنى المرعى الذي تختلط فيه الدواب . وكذلك المارج الذي قيل في تفسيره أيضاً « مارج النار لهبها المختلط بسوادها » كما في اللسان ، فالمارج يختلط فيه النور بالدُخان كما تختلط الدواب في المرعى .

***

وكأني بقائلٍ يقول : إذا صحَّ ما نُقل عن ابن سيده من أن كلمة « مرج » فارسية الأصل وقد عربها العرب وصحَّ من جهةٍ أخرى أن هناك كلمات من مادتها لم تُجعل مشتقة من هذه الأم الفارسية بل من أُم عربية ـ فلماذا هـذا الجعل والتفريق ما دمنا نرى في هذه الكلمات المنسوبة الى الأم العربية معنى

الاختلاط والفساد الموجود في الأم الفارسية نفسها أعني كلمة «المرج» : فمعاني الكلمات التي ظُنّ أنها عربية تُرجعها كلها الى معنى القلق والاضطراب والفساد . وما الفرق بين هذه المعاني وبين معنى اختلاط الدواب في المرعى . فالمعقول «ما دام لا يوجد لعلماء اللغة رأيٌ صريح في المسألة» أن تكون مادة «م ر ج» فارسية محضة ويرجع معناها الفارسي الى المرعى واختلاط الدواب فيه . ثم تفرّعت من تلك المادة الأعجمية الواحدة مشتقات : عربية الأب فارسية الأم وقد حملت معاني منها الحقيقي ومنها المجازي وترجع كلها الى المعنى المستفاد من الأصل الفارسي .

ونحن لا نوافق القائل على قوله هذا من إرجاع معاني «المرج» كلها الى الأصل الفارسي وحده : لأن علماء اللغة الذين صرحوا بأن «المرج» بمعنى المرعى فارسي هو ومشتقاته لم يصرحوا كذلك في «المرج» ذي المعاني الأخرى : فهذا صاحب اللسان يقول «وأصل المَرج القلق» فكيف نقول بعد هذا النص وبعد تصريحه بكلمة «أصل» أن معنى القلق يرجع الى معنى «المَرْج» الفارسي وهو المرعى ؟ إذن نبقى على رأينا من أن ألفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع الى أمٍّ عربية ، وبعضها يرجع الى أَمَةٍ فارسية ، وبعضها اشتبهت نسبته والتبست طينته فيبقى مجهول النسب .

— ٢ —

« البزر »

مادة «بزر» عربية . ولها مشتقات ذات معانٍ مختلفة مسرودة في معاجم اللغة تؤلف أُسرة واحدة ، وقد تخلَّل مشتقات هذه الأسرة لفظ غريب عن الأسرة لا شبهة في عجمته أو فارسيته ، وقد اشتُق من هذا اللفظ الفارسي مشتقات . وبذلك أصبحت مجموعة مشتقات مادة «ب ز ر» أبناء عَلاّت : منها ما يرجع الى أمّ عربية ، ومنها ما يرجع الى «أم وَلَد» فارسية .

« الأصل العربي أو الأم العربية » : قال ابن سيده « البَزْر » بفتح الباء وكسرها كل حبٍ يُبزَر للنبات . واستُعمل مجازاً في الأولاد . يقال ما أكثر بَزْر فلان . والمبزور هو الرجل الكثير الولد . والبزراء المرأة الكثيرة الولد » اه وفي الحجاز اليوم يسمون الأولاد « بزورة » .

٢ — ومن أولاد الأم العربية كلمة البَزْر بمعنى المخاط . وبَزَر فلان يبزر اذا امتخط .

٣ — ومنها « البِزْر » بكسر الباء وفتحها والكسر أشهر - التابِل وهو « ما يؤكل مع الطعام لهيج شهوته » وجمعه أبزار وأبازير ، والى هذا البزر يُنسب « سوق البزورية » وهو أشهر أسواق دمشق في بيع الأبازير كالحمزاوي في القاهرة .

٤ — ومن مواليد مادة « بزر » العربية بَزَرَه بالعصا إذا ضربه بها . والعصا نفسها تُسمى البَيْزارة والبَيْزَر والمِيْزَر . هذا اسم العصا بشرط أن تكون عظيمة ضخمة . ومنه قول القائل (ض) في وصف وقعة الجمل : « ما شبَّهتُ وقع السيوف على الهام إلا بوقع البَيَازِر على المواجن » : فالبيازر العِصيُّ الضخام . أما « المواجن » فجمع مِيجنة وهي عَصا القصَّار أو مِدَقَّته أعني خشبته التي يدقُّ بها أو نقول يَبزُرُ بها الثوبَ في الماء لينظُف ، وتسمى الميقعة أيضاً . كما ان الميقعة والمِطَل تستعملان في مطرقة الحداد .

ولي هنا إشكال لم أهتد الى حلّه إلا بصعوبة ذلك انهم قالوا : البيازر هي العصيُّ الضخام التي تُتخذ مداقّ للقصارين ومثلها المواجن : فكيف يُنظف الثوب بدقّه بين عَصوَين ؟ فلم يبق إلا أن يقال ان البيازر يُدَقُّ بها الثوبُ المبلول الذي يكون مُلقى على عصا أخرى وتكون العصا الأخرى عريضة صلبة وهي الميجنة : فالميجنة تارة يُخبط بها وتارة يخبط عليها . أما البَيْزارة فهي التي يخبط بها لا عليها .

٥ — قالوا ومن مشتقات « بزر » العربية ما جاء في حديث أبي هريرة :
« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً ينتعلون الشعر وهم البازِر » والبازر بتقديم الزاي على الراء ناحية في بلاد فارس : فقوله في الحديث وهم البازِر يعني أهل البازر قيل هم الأكراد اهـ . لكن التحقيق أن البازر بتقديم الزاي على الراء تحريف . وأن صوابه « البارِز » بتقديم الراء على الزاي ، وهذه الزاي تُقلب أحياناً سيناً فتصبح « پَارْس » وپارس اسم بلاد فارس . وبالسين ينطقها أهل تلك البلاد بلغتهم اليوم كما لا يخفى كما ينطقها الفرنسيون پرس بلغتهم ، وقال لي صديق إيراني فاضل وهو محمد محيط الطباطبائي ان في هذه الناحية « التي سماها الحديث (بارِز) وهي بقرب كرمان » بلداً ما زال يسمى باريز الى أيامنا هذه .

« الأصل الفارسي » أو الأم الفارسية التي استولدها العرب أولاداً اندمجوا في أسرة « بزر » العربية — كلمة « البَيْزَرَة » وهي مِهنة تربية جوارح الطير كالباز والشاهين والصقر . ويكون صاحبها عادة في خدمة الملوك والأمراء ويسمى « البازيار » و « البازدار » . وكلتا الأداتين : « يار » و « دار » فارسية تفيد معنى صاحب الشيء الملازم له والقيِّم عليه والمولع به ، ومن هنا جاءت « يار » بمعنى العشق : فشهريار صاحب البلاد وهو الملك . وبَختيار صاحب البخت وهو المحظوظ السعيد في حاله وماله . وسنجقدار صاحب السنجق وبيرقدار صاحب البيرق وهو الراية . وهكذا يقال في معنى « بازدار » و « بازيار » صاحب الباز وحامله في الصيد والمتولي أمره . وقد اشتقوا من الأولى مصدراً فقالوا « البزدرة » وهي مهنته . وكذلك اشتقوا من البازيار « البزيرة » بتقديم الزاي ، لكن العرب لم يُبقوا على المصدر الأخير أعني « البزْيرة » بل تصرفوا فيه بعد

تعريبه [1] ، فقدموا الياء على الزاي وقالوا « البيزرة » كأنه مصدر « البايزار » ولم نسمعهم يقولون « البايزار » بتقديم الياء وانما يقولون « البازيار » لفظاً فارسياً مركباً من « الباز » و « يار » كما مر . و « يار » كما قلنا فارسية البتة ، أما « الباز » اسماً للطائر فظاهر أقوال علماء اللغة العربية أنه عربي كالبازي بالياء في آخره . ولم أرَ من صرح بعجمة الباز ، اللهم إلا شمس الدين سامي في « قاموسه » فقد قال أن الباز فارسي . والعرب وإن قالوا أن « الباز » عربي فانهم بعد تركيبه مع « يار » في « البازيار » يقولون عنها – أي عن البازيار – أنها أعجمية . هذا الشيخ الأزهري أقدم اللغويين يقول في كتابه « تهذيب اللغة » كما نقله عنه صاحب التاج « والبَيْزار الذي يحمل الباز ويقال فيه البازيار كلاهما دخيل اهـ » فهذا صريح بأن « البَيْزار » الذي هو مقلوب « البازيار » ويدلان على صاحب الباز – يعتبرهما علماء العربية من معرّبات اللغة ومن الدخيل فيها .

فتحصل معنا أن في مادة « بزر » أصلين أو أُمَّين إحداهما عربية بمعنى الضرب ومنه اشتُق فعل « بَزَرَ » أي ضَرَبَ ، وكلمة « البَيْزارة » أي العصا التي تخبط بها الثياب لتنظيفها . والأم الأُخرى كلمة « بازيار » الفارسية بمعنى صاحب الباز . وقد استولدها العرب ولداً وهو « بَيْزار » بمعنى مربي الباز . وجعلوا من

(١) ولعل السر في ذلك ان صيغة « الفيعلة » في كلام العرب مصدراً هو الشايع المستعمل أما « الفعيلة » فلم يسمع أو هو قليل جداً . ويشبه هذا ما قاله « ابن فارس » في كتابه المسمى « كتاب النيروز » فانه سئل عن كلمة « النيروز » هل هي عربية وما وزنها ، فكتب كتابه هذا وضمنه الألفاظ التي جاءت على وزن « نيروز » كبيروت وبيقور الخ ، وقال في المقدمة ما نصه : « ولتعلم ان هذا الاسم – اي نيروز – معرب ومعناه اليوم الجديد وهو قولهم نوروز . إلا ان النيروز اشبه بأبنية العرب لأنه على مثال فَيْعول الخ » ويقول هنا اي في « بَيْزرة » التي قدمت فيها الياء ان صيغتها و بناءها اشبه بأبنية العرب من بَزْيَرة لأنه على مثال فَيْعلة كفيْلجة وكَيْلجة وحَيْعلة الخ الخ .

البَيْزار مصدراً وهو البيزرة ، ومنها « كتاب البيزرة » ، بَيدَ أن الأصل العربي أمٌّ وَلود نثور لها الكثير من الأولاد . أما الأصل الفارسي فأمٌّ مِقلاتٌ نزور ، لم تلد إلا النزر القليل .

— ٣ —

« عسكر »

هذا اللفظ أو هذه المادة « ع س ك ر » عرَفها العرب في أصل لغتهم . واستعملوها في معاني خاصة . ثم عادوا فعرفوها من طريق اللغة الفارسية عندما سمعوا الفرس يقولون « لشكر » أي الجيش المحارب فاقتبسوا لشكر منهم وعربوها .

« عسكر العربية ومشتقاتها » قال صاحب اللسان : العسكرة الشدة والجدب . ثم استشهد على كونها بمعنى الشدة بقول طَرَفة بن العبد « ظلَّ في عسكرةٍ من حبّها » أي ظلَّ ذلك المحبّ في شدة من حب محبوبته . وقال آخر :

« عساكر تغشى النفسَ : حتى كأنني أخو سَكرةٍ دارت بهامته الخمرُ »

واذا قالوا عساكر الهمّ أرادوا ما رَكب بعضُه بعضاً وتتابع من الهمّ . ومن معاني العسكر العربية قولهم عَسْكَرُ الليـل يعنون ظُلمتَه . ولا يخفى ما بين الشدّة والظلمة من التشابه والتناسب . فكلتاهما من معاني العسكرَة العربية التي لا نزاع في عُروبتها بين علماء اللغة .

« عسكر الفارسية ومشتقاتها » قال في اللسان عطفاً على العسكرة العربية التي فسرها بالشدة ما نصه « والعسكرُ الجمعُ فارسي » ويعني بالجمع الجماعةَ من الناس . ولما كان الجيشُ المحارب جمعاً سموه عسكراً . لكن « عسكر » هذه المعرَّبة لم تبق على ما كان يلفظها الفرس بلغتهم . فان العسكر بلغتهم « لشكر » باللام فعرَّبها العرب الى « عسكر » بقلب لامها عيناً وأدمجوها في لغتهم العربية واشتقوا منها مشتقات أكثر مما اشتقوا من ضرتها « عسكر » العربية بل قد توسعوا

في عسكر الفارسية الى أبعد حد : فسموا الجمع من الرجال عسكراً وكذا الجمع من الخيل والكلاب . واذا كان للرجل مال ونَعَم سموا جمعَ ماله ونَعَمه عسكراً ، حتى قال شاعرهم :

« هل لكَ في أجرٍ عظيمٍ تُؤجَره تُعين مسكيناً قليلاً عسكره »

أي إنه لا يملك مالاً ولا أنعاماً ولا ماشية : فهو قليل العسكر ، كل ذلك من حسن تصرّفهم في تلك اللفظة الفارسية التي تبنوها ، وانتفعوا بما استولدوه من بزورها ، وكما اشتقوا من « أندازه » الفارسية بمعنى المقياس فعل « هَندَس يهندس هندسةً » اشتقوا من عسكر الفارسية فعل عسكروا [1] بالمكان اذا تجمعوا فيه . فهم معسكرون . والموضع ينزل فيه العسكر يسمى معسكَراً بفتح الكاف .

وهنا ينبري لنا القائل الذي سبق أن اعترض على رأينا في مادة « مرج » والتفرقة بين عربيتها وفارسيتها فيقول : لا يوجد « عسكر » في أصل اللغة العربية وانما هي ـ أي عسكر ـ كلمة فارسية فقط ، وقد عرّبها العرب فاستعملوها في معناها الفارسي وهو الجمع والجماعة والجيش . ثم تصرّفوا فيها وتجوّزوا ما شاءوا وشاء استبدادهم : فاستعملوها بمعنى الشدة وجعلوا للشدائد والهموم والظلمات عساكر وجيوشاً تتلاحق على التجوّز . فليست هذه المعاني أي الشدائد والهموم والظلمات ـ لكلمة « عسكر » العربية التي زعمتموها ولا وجود لها وإنما هي من المعاني المجازية لعسكر الفارسية : فالعسكر كالمرج كلتاهما فارسيتان عرّبهما العرب واستعملوهما في معانٍ حقيقية ومعانٍ مجازية .

---

(١) ولعل في هذا المعنى جاء قول الشاعر :

« كأنّ خُزامى بالعقوبين عسكرَتْ بها الريح وانهلتْ عليها ذِهابها »
« تُضمنها بُردا مُليكة إذ غدتْ وقُرّبَ للبين المشتّ ركابها »

أقول: ان البيتين في كتاب « النبات » للدينوري وهما أيضاً في معجم البلدان ٣/٦٩٩ فمعنى « عسكرت » فيهما ان الريح أقامت وتتابعت وكثر هبوبها على تلك الخزامى فكان ذلك أطيب لها، وأعود بالنماء عليها. « وذهابها » جمع ذهبة أي أمطارها الغزيرة.

هذا ما يقوله القائل وهو اجتهاد في اللغة لا نُقرُّه عليه ، وإنما الصواب الذي يميل اليه القلب . هو الوقوف عند حدود ما قال علماء اللغة الثقات من أن « المرج » بمعنى المرعى فارسي معرّب وما سواه أطلقوا فيه القول فيكون عربياً . وكذلك العسكر بمعنى الجند والجماعة من الناس فارسي معرب . وما سواه من المعاني التي ذكروها للعسكر العربي فهي معانٍ عربية .

وما ذكرناه من المواد « مرج ، بزر ، عسكر » إنما هو مثال لما سميناه « أبناء العَلاّت في اللغة » والاّ ففي موادّ كلمات اللغة أشباه ونظائر لما ذكرنا تكاد لا تعدّ ولا تحصى . والفطِن لا يعدم الانتباه الى أمثالها : ككلمة « سُكَّر » فهي معربة من « شَكَر » الفارسية التي لها أبناء ومشتقات . وهناك « سَكَر » العربية وأصل معناها في اللغة « السدّ » ولها أبناء ومشتقات أيضاً .

فالفريقان من مشتقات « سُكَّر » الفارسية و « سَكَر » العربية يؤلفان أسرةً أو عائلةً لغوية واحدة كلاّتها أبناء علاّت وهكذا وهكذا .



« استدراك »

على كلمة « المرج » أعربية هي أم أعجمية ؟

قال بعض الفضلاء وقد ارتاب في عجمة المرج : « نحن نظل على عجمتها الى أن تظهر حجة جديدة على عروبتها . وليس النقل عن « ابن سيده » بالذي يجيز لنا أن ننزل عما ورثناه وألفناه » .

وقال آخر : « إن ابن سيده أندلسي ولا اتصال بين الأندلس وشعبها وبين فارس وشعبها حتى يتقارضا الألفاظ » .

وقال ثالث : « ليس النزاع في كون المرج معربة أو لا وإنما النزاع في

أن يكون تعريبها عن اللغة الفارسية ومن المستبعد أن يُقبل قول (ابن سيده) في فارسيتها » .

أقول: إن بحثي السابق لم يكن في إثبات كون المرج من أصل فارسي أو أصل عربي ، ولا في مناقشة اللغويين في الألفاظ المعربة ، وإنما هو كما يعرف من عنوانه حول أبناء العلات في الأُمر اللغوية كما في البشر . وجاءت كلمة المرج مثالاً في ذلك. وعزوتُ عجمتها الى الجزء والصفحة من مخصص ابن سيده . ولعمري إنه لم يسؤني التشكيك في عجمتها بل ربما كنت أتمنى أن تقوم الأدلة على عروبتها وعروبة جميع معربات اللغة . ولكن لابن سيده ومخصصه في نفسي منزلة أعتقد معها أن مثل هذا الرجل الثقة الثَّبَت لا يجرؤ على دعوى فارسية المرج ، ومثله لا يفتات على اللغة ، وهو عُذَيْقها المُرَجَّب . وجُذَيْلها المحكَّك .

لذلك كله أقف مع المعترضين موقف المخالف لهم . المستضعف لأدلتهم . ولما أردت أن أناقشهم في دعواهم كان أول ما امتدت يدي اليه كتاب « المعرّب » للجواليقي فإذا هو يقول في صفحة (٣١٠) طبع دار الكتب المصرية المحققة بقلم الأستاذ أحمد محمد شاكر ما نصه : « والمرج فارسيّ معرّب قال الليث : المرج أرض واسعة فيها نبت كثير تُمرج فيها الدواب . وجمعها مروج وأنشد :

« رعى بها مرج ربيع مُمرَجا » انتهى

فأصبح في الكف نصان على عجمة المرج وكونها من أصل فارسي : أحدهما لابن سيده ، والآخر للجواليقي .

وقد وقع الشك في قول ابن سيده لأندلسيته وبعده عن بلاد الفرس ومجالسهم أما الجواليقي فأمره على العكس . ولم نعثر على قول في عروبة « المرج » سوى ما قرأناه في « شفاء الغليل » للخفاجي : فقد أشار الى الأمرين عجمته وعروبتــه . وهذا نصه « مَرْج : قيل هو معرّب أو هو عربي . وهو ما تَمرَج الدواب فيه »

فقوله « أو هو عربي » يحتمل أن يكون جاء به من عند نفسه ، كما يحتمل أن يكون قولُه بعروبته منقولاً عن غيره . على ان ذكر الخفاجي للمرج في كتابه الخاص بالمعربات يشير من طرف خفي الى أنه يُرجّح عُجمته ولذا عدّه في « المعربات » . وقد استفدنا من « الخفاجي » خلاف ما كنا نعتقد من أن عربية المرج لم يصرح بها أحد ، فقد صُرِّح بها ولكن المصرِّح ـ أعني الخفاجي ـ متأخر أعني من رجال القرن الحادي عشر للهجرة بينما « ابن سيده » و « الجواليقي » كلاهما عاش في الخامس والسادس للهجرة [1] وقَدَمُهما في اللغة أرسخ من قَدَمه كما ان قِدَمَهما أصلح للاحتجاج من قِدَمه . وقالوا في ترجمة الجواليقي كما في ابن خلكان إنه كان متديناً ثقة كثير الضبط يُكثر من قول « لا أدري » وأنه كان من مفاخر بغداد . ومثله ما جاء في بغية الوعاة : « انه كان متثبتاً صدوقاً لا يقول الشي إلا بعد التحقيق » .

وابن سيده إن شك المشككون في الاعتداد بقوله لبُعده عن بلاد فارس واستبعاد مثاقفته أهلها ومعاشرتهم والأخذ عنهم ـ فان « الجواليقي » الذي قال « إن المرج فارسي معرب » قد أجمع المترجمون له على أنه عاش في بغداد جارة فارس ، لا بل تكاد ـ بما توطّنها من أبناء فارس ـ تعد وسَطاً فارسياً ، وناهيكم البرامكة وأبهتهم ومجالس الأدب في قصورهم . وقد أخذ الجواليقي اللغة والأدب عن أئمة زمنه . وأشهرهم « ابن الخطيب التبريزي » شارح الحماسة وتلميذ المعرّي : فالجواليقي عاش عمراً مع التبريزي الفارسي ، وخلفه في تدريس اللغة والأدب في المدرسة النظامية ، والأرجح أن عجمة « المرج » إنما اقتبسها الجواليقي

(١) توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ ﻫ والجواليقي سنة ٥٤٠ ﻫ وولادته كانت سنة ٤٦٥ ﻫ وتوفي الخفاجي سنة ١٠٦٩ ﻫ .

منه ـ أي من التبريزي ـ : فقد قال مترجموه إنه « أي الجواليقي » روى عن التبريزي في كتابه « المعرب » مراراً .

هذا نموذج ممن عاشرهم الجواليقي من أساتيذه الفرس أما من عاشرهم من تلاميذه الفارسيين فأشهرهم أبو سعد السمعاني المروزي صاحب كتاب الأنساب . وقد توفي في « مرو » من بلاد فارس بعد أن قضى زمناً في بغداد يتلقى اللغة والأدب عن أستاذه الجواليقي مع تلاميذه الآخرين الذين منهم ابن الجوزي وابن الأنباري وغيرهما . فاذا كان للمشككين في فارسية المرج مصدر أو حجة وراء ذلك له اتصال بفارس وأهلها ولغتها فحسبهم وحسبنا هذا الجواليقي وكتابه « المعرَّب » الذي قال فيه القائلون : « إنه لم يعمل في جنسه أكبر منه » .

المغربي

فهرست مؤلفات

محيي الدين ابن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ هـ)

بقلم

عُني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

— ٤ —

المستدرك

١ — آداب القوم [١] .

٢ — الإجابة على أسئلة الترمذي [٢] .

٣ — إجازة كتبها للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل [٣] : ذكر فيها طائفة كبيرة من مؤلفاته ، وما روى عن أشياخه ، وما له من نثر ونظم .

٤ — الأجوبة على مسائل شمس الدين اسماعيل بن سودكين النوري بحلب عن أعلى المراتب التي انتهى اليها همم الرجال [٤] .

---

(١) الأزهر ٣ : ٥٢٧ .

(٢) الأزهر ٣ : ٥٣٠ . الاسكندرية : تصوف ٣٤ . وفي برمنكهام (الرقم ٦٨٧): « الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم » .

(٣) برلين ٢٩٩٢ (٤) .

(٤) جون ريلندز ١٠٦ (٥) . تذكرة النوادر ٣٦٧ .

٥ — الأجوبة اللائقة عن الأسئلة الفائقة [١] .

٦ — الأحاديث القدسية [٢] .

٧ — أسرار الحروف [٣] .

٨ — أسرار الخلوة [٤] .

٩ — أسرار الذات [٥] .

١٠ — أسرار الوحي في المعراج [٦] .

١١ — أسرار الوضوء [٧] .

١٢ — أسفار في سفر نوح [٨] .

١٣ — الاصطلاحات الصوفية [٩] .

١٤ — أصول المنقول [١٠] .

---

(١) الأزهر ٣ : ٥٣٠ . آصفية : تصوف ١٩ (٤) ٨٩ (٢) . فيينة ١٩١٠ . المكتب الهندي ٦٥٩ .

(٢) طبعت في القاهرة « ٣٥ ص » . ومنها نسخ خطية في غوطا ٣ (٥) ٥٦٤ (٢) . برمنكهام ٦٤٩ . وفي كشف الظنون (٣ : ٥١٩) : « الرياض الفردوسية في الأحاديث القدسية » فلعلها هي .

(٣) المتحف البريطاني ٧٥٤ (٤) . وفي خزانة دار الفنون (استانبول) ١٦ « رسالة في سر الحروف » : فلعلها هي .

(٤) بانكيبور ٨٨٤ .

(٥) عقود الجوهر . ص ٣٣ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٣ .

(٧) دار الكتب ١ : ٢٦٦ .

(٨) غوطا ٥ ، ٢ Pers .

(٩) نشرها فلوجل في آخر كتاب « التعريفات » للجرجاني (ليبسك ١٨٤٥ . ص ٢٨٢ — ٢٩٨) . ومنها نسخ خطية في : الأوقاف ببغداد ٤٨٨٧ (٧) . خزانة العزاوي ببغداد . الخزانة القادرية ببغداد . بانكيبور ٨٨٦ . الأزهر ٣ : ٥٦٨ (نسختان) . دار الكتب ١ : ٢٦٧. ليدن ٣٠ أياصوفيا ٢٠٤٨ (٢) مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ١٠٩ الرقم ٥٩٢ . نافذ ٣٨٤ ، ٦٣٢ . عمومية ٣٧٥٠ . باتنا ٢ : ٤١٢ . المكتب الهندي ٦٥٧ (٧) . الفاتيكان ٥ : ٢٩٦ .

(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٠ .

١٥ — الإعلام فيما بُني عليه الإسلام [١] .

١٦ — الإفادة لمن أراد الاستفادة [٢] .

١٧ — الإفاضة في علم الرياضة [٣] .

١٨ — الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين [٤] .

١٩ — الانتصار [٥] .

٢٠ — انخراق الجنود الى الجلود وانفلاق الشهود الى السجود [٦] .

٢١ — إنشاء الجسوم الانسانية [٧] .

٢٢ — إنشاء الدوائر الإحاطية على الدقائق على مضاهاة الإنسان للخالق والخلائق [٨] .

٢٣ — الأنوار [٩] « رسالة » .

٢٤ — أوراد الأسبوع [١٠] .

٢٥ — أوراد الأيام والليالي [١١] .

٢٦ — بحر الشكر في نهر الفكر [١٢] .

---

(١) برلين ٢٩٤٣ .

(٢) برلين ٢٩٣٧ .

(٣) اياصوفيا ٢١٦٠ (٤) Ritter .

(٤) دار الكتب ١ : ٢٦٨ . المتحف البريطاني ١٣٧١ (١) . برمنكهام ٦٧٦ .

(٥) تذكرة النوادر ٣٥٦ .

(٦) المتحف العراقي ٥٩٧ (٣) وهي بخط المؤلف .

(٧) الاسكوريال ٢ : ٥٣٠ (٣) .

(٨) الخالدية بالقدس (تصوف ٣٦) . الجمعية الآسيوية في البنغال ٦٢٨ (٢) . برمنكهام ٦٦٩ . وفي خزانة المتحف العراقي (الرقم ٢١٣٩) : « مضاهاة الأكوان فيما يقابله من الانسان » .

(٩) غوطا ٥ ، ٥ Pers ، باريس ٢٤٠٥ .

(١٠) مدرسة عبد الرحمن جلبي الصائغ بالموصل (مخطوطات الموصل ص ١٥٤ الرقم ٤٧) . برلين ٣٧٧٣ — ٣٧٧٥ . المكتب الهندي ٣٩٣ . بدليان ١ : ١٢٠ ، ٢ : ٢٤٩ .

(١١) دار الكتب ١ : ٢٧٠ (٤ نسخ) . المتحف البريطاني ١٠٣ .

(١٢) المتحف العراقي ٥٩٧ (٤) وهي بخط المؤلف .

٢٧ — البحر المحيط الذي لا يُسمع لموجه غطيط [١] .

٢٨ — بقية من خاتمة رسالة الرد على اليهود في بيان المهنى الموعود [٢] .

٢٩ — بلغة الغوّاص في الأكوان الى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان [٣] .

٣٠ — بيان الأسرار للطالبين الأبرار [٤] .

٣١ — البيان في حقيقة الانسان [٥] .

٣٢ — تائية ابن عربي [٦] ، وهي قصيدة أولها :

تنزهتُ لما أن حضرتُ بحضرتي ووحدتُ في ذاك المقام بنظرةِ

٣٣ — تجلي الإشارة من طريق السرّ [٧] .

٣٤ — تجليات الشاذلية في الأوقات السحرية [٨] .

٣٥ — تجليات عرائس النصوص في منصات حكم الفصوص [٩] .

٣٦ — تحرير البيان في تقرير شُعب الإيمان ورُتب الإحسان [١٠]

---

(١) عقود الجوهر . ص ٣١ .
(٢) للمتحف العراقي ٥٩٧ (١٠) وهي بخط المؤلف .
(٣) الاسكوريال ٢ : ٤١٧ (٣) . الأزهر ٣ : ٥٤٤ . الاسكندرية : تصوف ٣٣ ، باريس ٢٤٠٥ (٦) . ولي الدين ١٨٢٢ (٣) . برمنكهام ٦٧٥ .
(٤) الأزهر ٣ : ٥٤٥ .
(٥) عقود الجوهر . ص ٣١ .
(٦) الأزهر ٣ : ٥٤٦ (نسختان) . تركة الشيخ ابراهيم عثمان ببغداد . ليدن ٧٠١ . الظاهرية ص ٤٩ . وقد شرحها عبد الله البسنوي بعنوان « قرة عين الشهود ومرآة عرائس معاني الغيب والوجود » . ومن هذا الشرح نسخة في الظاهرية ص ٤٩ .
(٧) عقود الجوهر ص ٣١ .
(٨) دار الكتب ١ : ٢٧٥ .
(٩) طبع في بولاق سنة ١٢٥٢ هـ . ومنه شروح باللغة التركية لعبد الله البسنوي . ومنه نسخة خطية في الأوقاف ببغداد (٤٨٢٧ (٢)) بخط عبد الله بن احمد الخولاني الاشبيلي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة حلب . جاء في آخر هذا المخطوط تعليق للمؤلف هذا نصه : « قرأه عليّ صاحبنا البرهان ابو محمد عبد الله بن علي ابن احمد الخولاني . وكتبه مصنفه في سنة ست وستمائة ... » .
(١٠) الأوقاف ببغداد ٤٨٨٧ (٤) .

٣٧ — تحفة السفرة الى حضرة البررة [١] .

٣٨ — تحقيق الباء وأسرارها [٢] .

٣٩ — التدقيق في بحث التحقيق [٣] .

٤٠ — تذكرة التوابين [٤] .

٤١ — تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص [٥] .

٤٢ — ترتيب السلوك الى ملك الملوك [٦] .

٤٣ — ترجمان الألفاظ المحمدية [٧] .

٤٤ — تشنيف الأسماع في تعريف الإبداع [٨] .

٤٥ — تفسير آية الكرسي [٩] .

٤٦ — تفسير قوله تعالى : يا بني آدم [١٠] .

٤٧ — التقديس الأنور ، نصيحة الشيخ الأكبر [١١] .

٤٨ — تلقيح الأذهان [١٢] .

---

(١) طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ . في ١٦ ص . وطبعت ترجمته التركية في استانبول سنة ١٣٠٣ هـ . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٧٦ . برلين ٢٩٢٥-٢٩٢٦ . جامع بكر افندي بالموصل (مخطوطات الموصل ص ٧٣ الرقم ٤٦ ضمن مجموعة) .

(٢) عقود الجوهر ص ٣١ .

(٣) برلين ٢٩٥٣ .

(٤) نافذ ٣٧٣ .

(٥) برلين ٢٨٩٩ ، فينة ١٩٩٣ (٢٤) ، باريس ١٣٣٨ (٢) ، غوطا ٦٧٠ .

(٦) برلين ٢٩٤١ ، فينة ١٩١٠ (٥) ؛ المكتب الهندي ٦٥٧ (؟) .

(٧) برلين ٢٩٦٧ - ٢٩٦٨ .

(٨) جون ريلندز ٣٧١ (٢) .

(٩) سورة البقرة ٢٠٦ . ومنها نسخة في برلين ٢٩٤٨ .

(١٠) التيمورية ٣ : ٢٠١ .

(١١) لها شرح لرجل مجهول ، في الأزهر ٣ : ٥٩٣ .

(١٢) عقود الجوهر ص ٣١ .

٤٩ — تمهيد التوحيد [١] .

٥٠ — التنبيهات [٢] .

٥١ — تنزّل الأرواح بالروح ، أو ديوان المعارف الإلهية واللطائف الروحية [٣] .

٥٢ — تنزّل [تنزّلات] الإملاك للأملاك في حركات الأفلاك [٤] .

٥٣ — التنزلات الليلية في الأحكام الإلهية [٥] .

٥٤ — التوقيعات [٦] .

٥٥ — ثواب قضاء حوائج الإخوان وإغاثة اللهفان [٧] .

٥٦ — جامع الأحكام في معرفة الحلال والحرام [٨] .

٥٧ — جامع الوصايا [٩] .

٥٨ — جذوة الاصطلاء وحقيقة الاجتلاء [١٠] .

٥٩ — الجفر الأبيض [١١] .

٦٠ — جفر الإمام علي بن أبي طالب [١٢] .

---

(١) عقود الجوهر ص ٣١ ، ولعله «توحيد التوحيد» ومن هذا نسخة في برلين ٢٩٥٢.
(٢) الأزهر ٣ : ٥٥٤ .
(٣) باريس ٢٣٤٨ (٢) .
(٤) الاسكندرية : تصوف ١٢ (نسختان) ، المجلس الملي (طهران) ٣٨ ، شهيد علي ١١٥٥ ، برلين ٢٩٥١ .
(٥) الأزهر ٣ : ٥٥٤ .
(٦) دار الكتب ١ : ٣٠٦ و ٣٤٥ (٣ نسخ) .
(٧) باريس ١٦٩٩ (١٤) .
(٨) كشف الظنون ٢ : ٤٩٩ .
(٩) عقود الجوهر ص ٣٢ .
(١٠) جامعة ييل بأميركة ٦٤ وهذه النسخة قديمة ، كتبت سنة ٦٠٦ هـ في رباط السميساطي بدمشق . انظر : « جولة في دور الكتب الأميركية » ص ٧٤ و « المخطوطات العربية في دور الكتب الأميركية » ص ١٧ وكلاهما لنا .
(١١) الشيخ محمد امين الترمذي (فهرس سباط ٦٦٤) .
(١٢) ليبسك ٨٣٣ (١) .

٦١ — الجفر الجامع [١] .

٦٢ — جفر النهاية ومُبين خبايا أسرار كنوز البداية والغاية [٢] .

٦٣ — الجلا في استنزال الملأ الأعلى [٣] .

٦٤ — الجلالة [٤] وهو كلمة الله .

٦٥ — الجواب عن الأبيات الواردة [٥] .

٦٦ — جواب عن مسألة السبحة السوداء وهي الهيولى [٦] .

٦٧ — الجواب المستقيم [٧] .

٦٨ — الحج الأكبر [٨] .

٦٩ — حرف الكلمات وحرف الصلوات [٩] .

٧٠ — حزب [١٠] .

٧١ — حزب التوحيد [١١] .

---

(١) الاسكندرية : حروف ٩ .

(٢) الجزائر ١٥٢٢ .

(٣) عقود الجوهر ص ٣٢ .

(٤) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدر آباد ١٣٦٣ هـ ، ١٣ ص) وهو ثاني ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في الأزهر ٣:٥٥٧ ، دار الكتب ١ : ٣٤٥ (نسختان) ، آصفية : تصوف ٤٩ ، فاتح ٥٣٧٨ ، جار الله ١٠٨٠ ، برلين ٢٩٥٩ ، باريس ١٣٣٩ (٢) ، ٦٦٤٠ ، للمتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٠) .

(٥) في دار الكتب المصرية (١ : ٣١٥) نسختان خطيتان من شرحها لعبد الغني النابلسي .

(٦) دار الكتب ١ : ٢٤٦ ، برلين ٢٩٦٠ .

(٧) عمومية ٣٧٥ . باتنا ٢ : ٤١٠ ، برلين ٢٩٩٨ .

(٨) قصيدة طويلة بقدر نصف ديوانه ، ذكرت في كشف الظنون ٣ : ٢٨٩

(٩) كشف الظنون ٣ : ٤٩ .

(١٠) الاسكندرية : فوائد وأدعية ٢٣ ، برلين ٣٦٨٧ (٢) . وفي دار الكتب (١ : ٣٢١) « شرح الحزب الأكبر لابن عربي » للشيخ حجازي بن محمد السنديوني العباسي الأحمدي .

(١١) دار الكتب ١ : ٢٨٨ .

٧٢ — حزب الدور الأعلى [١] .

٧٣ — حزب الفتح [٢] .

٧٤ — حِكَم [٣] .

٧٥ — حوض الحياة [٤] .

٧٦ — خاتمة رسالة الرد على اليهود [٥] .

٧٧ — خروج الشخوص من بروج الخصوص [٦] .

٧٨ — خلق الأفلاك [٧] .

٧٩ — خلق العالم ومنشأ الخليقة [٨] .

٨٠ — الخلوة [٩] .

٨١ — الدر المكنون في العقد المنظوم [١٠] .

٨٢ — الدرة الناصعة من الجفر والجامعة [١١] .

---

(١) دار الكتب ١ : ٢٨٨ .

(٢) دار الكتب ١ : ٢٨٩ .

(٣) الأوقاف ببغداد ٦٤٩١ (٩) ، دار الكتب ١ : ٢٩٠ ، الاسكندرية : تصوف ١٥ و ٤٢ ، برلين ٨٦٨٧ ، خزانة العزاوي ببغداد، كامل الغزي (سباط٦٥٦) . مصطفى طلس (سباط ٦٥٦) .

(٤) خزانة يعقوب سركيس ببغداد ١٨٢ ، دار الكتب ١ : ٢٩٢ .

(٥) المتحف العراقي ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف .

(٦) المتحف العراقي ٥٩٧ (٢) وهي بخط المؤلف .

(٧) عقود الجوهر ص ٣٣ .

(٨) الأوقاف ببغداد ١٠٠٣٨ .

(٩) الظاهرية (حبيب زيات ص ٥٠) ، الجمعية الآسيوية في البنغال ٦٣٨ (٦) ، الأزهر ٣ : ٥٦٤ [الخلوة المطلقة] ، برلين ٢٩١٦ - ٢٩١٧ ،المتحف البريطاني٨٨٦ (٢٥)، المكتب الهندي ٦٥٧ (٢) ، بأتنا ١ : ١٢٨ و ٤٠٨ ، دار الكتب ١ : ٣٠٢ (٤ نسخ) ، الاسكندرية : تصوف ٣٧ ، وفي جامع بكر افندي بالموصل (مخطوطات الموصل ص ٧٥ الرقم ٧٤ (١٥)) كتاب « آداب السلوك في الخلوة » فلعله هو .

(١٠) الأوقاف ببغداد ٩٦٧٩ (١) .

(١١) كشف الظنون ٣ : ٢٠٠ .

٨٣ — الدرة البيضاء في ذكر مقام العلم الأعلى [١] .

٨٤ — الدرر [٢] .

٨٥ — دعاء ليلة النصف من شعبان ، ودعاء آخر السنة ، ودعاء أول السنة ، ودعاء يوم عاشوراء [٣] .

٨٦ — دعاء يوم عرفة [٤] .

٨٧ — الدواهي والنواهي [٥] .

٨٨ — الدور الأعلى « والدر الأعلى » [٦] .

٨٩ — ديوان [٧] .

٩٠ — ديوان إشراق البهاء الأمجد على ترتيب حروف الأبجد [٨] .

٩١ — ديوان المرتجلات [٩] .

---

(١) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٤) .

(٢) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .

(٣) جون ريلندز ١٠٥ (٣) .

(٤) الجمعية الآسيوية في البنغال ٨٧٥ .

(٥) ذُكر عرضاً في كشف الظنون ٣ : ٥٤٣ .

(٦) وورد أيضاً : الدر الأعلى . دار الكتب ١ : ٢٩٨ (٧ نسخ) ، قوله ١ : ٢٠٤ ، برلين ٢٩٧ — ٢٩٧٥ ، بطرسبرغ ٣٤٣ ، المتحف البريطاني ١٠٣ ، برمنكهام ٦٧٩ و ٦٨٠ ، وفي دار الكتب (١ : ٣٣١) : « الطور الأعلى على الورد المسمى بالدور الأعلى لمحيي الدين ابن عربي » للشيخ محمد القاوقجي الطرابلسي ، طُبع في دمشق سنة ١٣٠١ هـ . وقد مرّ بنا في الرقم ٧٢ « حزب الدور الأعلى » وذاك ليس بهذا .

(٧) طُبع على القاعدة الفارسية طبعة جميلة جداً في القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ (٤٧٨ ص). وطُبع على الحجر في بومبي ، بدون تاريخ ، في ٢٤٤ ص ، ومنه نسخ خطية في : خزانة الامام الأعظم ببغداد . ليدن ٧٠٠ ، جامعة يايل بأميركة ٣٤ ، دار الكتب ٣ : ١٠٩ ، الزامية (بنزوت بتونس) : تصوف ١٦ ، وفي خزانة الأوقاف ببغداد (لرقم ٩٩٧٤) شرح للديوان . وفي الرقم ١٠٠٧٠ (٢) أيضاً قطعة منه .

(٨) برلين ٧٧٤٧ ، دار الكتب ٣ : ١٠٩ .

(٩) برلين ٧٧٤٦ .

٩٢ – ردّ معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات [١] .

٩٣ – رسالة أرسلتها لأصحاب الشيخ عبد العزيز بن محمد المهدوي [٢] .

٩٤ – رسالة الاستخارة [٣] .

٩٥ – الرسالة البرزخية [٤] .

٩٦ – رسالة تتضمن جواباً له الى بعض إخوانه [٥] .

٩٧ – رسالة التوحيد [٦] .

٩٨ – رسالة في آداب الشيخ والمريد [٧] .

٩٩ – رسالة في الاحادية [٨] .

١٠٠ – رسالة في أحوالٍ تقع لأهل الطريق [٩] .

١٠١ – رسالة في الاستعداد المكلي [١٠] .

١٠٢ – رسالة في اسمه تعالى الحسيب [١١] .

١٠٣ – رسالة في بعض أحوال النقباء [١٢] .

---

(١) طبع بمطبعة الاستقامة – بيروت ١٣٢٨ هـ ، ٦٠ ص .

(٢) في الأزهر (٣ : ٥٦٩) : « رسالة كتبها لابن عمه ابي الحسين علي بن عبد الله ابن محمد بن عربي خاصة" والى أصحاب العلامة ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي عامة" ، فينة ١٩١٠ .

(٣) عقود الجوهر ص ٣٣ .

(٤) باتنا ٢ : ٤٨٩ .

(٥) الاسكندرية : تصوف ٣٣ .

(٦) فاتح ٢٦٣٠ .

(٧) الأزهر ٣ : ٥٦٨ .

(٨) غوطا ٤ ، ٥ Krafft ; pers : مخطوطات المجمع الشرقي في فينة ٤٩٦ .

(٩) دار الكتب ١ : ٣٠٣ .

(١٠) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٣٣) .

(١١) الاسكندرية : تصوف ٣٤ .

(١٢) عقود الجوهر ، ص ٣٣ .

١٠٤ — رسالة في بيان سلوك طريق الحق [١] .

١٠٥ — رسالة في بيان مقدار سنة السرمدين وتعيين الأيام الإلهية [٢] .

١٠٦ — رسالة في تحقيق وجوب الواجب لذاته [٣] .

١٠٧ — رسالة في ترتيب التصوف على قوله تعالى : التائبون العابدون [٤] . الآية [٥] .

١٠٨ - رسالة في التصوف [٦] .

١٠٩ — رسالة في تصوير آدم على صورة الكمال [٧] .

١١٠ — رسالة في الجواب عن سؤال عبد اللطيف البغدادي [٨] .

١١١ — رسالة في الحشر الجسماني [٩] .

١١٢ - رسالة في الحكمة [١٠] .

١١٣ — رسالة في رجال الغيب [١١] .

١١٤ — رسالة في رقائق الروحانية [١٢] .

١١٥ — رسالة في سلسلة الخرقة [١٣] .

---

(١) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٢) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٣) فنون ١٤٩ (٦) .
(٤) سورة التوبة ١١٢ .
(٥) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٦) دار الكتب ١ : ٥ ٣ وفيها ذُكر له ست رسائل مختلفة في التصوف . الاسكندرية : تصوف ١٧ .
(٧) دار الكتب ١ : ٣٠٦ .
(٨) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٨) .
(١٠) المجاس للملي (طهران) ٦١٧ (٥) .
(١١) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(١٢) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(١٣) الأزهر ٣ : ٥٦٨ .

١١٦ – رسالة في شرح مبتدأ الطوفان [١] .

١١٧ – رسالة في طريق التوحيد [٢] .

١١٨ – رسالة في علم الزايرجة [٣] .

١١٩ – رسالة في معرفة الله تعالى [٤] .

١٢٠ – رسالة في معرفة النفس والروح [٥] .

١٢١ – رسالة في نعت الأرواح [٦] .

١٢٢ – الرسالة القبطية [٧] .

١٢٣ – الرسالة القدسية [٨] .

١٢٤ – رسالة القلب وتحقيق وجوه المقابلة لحضرات الرب [٩] .

١٢٥ – رسالة كتبها الى الامام فخر الدين الرازي [١٠] .

١٢٦ – الرسالة الموعيية [١١] .

---

(١) المتحف العراقي ٥٩٧ (٥) وهي بخط المؤلف .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٠٨ .

(٣) جون ريلندز ٣٧١ ، يوسف المناديلي (فهرس سباط ٦٦٥) ، محمد أمين الترمذي (سباط ٦٦٥) ولعلها « سلم الارتقاء » في علم الزايرجة ، المذكور في عقود الجوهر ٣٤ .

(٤) باتنا ٢ : ٤٢٧ .

(٥) نشرها المستشرق اسين بلاسيوس ، بترجمة اسبانية ، في أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥ « ٣ [باريس ١٩٠٧] ص ١٥٦ – ١٩١ » .

(٦) المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٤) ، برلين ٢٩٤٠ ولعلها « كتاب الروح » المذكور في كشف الظنون ٥ : ٨٨ .

(٧) كامل الغزي (فهرس سباط ٦٦٠) ، مصطفى طلس (سباط ٦٦٠) .

(٨) كشف الظنون ٣ : ٤٢٧ .

(٩) كشف الظنون ٣ : ٤٢٩ .

(١٠) الظاهرية (حبيب زيات ٤٩) ، الأزهر ٣ : ٥٦٩ ، محمد أمين الترمذي (سباط ٦٢٢) ، تذكرة النوادر ٣٥٠ ، براون ص ٢٩٠ .

(١١) كامل الغزي (سباط ٦٦١) ، مصطفى طلس (سباط ٦٦١) .

١٢٧ — الرسالة المهيمنية [١] .

١٢٨ — الرسالة الموقظة [٢] .

١٢٩ — رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأحوال [٣] .

١٣٠ — رشح المعين في كشف معنى النبوة [٤] .

١٣١ — الزهر الفائح في ستر العيوب والقبائح [٥] .

١٣٢ — سجنجل الأرواح ونقوش الألواح [٦] .

١٣٣ — سر المحبة [٧] .

١٣٤ — السر المكتوم [٨] .

١٣٥ — السؤال عن أفضل الذكر [٩] .

١٣٦ — الشجرة النعمانية والرموز الجفرية في الدولة العثمانية [١٠] .

(يتبع)

---

(١) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٢) دار الكتب ١ : ٣١٢ .
(٣) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٤) عقود الجوهر ص ٣٣ .
(٥) الاسكندرية : تصوف ٢١ .
(٦) كشف الظنون ٣ : ٥٨٢ .
(٧) دار الكتب ١ : ٣١٦ .
(٨) عقود الجوهر ص ٣٤ .
(٩) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٣) .
(١٠) الاسكندرية : حروف ٥ ، محمد امين الترمذي (فهرس سباط ٦٦٣) ، برمنكهام ٦٨٢ و ٦٨٣ . وفي خزانة الأوقاف ببغداد (١٠١٤٧) : « الدرة الفاخرة على رمز الشجرة » لمحي الدين أبي العباس احمد بن علي بن محمد البوني القرشي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ وفي الاسكندرية : حروف ٤ « زهور البستان وشقائق النعمان فيما يحدث في دولة آل عثمان الى آخر الزمان » ، وهو شرح ، لم يذكر مؤلفه ، على رموز الشجرة النعمانية . وفيها (حروف ٨) : « اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية » وهو شرح لصدر الدين القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ . وفيها أيضاً (حروف ١٢) : « الدائرة الكبرى الجفرية » وهو شرح آخر لها ، لمصطفى افندي ابن سهراب .

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٤ —

(ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوُبُ به العقول فتعانقا وتلابسا متظاهرين في الاشتراك وتوافقا · فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيُمطرُ روضها · وينشر وشيها · ويتجلى البيان · فصيح اللسان · نجيح البرهان · وترى رائديْ الفهم والطبع متباشرَين لها من المسموع والمعقول بالمسرح الخصب والمكرع العذب) ·

تخلص المرزوقي في هذا الكلام الى مقام الحكم بين مذهب أهل الألفاظ ومذهب أهل المعاني فبين أنه لا يتم للكلام حسنه وبلاغته إلا باجتماع شرف لفظه وشرف معانيه ·

واعتراف اللفظ والمعنى هو توافقهما وتآلفهما كالشخصين اللذين يعرف أحدهما الآخر ويألفه ·

تصُوبُ تمطر والصَّوْب المطر ويقال صَوب المزن أي ماء السحاب ، شبّه العقول المختارة للألفاظ والمنظمة للمعاني بالأسحبة وشبه ما تأتي به من محاسن الألفاظ وشريف المعاني بالمطر وأثبت الصوب بالعقول على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة تبعية وهذه الاستعارة مأخوذة من قول أبي تمام في وصف الشعر :

ولكنه صوبُ العقول اذا انقضت سحائب منه أعقبت بسحائب

وقد أتبع المؤلف استعارته هذه بتمثيل بناه عليها فشبه هيئة انهيال الصنائع البليغة الرائقة من آثار أهل البلاغة نثراً ونظماً ، وتلقيَ السامعين إياها ،

واهتزازَ أذواقهم لقبولها ، وإقبالَهم على الاختيار منها ، على حسب الأذواق ، شبّه ذلك بهيئة عُروض السحاب في أغزر الأنواء إفاضة وهو نَوْء منزلة الثريا فتغزر معصراتها وتشتهر بين الأدباء كانتشار وشي الزرع في الرياض النضرة ، فتصبح الأدباء تفسر دقائقها للطلاب كما تبشر روادُ المراعي رِعاءَ الحي بالمسارح الخصبة والمكارع العذبة فذكر هنا الهيئة المشبه بها ، وقد أشار الى الهيئة المشبهة بقوله فيما يأتي « ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقلام المزيفين على ما زيفوه ويعلم أيضاً فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأَتِيّ السمح على الأَبِيّ الصعب » ، ولقد أجاد التمثيل ، فأصبح كلامه لقواعد الأدب خير تمثيل . وقوله « في الاشتراك » وقع في نسخة تونسية ونسخة الآستانة « الاشتراف » بفاء في آخره أي الارتفاع وهي أحسن لأن الاشتراك يغني عن قوله متظاهرَين إذ هو بمعنى متعاونين فيكون شبه الرفعة المعنوية برفعة السحاب إذا أخذ يتصاعد وينضم بعضه الى بعض ووقع في النسخة التونسية الأخرى الاشتراق بقاف في آخره ولا يستقيم .

وقوله تلتقي ثريا البلاغة في بعض النسخ يلتقي بياء الغائب وفي بعضها تلتقي بتاء الغائبة . وصيغة الالتقاء تقتضي ملاقاة شيئين وليس في عبارة المؤلف سوى الثريا ، فالظاهر أن صواب العبارة يَلْقَى بالمثناة التحتية المفتوحة وفتح القاف والضمير عائد الى ما تَصوَّبُ به العقول ، والمعنى فهنالك يقع ذلك الصوب في منزلة الثريا فيلقاها فيغزر مطره ، ويجوز أن يكون الالتقاء بمعنى التلقي مبالغة . والثريا من الأنواء الوسْمية أي الربيعية أي التي يكثر الأمطار في زمان طلوعها في بلاد العرب والمطر الربعي يُضرب المثلُ بشدته قال النابغة :

وكانتْ لهم رِبعية يحذَرونها اذا خضخضت ماء السماء القبائل [1]

(فاذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى ، والنظم اتسع نطاق الاختيار

---

(١) القبائل قبائل الخيل جمع قبيلة وهي من اربعين من الخيل الى ستين .

فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبها وموادها وتكاثر أسبابها وموادها ، وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حده لفظ موزون مقفى يدل على معنى . فازدادت صفاته التي أحاط الحد بها بما انضم من الوزن والتقفية اليها ـ ازدادت الكلف في شرائط الاختيار فيه كان للوزن والتقفية أحكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب . وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد مثل ما تقتضيه تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح لئلا يختل لهما أصل من أصولهما أو يعتل فرع من فروعهما) .

في نسختي تونس ونسخة الآستانة « واذا » بالواو الموات الوسائل جمع ماتة وهي الوسيلة الى الشيء لأنها تمت اليه أي تمد وتتوسل يقال مت بقرابة أي اتصل وتوسل . ومعنى كلام المؤلف ظاهر .

(واذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقلام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم أيضاً فرقُ ما بين المصنوع والمطبوع) .

تخلص هنا الى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هـذه المقدمة ولذلك سيقول فيما يأتي « فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر » وقد نبهنا آنفاً على أن هذه الفقرات تشير الى الهيئة المشبهة بهيئة السحاب والمطر في قوله آنفاً « فهنالك يلتقي ثريا البلاغة فيمطر روضها الخ .. » .

والمصنوع هو الشعر الذي أُدخل فيه ما يسمى عند أهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتنقيح للشعر وإبداع المحاسن البديعية واللطائف اللفظية فكان علم أصحابه مكتسباً بالصنعة أي أن يعمدوا الى القواعد والنكت وصور الأمثلة التي تلقوها بالتعلم فيراعوها في منشئاتهم بالتروي والتثقيف فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون تعمد ولا تكلف وهو الغالب

من شعر المولدين قال ابن رشيق [1] : «أشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز» .

والمطبوع هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن تدربه بسماع أشعار البلغاء واندفاع طبيعته لمحاكاة أشعارهم حتى يصير الشعر البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تعمق روية ولا معاودة تنقيح وتثقيف .

(وفضيلة الأَتِي السمح على الأَبِيّ الصعب) .

تقدم بيان معنى الأَتِيّ والأَبِيّ في تفسير أول الديباجة ووصفهما هنالك بالمستسهل والمستنكر ووصفها هنا بالسمح والصعب . والسمح صفة من السماحة وهي لين الأخلاق وحسن المعاملة ، والصعب صفة من الصعوبة وهي الشدة في الخلق (فنقول وبالله التوفيق) :

(انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته) .

ضمير انهم عائداً الى الشعراء أو الى أهل نقد الشعر ، والمحاولة ابتغاء الشيء وروْمه . والشرف حصول صفات الكمال النوعي ، فشرف المعنى أن يكون من أحاسن المعاني المستفادة من الكلام بأن يتلقى فهم السامع المعنى مستغنياً به في استفادة الغرض الذي يفاد به ، وقد وصف المؤلف المعنى هنا بالشرف والصحة ووصَفَه فيما تقدم بالمعجبة الجزلة العذبة الحكيمة الزاهرة الفاخرة ، وطريقة صوغ المعنى الشريف هي أن يلحظ البليغ ما يجيش في نفسه مما يريد إبلاغه الى نفس السامع فينشئَه في نفسه ويكيفَه بأحسن صورة يرى أنها تقع لدى السامعين موقعاً حسناً يفي بمراد الشاعر ويليق بالغرض الشاعري ، متكلاً في تحصيل تلك الكيفية على فطنته ودربته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من محاسن البلغاء والحكماء والعلماء فأكسب ذوقه صوراً غير جزئية يقيس عليها أمثالها إذا أراد التعبير ، بابتكار مماثلات لها جديدة أو بتصرف فيها يغيرها عن حالتها السابقة تصرفاً كثيراً أو قليلاً وينجدفع اليها ذهنه سريعاً . ومن أكبر أسباب شرف

---

(١) صفحة ٨٥ من العمدة طبع مطبعة امين هندية بمصر .

المعنى أن يكون مبتكراً غير مسبوق ثم ان يكون بعضه مبتكراً وبعضه مسبوقاً وبمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو من الشرف ، ولأبي تمام وأبي الطيب ابتكارات كثيرة ويقرب منهما أبو نواس ثم ابن الرومي .

فاذا أنشأ ذوق البليغ معنى ، لاحت له منه محاسن المعنى ونقائصه ومعائبه فاحتفظ بالمحاسن وأكمله عن النقائص ومحا عنه المعائب ، فاذا تقوم فيه ما من شأنه أن يفيَ بأمله من إرضاء السامعين من أهل الصناعة وامتلاك استحسانهم فرواه محوكاً على منوال ما يحوك على مثله البلغاء فيما انتهت اليه مزاولته ودربته ، وثق بأنه معنى شريف .

فَعُلم أن شروط شرف المعاني تختلف باختلاف محالّها من أغراض الكلام من إثارة حماس أو استعطاف وابساس أو غزل أو نسيب أو فخر أو ذب عن شرف أو نحو ذلك . قال ابن الأثير في المثل السائر « إن الكاتب أو الشاعر ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من الغائب اه » .

وهذا عمل محتاج الى صفاء قريحة وكرم سجية وطول دربة وحسن اقتداء وتمييز بين المقبول والمرفوض وقد ذكر ابن الأثير في المثل السائر [1] من المعنى الشريف قول أبي الطيب :

تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

لولا لفظة تؤذي فيه فانها تؤذي . ولا يُتوهم من كلام ابن الأثير ولا من مادة شريف أن شرط المعنى كونه من الفضائل أو المعاني الحميدة فإنه لو كان ذلك مرادَهم لذهب معظم النسيب والهجاء ولذهب ما كان من الشعر كذباً ، بل مرادهم ما أفصح عنه قدامة في نقد الشعر [2] إذ يقول : « إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً

(١) صفحة ٨٨ .
(٢) صفحة ٤ ، ٥ .

حسناً ، غيرُ منكرٍ عليه ولا معيبٍ من فعله ذلك بل يدل على قوة الشاعر واقتداره على صناعته وإنما قدمت هذا لما وجدتُ قوماً يعيبون قول امرئ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محولِ

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحولِ

وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه اهـ» .

وأما صحة المعنى في كلام المؤلف فهي في الدرجة الأولى للصعود في مصاعد الشرف أي أن لا يكون في المعنى اضطراب أو سوء ترتيب أو انتقاض بعضه ببعض فيصيرَ الإنشاء أو الترسل أجوف ، قال ابن رشيق : « وفرقة من الشعراء أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائلِ معنى إلا قليلاً كأبي القاسم ابن هانئ في قوله أول مذهبته :

أقامت فقالت وَقْعُ أجردَ شيظم وشامت فقالت لمعُ أبيضَ مخذَم

وما ذُعرت إلا لجرس حليهـا ولا رمقت إلا بُرىً في مُخدَّم

فليس تحت هذين البيتين إلا ان هذه المنسب بها لبست حليها فتوهمته بعد الإصاخة وقعَ فرس أو لمعَ سيف اهـ» .

على ان في قوله شامت خطأً لأن الشيم هو النظر الى البرق ليعلم أين يذهب ويتوسَّم أين يُمطر .

واعلم ان ضد المعنى الشريفِ المعنى السخيفُ لقلة جدواه أو لدلالته على تعلق تفكير صاحبه بصور ضعيفة كما خطب والٍ باليمامة في موعظة فقال : « إن الله لا يقار عبادَه على المعاصي وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » فلقبوه مقوم الناقة . ومن المعاني السخيفة قول نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فياليت شعري من يَهيم بها بعدي

وقد عابته سكينة ابنة الحسين . وضد المعنى الصحيح المعنى الخاطئ والمختل كما قال شعوور فيما أنشده الراغب الاصفهاني :

أزُبيدةُ ابنةَ جعفر طوبى لزائركِ المثاب
تُعطين من رجليك ما تعطي الأكفُّ من الرغاب

فانه أنشده بحضرتها فقام اليه الخدم ليضربوه لقوله تعطين من رجليك فمنعتهم وقالت إنه قصد مدحاً وأراد ما يقول الناس : شمالُك أجود من يمينه فظن انه اذا ذكر الرِّجل كان أبلغ وقد حمدنا ما نواه . وإن أساء فيما أتاه .

ومن عجيب ما عرض للشعراء من سخيف المعنى ما عرض لأبي العتاهية من قوله في رثاء الخليفة :

ماتَ الخليفة أيها الثقلانِ فكأنني أفطرتُ في رمضان

فان المصراع الثاني من سخيف المعنى وان بينه وبين المصراع الأول بوناً بعيداً .

وقد نظرتُ في مجموع شرف المعنى وصحته وكيف يكتسبه البليغ فرأيت أن يقتدي مريد الإجادة بالذين شهد لهم البلغاء بالإجادة في غرض من أغراض المعاني فينسجَ على منواله : فاذا رام إثارة حماس جمع في ذهنه ما يلائم حالة الاستصراخ ، واستبطاء النصير . وتخيُّلَ المستنجِدُ هضيم الجانب ذا جناح كسير . فاجتهد أن يكثر من المعاني التي من شأنها إثارة حمية الخاطب واقتداره وعلى هذا المنوال ينسج . ومن صور صحة المعنى أن يكون مطابقاً للواقع كما قال حسان :

وإنّ أحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ولكن ذلك ليس بشرط على الاطلاق وخاصة في الشعر فان الشعر يبنى على المغالطه والخيال وهذا الشأن يختلف باختلاف الأغراض والمقامات فلكل غرض من أغراض الكلام ما يناسبه من صحة المعنى في بابه ، وللنثر مناسبات ليست للشعر وبالعكس وسيأتي للمؤلف ذكر الخلاف في أن أحسن الشعر أصدقه أو أكذبه أو أقصره .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

- ٤ -

(ويتلوها مملكة كبيرة متنازحة [١] الأقطار ، كثيرة العمّار ، بقعة [٢] لا يتمدنون ، إنما قرارهم قاع ، صفصف ، مفصول باثني عشر حداً . فيها ثمانية وعشرون محبطاً [٣] لا تعرج طبقة منهم إلى محط طبقة إلا اذا خلا من أمامها عن دورهم فسارعت الى خلافها وإن أمم الممالك التي قبلها ليسافر اليها وتتردد فيها [٤]) .

أشار بهذا الفصل الى الكواكب الثابتة .

وأشار بقوله متنازحة الأقطار الى عظم مقدار بعده عن الارض وعظم مقدار دور سطحه ، إذ كان بعده من الارض أعني بعد سطحه الادنى خمسة وستين ألف ألف وثلثماية الف وسبعة وخمسين ألف وخمس ماية ميل ، فيكون قطره ماية ألف ألف وثلاثين ألف ألف وسبعماية ألف وخمسة عشر ألف ميل ، فأما بُعد سطحه الأعلى فلا سبيل الى معرفته ، واذا كان مقداره أعني مقدار دور سطحه الأدنى أربعمائة ألف وعشرة ألف ألف وثماني ماية الف [ورقة ١٠٠ ألف] وثمانية عشر ألفاً وخمسماية وسبعين ميلاً . فاذا ضرب ذلك في قطره المذكور حصل مساحة بسيط السطح الأدنى منه ، فأما مقدار دور سطحه الأعلى فلا سبيل الى معرفته أيضاً بعلة نحن نذكرها فيما بعد .

وأراد بقوله كثيرة العمار الى الكواكب الثابتة التي لا يعرف عددها ،

---

(١) أيضاً : متنزحة .
(٢) ب : بداه .
(٣) م و ص : محطا .
(٤) ب : تتزود منها .

ولا تصل قوة البشر الى تحصيلها في جملة إلا انّ الذي أمكن قياسه وعرف منها عدده ألف واثنان وعشرون كوكباً .

وقوله بقعة [(١)] لا يتمدنون أي ان بقعتهم لا تنقسم الى مدن أي هي أجزاء يختص كل جزء منها بحركة ، وتحقيق ذلك أن حركاتها كلها حركة واحدة ، عرف ذلك من أنها لا يقرب بعضها من بعض ولا يبعد بعضها عن بعض بل هي محفوظة الأبعاد كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك هو ، فتحركها بحركته تلك .

إنما قرارها قاع صفصف اي فضاء واحد مستوٍ غير منقسم الى بقاع مختلفة ، مفصول باثني عشر حدّاً ، أشار به الى منطقة هذا الفلك التي تسمى فلك البروج ، وقد قسموه في التوهم على اثني عشر قسماً سمي كل قسم منها باسم وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها محطاً إذ كان مقدار سير كل سائر من الكواكب الثابتة والمتحيرة مقيّساً الى فلك البروج .

الى محط طبقة الاّ اذا خلا مَن أمامها عن دورهم فسارعت الى خلافها على ما ذكرته فيما تقدم من حفظ أبعاد ما بينها فلا يلحق واحد منها محطاً حتى يجتمع معه في محط بل لا يحل واحد منهم محطاً إلاّ اذا سار عنه الذي تقدّمه ، فيحله هذا الثاني ، وقد انتقل عنه الأوّل .

ثم قال « وانّ أمم الممالك التي .... وتتردد فيها » أشار الى مسير الكواكب المتحيرة المذكورة فيما تقدم في فلك البروج ومسير [(٢)] كل واحد منها من برج الى برج . وأشار بقوله تتردد فيها الى حركاتها [ورقة ١٠٠ ب] المستديرة التي تبتدي من موضع وتنتهي اليه بعينه . فكأن الكواكب بدوراتها فيها وانتقالاتها بأعيانها مترددة فيها .

(١) أيضاً : بداه . (٢) ايضاً : مصير .

(ويليها مملكة لم يُدرَك أفقها الى هذا الزمان ، لا مدن فيها ولا كور ، ولا يأوي اليها من يدركه البصر ، وعمارها الروحانيون من الملئكة لا ينزلها البشر ، ومنها ينزل على من [1] يليها الأمر والقدر وليس وراءها من الأرض معمّر [2]) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى الفلك التاسع المسمى الفلك المستقيم .

« وقوله : « لم يدرك .... الزمان » أي لم يعرف مقدار جرم هذا الفلك لأنه لا يوجد سبيل الى معرفة ذلك كما يوجد السبيل الى معرفة مقادير ساير الأجرام والكواكب ، وذلك لخلوه عن الكوكب الذي عرف مقداره إلاّ ان الأولى والأحرى أن نزيد مقداره على ما ضمّن من مقدار الفلك الثامن بأضعاف مضاعفة ، وذلك لعظم قوته الوافية بتحريك جميع ما دونه على سبيل القهر الحركةَ البالغةَ في السرعة التي بلغت [3] من غاية سرعتها واستوائها واتصالها الى [4] أن جعل الزمان متعلقاً بها دون غيرها من الحركات .

وقال : لا مدن فيها ولا كور أي لا ينقسم الى أجزاء يجري منها مجرى المدن كما كان ذلك في أفلاك المتحيرات .

قال : ولا يكون فيها من يدركه البصر أي لا كوكب فيها يجري منها مجرى العمار والآوين الى المساكن .

ثم قال وعمارها الروحانيون من الملابكة أي لا ينسب الى الحلول بها ، والعمارة لها إلا النفوس الروحانية المسماة عند الجمهور بالملائكة .

لا ينزلها البشر أي ليس فيها كوكب جسماني يصح أن يوصف بوجه من الوجوه أنه بشر لانتهاء جسميته الى سطحه المحيط به [ورقة ١٠١ الف] الذي يجري منه مجرى البشرة من الحيوان لانتهاء جسمه اليه .

قال ومنها يتنزل على ما يليها الأمر والقدر أي انّ أمر الله تعالى هو الأمر

---

(١) ب : ما . (٢) مه و ص : معمور . (٣) ب : بلغ .
(٤) غير موجود في ب .

المطلق وقدره الذي هو موجب القضاء والحتم يتنزل على سائر الموجودات بتوسط هذا الفلك ونفسه وعقله [۱] على ما عرف ذلك من موضعه . ثم قال : وليس وراءها من الأرض معمر وأشار به الى تناهي الأجسام عنده ودلّ به على أن لا خلاء ولا ملاء يلي هذا الفلك بل عنده منقطع الأجسام ، وسطحه ينتهي الى لا شيء [۲] ، وقد علم في الحكمة الإلهية والطبيعية انه لا يجب أن ينتهي الجسم الى جسم آخر فلا يجب أن يستنكر ان هذا الفلك ينتهي الى سطحه الأعلى وليس يلي ذلك شيء من الأشياء لا خلاء ولا ملاء على أنه قد برهن على أنه لا يجوز أن يكون جسم غير متناه بالفعل ببراهين حقيقية .

(فهذان الاقليمان بهما [۳] يتصل الأرضون والسماوات ذات اليسار من العالم التي هي المغرب) .

كان قد قسم الحد ذات يسار العالم التي جعلها المغرب الى اقليمين أي الأرضيات والسماويات ، وفصل أقسام كل واحد منها على ما مرّ ذكره ، فأجمل ها هنا ذلك وأعاد ذكره على سبيل إعادة ذكر النتيجة .

(فاذا توجهت منها تلقاء المشرق رفع لك اقليم لا يعمره بشر ، بل ولا نجم ولا شجر ولا حجر ، انما هو برّ رحب ويمّ غمر ، ورياح محبوسة ، ونار مشبوبة) .

التفسير : قوله اذا توجهت ... المشرق أي عدلت الى النظر في الصورة . رفع لك إقليم ... ولا حجر أي يظهر لك ان أول الصور الملابسة للهيولى ليس بصورة الحيوان ولا النبات ولا المعادن بل تجد أول الصور أعني الصور الجسمانية صور الاسطقسات الأربع [٤] التي عبر عنها ، ودلّ عليها بقوله إنما هو بر رحب [ورقة ۱۰۱ ب] أي صورة الأرض . ويمّ غمر أي صورة الماء ، ورياح محبوسة أي صورة الهواء ، ونار مشبوبة أي صورة النار ، ولما سمى الهواء

---

(۱) وفي ب زيادة بالهامش : و بسلوكه أولاً في هذا «مخطوط : هذه» الفلك وفي نفسه وعقله .
(۲) ب : لا الى شي . (۳) م و س : بها .
(٤) ب : الأربعة .

رياحاً جعلها محبوسة أي غير متحركة أي كان الحكماء يقولون إن الهواء راكد والريح هواء متحرك .

(وتجوزه الى اقليم يتلقاك [١] فيه جبال راسية ، وأنهار جارية [٢] ورياح مرسلة ، وغيوم هاطلة ، وتجد فيها العقيان واللجين والجواهر الثمينة والوضيعة أجناسها وأنواعها إلاّ انه لا نابت فيه) .

أشار بقوله : جبال راسية الى صور المعادن التي أوّلها صورة الجبال ، وانهار جارية أراد به صورة العيون ، والأنهار المنبعثة عنها .

ورياح مرسلة : أراد به الهواء المتحرك المتولد عن الأبخرة البخارية والأبخرة الدخانية ، وغيوم هاطلة : أراد بها السحاب الحادث المتولد عن البخار الرطب ، وأصناف الغيوث التي تهطل بها من المطر والثلج والبرد .

وتجد فيها العقيان ، واللجين هو الفضة ، واقتصر عليهما وإن كانت كثيرة مثل النحاس والرصاص وغير ذلك مما عدّ وشرح أمره في كتاب المعادن .

والجواهر الثمينة والوضيعة أراد بها غير المنطرقة وغير الذائبة كالياقوت والفيروزج والدهنج وغير ذلك . وقوله إلاّ أنه لا نابت فيه أي صور المعادن مباينة لصور النبات مفردة عنها .

(ويؤديك عبوره الى إقليم مشحون بما خلا ذكره الى ما فيه من أصناف النبات ، نجمة وشجرة ثمرة محببة [٣] ومبرزة لا تجد فيه من يصيء ويصفر من الحيوان) .

[ورقة ١٠٢ الف] قال المفسر : أشار بهذا الفصل الى صورة النبات ، فان النبات له في تركيبه ومزاجه صورة [٤] المعادن وزيادة الصورة النباتية التي تجري منها مجرى الفصل المميّز بما هو نبات عام ، ثم ينقسم الى أنواعه التي

---

(١) م و ص : تلقاءك . (٢) موجود في ب فقط .
(٣) م و ص : مُحبّة . أحبّ وحبّب الزرع : صار ذا حبٍّ .
(٤) م و ص : صور .

دلّ عليها بقوله نجمة وشجرة مثمرة وغير مثمرة ، محببة ومبرزة . وقد أشير في كتب النبات الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يعرض لها من الاثمار وغير الاثمار والتحبيب وغير التحبيب ، والتبريز وغير التبريز ، ودوام الإيراق شتاءً وصيفاً وانتثار الأوراق عنها شتاءً .

قوله ولا تجد فيها من يضيء ويضفز من الحيوان أي إن صور النبات في النبات متباينة لصور الحيوان مفردة عنها .

(ويتعدّاه الى اقليم يجمع [١] لك ما سلَف ذكره إلى أنواع الحيوانات العجم سابحها وزاحفها ودارجها ومدوّمها متولدها ومتوالداتها [٢] إلا انه لا أنيس فيه وتخلّص عنه إلى عالـكم هذا وقد دُلِلتم على ما يشتمله عياناً وسماعاً) .

التفسير : أشار بهذا الفصل إلى صور الحيوان غير الناطق [٣] الذي دل عليه بقوله « العجم » فإن له وفي تركيبه ومزاجه صور المعادن وصور النبات وزيادة الصورة الحيوانية التي تجري منها مجرى الفصل المميّز بما هو حيوان عام ، ثم ينقسم إلى أنواعه التي دلّ عليها بقوله « سابحها وزاحفها ..... ومتولدها ومتوالدها » وقد أشير في كتب الحيوان الى هذه الأنواع وذكر خواصها ، والأحوال التي يعرض لها من تلك الجهات المذكورة .

وقوله إلا أنه لا آنيس فيه أي إن أصناف هذه الحيوانات واقعة بحسب جنس هو الحي غير الناطق [٤] ، فأما الحيوان الناطق فانه يشير اليه بقوله وتخلص عنه إلى عالـكم هذا أي صورة الانسان ، وقد دللتم [ورقة ١٠٢ ب] على ما يشمله عياناً وسماعاً أي قد عرفتم هذا النوع ، وعرفتم خواصه والأحوال العارضة له من حيث هو هذا النوع .

(فاذا قطعتَ سمت المشرق وجدت الشمس تطلع بين قرنين للشيطان [٥] ،

---

(١) مه و ص : يجتمع .
(٢) ايضاً : ومدوّمها ومتولداتها الخ .
(٣) ب : الغير ناطق .
(٤) ايضاً : الغير ناطق .
(٥) مه و ص : قرني الشيطان ، ك : قرني شيطان .

فإن للشيطان قرنين قرن يطير وقرن يسير ، والأمة السيارة منها قبيلتان ، قبيلة في خلق السباع وقبيلة في خلق البهائم ، وبينهما شجار قايم دايم [1] ، وهما جميعاً ذات اليسار من المشرق ، وأما الشياطين التي تطير فان نواحيها ذات اليمين من المشرق ، لا تنحصر في جنس من الخلق بل يكاد يختص كل شخص منها بصيغة نادره ، فمنها خلق [2] ليت من خلقتين أو ثلاث أو أربع [2] كإنسان يطير وأفعوان له رأس خنزير ، ومنها خلق هي خداج من خلق مثل شخص هو نصف إنسان وشخص هو فرد رجل إنسان وشخص هو كف إنسان أو غير ذلك من الحيوان ، ولا يبعد أن يكون التماثيل المختلطة التي يرقمها المصوّرون منقولة من ذلك الإقليم) .

قال المفسر : قوله فاذا قطعت ... المشرق أي إذا نظرت من هذا الاقليم في صورته ومِلتَ في اعتباره أمره الى هذا الجزء منه وجدت الشمس تطلع من بين قرنين للشيطان ، أي وجدت الصورة الانسانية التي هي العقل الانساني هي طالعة مجرّدة من المادة بقوام ذاتها قائمة بنفسها صالحة لذلك البقاء بعد فساد البدن ، فانه دلّ على هذا المعنى بقوله « تطلع » كما دلّ بالأفول في موضع آخر على الانغماس في المادة والانطباع [3] بها ، بل فسر بذلك قوله تبارك وتعالى حكاية عن ابرهيم صلواته وسلامه عليه [١٠٣ الف] « فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين » (سورة : ٧١ ، آية : ٧٦) . وقال فان الهوى في حظيرة المكان أفولٌ ما ، وذكر انها على هذه الصفة من بين ساير القوى التي جعلها قوتين أي صنفين من القوى ، وجعل القرنين جميعاً من الشياطين لبعدها [4] عما وصف به العقل الإنساني من التجريد والبقاء ، والشيطان هو البعد .

---

(١) مه و ص : دايم وقايم .
(٢) ايضاً : فنها خلق لس في خلقين او ثلاثة او اربعة .
(٣) مه و ص : الاطباع بها . ك : الانطباع بها .
(٤) مه و ص : من الشيطان لبعده . ك : من الشياطين لبعدها .

وفسر القرنين بقوله «قرن يطير وقرن يسير» ، وأراد بالقرن الذي يطير القوى المدركة من الإنسان ، وأراد بالقرن الذي يسير القوى المحركة منه وشبه الإدراك بالطيران وشبه التحريك بالسير لشدة حركة الطيران والوصول بها الى الأشياء النائية[1] ولبطوء حركة السير والوصول بها الى الأشياء القريبة .

ثم قسّم السيارة الى قسمين سماهما[2] قبيلتين - قبيلة في خلق السباع ، أراد به[3] القوة الغضبية وقبيلة في خلق البهائم ، أراد به القوة الشهوانية .

وبينهما شجار قايم أشار به الى التجاذب الذي بينهما ، والتانع الذي لكل واحد منهما مع الآخر وغلبة كل واحد منهما حال قوته <على> الآخر حال ضعفه ، وجعل محل صنفي هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسة مرتبتها وقصورها عن مرتبة القرن الآخر الطائر الذي يجعل محله ذات اليمين بقوله : «وأما الشياطين التي تطير ، فان نواحيها ذات اليمين من المشرق ، وأراد بها القوة المتخيلة من الانسان . وذكر أنها لا تنحصر في جنس من الخلق ، وأراد به ما يختص به هذه القوة وما جبلت عليه [هذه القوة] من المحاكاة والتركيب والتفصيل ، فان سوسها محاكاة ، كلما أدركته النفس بشيء شبهته به ، وأيضاً تركيب الصور التي تدركها مفردة ، وتفصيل الصور التي يدركها مجموعة .

قال بل يكاد يختص منها بصيغة نادرة أي إن كل شيء مدرك فانها تحاكيه بحكاية نادرة ويتصرف فيه على نوع من أنواع التركيبات والتفصيلات ، وعلى ذلك دَلّ بقوله فمنها خلق ليت من خلقتين أو ثلاث أو أربع وأراد به عمل التركيب .

ومنها [١٠٣ ب] خلق هي خداج من خلق وأراد به عمل التفصيل ، ولا يبعد أن يكون التماثيل التي يرقمها المصورون منقولةً من ذلك الاقليم ، لولا هذه

---

(١) مه و ص : البعيدة .
(٢) ب و ك : سماها .
(٣) مه و ص و ك : بها .

القوة المحاكية المركبة المفصلة لما أمكن المصورون أن يصوروا ما يصورونه من الصور النادرة العجيبة التي لا وجود لها في العالم بل لما وضعت من الخرافات والأكاذيب والأحاديث المختلفة المنفعله ·

(والذي يغلب على أمر هذا الاقليم قد رتب سككاً خمساً للبريد جعلها مسالح لمملكته فهناك يختطف مَن يستهوى من سكان هذا العالم ويستثبت الأخبار المنتهية منه ويُسلم مَن يستهوى الى[1] قيّم على الخمسة مرصد بباب الاقليم ومعهم الأنباء في كتاب مطويّ مختوم لا يطلع عليه القيّم إنما له وعليه أن يوصل جميعه الى خازن يعرضه على الملك · وأما الأسرى فيكفلهم[2] هذا الخازن ، وأما آلاتها فيستحفظها[3] خازن آخر[4] · وكلما استأسروا من عالمكم أصنافاً من الناس والحيوان وغيره يتناسلوا على صورهم مزاجاً منها أو اخراجاً إياها) ·

والذي يغلب على أمر هذا الاقليم أراد به النفس الانساني الذي هو أصل ومفيض لساير القوى البدنية ـ ومرتب اياها في مراتبها الخاصة بها · قد رتب سككاً خمساً للبريد ، أراد به الحواس الخمس الظاهرة من السمع والبصر والشم والذوق واللمس التي جعلت في البدن كأصحاب الأخبار في المملكة ·

قال وجعلها أيضاً مسالح لمملكته أي جعلها كمواضع الأسلحة ، وأصحاب الأسلحة يستهون سكان هذا العالم أي يصيدون صورها ويستثبتونها في ديوانها ويجردونها عن موادها ضرباً من التجريد[5] · قال فهناك يختطف من يستهوي ويستثبت الأخبار المنتهية منه أي يعمل بالأشياء الواردة على الحس عملين ـ أحدهما الفتك بتلك الصور [ورقة ١٠٤ الف] الجسمانية على ما هي عليه بعد تصيدها[6] وهو الذي عبّر عنه بقوله يختطف ، والثاني معرفة ما يقترن بها من المعاني غير

(١) ب : من قيّم ·
(٢) مه و ص : فيتكلفهم ·
(٣) ب : فيستحفظه ·
(٤) مه و ص : خازناً آخر ·
(٥) غير موجود في مه و ص · وموضع « من التجريد » خال في ب ·
(٦) ك : تصورها وبالهامش ، تصيدها ·

المحسوسة [١] ، واستثباتها وهو الذي دلّ عليه بقوله ويستثبت الأخبار المنتهية منه ..... عليه القيم ، أراد بالقيم الذي يسلّم اليه المستهوي الحس المشترك ، فذكر انه يسلم اليه المستهون ومعهم الأنباء أي بحسه كما هو من غير أن يطلع على ما معهم من الأنباء أي المعاني المقترنة بها غير المحسوسة [٢] .

إنما له وعليه ... الملك ، أراد بالخازن القوة الحافظة .

فأما الأسرى فيتكفلهم هذا الخازن أي ان الصور المحسوسة يتكفل بها هذه القوى الحافظة وهي التي تسمى القوة الخيالية . وأما آلاتها فيستحفظها [٣] خازن آخر أي ان المعاني المقترنة بالصور يسلم الى خازن آخر أي القوة الوهمية أولاً ثم الذاكرة .

وأراد بقوله وكلما استأمروا الى آخر الفصل ما أشرنا اليه قبل من المحاكاة والتركيب والتفصيل .

(ومن هذين القرنين من يسافر الى اقليم هذا فيغشى الناس في الأنفاس حتى تخلّص الى السويداء من القلوب) .

أشار بذلك الى القوى الغضبية والشهوانية ، فانها تتأدى قوة كل واحدة منها الى النفس الإنسانية فيدعوها ويبعثها على أعمال تحصل منها في البدن ، ثم ذكر كيفية وصول كل واحدة من القرنين الى النفس .

(فأما القرن الذي في صورة السباع من القرنين السيارين فانه يتربص بالانسان طروّاً أدى معتباً عليه [٤] ، فيسقّره ويزيّن له سوء العمل من القتل والمثل والايحاش [ورقة ١٠٤ ب] والإيذاء فيربي الجور في النفس ويبعث على الظلم والغشم) .

أشار بهذا الفصل الى القوة الغضبية منها يستولي على النفس ويبعثها على العمل

(١) ب : الغير محسوسة . (٢) ب : الغير محسوسة .
(٣) ب : فيستحفظه .
(٤) م و ص : أدى معتباً عليه . و ب : طروّ ادى معتب عليه .

الغضبي عند لحوق مكروه وموذٍ بها فيحركها نحو دفع ذلك عن نفسها إما بقتل أو مثل أو إيحاش وإيذاء وبالجملة بنوع ما من أنواع ما يستدفع به الشر والمكروه والمؤذي ، ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فيبعث على الظلم والغشم أي على أن لا يعمل على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب [1] القوانين الشرعية إلاّ ان تزجرها قوة العمل وتردها الى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل إما طبعاً وإما تعوّداً .

(وأما القرن الآخر منهما فلا يزال يُناجي بالَ الانسان بتحسين الفحشاء من الفعل والمنكر من العمل والفجور اليه وتشويقه اليه وتحريضه عليه ، قد ركب ظهر اللجاج واعتمد على الإلحاح حتى يجرّه اليه جرّاً) .

التفسير : أشار بهذا الفصل الى القوة الشهوانية منها تستولي على النفس وتبعثها على العمل الشهواني عند لُحوق حاجة الى ملذّ ومنتهى لهـا من مطعوم أو منكوح فيحركها الى استجلاب ذلك الى نفسها ثم إنها ربما تجاوزت الحدّ في ذلك فتبعث على ركوب الفحشاء والمنكر من الأفعال والأعمال [2] .

(يتبع) محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

---

(١) ب : وللموجب القوانين .

(٢) والعبارة الآتية زائدة مكررة في ب : « والاعمال اي على ان لا يعمل على الوجه الذي ينبغي وللمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وبموجب القوانين الشرعية إلا ان تزجرها قوة العقل وتردها الى الواجب وذلك فيمن يتمكن منه العقل اما طبعاً واما تعوداً » .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ؛ مع نقد وتعليق

— ١١ —

٦ — سيد قطب :

من خير من كتب في موضوعات القرآن في هذا العصر «سيّد قطب» ولم يؤلف كتاباً خاصاً في الإعجاز كما أنه لم يتكلم عليه صراحة ولكن قارئ كتابيه «التصوير الفني في القرآن» و «مشاهد القيامة في القرآن» يشعر بأنه يؤمن بالإعجاز إيماناً عميقاً ويبيّن بالأمثلة التي يأتي بها من القرآن سحره الفني الذي يرادف في حقيقة الأمر «إعجازه البياني» .

واعتقاده بالإعجاز يظهر صراحة في بعض مقاطع من كتابيه هذين واليكها :

١ — قال في الصفحة (١٥) من التصوير الفني (الطبعة الثانية) : فتحدّاهم مرةً ومرة : «قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» ، «قل فأتوا بسورة مثله» ... ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ! ولم يحاولوا هذه المحاولة أصلاً ، إلاّ ما قيل من محاولة بعض المتنبئين بعد محمد ؛ وليس هذا من الجدّ في شيء ، ولا يجوز أن يحسب له في هذا المجال حساب . أما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فلا يقام له وزن !

٢ — وقال في (ص ١٦) من المرجع نفسه عند كلامه على أثر القرآن في سامعيه : فهو التأثير الذي يلمس الوجدان ، ويحرك المشاعر ويفيض الدموع . يسمعه الذين تهيأوا للإيمان ، فيسارعون اليه كالمسحورين ، ويسمعه الذين يستكبرون عن الاذعان ، فيقولون : «إن هذا إلا سحر مبين» أو يقولون :

« لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » فيقرّون بالاعجاز الغلاّب من حيث لا يشعرون ، أو يشعرون .

٣ — وقال في (ص ١٠) من « مشاهد القيامة في القرآن » : فهدفي هنا هدف فني خالص محض ، لا أتأثر فيه إلا بحاسة الناقد الفني المستقلّ ، فاذا التقت في النهاية قداسة الفنّ بقداسة الدين ، فتلك نتيجة لم أقصد اليها ولم أتأثر بها . إنما هي خاصة كامنة في طبيعة هذا القرآن ، تلتقي عندها دروب البحث في النهاية ، ولو لم يحسب السالك حسابها في الطريق ...

وهذه المقاطع تبين بوضوح كما ترى أنه يسعى إلى البرهان على إعجاز القرآن من حيث يتكلم على مميزته الفنية الأولى وهي التصوير فكأنه يريد أن يتحدث عن الإعجاز تحت عنوان آخر حديث .

والفن في القرآن — وهو كما بيّنا دعامة إعجازه عنده — قائم على الإبداع في العرض والجمال في التنسيق والقوة في الأداء (مشاهد القيامة في القرآن ص ٢٣٥) وهذه المميزات الثلاثة تنبعث فيه من استعمال التصوير الفني الذي هو منبع سحره (كتاب التصوير الفني ص ١٧ وما بعدها) ويرى أن منابع سحر القرآن الأخرى التي يتحدث عنها غيره من المؤلفين والعلماء ليست شيئاً بالنسبة الى هذا المنبع الذي خصّه هو بعنايته وهو التصوير الفني .

قال في (ص ١٧) من « التصوير الفني » : ينظر بعض الباحثين في القرآن الى القرآن جملة ثم يجيب ، وبعضهم يذكر غير النسق الفني للقرآن أسباباً أخرى يستمدها من موضوعاته بعد أن صار كاملاً ، من تشريع دقيق صالح لكل زمان ومكان ، ومن إخبار عن الغيب يتحقق بعد أعوام ، ومن علوم كونية في خلق الكون والإنسان .

ولكن البحث في هذا النحو إنما يثبت المزية للقرآن مكتملاً فما القول في السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم ، ولا تجمع بطبيعة الحال

كل المزايا المتفرقة في القرآن ؟ إن هذه السور القلائل قد سحر العرب بها منذ اللحظة الأولى ، وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الأغراض الكبرى هي التي تسترعي إحساسهم وتستحق منهم الإعجاب ..... الى أن يقول في (ص ٢٣) :

« وإننا لنستطيع أن ندع – مؤقتاً – قداسة القرآن الدينيـة ، وأغراض الدعوة الاسلامية ؛ وأن نتجاوز حدود الزمان والمكان ؛ ونتخطى الأجيال والأزمان ، لنجد بعد ذلك هذا الجمال الفني الخالص ، عنصراً مستقلاً بجوهره ، خالداً في القرآن بذاته ، يتملاه الفن في عزلة عن جميع الملابسات والأغراض .

وإن هذا الجمال ليتملى وحده فيغنى ، وينظر في تساوقه مع الأغراض الدينية فيرتفع في التقدير » .

ويقول في (ص ٣٢) : « إن لهذا الكتاب العظيم لخصائص مشتركة ، وطريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض ..... هذه الطريقة الموحدة ، هذه القاعدة الكبيرة ... هي التصوير الفني في القرآن » .

ويقول في (ص ١٩٤) : « وبعض الناس حين ينظر في هذه الموضوعات – يقصد الموضوعات الإلهية والتشريعية – ويرى ما فيها من دقة وعظمة وصلاحية ومرونة ، وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعاني وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن في كل منهما على انفراد .

أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التي اتبعها القرآن في التعبير ، هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهي كفاء هذه الأغراض والموضوعات » .

ويشرح سيد قطب هذه الطريقة ويبين فضلها على غيرها في (ص ١٩٦) فيقول : « لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقـة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية ، والسير على طريقـة

تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث الماضية ، والقصص المروية ، والأمثال القصصية ، ومشاهد القيامة ، وصور النعيم والعذاب ، والنماذج الإنسانية ... كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة .

فما فضل هذه الطريقة على الطريقة الأخرى ، التي تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية ..... ؟ إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتصل اليها مجرّدة من ظلالها الجميلة . وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان وتصل الى النفس من منافذ شتى : من الحواسّ بالتخييل . ومن الحس عن طريق الحواسّ ، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء . ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة الى النفس ، لا منفذها المفرد الوحيد .

ولهذه الطريقة فضلها ولا شك في أداء الدعوة لكل عقيدة ولكننا إنما ننظر اليها هنا من الوجهة الفنية البحتة . وإن لها من هذه الوجهة لشأناً . فوظيفة الفن الأولى إثارة الانفعالات الوجدانية ، وإشاعة اللذة الفنية بهذه الإثارة ، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات ، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه . وكل أولئك تكفلة طريقة التصوير والتشخيص للفنّ الجميل [1] .

ويتساءل المؤلف في ص (٢٠٥) من « التصوير الفني » عن « طريقة التصوير في التعبير » هل هي القاعدة الأولى في تعبير القرآن ؟ وهو يجيب على ذلك بهذه السطور التي أوردها في مقدمة كتابه « مشاهد القيامة في القرآن » :

« هذه القضية لديّ كل ما يؤكدها من الإحصاء الدقيق لنصوص القرآن . فالقصة ومشاهد القيامة ، والنماذج الإنسانية ، والمنطق الوجداني في القرآن ، مضافاً اليها تصوير الحالات النفسية ، وتشخيص المعاني الذهنية ، وتمثيل بعض

---

(١) راجع الأمثلة على ذلك في ص ١٩٧ وما بعدها وفي مواضع اخرى كثيرة من الكتاب .

الوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية ... تؤلف على التقريب أكثر من ثلاثة أرباع القرآن من ناحية الكمّ . وكلها تستخدم طريقة التصوير في التعبير . فلا يستثنى من هذه الطريقة إلا مواضع التشريع ، وبعض مواضع الجدل ، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي طريقة التقرير الذهني المجرّد . وهي على كل حال محصورة فيما يوازي ربع القرآن .

فليس هنالك من شطط حين أقول : « إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن » .

والى جانب هذه السمات التي تكوّن في نظر المؤلف سحر القرآن الفني المرادف في الحقيقة لإعجاز القرآن يعتقد المؤلف بأن تكرار القرآن أكثر قصصه في صور مختلفة هو ضرب من الإعجاز ويقول في ذلك (ص ٨ من مشاهد القيامة في القرآن) :

« والعجيب حقاً أن تعدّد هذه المشاهد ـ وأساسها واحد ـ لم ينشئ نوعاً من التكرار . فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته . وذلك لون من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس ، كلهم ناس ، ولكنّ لكلّ سحنةً وسمة ، في هذا المتحف الإلهي العجيب !!! » .

ونستنتج من هذا كله أن المؤلف لا ينكر إعجاز القرآن من حيث التشريع والإخبار عن الغيب والعلوم الكونية ولكنه يرى أن إعجاز القرآن أو سحره ـ في تعبير المؤلف ـ قائم على الإبداع في العرض والجمال في التنسيق والقوة في الأداء وهي تتمثل أو تنبعث في ثلاثة أرباع القرآن من استعماله طريقة التصوير الفني .

* * *

٧ – الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني :

هو أحد علماء الأزهر المعاصرين وقد ألّف كتاباً في إعجاز القرآن سماه «مناهل العرفان في علوم القرآن» . جاء فيها بثلاثة عشر وجهاً لإعجاز القرآن بعضها تكرار لما قاله الأقدمون وبعضها قال به الأقدمون ولكنه ضرب عليه أمثلة جديدة أو اجتهد فيه اجتهاداً أظن فيه بعض الجدة في القالب لا في الجوهر .

ومن أهم ما جاء في مقدمة هذا الكتاب أن اختيار الألفاظ في القرآن يظهر فيه وجه من الإعجاز من حيث أن أهل كل عصر يفهمونها بما يناسب تفكيرهم ويلائم ذوقهم ويوائم معارفهم ولو استبدلت تلك الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لأن يخاطب به الناس كافة .

ويلاحظ أن هذه الخاصة لا ينفرد بها القرآن بل يشاركه فيها على التحقيق كل الكتب والآثار الأدبية القديمة لأن الألفاظ كالبشر تخضع لنواميس الحياة وتنتقل من طور الى طور وتختلف مفاهيمها في الأذهان باختلاف العصور والبيئات .

ومن أهم ما جاء في مقدمته لوجوه الإعجاز في القرآن الأمور الأربعة التالية :

١ – النغمة الصوتية فسامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه ينتقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة وقد سبقه الى القول بها الباقلاني والجاحظ والرافعي وغيرهم .

٢ – إرضاء القرآن للخاصة والعامة وللمؤلف فضل التوسع في هذه النقطة وإيضاحها .

٣ – إرضاؤه العقل والعاطفة ويستمد المؤلف هذه النقطة من عناصر البلاغة كما يفهمها الأدباء المعاصرون .

والبيان فالجملة فيه واضحة مع احتمالها عدة
بكثير من المعاني .

ء الخواصّ بل يشاركه فيها الآثار الأدبية
تساويه درجة في هذه الخواصّ التي فاز

ءا المؤلف ما يلي :

في ترتيبه وانسجامه وترابطه فالانسجام في
لانسجام نفسه في السور التي نزلت آياتها

أمية النبي . وهنا يقارن المؤلف بين
.ة الإيمان بالله وفي عقيدة البعث والجزاء .
ات البشر .

كونية . والمؤلف لا يريد أن يجعل
.ليل إعجازه لأنّ هذه العلوم تتغير نظرياتها
.م إذا استقرّت وثبتت حقائقها أمكن
ق عليه . وهو يرى أن عدم تعرّض
ترى أنه يثبت النظرية العلمية في الإعجاز

تتمثّل بالتدرج في التشريع وحسن الدعوة

.منها أمور تتعلّق بالاجتماع كقوله تعالى :
.ا ما بأنفسهم » .

٦ — تأثير القرآن في نفوس أعدائه وأتباعه ونجاحه .

ويأتي المؤلف بشبهات يوردها المناهضون لإعجاز القرآن على الأسلوب وغير الأسلوب وينقضها واحدة واحدة .

* * *

جدول بأسماء المتكلمين الذين لم أطلع على آرائهم في الإعجاز وبأسماء كتبهم التي ألفوها في هذا البحث ولم أظفر بها لأطالعها وقد اقتبسته عن مقالة الأستاذ عبد العليم الهندي السابقة :

عبد الواحد بن اسماعيل الروياني توفي سنة ٥٠٢ هـ (١) .

ابن بيجوك البقالي توفي سنة ٥٦٢ هـ (٢) .

قاسم بن فرشوه (٣) توفي سنة ٥٩٠ هـ (٤) .

ناصر بن عبد السيد المطرزي توفي سنة ٦١٠ هـ (٥) .

ابن كمال باشا توفي سنة ٩٤٠ هـ (٦) .

ابراهيم بن أحمد الجزري ؟ (٧) .

محسن بن حسين النيسابوري الخوزئي ؟ (٨) .

* * *

(١) انظر حاجي خليفة تحت اسم إعجاز وليس لهذا الكتاب أثر .

(٢) انظر فهرس الكتب العربية MSS برلين المجلد الأول ص ٢٨٨ — ٢٨٩ برلين MS. Spr. 819

(٣) لفظ هذا الاسم معمى . في المعارف هو فيره ويمكن أن يكون محرفاً . وفي الارشاد المجلد الرابع ص ١٨٤ هوفيره وبروكلمان يقراه "فرشوه" المجلد ص ٤٠٩ ويذكر أنه يمكن ان يكون اسماً اسبانياً قديماً .

(٤) و (٥) انظر المعارف المجلد ١٨ عدد سنة ١٩٢٦ ص ٣٣١ والاثنان موجودان في خزانة المدينة .

(٦) و (٧) انظر فهرس خزانة برلين MSS المجلد ص ٢٨٨ — ٢٨٩ فقط ٨ غير موجود MS برلين Spr سنة ٨١٩ .

(٨) انظر كشف الحجب عن اسماء الكتب كلكوتا ١٩١٢ ص ٥٢ وهو مفقود .

جدول بأسماء مؤلفين جعلوا هذا البحث جزءًا من كتبهم التي وصلت الينا ولم أتحدث عنهم :

١ — عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩ ه) في كتابه أصول الدين المنشور في استامبول سنة ١٩٢٨ م .

٢ — علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ ه في كتابه أعلام النبوة المنشور في القاهرة سنة ١٣١٥ ه .

٣ — عبد الملك بن عبد الله الجويني (أبو المعالي إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٨٨ ه) في كتاب الإرشاد في أصول الاعتقاد (ليدن) .

٤ — محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨ ه) في كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام (اكسفورد) .

٥ — تقي الدين بن تيمية (٧٢٨ ه) في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ط القاهرة ١٣٢٣ ه) .

٦ — هبة الله البارزي (٧٣٨ ه) في كتاب توثيق عرى الأديان في تفضيل حبيب الرحمان (مخطوط في برلين) .

٧ — بدر الدين بن عمر بن حبيب (٧٧٩ ه) في كتاب النجم الثاقب في أشرف المناقب (MS. Berlin Pet. 342)

٨ — سعد الدين التفتازاني (٧٩١ ه) في كتاب شرح مقاصد الطالبين في أصول الدين (طبع استامبول سنة ١٢٧٧ ه) .

٩ — الشريف الجرجاني (٨١٦ ه) في كتاب شرح المواقف (تأليف الأيجي المتوفى سنة ٧٥٦ ه) طبع ليبزيغ ١٨٤٨ مخطوط في برلين .

١٠ — أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (القطب) في كتاب الخرائج والجوارح (مخطوط برلين) . وقد أدخل هذا الكتاب محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١٠١١ ه في كتابه (المعلمة) المسمى بحار الأنوار المطبوع في طهران

سنة ١٣٠٣ هـ — ١٣١٥ هـ . (راجع فيما يتعلق بمحمد باقر المجلسي معجم الكتب العربية المطبوعة والمعرّبة لسركيس) .

وقد وجدت في كتاب أعلام الشيعة للعاملي (مؤلف حديث) ترجمة قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي فقال إنه تلميذ صاحب مجمع البيان وذكر أن له خلاصة التفاسير في عشرة مجلدات وتفسير القرآن في مجلدين وذكر أنه عاش في المائة السادسة ولكنه لم يذكر أن له كتاب الخرائج والجوارح .

١١ — يحيى بن حسن القرشي الزيدي في كتاب منهاج التحقيق ومحاسن التلفيق (MS. Berlin G ls. 96) .

١٦ — رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) المنشور في القاهرة ١٣٠٩ هـ

* * *

خاتمة

ذكرت رأيي في إعجاز القرآن وأفضت فيما ثار من النزاع بين العرب في حياة النبي فليرجع اليه هناك من شاء . ولا أرى الآن بدّاً من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم يكون له قوة البرهان الرياضي فيقنع الخصم المعاند ، وأنها قائمة على القناعة الوجدانية فالحجة التي تقنع المناصر قد لا تقنع المنكر ، بل قد تزيده إنكاراً . والمؤمن بفكرة الإعجاز يرى أن عجز العرب عن معارضة القرآن دليل على إعجازه وعلى رسالة الرسول على حين يرى من لا يؤمن بها أن عجزهم حينئذ دليل على أن النبي خيرهم بياناً وليس دليلاً على أنه رسول الله وعلى أن القرآن كلام الله ، وذلك كما لو عجز الناس عن معارضة امرىء القيس من شعراء العرب أو شكسبير من أدباء الانكليز فإن عجزهم لا يجعل من أحدهما رسولاً . ولا شك في أن تذوق جمال القرآن الأدبي يختلف من شخص الى آخر باختلاف

عقيدته وذوقه الفني الأدبي ومنشئه وميله . وليس من الممكن أن يتذوق الملحد ومن لا يرى القرآن منزلاً من عند الله حلاوة القرآن كما يتذوقها من يراه دستور الانسانية الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
ونرى أن فكرة الإعجاز ، شأن كل فكرة علمية أو أدبية ، تساير روح العصر الذي تعيش فيه فيظهر فيها التجديد والقوة حيث تكون نهضة متوثبة ويظهر فيها الجمود واجترار ما قاله المتقدمون حيث يهيمن الجمود والموت الاجتماعي ويبدو التناقض لدى القائلين بها حيث يخيم ظلام الجهل وضعف التفكير ويناهضها الإنكار أو معارضة القرآن حيث يحصل تصادم واحتكاك قوي بين الثقافات والديانات واللغات والشعوب فيثور من جراء ذلك كله نقاش شديد في المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية يشتد فيه إنكار المنكرين كلما اشتدت فيه مناصرة المؤيدين لتتوازن قوى المجتمع بنتيجة ذلك التوازن الطبيعي .

وقد انتهيت من دراسة أفكار من تكلموا في الإعجاز إلى أن فكرة الإعجاز ببلاغته كانت أقوى هذه الأفكار . ولكنّ القدماء الذين أرادوا أن يثبتوها لم يكن عندهم آراء ونظرات فنية كاملة في فنون البلاغة التي كانت في زمنهم قاصرة إذا قسناها بفنون البلاغة الحديثة كما يدركها الغربيون وكما يجب أن تكون عندنا اليوم فلم يستطيعوا أن يبلغوا شأو بعض المحدثين كالأستاذ الخولي الذي يقول بالإعجاز النفسي ، والأستاذ سيد قطب الذي يقول بسحر القرآن بفضل التصوير الفني الرائع الذي فيه ويأتي على ذلك بالأمثلة .

وإن كان لا بد من خاتمة لهذا البحث فهي أن هذه المسألة الفرعية من علم الكلام كانت ولا تزال مرآة للحركة الفكرية عند العرب والمسلمين منذ بعثة النبي الى الآن وستبقى كذلك مرآةً وميداناً للأخذ والرد والجدل ما بقيت الأرض .

* * *

المراجع

إعجاز القرآن للرافعي .

إعجاز القرآن للباقلاني .

تفسير الطبري .

مقدمة حسن الصنيع .

مقدمة التلخيص للقزويني .

دلائل الاعجاز للجرجاني .

كتاب الطراز ليحيى بن حمزة العلوي اليمني .

نهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي .

التفسير الكبير : مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي .

مفتاح العلوم للسكاكي .

الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي .

رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده .

البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها : الأستاذ أمين الخولي .

التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم : الأستاذ أمين الخولي .

البلاغة وعلم النفس في مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الثاني سنة ١٩٣٦ : الخولي .

ترتيب نصوص آي الذكر الحكيم في أبواب الدين القويم : وضع سلامة محمد .

تفسير الكشاف للزمخشري .

الاتقان في علوم القرآن للسيوطي .

مفردات الراغب ومختار الصحاح والقاموس المحيط .

تفسير الألوسي .

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .

كشف الظنون لحاجي خليفة .

مقالة للأستاذ كراوس ، مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ .

الملل والنحل للشهرستاني .

مقدمة ابن خلدون .

كتاب الحيوان للجاحظ .

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري .

«مقالة في الاعجاز لعبد العليم الهندي في مجلة الثقافة الاسلامية التي تصدر في الهند باللغة الانكليزية العدد ١ و ٢ من سنة ١٩٣٢ .

The Islamic culture N.1 and 2. 32 th year : Concluded Abdul Aleem Hindi. »

التصوير الفني في القرآن لسيد قطب .

مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب .

نعيم الحمصي

التعريف والنقد

المصطلحات العلمية في اللغة العربية

في القديم والحديث

كتاب يقع في ١٣٥ صفحة ، وهو مجموعة سلسلةٍ من المحاضرات ألقاها رصيفنا العلامة الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية ، بدعوةٍ من مدير المعهد الأستاذ العالم السيد ساطع الحصري .

موضوع شائك لا يستطيع الجولان فيه إلا من وقف نفسه على التقصي ، وبحثٌ جليل تفتقر اليه لغة الضاد أشدّ الافتقار ، فلا عجب اذا ما انتدب له بحاثة كبير كالأمير مصطفى الذي عانى أمر المصطلحات العلمية زهاء ثلث قرن ، فوضع وحقق في خلال هذه السنوات الطوال ألوف المصطلحات في علوم الزراعة والمواليد ولا سيما النبات ، ونفع اللغة العربية أخيراً بثمرة عمله الرائع فطبع في السنة ١٩٤٣ « معجم الألفاظ الزراعية » الذي سدّ ثغرة كبيرة في باب المصطلحات العلمية . وقد كنا نتمنى لو حذا حذوه الاختصاصيون في مختلف العلوم ، فوضعوا أو حققوا مصطلحات اختصاصاتهم ، وأخرجوا اللغة العربية من هذا المأزق الذي تعانيه . ولست أظن أن شعباً متطلباً للاستقلال والتحرر يستطيع بلوغ هذه الأمنية إذا لم يحرر لغته من ربقةِ اللغات الأجنبية ، ولا أغالي اذا قلت ان كل شعبٍ مستقل ، ولغته لا تزال عاجزة عن السير في مضمار العلم ، يعدّ شعباً مستعبداً ، لأن اللغة بعلومها ، والأمة بلغتها ، فهي شعار القومية ودليل الاستقلال الفكري .

وفي البلاد العربية اليوم نهضة مباركة نتمنى لها النجاح ، ونرجو أن تفضي

أعمالها الى وضع معجم جامع للعلوم تقره المجامع العلمية في البلاد العربيـة ، فتتوحد المصطلحات ، ويقطع علماؤنا هـذه المرحلة الأولى ، مبتدئين بمرحلتهم الثانية ، وهي البحث والتقصي والاكتشاف .

إن من يتصفح هذا الكتاب يدرك العناء الكبير الذي كابده المحاضر في جمع هذه المعلومات الماتعة التي ضمنها محاضراته ، فهو لم يترك ناحية إلا طرقها ، فبعد أن بحث في اللغة العربية ونشأتها تكلم عن وسائل نمو اللغة : عن الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب . ثم ماشى اللغة العربية منذ القديم حتى عصرنا الحاضر ، متنقلاً معها في الجاهلية وأيام الراشدين والأمويين والعباسيين ، مبيناً عيوب المعجمات العربية القديمة التي لم تعد صالحةً لمماشاة العلوم الحديثة ، وانتقل بعد ذلك الى النهضة الحديثة في نقل العلوم فجاء على النهضة المصرية ، فعلى النهضة الشامية ، ولم يهمل جهد الأفراد في وضع المصطلحات العلمية ، ولا عمل المجامع العلمية في البلاد العربية : المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية في مصر والمجمع العلمي العراقي ، وقد خصَّ الجامعة السورية بكلمة طيبة . وأسهب في أعمال مجمع مصر . ولم يكتف بذكر تلك الجهود التي قام بها الأفراد والجماعات بل ذكر آراءه في نقل الألفاظ العلمية الى اللغة العربية فكانت آراءً سديدة دالةً على ما اتصف به المؤلف من سعة التفكير وعمق التقصي ، وأخص منها رأيه في شروط النقل وتوحيد المصطلحات العلمية ، والوسائل المؤدية الى هذه الغاية .

والخلاصة ان محاسن هذا الكتاب على صغره لا تعدُّ ، وان الالمام بها في كلمة مقتضبة كهذه أمر متعذر ، فعلى كل عالم ولغوي أن يطالع هذه الأبحاث ، ويعي ما جاء فيها من النصائح والارشادات والآراء ، ولا سيما من كانت مهمته وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها .

إنني أكبر عمل رصيفنا العلامة الأمير مصطفى ، وأسدي اليه باسم اللغة التي أضنى جسده في خدمتها أجزل الشكر على هذه التحفة الثمينة .

الدكتور مرشد خاطر

القرآن المجيد

لو قال لي قائل : دلني على تفسير للقرآن بالقرآن ، بحيث تكون آياته في الموضوع الواحد مجموعة في مكان واحد ، ومفسَّرة تفسيراً يجمع بين معانيها جمعاً محكماً ، لقلت إنك تجد هذا في تفسير الأستاذ المستقل (عزة دروزة) ؛ فقد رتَّب كتابه الذي وصَفَ فيه (القرآن المجيد) هذا الترتيب ، وأقامه على أربعة فصول ، فالفصل الأول في القرآن - أسلوبه ووحيه وأثره ، والثاني في جمعه وتدوينه وقراءاته ورسم المصحف ، والثالث في الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره ، والرابع نظرات وتعليقات على كتب المفسرين ومناهجهم ، وتحت كل فصل من هذه الفصول الأربعة ، عناوين لمسائله المنوَّعة ، ثم ختمه ببيان أفضل المناهج لتفسير القرآن . وهذا المؤلَّف الذي بلغ ثلاثمائة صفحة قد جعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي يقع في عِدَّة مجلدات ، كما أشار اليه في أولها . ومن أمعن النظر في هذه الفصول رأى فيها فوائد جمة ، ومباحث مهمة ، كأسلوب القرآن والسيرة النبوية ، وشهود العيان لأعلام النبوة ، وأثر القرآن الروحي وبلاغته اللفظية ، وأثر الدعوة القرآنية في نجاح الفتوحات الاسلامية ، (وردَّ هنا على الأستاذين فيليب حتي وكايتاني في دعوى أن انتصار الجيوش العربية كان انتصاراً للعروبة ، لا للدعوة الاسلاميـة ، ردًّا معززاً بالشواهد الكثيرة) ، والقرآن والعرب في عهد النبي ، ومن مباحث الفصل الثاني ، ترجيح تدوين القرآن وترتيبه في عهد النبي (ﷺ) ومرجحات ذلك ، كتابة ترتيب النزول وعدد الآيات ، رسم المصحف العثماني ، والقراءات ، ومن الثالث : القرآن والسيرة النبوية ، لغة القرآن ، القصص القرآنية ، الملائكة والجن في القرآن ، مشاهد الكون ونواميسه في القرآن ، تسلسل الفصول القرآنية وسياقها ، فهم القرآن من القرآن . وفي الفصل الأخير نظرات المفسِّر الثاقبة ، ونقده بالمنقول

والمعقول لبعض مروياتهم في أسباب النزول ، والتفسير ، وتعليقات المفسرين على القصص ومشاهد الكون والملائكة والجن ، والتعصب للمذاهب في سياق التفسير ، والولع باستنباط الرموز والمصطلحات ، والتفريع والاستطراد ، ونقد روايات نزول القرآن جملة واحدة ، والقول بنزوله بالمعنى ، وفتنة القول بخلق القرآن .

وطريقته في هذه المقدمة أن يتوج مباحثه بما يناسبها من الآيات الكريمة ، بعد أن يمهد بالدخول عليها بما يبعث في النفس شوقاً الى تلاوتها ، ثم يفسر الآية أو الآيات بالظاهر المتبادر منها ، مشيراً الى أرقامها وسورها ، مستعيناً بالمعقول والمنقول من أسباب النزول ، وبالزمان والمكان اللذين أُنزلت فيهما الآيات ، وبعصر النبوة في حوادثه ووقائعه ، وببيئة الرسول قبل البعثة ؛ ويفسر القرآن بالقرآن ، ثم بما يتصل به من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام . فمنهجه في هذا كله سلفي وإن كتب بلغة حديثة ، واستمد من قوى العصر ومعارفه وهو يرى أن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا اذا عادت الى القرآن علماً وعملاً ، وأدباً وخُلُقاً . ففيه « أقوى الحوافز الى أسمى الآفاق ، وأبعد الأشواط الموصلة الى أعلى ما يمكن أن يكون من رفعة الذكر ، وعلوّ القدر ، وقوة التمكين والنصر ، وجعلت متبعيه خير أمة أُخرجت للناس إذا هم قاموا بأعباء ما حملهم إياه من تبعات ، وأدّوا ما ائتمنوا عليه فيه للانسانية من أمانات » . وقد تكلم على كتب التفسير ، وما فيها من زيادات أو تقصير ، كما ردّ على كتب التبشير والتنصير بردود محكمة ملزمة . وختم الكتاب بإيراد عشرة وجوه يحتاج اليها المفسِّر ليكون تفسيره وافياً بالمطلوب .

وإني موضح هنا ما جاء في أواخر هذا الكتاب من القول بترجمة القرآن الكريم ، قال المؤلف (ص ٢٩٤) : « وننبه على أننا لسنا هنا في معرض منع ترجمة القرآن وعدم جوازه ، بل إننا نرى هذا مفيداً جدّاً ، وواجباً لازماً ، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية القرآنية العظمى » .

وأقول هذا حق ، ولكن المعقول أن يترجم ترجمة تفسيرية لآيه وسوره ، وأن تبلغ دعوة الاسلام الى كل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعلم عامتهم بالعربيه ما تصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة العرب ليتذوقوا إيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه . أما الترجمة الحرفية فهي متعذرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ؛ وقد انتشرت العربية ــ تبعاً للاسلام ــ في قارات الأرض الثلاث (آسية وافريقية واوربا) ودخلت أمم كثيرة في العروبة والاسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسته بلغته إلا هدى ورحمة ، وإحساناً وتوفيقاً «تآخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض وضياءً ونوراً لأهلها» .

وقد كانوا في الصدر الأول إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، وهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدد لنا عهداً بطريقة سلفنا الذين استخلفهم الله في الأرض ، ومكن لهم فيها ، وأورثهم علوم الأمم وحضارتهم ، فنوجه أنظار المعاهد التي تُعنىَ بدراسة القرآن وتدريسه الى هذا المنهج السلفي الذي يطبع الدارسين بطابع اللغة والاسلام والفضيلة . وقد زرنا مدارس الاستشراق في بلاد السوفيت ، وسمعنا كلام الدارسين والدارسات للغتنا العربية ، وفي لينينغراد (عاصمة الروس القديمة) يدرسون القرآن الكريم بلغته ، وفي المعرض الزراعي بموسكو ظلت فتاة مستعربة تكلمنا باللغة الفصحى نحو ساعتين ، وقالت : وفد علينا أُناس من بلاد العرب لم نفهم لهجتهم العامية ، ولم يستطيعوا أن يكلمونا بلغة القرآن ! ؟

فنحن إذا دعونا الى لغة القرآن والدين ، والى مثل هذا التفسير السلفي العصري فقد دعونا الى نهضة قيمة ، وحياة طيبة ، وعز تالد ، ومجد خالد ، ونسأله تعالى أن ييسر للمؤلف الكريم طبع تفسيره ليعمّ نفعه .

هذا وقد وقعت أغلاط ، لم يخل من مثلها كتاب ، ولم تثبت في جدول

الخطأ والصواب ، وأقتصر على كلمات الذكر الحكيم منها لتصحح ، وغيرها يسير جدًّا :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وصدق عنها	« وصدف »	٨	٦
كبيرا	« كثيرا »	٩	٢
انّ هذا كتابنا	« هذا »	٧٨	٨
وهذا	« هذا »	١٥٢	٤
وان هذا	« إنّ هذا »	١٥٢	٤
وانما يسرناه	« فانما »	١٥٢	٧
وانما أنزلنا الكتاب	« انا أنزلنا عليك »	١٥٢	١٠
وان هذا	« إن هذا »	١٥٣	١
وقد سمعنا	« قد سمعنا »	١٥٣	١
قالوا أساطير	« وقالوا »	١٥٧	١
ينظرون نظر	« ينظرون اليك »	١٦٣	١٠
واذا خلوا الى بعضهم	« واذا خلا بعضهم الى بعض »	١٧٠	١
ثم يقولون	« ثم يتولون »	١٧٠	١١
لا يحيطون بشيءٌ	« ولا يحيطون »	١٩٧	٢٢
إنْ امهاتُهم اللائي	« إلاّ اللائي »	٢٠١	١٧
وبئس المصير	« فبئس المصير »	٢٠٢	١٠
بالصدقات	« في الصدقات »	٢٠٣	١٠
دابّة الأرض	« دابة من الأرض »	٢٦٥	٣
عبسى	« عَبَس »	٢٨٥	٤

محمد بهجة البيطار

مي زيادة

مع رائدات النهضة النسائية الحديثة

وهي محاضرات في ٢١٤ صفحة ألقاها العلاّمة الدكتور منصور فهمي، على طلبة قسم الدراسات الأدبية، في معهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية.

والمعهد المذكور أُنشئ في القاهرة، في السنة الدراسية ١٩٥٣ — ١٩٥٤، وعُهد الى العلامة ساطع الحصري بإدارة شؤونه، فسنّ سنّة حسنة تقضي بدعوة علمائنا وأدبائنا الى إلقاء محاضرات مسهبة في شتى المواضيع المتصلة بفروع التدريس، علاوةً على الدروس الأصلية التي يدرّسها الأساتذة في تلك الفروع. وبينما يكون المحاضر مكبّاً على إلقاء محاضراته، تكون المطبعة منهمكة في طبعها؛ وهكذا استطاع الأستاذ الحصري أن يتحف الثقافة العربية بأكثر من خمسة وعشرين كتاباً نفيساً في سنة مدرسية واحدة أو سنتين.

وكتاب «مي زيادة» هو ثمرة يانعة من هذه الثمرات، فمؤلفه معروف في البلاد العربية بأنه علم من أعلام الفكر والأدب في عصرنا الحاضر. وقد كانت له صلات وثيقة بالآنسة مي رحمها الله، فلا عجب إذن أن يصور حياتها أصدق تصوير، وأن يحلل أدبها أدق تحليل، بقلم طيع، وبيان مشرق، وآراء في الأدب والاجتماع بعيدة الغور، لا يبلغ دقائقها إلا عالم نفساني عميق التفكير.

بدأ المحاضر الفاضل كلامه على رائدات النهضة النسائية الحديثة، وهن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفني ناصف «باحثة البادية»، فاستغرق حديثه هذا نحو نصف المحاضرات، وانتقل بعد ذلك الى التحدث عن مي الأديبة والكاتبة المفكرة، فأوضح رأيها ورأيه في تعريف الأدب، ثم وصف هيكلها

المادي على ما بقي من صورتها في مخيلته ، وذكر شيئاً عن نشأتها وبيئتها ودراستها وصفاتها النفسية ، وعقّب بالتكلم على ثقافتها وأسلوبها في التفكير والكتابة ، وفلسفتها في الحياة ، ونظرتها الى الأدب والشؤون الاجتماعية ، ولا سيا رأيها في قضية المرأة . وانتهى الى البحث في تأثيرها الأدبي والاجتماعي والسياسي ، وفي نهايتها الأليمة عقب ما انتابها من محن وشجون .

وقد دلّ المؤلف على كل ذلك بجمل كثيرة نقلها من رسائل مي ومقالاتها وكتبها وأقوال الأدباء فيها وفي أدبها .

وبعد إن كتاباً يؤلفه مثل هذا الفيلسوف والأديب الكبير ، ويتحدث فيه عن مثل النابغة مي لا يمكن إلا أن يكون قطعة من الأدب الرفيع الماتع .

الشهابي

علم السموم

تأليف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

زميلنا الأستاذ الكواكبي من المؤلفين المكثرين والمجيدين معاً ، امتازت كتبه المطبوعة العديدة بجزالة الأسلوب وباللغة الفصيحة الصحيحة ، ناهيك بدقة البحث وصحة الرأي مما يجعلها حجة يرجع اليها ويعتمد عليها .

وآخر ما أتحف به المكتبة العربية هو علم السموم ، وقد أنافت صفحاته على الخمسمائة ، طبع في مطبعة الجامعة السورية على ورق جيد ضمّنه الروامسم العديدة والجداول الكثيرة مما هوّن استساغة بحوثه العويصة وسهل هضمها واستمراءها . وصنّفه المؤلف لطلاب فرع الصيدلة في كلية الطب .

ولقد تصدى في مؤلفه القيم هذا ، الى البحث في منشأ السموم وأوصافها وخواصها ، وما أثر منها في البدن تأثيراً سيئاً وأعراض التسمم بها . وغايته

كما جاء في تعريف المؤلف هي إغاثة المسمومين بإعطاء ما يضاد السم ، وتحري السم في المفرغات والأحشاء بالطرق الفيزيائية والكيمياوية والغرائزية ، كما انه يعنى بالصحة العامة لوقاية العمال المشتغلين بمختلف الصناعات التي قد ينتج عنها تسمم حاد أو بطيء ، وبوقاية السكان من الغازات والأبخرة السامة المنطلقة الى الجو من المعامل ، وما الى ذلك من الغايات النبيلة التي ألمح اليها الزميل الفاضل في مقدمة كتابه . ثم عدّد طرق دخول السموم البدن وامتصاصها ونمط تأثيرها وفعل السموم في الأعضاء المختلفة وتوزع السموم في البدن الحي وتوضعها (استقرارها) والاستحالات التي تطرأ على البدن من السموم ، وإطراح السموم والبادزهرات والاسعاف وخطة العمل في حوادث التسمم والكشف الكيمياوي الشرعي وفحص الأحشاء وتصنيف السموم على اختلاف أنواعها ، وما شاكل ذلك من الموضوعات القيمة التي لا غنى للطالب عن دراستها والاحاطة بدخائلها .

والأستاذ الكواكبي يميل في تصانيفه ميلاً شديداً الى النحت والاشتقاق في نقل المصطلحات العلمية الافرنجية الى العربية ، وعلى ذلك فقد أكثر في كتابه الذي نحن في صدده من أمثال الكريراوات عن الكريات الحمر والكريضات عن الكريات البيض وتنترج الدم عن الآزوتميا (وهي كلمة عالمية شائعة في جميع اللغات) والبلسمة عن إزالة الانسمام والتفحمن عن الانسمام بأوكسيد الكربون (ولا أقول الفحم) ، والأشعه مافوسجية عن الاشعة ما فوق البنفسجي (بالنسبة الى الطيف) ومُقيهل عن المقيء والمسهل والجزقيء عن الجوز المقيء والسملاحين عن السم الآحيني ، والبادزهرات (أو الفادزهرات لأن العادة في تعريب الكلمات الفارسية أن تبدل الباء بالفاء) عن مضادات السموم أو الترياق الذي استعمله الأطباء الأقدمون ، وما الى ذلك من الكلمات العديدة التي تخير استعمالها زميلنا الفاضل والتي لا غبار عليها من حيث الأساس والصياغة . وعندي أن

لا عيب فيها سوى صعوبة استيساغها . وإني مع إعجابي الشديد بجهود الصديق وغيرته على لغة الضاد وجده في نحت أمثال تلك الكلمات الجديدة وتوليدها .. آمل أن تكتب لها الحياة والبقاء وأرى أن في إدخالها الآن في الوقت الحاضر في صلب لغتنا العلمية تعقيداً لا مبرر له ، وما كانت لغة العلم لتستساغ إلا عند بساطتها وسهولة فهمها . وأهل العلوم العصرية في أيامنا هذه لا غنى لهم عن إتقان احدى اللغات الأجنبية إن لم أقل أكثر من لغتين منها ، حتى تتاح لهم مماشاة ركب الحضارة السائر سير الطائرات والصواريخ .

أو ليس في إيجاد كلمات من طراز ما تقدم إبعاد الشقة بيننا (وفي دمشق وحدها) وبين أبناء جلدتنا الذين تضمهم بقاع فسيحة جداً من هذه المسكونة ولما تتفق كلمة المجامع العلمية واللغوية على توحيد مصطلحات العلم والنهج الذي ينبغي سلوكه في الترجمة والتعريب ؟ أو لا يحتاج القارئ لمقال علمي تضمن الغريب من المصطلحات (ولا أخفي وأنا واحد منهم) الى إمعان الفكر وقدح الذاكرة علّه يهتدي الى اشتقاق تلك الكلمات ، ويتوصل الى معرفة مدلولها بما وعيه من لغة أخرى ؟ أو ليس في هذا مضيعة للوقت وتعسير لسبيل العلم ؟ أفلا يفضل أن نترجم المصطلح الأفرنجي بكلمتين أو ثلاث من الكلمات الشائعة عوضاً عن الكلمة الواحدة العويصة ؟

وبعد هذه الملاحظة العابرة ، ليسمح لي الزميل الكريم أن ألفت نظره الى بعض المصطلحات الطبية (لا الكيمياوية) التي خالف فيها ما أجمع عليه الأطباء كقوله الحُمَيرة عن القرمزية (Scarlatine) والحُميرة عند أهل الشام هي الحصبة (Rougeole) ، وعربت (Scarlatine) بالحمى القرمزية ويقال القرمزية تخفيفاً ، واشقرار الكبد عوضاً عن كهبة الكبد أو التكهب وفي الأفرنجية (Cirrhose) وهي تعني تحول الكبد الى لون أحمر ضارب الى الصفرة ، وقد جاء في فقه اللغة : الكهبة صفرة تضرب الى الحمرة (وقد نبه الى ذلك الدكتور مرشد خاطر)

مع أني أفضل كلمة التشمع التي ذاع استعمالها خطأ" وانتقلت الينا مما ترجمه الأتراك ، حتى أصبحت في نطاق الخطأ المشهور . وترجم كلمة (Opisthotonos) بالكزاز الظهري عوضاً عن التقوس الخلفي (لا انحناء عضلات الظهر كما جاء في موضع آخر) إذ الأفضل تخصيص كلمة الكزاز لـ (Tétanos) ، وتقبض الفكين عوضاً عن الضزز (Trismus) وقد أصبحت من الكلمات الدارجة ، وانقطاع التنفّس عن كتم النفس (Suffocation) وهو نوع من الاختناق ، بينما انقطاع التنفّس أو توقف النفس يقابل (Apnée) ، وحركة العين حركات غير إرادية اصطلحنا عليها بالرأرأة (Nystagmus) وقد جاء في المخصص رأرأت العين اذا كانت لا تستقر من الإدارة . وقد قال التهاب المنضمة والأصح التهاب الملتحمة ، وتنفلج المثانة عوضاً عن شلل المثانة وفُلج الرجل أصابه داء الفالج وهو داء يحدث في أحد شقي البدن طولاً فتبطل حركته ، وكذلك قوله الفالج التنفسي البصلي والأصح شلل التنفس البصلي ، والنضوج عوضاً عن النضج ، وأبحاث عوضاً عن بحوث .

وقد أحسن المؤلف صنعاً في إشارته في خلال بحوثه الى مصادر الاستزادة للمستزيد وإكثاره من التطبيقات العملية بالإضافة الى فهارسه العديدة التي منها ما هو مرتّب على حروف المعجم ومنها ما هو مصنّف بحسب البحوث والفصول ثم المنهاج المدرسي والجداول والتطبيقات العملية والرواسم مما يهوّن السبيل للطالب والممارس .

وختاماً لا يسعني إلا إكبار نشاط الأستاذ الزميل وإطراء مجهوده العلمي وفقه الله .

الدكتور حسني سبح

تاريخ العراق بين احتلالين

(المجلد الخامس) تأليف الأستاذ عباس العزاوي

طبع في بغداد سنة ١٩٥٣ في (٣٥٥) صفحة من قطع الوسط

وعد الأستاذ العزاوي في المجلد الأول من هذا التاريخ عام ١٩٣٥ قراءه أن يقدم لهم سلسلة أبحاث عن تاريخ العراق بين الاحتلالين المغولي والبريطاني . وكان من حين للآخر يتحفنا بجزء منه حتى بلغ عدد ما صدر منه خمسة مجلدات . وهذا الجزء كسابقاته طافح بالوثائق والأخبار . جمع فيه المؤلف أهم حوادث العراق السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية خلال السنين (١٠٤٩ الى ١١٦٣ هـ) من الحكم العثماني . وقد استقى أخبارها من أوثق المصادر العربية والأعجمية المعاصرة منها : (منظومة آل فراسياب) و (زاد المسافر) و (تاريخ الغرابي) و (گلشن خلفا) و (قويم الفرج بعد الشدة) و (تاريخ چلبي زاده) وغيرها من السجلات العثمانية الرسمية . وقد سرد حوادث هذه المدة بحسب سني وقوعها وعلق على بعضها .

ويجد الباحث عن تاريخ العراق في هذه المجموعة مادة غزيرة لموضوعه وصورة صادقة لحالة العراق في ذاك العهد من الحكم العثماني . ولا يختلف حال العراق عن وضع بقية الأقطار العربية الخاضعة يومئذ لسلطان آل عثمان . كان مثلها يشكو الفوضى وعدم الاستقرار ويئن من وطئة جور الولاة وجشعهم في جمع الأموال ومصادرتها ، يضاف الى كل ذلك طغيان الينكجرية الذين استباحوا الأموال واستحلوا الأرواح ، وبرعوا في إثارة الفتن والتمرد على السلطان ، يعملون في تحقيق أغراضهم على إضرام نار الحقد بين الرعية والراعي حتى أصبح العراق في بؤس شديد ، كسدت تجارته ، وبارت زراعته وأقفرت

من رواد العلم مدارسه بعد أن كان في سالف العصر مهد الحضارة ومضرب الأمثال في وفرة خيراته وعدد علمائه .

وكانت هذه الفترة من التاريخ بدء انحطاط الدولة العثمانية وانحلالها وقد دب الفساد في جميع أمورها وتألبت عليها الدول المسيحية وظهرت للوجود المسألة الشرقية وفكرة اقتسام تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية ، وكان سوء إدارة حكام الدولة وعجزهم عن معالجة المشاكل الداخلية نذيراً في فرط عقد وحدة الامبراطورية العثمانية وتقلصها ، وظهرت معها بوادر التمرد في أكثر ولاياتها الغير اسلامية وجاهرت العناصر الغير تركية بنزعتها الاستقلالية .

وفي هذا الجزء شواهد عديدة على نضال العراق لاسترداد حريته والتمتع بسيادته . نشكر الأستاذ المؤلف جميله في خدمة تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي.

Despois (Jean)

Le Hodna (Algérie) - Paris 1953.

الحضنة (الجزائر)

تأليف السيد جان دبوا (أستاذ في كلية الآداب في الجزائر)

يقع الكتاب في (٤٠٥) صفحات من قطع الوسط . طبع في باريز عام ١٩٥٣

وصف المؤلف أحوال اقليم الحضنة الطبيعية والزراعية ودعم بحثه باحصاء دقيق عن المياه والينابيع وأنواع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية فيه . وذكر أسماء القبائل المتوطنة في هذه المنطقة وأحصى سكانها . وتوسع المؤلف في دراسة قواعد توزيع مياه الري وكيفية الانتفاع بها .

والحضنة إقليم جزائري يقع في الجزء الشرقي الجنوبي من عمالة قسنطينة المتاخم لتونس ويعرف أيضاً بشط الحضنة ، وهي بجملتها أرض سبخة في الأنجاد

التي تلي هضاب جبال الأطلس الجنوبية وناحية من نواحي الزاب القديم ، تبلغ مساحتها (٨٥٠٠) كيلومتر مربع ، وأرضها جدبة ، أمطارها شحيحة ، قليلة السكان ، وطبيعة إقليمها صحراوية ، شديدة القيظ في الصيف مع هبوط الحرارة في الليل ، وشتاؤها قارص لاذع ، ولذلك أعرض عنها المستعمرون ولم تتناولها يد الاصلاح كبقية الأجزاء الجزائرية الخصبة التي استولى عليها الدخيلون الاوربيون ·

وأهم موارد الحضنة الزراعية القمح والشعير وقليل من الأثمار ومحصولها لا يكفي الاستهلاك المحلي · وينبت فيها الحلفا الذي تستغله بأبخس الأثمان الشركات والمصانع الأجنبية ويستعين المزارعون والقبائل على إنماء مواردهم بتربية الماشية ، وقد اشتهرت هذه المنطقة منذ القديم على ما ذكره ابن حوقل والبكري بوفرة أنعامها وجياد خيولها ·

حبذا لو أضاف المؤلف الى بحثه القيم الناحية الاجتماعية والثقافية في هذا الاقليم لتكون دراسته وافية شاملة عن حالته الحاضرة فيتيسر المقارنة بين حاضره وماضيه · وكان الزاب منذ القرن الرابع الهجري ينعم بنهضة علمية مباركة ونبغ فيه طبقة من العلماء والمحدثين ومنهم أحمد بن علي البغاتي والقاسم بن علي خويلد البسكري وعلي بن منصور وأبي الفضل عطية وغيرهم · والله أعلم كيف أصبح حاله اليوم ·

تاريخ الوزارات العراقية

وضعه السيد عبد الرزاق الحسني

نشر في ستة أجزاء وطبع في صيدا سنة ١٩٥٣

نشر الجزء الأول من هذا الكتاب القيم في عام ١٩٣٤ وأقبل عليه الناس بارتياح وتهافت على مطالعته القراء وقرّظه في حينه علماء أجلاء ، أشادوا بقيمته العلمية ، وأثنوا على جهود مؤلفه . وأحسن ما قيل فيه ما كتبه عنه المرحوم العلامة أحمد زكي باشا : « وكان في هذا الصنيع البديع مفخرة للعروبة وللناطقين بالضاد ، إذ لم أر له نظيراً يحاكيه أو يدانيه على كثرة مارأيت في مآثر الفرس والرومان واليونان مما اتصل بعلمي القليل » . ويصح هذا القول في كل جزء من أجزائه الستة .

كان للعراق قصب السبق في تدوين الأخبار ، وكان الصولي نديم خلفاء بني العباس أول من صنف بهذا الموضوع ، وكتابه (الوزراء) من أجل كتب السلف . وها هو أحد أبناء العراق يجود علينا اليوم بكتاب (تاريخ الوزارات العراقية) الذي بذّ كل من تقدمه بمادته وجوهره وسيبقى هذا السفر من أهم المصادر لتاريخ العراق في نشأته الحديثة مؤيدة بالوثائق والمستندات الرسمية .

والأستاذ المؤلف هو شاهد عيان عاصر الحوادث التي دوّنها وخاض معاركها السياسية واعتمد في النقل على شهود عدل حضروا الوقائع وساهموا فيها .

جزى الله المؤلف خيراً عن العلم وجعله لأبناء العروبة قدوة حسنة .

ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات لدولة لطفي الحفار

عني بجمعها السيد وجيه بيضون ونشرها في جزئين . يقع الجزء الأول في (٢٩٩) صفحة والثاني في (٢٩٥) صفحة من قطع الوسط . طبعت في دمشق سنة ١٩٥٤

لم يزل تاريخنا الحديث على قرب عهده بنا ووفرة مصادره تعوزه المادة الأساسية لتدوين وقائعه على ضوئها ، وهذه المادة هي الوثائق المعاصرة التي ينهل من معينها المؤرخ ويستخلص منها الحقائق ، وذكريات دولة الحفار هي في عداد هذه السجلات الحافلة بالوقائع بل موسوعة لحوادث سورية خلال نصف قرن عايشها عن كثب صاحب هذه الذكريات .

إن السيد الحفار الذي رافق الحركة العربية منذ فجرها وخاض نضالها الوطني في عهد الانتداب ، وكان في طليعة المخلصين الذين قادوا كفاح الشعب السوري في سبيل حريته وألهبوا مشاعره وأحسنوا توجيه وعيه القومي في الحقلين السياسي والاقتصادي ، فهو جدير بأن تجمع ذكرياته وتخلد مآثره عظة للأجيال وتذكرة .

نشكر للناشر الذي جمع شتات هذه الذكريات وضمها في باقتين يفوح منهما أرج عاطر ويشع منها نور سافر تضيء صفحات غامضة من حاضر تاريخنا .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

كلمة الأمير مصطفى الشهابي (1)

في حفلة استقباله عضواً عاملاً

في [illegible] [illegible]ـغة العربية بمصر

يقولون إن لكل نفس في هذه الحياة هوى تستلذه وتميل اليه . فسبحان الذي جعل هوى نفوسنا حب لغتنا المضرية ، حباً بلغ فينا مبلغ العشق لها ، بل مبلغ الشغف بها . وسبحان الذي ما أحلّ في قلوبنا هذا الضرب من الهوى إلا بعد أن أبدلنا بالتعب فيه راحة ، وبالألم لذة ، وبالسأم غبطة ورضى .

لقد آمنا بلغة القرآن ايماننا بالقرآن . فما عسى أن تكون أمنية كل مؤمن بعظمتها ، موقن بحيويتها ، كلف ببيانها وروعتها ؟ أهو غير الجلوس مع المؤمنين الصابرين ، المداوين لأدوائها ، والحافظين لسلامتها ، والمجددين لشبابها ، والعاملين على جعلها أصلح ما تكون للتعليم العالي في الجامعات ، وللتعبير الصادق عما لنا من حاجات كثيرة في خضم هذه المدنية الحاضرة ؟

لقد شئتم من قبل أن أشاركـكم في عملكم مراسلاً لكم من دمشق ، وشئتم اليوم أن أشاركـكم فيه عاملاً معكم في حصن اللغة والأدب الحصين ، فشكراً

---

(1) [illegible] مجمع اللغة العربية في مصر زميلنا الامير مصطفى الشهابي عضواً عاملاً في المكان الذي خلا بوفاة الفقيد العلامة محمد كرد علي . وعقد في ٢٧ من كانون الأول [illegible] حفلة لاستقباله ألقى فيها الدكتور منصور فهمي كلمة الاستقبال باسم المجمع [illegible] ثم [illegible] الكلمة التالية متحدثاً عن سلفه الفقيد ، ومستطرداً الى الحديث عن قرارات مجمع مصر العلمية ومبلغ فائدتها لواضعي المصطلحات العلمية :

لكم أيها الرفاق الأعزاء شكرا . وهل في سويداء القلب غير الشكران ، عندما يكون بيت المتنبي على عذبة اللسان ؟

أما العلامة الرئيس ، مربي رجال هذا الجيل ، ورأس علماء هذا الرعيل فأرجو منه أن يتقبل شكر العارف بغزارة علمه ، وجزيل فضله ، وجليل قدره .

وأما أنت أيها الأخ العلامة المنصور [1] فقد تفضلت فأطريتني بكلمات كريمة وددت لو أني أستحقها . وما تلك منك إلا عين الرضا تخفي ما فيّ من عيوب ، أو هو إناء الكرم والمروءة والاريحية لا ينضح إلا بما فيه .

ويشجعني بعد هذا أن أتكلم عن صديقي الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله . فلقد صادقته المودة خمساً وثلاثين سنة ، ورافقته في المجمع العلمي العربي بدمشق سبعاً وعشرين سنة ، فكان لي فيها كلها نعم الصديق ونعم الرفيق .

وما عسى أن أقول فيه ، في دقائق معدودة ، والذكريات تتزاحم في خاطري ، فإن أتيح لي أن أنهض لها لألفت فيها كتاباً برأسه ؟

كان الفقيد أعظم أديب أطلعته دمشق في النصف الأول من القرن العشرين . وناهيكم من رجل قضى أكثر من خمسين سنة من عمره ، والكتب والأوراق مبثوثة على مكتبه ، والقلم مثبت بين أنامله ، فما كف قط عن البحث وعن الكتابة حتى آخر يوم من حياته .

ولنا أن نتصور مبلغ الفائدة فيما ينتجه الأديب المطبوع في هذه البرهة من الزمن ، عندما يكون مجداً في عمله ، مخلصاً للغته ، محباً لقومه ، ساعياً الى نشر العلم والأدب في بيئته .

فلا عجب إذن أن يكون للأستاذ ذلك التأثير الكبير في نهضة الشأم الأدبية وأن يعده الشاميون عامة ، والدمشقيون خاصة في طليعة رجال تلك النهضة ،

---

(١) هو الدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر . فهو الذي انتخبه مجلس المجمع لالقاء كلمة استقبال الأمير مصطفى الشهابي باسم المجمع . وقد استغرق إلقاؤها زهاء ساعة . أما رئيس المجمع المشار اليه في الجملة السابقة فهو العلامة الكبير احمد لطفي السيد .

وأن يُجمعوا على أنه كان أكبر مشجع لشباب الشأم على مدارسة كنوز الأجداد الأدبية ، وعلى التزوّد بزاد العلوم العصرية . ولم تكن محاربة الجهل في الشأم من الأمور السهلة في أوائل هذا القرن . فلقد كانت حجب الجهل على العقول مسدولة ، وكانت المدارس التي تعلم العلوم العصرية جد قليلة ، فحارب الأستاذ الجهل والحجاب والبدع والخرافات ، وحمل بقلمه على مغتصبي الأوقاف الاسلامية ، وعلى الشعوبيين أعداء العرب ، وعلى بعض المستشرقين ممن تعصبوا على العرب والمسلمين ، وضمّنوا كتبهم آراء طائشة ظلموا بها المدنية الإسلامية وتأريخها المجيد .

ومما يسر له معالجة أدوائنا الاجتماعية والتعليمية رئاسته للمجمع العلمي العربي سنين عديدة ، وتقلده منصب وزير المعارف في سورية بضع مرات .

وهو من الأدباء السوريين الأول الذين رحلوا الى مصر في أوائل هذا القرن ، واتصلوا بأدبائها ، وحضروا مجالس الإمام الشيخ محمد عبده ، وكتبوا في بعض الجرائد المصرية كالرائد المصري والمؤيد والظاهر وغيرها . وقد أصدر في القاهرة مجلة « المقتبس » الشهرية ، فعاشت فيها ثلاث سنين . ثم نقلها الى دمشق سنة ١٩٠٨ ، بعد الانقلاب العثماني ، وسقوط السلطان عبد الحميد ، فلبثت تصدر فيها خمس سنين . وكانت هذه المجلة في الشام فريدة فيما تضمنت من بحوث في الأدب والاجتماع والمخطوطات العربية وتأريخ العرب والمسلمين . ولا شك في أن الفقيد كان ، بعد أستاذه الشيخ طاهر الجزائري ، رأس الباحثين في هذه العلوم ، في نهضة الشأم الحديثة .

وكان له جلد عجيب على التنقير عن تراثنا الأدبي القديم . وتيسر له أن يرحل غير مرة للتفتيش عن نفائس دور الكتب المشهورة في القاهرة والقدس وباريس وبرلين وليدن ومدريد والأسكوريال وغيرها ، كما تيسر له أن يتصل بعدد كبير من المستشرقين ، وأن يذاكرهم ويراسلهم ، ويجادلهم في أمور تتعلق بالحضارة الاسلامية ، وبالقدامى من رجالات العرب والمسلمين .

وفي دمشق كانت داره ندوة الأدباء والمتأدبين . وكذلك غرفته في المجمع العلمي العربي . فلكم اجتمعنا فيها ، نحن أعضاء ذلك المجمع ، نتذاكر في المحاضرات التي سنلقيها في ردهته ، أو نتناقش في موضوعات لغتنا العربية ، وموضوعات أدبها في القديم والحديث .

ولكم استقبلنا في تلك الحجرة من علماء وأدباء وأساتيذ ومستشرقين ممن يزورون دمشق ، ولا يغادرونها ما لم يعرجوا على مجمعها العلمي العربي .

وكانت بحوث الأستاذ في مجلة ذلك المجمع متلاحقة ، حتى كاد يكون له في كل عدد من أعدادها بحث في الأدب أو التأريخ أو الاجتماع .

واذا ذُكر الشيوخ الذين لم تحل الشيخوخة دون مثابرتهم على النشاط العلمي جاء الفقيد في طلائع هؤلاء الشيوخ المجدّين .

ففي بضع السنوات الأخيرة من حياته صنف كتاب غوطة دمشق ، وكتاب كنوز الأجداد . وحقق ونشر سيرة أحمد بن طولون للبلوي ، والمستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي المحسن التنوخي ، وتأريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة ، وكتاب البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، وهو آخر كتاب نشره .

ولا شك في أن كتاب خطط الشام المطبوع سنة ١٩٢٥م بدمشق في ستة أجزاء هو أجل كتب الأستاذ شأناً وأغزرها فائدة . وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة ، وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة . ولكن هيهات أملُ الأستاذ فقد حالت الأقدار دون تحقيقه .

ومؤلفات الفقيد كثيرة ، على ما هو معروف ، ويكفي أن أذكر منها ثلاثة كتب طبعتها لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة : فالأول كتاب الاسلام والحضارة العربية ، وهو في جزءين تكلم فيهما على العلوم والإدارة والسياسة في الدول الاسلامية ، ودافع فيهما عن مدنية العرب والمسلمين أصدق دفاع .

والثاني كتاب أمراء البيان وهو أيضاً في جزءين ترجم فيهما لعشرة من أئمة البيان العربي ، وهم عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وسهل بن هرون ، وعمرو بن مسعدة ، والصولي ، واحمد بن يوسف الكاتب ، والزيات ، والجاحظ ، وأبو حيان التوحيدي ، وابن العميد . قال الأستاذ المصنف : «هؤلاء هم العشرة المبشرة ، في عصر العرب الزاهر ، يوم أضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم ، وكان في القرن الأول لغة دين وأدب» .

والكتاب الثالث هو كتاب رسائل البلغاء نشر فيه رسائل لعبد الحميد الكاتب ، والأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ، وكتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة ، وملقى السبيل لأبي العلاء ، والرسالة العذراء لابن المدبر ، وغيرها من الرسائل دبجتها يراعة عدد من رجال الأدب الرفيع في العصور الماضية .

وكان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر . لقد امتاز بأسلوب سهل رشيق ، وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ كما قلت ، نصف قرن من الزمن حاثاً شباب الشأم على العلم ، باحثاً عن تراث الأجداد الأدبي ، مدافعاً عن المدنية العربية والاسلامية ، داعياً الى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية .

ولئن شئتم أن أحل اليوم محله ، فليس من السهل عليّ أن أملأ فراغاً حصل بوفاة مثل هذا الأديب الكبير .

فأنا لست سوى نقار بسيط ينقر في دمشق ، منذ نحو ثلاثين سنة ، عن مصطلحات علمية في علوم الزراعة والمواليد ، فيكبو ويقوم ، ويخطئ ويصيب ، ولا مرجع له إلا كتب الأجداد وما فيها من ألفاظ علمية قديمة ، ولا هاديَ له إلا ما أقره مجمعكم الموقر من قرارات حكيمة في قياسية بعض الأوزان العربية .

ولعل المتأدبين الذين لم يعنوا بوضع الألفاظ العلمية أو تحقيقها لا يقدرون هذه القرارات حق قدرها . أما الذين يضعون المصطلحات العربيــة ، من دون أن يكون لهم اختصاص بفقه اللغة ، فقد وجدوها – أي القرارات – منارة هدتهم الى السبيل القويم ، وجنبتهم التيه في بيداء كتب اللغة القديمة .

واسمحوا لي ، بعد هذا ، بأن أذكر لكم في جمل قليلة مبلغ الفائدة التي أفدتها من تلك القرارات ، عندما كنت أصنف معجمي المطبوع سنة ١٩٤٣ بدمشق . والهدف الوحيد الذي أرمي اليه إنما هو الإفصاح عن فضل المجمع على واضعي المصطلحات العربية ، وعلى نقلة العلوم العصرية .

فما أقره المجمع : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والمجمع يجيز هذا الاشتقاق – للضرورة – في لغة العلوم » .

واستناداً على هذا القرار ألفيتُ الضرورة تقضي بوضع أسماء لبحوث زراعيــة أصبح اليوم كل بحث منها علماً قائماً برأسه مثل زِهارة (Floriculture) من زهر ، وهي زراعة نباتات الزهر ، ونِحالة (Apiculture) من نحــل ، وهي تربية النحل ، وحراجة (Sylviculture) من حرجة ، وهي زراعة الأحراج ، الى غير ذلك من المشتقات المماثلة كالبَستنة من بستان ، والبَرعمة من برعم الخ .

ومما أقره : « تصاغ مَفْعَلة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد » .

وعملاً بهذا القرار صغت على وزن مفعلة عدداً كبيراً من الألفاظ مثل مَلْبَنَة (Laiterie) ، ومَزْبَدة (Beurrerie) ، ومقشدة (Crémerie) ، ومقطنة (Cotonnerie) ، وموردة (Roseraie) ، ومَرَزّة (Rizière) ، ومقصبة (Roselière) ، ومفرسة (Haras) ، ومَطيرة (Volière) ، ومتانة (Mûraie) وهلم جرا .

ومن قراراته : « يصاغ (فَعَّال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء . فاذا خيف لبسٌ بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فَعَّال للصانع، وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال زَجَّاج لصانع الزجاج ، وزُجاجِيٌّ لبائعه » .

وهذا القرار أيضاً سهل عملي فقلت مثلاً زَهَّار لبستاني الزهر، وزَهْرِي لبائعه ، وكلاهما بالفرنسية (Fleuriste) . وقلت كَرَّام لغارس الكروم (Viticulteur) ، ووَرَّاد لزارع الورد (Rosiériste) ، الى غير ذلك من الكلم .

وهناك القرار الذي يجيز الصياغة قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفعال للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء . فلقد وضعتُ ، بناء على هذا القرار ، أسماء عديدة لآلات وأدوات زراعيـة حديثة كالمِبْذَر (Semoir) ، والمحصد (Moissonneuse) ، والمدرس (Batteuse) ، والمرخمة أو المحضنة (Couveuse) ، والمِحَشَّة (Faucheuse) دع الأسماء التي هي على وزن اسم الفاعل ومبالغته كالناصبة (Releveur) وكالجَرَّارة (Tracteur) الخ .

وكذلك القرار الذي يجيز لنا صياغة مصادر على وزن فِعالة ، من أبواب الثلاثي ، للدلالة على الحرفة أو شبهها . فلقد رجعت اليه في مثل قولي غِراسة من غَرَسَ ، فجعلتها أمام كلمة (Arboriculture) ، وإن لم ترد الغراسة في المعجمات ، في مادة غرس ، بل وردت عرضاً في مادة خَرَجَ في التاج واللسان . ومثل رِسامة ، وضعها غيري لحرفة الرسم (Dessin) .

ثم قياسية صنع المصادر الصناعية ، بأن يزاد على الكلمة ياء النسب والتاء . أفلم ييسر لنا هذا القرار مثل قولنا في العلوم فِلِّوِية وحَمْضية وعطرية وسمية وخشبية ، مثلما قال القدماء مائية وكيفية وكمية وعروبية وفروسية وغير ذلك .

وكذلك قياسية صيغة فُعَال للمرض ، مصدراً من فَعَلَ اللازم المفتوح العين ، فقد استفاد أساتيذ الطب من هذا القرار . ووجدتهم لم يكتفوا به ، بل اشتقوا من أسماء الأعيان أيضاً كلمات على هذا الوزن ، مثل وُرَاك (Coxalgie) من الورك ، وعُصَاب (Nevralgie) من العصب .

وأجاز المجمع التعريب عند الضرورة ، فيسر لي تعريب عدد غير قليل من أسماء النبات والحيوان والمعادن . وهي أعيان لم تعرفها العرب ، وكلها لا بد من تعريب أسمائها ، لأنها منسوبة الى أعلام ، أي الى علماء أو ملوك أو حكام أو أقاليم أو مدن أو أحد آلهة القدماء ، وإما مقتبسة من إحدى اللغات كلغات هنود أمريكة أو غيرهم من الأقوام . مثال ذلك دهلية (Dahlia) فهي زهرة نسبوها الى نباتي سويدي اسمه دهل . ودروينية (Darwinia) فهي جنبة للتزيين سميت باسم دروين العالم المواليدي المشهور . وكاكاو أو كاكاوو فهي من لغة شعب الأزتيك القديم في مكسكة . وكذلك الشوكولاطة الخ .

ونحن لا نجيز لأنفسنا التعريب إلا عند الضرورة ، أي اذا لم نجد في كتبنا القديمة كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية ، ثم إذا لم نستطع إيجاد كلمة عربية جديدة سائغة بوسائل الاشتقاق والمجاز . ولكنه لا مفر لنا من تعريب مثل ما ذكرت من أسماء .

وقد أجاز المجمع النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية . ولكنه سار فيه بتؤدة يحمد عليها . ولم أجد في أجزاء مجلته السبعة إلا بضع كلمات منحوتة . وأنا لم أنحت في معجمي سوى كلمات تعد على الأصابع ، منها كلمة لِبْنَأْرْز مثلاً ، فهي من كلمتي لبنان وأرز . وهي تطلق على شجر للتزيين غير أرز لبنان ، واسمه العلمي (Libocedrus) . وهذا الاسم العلمي منحوت من (Liban) و (Cedrus) أي لبنان وأرز ، فاضطررت مرغماً أن أسميه لبأرزا .

والذوق له شأن كبير في موضوع النحت . وكذلك سهولة الفهم . وكثيراً ما يكون استعمال كلمتين عربيتين أصلح وأدعى الى الفهم من استعمال كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق فيهـا المعنى . فالطالب الأوربي يحفظ الاصول والصدور والكواسع اليونانية في الكلمات العلمية الأعجمية . ولذلك اذا قلنا له مثلاً : هذه الحشرة هي من رتبة الـ (Orthoptères) أو الـ (Névroptères) فهو يدرك معنى هاتين الكلمتين بلا مشقة . وكذلك اذا قلنا للطالب العربي : ان الحشرة المذكورة هي من رتبة مستقيمات الاجنحة ، أو من رتبة عصبيات الأجنحة ، فهو أيضاً يدرك المعنى من دون أن يكد ذهنه . ولكننا اذا فاجأنا طالبنا العربي بمثل قولنا مُسْتَجَنيِّات أو عَصْجَنيِّات ، فهو سينظر الينـا مشدوهاً فاقد الفهم . واذا رفقنا به ، وتركنا كلمة جناح على حالها ، قائلين مستجناحيات وعصجناحيات ، فهو أيضاً ان يفهم معناهما ما لم نقل له انهما منحوتتان من كذا وكذا . ومتى احتاج الأمر الى بيان أصول المنحوتات العلمية ضاعت فوائد النحت .

ولكل لغة قوالبها وأساليبها ، والعربية لغة اختزال . ولا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل الذي يشوهها انما هو أن يضاف اليها ألوف من المنحوتات الثقيلة الغامضة التي لا لزوم لها البتة .

والقائلون بالنحت لهم اعتراض معروف ، وهو انه من السهل النسب الى الكلمة الواحدة المنحوتة ، خلافاً للنسب الى المركب الاضافي . ولكن ما ذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة . فالترجمة لا تكون دائمـاً ترجمة كلمة بكلمة ، ولا صيغة بصيغة ، بل تقوم على حسن فهم المعنى وإفراغه في قالب عربي مقبولـــ .

وقد أجاز المجمع استعمال المولد من المصطلحات العلمية والصناعية وغيرها ، التي جروا فيها على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما . وفي هذا القرار مجال لاستعمال عدد كبير من الألفاظ العلمية التي لم تتضمنها معجماتنا

الأصلية ، ولكنها وردت في كتب علمية قديمة مشهورة . وفوائد هذا القرار واضحة .

ويطول بي نفس الكلام اذا ما رحت أبحث في سائر قرارات المجمع العلمية ، كترجمة بعض الزوائد اليونانية من صدور أو كواسع ، و كضبط الأعلام الجغرافية ، و كتابة بعض الحروف الأجنبية بالحروف العربية ونطقها ، وكتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية .

وهيهات أن يتسع المجال للكلام على تلك البحوث اللغوية الجليلة المبثوثة في مجلدات المجلة ، والتي بلغت الذروة في دقة التحقيق العلمي . ولا يمكنني أيضاً الكلام على المصطلحات العلمية التي وضعها المجمع أو أقرها ، فعدّها العارفون أصلح مصطلحات عربية لما يقابلها من الألفاظ العلمية الأعجمية .

ولا تظنوا أيها السادة أن مصطلحات المجمع هذه لبثت مدفونة في صفحات المجلة . فالحقيقة أنه ما من أستاذ نبيه يؤلف كتاباً مدرسياً إلا ويرجع الى مجلة المجمع في التفتيش عن ألفاظ عربية في علمه . ولكم سألني الأساتيذ والمدرسون وغيرهم في الشام عن المجلة ، وعن السبيل الى تداركها ، لأنهم لا يكتفون بمراجعتها في خزانة المجمع العلمي العربي ، أو خزانة الجامعة السورية ، بل يتوق كل منهم الى جعلها في خزانته الخاصة .

ويهم كل عربي حريص على سلامة لغته أن يكون مجمع اللغة العربية في مصر مرجعاً تؤول اليه جهود الأفراد وجهود الجماعات التي تعنى بوضع المصطلحات العلمية في جميع البلاد العربية . فلقد أصبح اختلاف هذه المصطلحات داء من أدواء لغتنا المضرية . وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في أقطارنا ، وازداد فيها عدد نقلة العلوم الحديثة الى لساننا ، أو عدد المؤلفين في تلك العلوم . ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئاً . وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتيذ الجامعات وكلياتها في مصر والعراق والشام . وإذا تهادوا مؤلفاتهم ، تعصب كل أستاذ

للمصطلحات التي وضعها أو التي ألِف استعمالها . وربما راح يزري بمصطلحات زملائه . وربما تطاعن الأساتيذ في الصحف ، بهوادة أو بلا هوادة ، حتى في البلد الواحد .

ونروح نفتش عن حكم يكون في حكمه فصل الخطاب ، فلا نجد عندنا إلا هذا المجمع الذي له مكانته المرموقة في الأقطار العربية كافة . فهو الأداة الوحيدة التي تستطيع أن تصنف معجماً أعجمياً عربياً لمصطلحات العلوم والآداب والفلسفة والمخترعات الحديثة ، وأن تفرضه على حكومات الأقطار العربية ، وعلى أدبائها وعلمائها . والسبيل الى ذلك في نظري إشراك الدول العربية في نفقات هذا العمل الكبير ، بقرار يتخذ في مجلس جامعة هذه الدول ، وإشراك الأثبات من الاختصاصيين بالمصطلحات ، في مصر وفي غير مصر ، في وضع قوائم أو معاجم صغيرة بمصطلحات علومهم . وعندما يجتمع كل ذلك في هذا المجمع تُمحص فيه المصطلحات ، ويصنف المعجم ، ويطبع ، ويذاع بثمن بخس .

وأعتقد أن هذا العمل لا يستغرق أكثر من بضع سنوات ، ولا سيما إذا عُوض كل عامل في المعجم عن أتعابه تعويضاً عادلا .

وأكاد أجزم أنه ما من دولة عربية تحجم عن دفع ما يصيبها من نفقات كبيرة كانت أو صغيرة . وتكون حكومات تلك الدول ميالةً الى فرض المعجم ومصطلحاته على وزاراتها ومدارسها ومؤسساتها العامة ، لأنها تعد نفسها مشتركةً ماليا وأدبيا في تصنيفه .

وبذلك تتوحد المصطلحات في أقطارنا العربية ، ويكون الفضل الأكبر لمجمعكم الموقر في إنجاز هذا العمل الحيوي الكبير في مدة وجيزة .

وبعد ما هي يا سادتي مغبة تطويقكم لعنقي بهذا الطوق الذهبي الجميل من المنة والإحسان ؟ لقد كنت في دمشق أتلمس طريقي ، فأضع الصحيح والمغلوط ،

والراجح والمرجوح من المصطلحات . أما بعد اليوم فقد يسرتم لي عرض ما أضع أو أحقق منها ، على علماء أثبات ، بحاثين في كتب العلوم وكتب اللغة ، يرون بالعين المجردة ما لا يراه غيرهم بالمجهر .

وقصاراي ، كلما التبست عليّ الأمور ، أن أميل على جوانبكم ، ميلان الشاعر على جوانب أبيه .

قدّرني الله على أن أكون عند ظنكم بي . ولا زالت مصر العزيزة رأساً للعالم العربي ، ومعقلاً منيعاً للغة القرآن .

مصطفى الشهابي

الخزانة الشرقية

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة « ١٩٥٢ » م

— ١ —

تأليف الباحث حبيب زيات ، وأكثر هذه الخزانة في تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهي من الكتب النافعة ، ولمؤلفها أسلوب خاص به في البحث والاختيار ، ولا يعاب الذوق الأدبي ما دام ملتزماً لأصول البحث العلمية ، وقد ضمّن كتابه أشياء ممتعة ، تغلب عليها الجدّة والطرافة ، وقال في مقدمة هذا الجزء في الصفحة «ه»:

« وأرصدنا لها [الدروس والفصول المقدّم ذكرها هناك] هذا المجموع الذي دعوناه « الخزانة الشرقية » لاقتصاره على ما يخصّ الشرق وحده والشرقيين في القرون التي سبقت دولة الأتراك العثمانيين ، دون أقلّ تعريب [1] عن الأصول الأروبية (كذا) أو اقتباس ممن تقدمنا من الكتبة والمؤرخين » .

---

(١) أراد « دون اقل نقل او ترجمة » فالتعريب عند الفصحاء هو جعل الكلمة الأعجمية على وزن كلمة من كلم العرب ، ومن ذلك كتاب « المعرّب » للجواليقي .

وقد رأينا في هذا الجزء وغيره من الأجزاء الثلاثة الأخرى ما يستوجب الحقائق العلمية والذمة الأدبية تنبيه الباحث الفاضل عليه من أمور وهمَ فيها، ونقتصر في هذا التنبيه على الجزء الأول فنقول :

١ — إنّ اقتصاره على الكتب العربية والاسلامية مما يشكر له ويستحسن منه لأن الجدّة والطرافة اللتين أشرنا اليهما من أعسر الأمور في مثل هذه البحوث، إلا أنه لم يلتزم ما قال التزاماً تاماً ففي الصفحة «٤٨» و «١٥١» وغيرهما[1] نقل من الكتب الأوربية، فلو حذف «دون» واستبدل بها «بأقلّ» لكان خيراً له .

٢ — وقال في ـ ص ٣ ـ «وظلّ النصارى دهراً طويلاً يتخذون الأسماء الاسلامية المحنة حتى بطانة الخلفاء دون أن يقع عليهم أقلّ إنكار مثل الحسين ابن عمرو كاتب المقتفي وعلي بن الراهبة طبيبه ...» .

ولم يذكر مرجع هذا القول لحسبانه إياه من البديهيات ولكنه لم يميز بين الخليفة المقتفي «٥٣٠ — ٥٥٥» ه والخليفة المكتفي «٢٨٩ — ٢٩٥» ه، وقد علمنا أنه أراد الخليفة المكتفي بأنّ المقتفي لم يكن له كاتب اسمه «الحسين بن عمرو» فهذا كاتب المكتفي، قال أبو جعفر الطبري في حوادث سنة «٢٨٩» من تاريخه «ولما توفي المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر الى المكتفي كتباً وأنفذها من ساعته، وكان المكتفي مقيماً بالرقة، فلما وصل الخبر اليه أمر الحسين بن عمرو النصراني كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من في عسكره ووضع العطاء لهم ففعل ذلك الحسين»[2] .

٣ — وقال في الصفحة «٧» منها «لم تدخل الألقاب مع الأسماء والكنى

---

(١) كما في الصفحة «٥» من الجزء المذكور .

(٢) تاريخ الامم والملوك «ج ١١ ص ٣٧٣» من طبعة المطبعة الحسينية بمصر .

في حدّ الأعلام إلا في الدولة العباسية ، وأوّل ما اتخذت بالاضافة الى الدولة[1] في أيام الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ قال ابن القلانسي : وانما كان الرسم جارياً في القديم باطراح الألقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والآداب ، فلما ظهرت الدولة البويهية الديلمية لقب أول مسعود نبغ فيها بعماد الدولة بن بويه ...» .

فهو هنا لم يميز بين المستكفي «٣٣٣ — ٣٣٤» هـ والمكتفي المقدَّم ذكرُه ، وذلك أن الألقاب التي ذكرها إنما أُحدثت على عهد المستكفي العباسي لا على عهد المكتفي ، وفي أيامه نبغ عماد الدولة على بني بويه ، قال ابن الأثير في حوادث سنة «٣٣٤» هـ : «ووصل معز الدولة الى بغداد حادي عشر جمادى الأولى فنزل بباب الشماسية[2] ، ودخل من الغد الى الخليفة المستكفي وبايعه وحلف له المستكفي ... وخلع الخليفة على معزّ الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[3] ...» .

٣ — وذكر في «ص ١٠» أنّ طائفة من النصارى الأعيان كانوا يتلقبون أيضاً نظير الأسالمة أي يضيفون ألقابهم الى الدين قال «ولا بأس أن نذكر بعضاً منهم تنويراً للأذهان فمنهم جمال الدين علي بن اثردي النسطوري وتاج الدين ماري بن صاعد توما وكيل مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ...» . وذكر آخرين . ولم يذكر المرجع التاريخي أيضاً ، على أنّ ذلك لم يكن مقبولاً من باحث رزين العقل ، لأنّ الدين في الدول الاسلامية

---

(١) أراد «واول ما اتخذت مضافة الى الدولة» . ومعنى «اتخذت بالاضافة الى الدولة : اتخذت بالنسبة الى الدولة» وليس هذا موضعه وسبقه اليه ابن جبير .

(٢) كانت الشماسية من شمالي بغداد يومئذ ونزل هو ببابها اي في ارض محلة «الصليخ» الحالية من الجانب الشرقي لدجلة ، ومحلة الصليخ مجاورة للأعظمية المدفون فيها الامام ابو حنيفة النعمان .

(٣) كامل ابن الأثير «ج ٨ ص ١٤٨» من طبعة المطبعة المجاورة لمسجد القطب الدردير سنة ١٣٠٣ هـ .

هو « الاسلام » عند إطلاقه وتعريفه بالألف واللام ، فكيف يكون مسموحاً يومئذ لنصراني بأن يلقب مضافاً الى الدين ؟ فكان إذا أسلم نقل لقبه من « جمال الدولة » أو « جمال الملك » مثلاً الى « جمال الدين » فأما الإضافة الى الدين وهو على نصرانيته فغير جائزة أصلاً . ولكنَّ من الكتب التاريخية ما يصحّف فيه أحياناً « جمال الدولة » الى « جمال الدين » . فان كان الباحث الفاضل وجد نصاً على نصرانية « علي بن اثردي » هذا فقد تصحَّف لقبه « جمال الدولة » الى « جمال الدين » في عيون الأنباء « ج ١ ص ٢٩٨ » وإلا فهو مسلم ، والقصيدتان اللتان قالها فيه همام الدين أبو الحسن علي بن اسماعيل العبدي الشاعر تصرّحان باسلامه ، وقد ذكرهما مؤلف عيون الأنباء ففي الأولى يقول له سنة « ٥٨٠ » على عهد الخليفة الناصر لدين الله المقدّس السيرة بين الخلفاء :

سمعاً جمال الدين قو ل مصاحب الودّ السليم
إنا ليجمعنا الولا ء على صراط مستقيم

ويهنئه في الثانية بالعيد ويقول :

وليهنك العيد الذي به العُداة لم تُهنْ

وهذا القول لا يُقال إلا لمسلم فما دليل الباحث الفاضل على نصرانية جمال الدين علي بن سعيد ابن اثردي ؟

وأما « تاج الدين ماري بن صاعد توما ... » المذكور فقد خلط الباحث ـ وهو يدّعي الاختصاص بتاريخ النصارى ـ بين لقبه ولقب أخيه أبي طاهر ، وجعلَ اللقب « تاج الدين » بدلاً من « تاج الدولة » قال مؤلف الكتاب الذي وسمناه بالحوادث الجامعة ظناً في حوادث سنة ٦٤٣ هـ « وفيها توفي الحكيم شمس الدولة أبو الخير سهل بن [صاعد بن] توما النصراني اليعقوبي ... وحزرت تركته فكانت ستمائة ألف دينار ... وخلع على أخويه فخر الدولة ماري

وتاج الدولة أبي طاهر ، ورتب فخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه ... ورتب تاج الدولة وكيل باب عنبر ... » [1] .

فلقب « تاج الدولة » لا تاج الدين كما زعم حبيب زيات هو لقب أبي طاهر ، و « فخر الدولة » هو لقب ماري بن صاعد بن توما أخي المذكور ، ويؤيد تلقيب ماري بفخر الدولة ماذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في باب « الفخر » من معجم الألقاب المذكور « فخر الدولة أبو علي وأبو الخير ماري بن أمين الدولة صاعد بن شمس الدولة سهل بن أبي عبد الله توما النصراني اليعقوبي البغدادي الكاتب ، قال شيخنا [ابن الساعي] في تاريخه : في صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة رتب فخر الدولة ماري بن صاعد في جميع الأشغال التي كانت منوطةً بأخيه شمس الدولة سهل بن صاعد ... « ورتب أخوه تاج الدولة أبو طاهر وكيل باب عنبر [2] ... » .

فعلى هذا يظهر أنّ الرجل لم يُحسن النقل ولا أجاد البحث ، وهذا الاعتراض يتوجه على كل من ذكر من النصارى الذين ادّعى تلقبهم مضافين الى الدين وهم لم يدخلوا في الاسلام ، ويكفيك من القلادة ما أحاط بالجيد .

٤ — ونقل في « ص ١٧ » من خزانته أن من الخواجات [3] الوزراء « ناصر الدين خليفة ابن خواجا علي شاه وزير ابن ابي سعيد ٧٣٨ هـ (١٣٣٧/٨ م) » . وذكر أنه نقَلَ ذلك من كتاب السلوك لتقي الدين المقريزي المحفوظ بدار كتب باريس الوطنية (١٧٢٦ ج ١ ص ٤٦٤) ولم يسائل نفسه من « ابن أبي سعيد هذا ؟ » فالوارد في نصّ السلوك من حوادث سنة « ٧٣٨ » المقدم ذكرها الخاصّ بذلك هو قول المقريزيّ :

---

(١) الموسوم بالحوادث الجامعة « ص ١٩٨ » من طبعة بغداد .
(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ورقة ٣١٤ » من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .
(٣) فاتته اشياء من الخواجات والخواجكية لا نرى محلاً لذكرها فلسنا في سبيل الاستدراك عليه بل في التعقيب على ما وهم فيه .

« وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه وزير أبي سعيد ، فأكرمه السلطان وأنعم اليه (كذا) وأجرى له راتباً بدمشق ثم أنعم عليه بتقدمة ... » . فهو أبو سعيد لا « ابن أبي سعيد » كما ذكره الباحث المذكور ، وهو آخر سلاطين الدولة الايلخانية المعروفة وترجمته مشهورة في كتب التاريخ كالسلوك للمقريزي والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني والوافي بالوفيات للصفدي والنجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تغري بردي ، والموسوم ـ كان ـ بالوزارة والده لا هو ، ففي نقله وبحثه غلطتان : الزيادة في النصّ وسوء الفهم .

ومن هذا الضرب نقله وتصديقه بالمصحَّف المستحيل كقوله في « ص ٣٨ » نقلاً من جزء تاريخ ابن النجار المحفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس الكثير التصحيف « قال سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: كنت أحبو فأخذني أبي بيدي وعبر بي الجسر فمضى الى شارع [١] الرصافة ، فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرّد بالثلج ... فقلت يا أبه من معاوية ... فهذه حكاية عجيبة ظريفة » .

فهل يجوز في الحكم أن طفلاً يحبو ولا يستطيع المشي مستقلاً يأخذ أبوه بيديه ويعبر به الجسر ، وأنّ الطفل الحابي يسأل أباه مَن معاوية ؟ ويجيبه أبوه جواب رجل كبير لإنسان مدرك يفهم الحديث الناضج ؟ فلو جعل « أصبو » من صبا فلان يصبو أي مال الى الصبوة أي جهلة الصبيان لكان القول محتملاً ممكناً ، ثم إنه حذف من الأصل جملة « من قول أحمد رضي الله عنه » والأصل « فهذه حكاية عجيبة ظريفة (كذا) من قول أحمد رضي الله عنه » .

٥ — وجاء في « ص ٥٩ » من كتابه المذكور « وأنكر عليهم أبو العلاء المعرّي هذا الشذوذ فقال :

---

(١) لعله « جامع الرُصافة » وهو معدن الحنابلة يومئذ وكذلك محلة الرُصافة التي كانت مجاورة لمحلة مشهد الامام ابي حنيفة [الأعظمية الحالية] . وزالت مع المحال الزائلة ثم استؤنفت العمارة فيها في هذا الزمان مثل كلية أهل البيت .

أرى جيل التصوف شرّ جيل فقُل لهمُ وأهوِن بالحلولِ
أقال الله حين عبدتموه . كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لي ؟

وقلده في هذا الهجاء شداد بن ابراهيم الملقب بالطاهر الجزري فقال بلفظه ومعناه :

أيا جيل التصوّف شرّ جيل لقد جئتم بأمرٍ مستحيل
أفي القرآن قال لكم إلهي : كلوا مثل البهائم وارقصوا لي ؟

نقل الخبر الأول من معجم الأدباء لياقوت الحموي « ج ١ ص ١٧٥ » والخبر الثاني منه أيضاً « ج ٤ ص ٢٦١ » .

والصحيح أنّ أبا العلاء المعرّي هو الذي قلد الطاهر الجزري ، لأنّ الطاهر توفي سنة « ٤٠١ » كما جاء في معجم الأدباء وغيره ، ولأن أبا العلاء توفي سنة « ٤٤٩ » كما في كتب التاريخ التي تذكرُه ، ولأن الجزري أدرك الوزير أبا محمد المهلبي وزير معز الدولة ومدحه وهو قديم الوفاة ، ثم إنّ « الطاهر الجزري » اسمه « سدّاد » بالسين المهملة لا بالشين المعجمة كما وهم ياقوت الحموي والباحث حبيب زيات وغيرهما ، ولكونه بالسين المهملة جعله الصفدي في باب السين المهملة من كتابه « الوافي بالوفيات » قال :

« السخاوي علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد

سداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر شاعر ...

سديف بن ميمون المكي الشاعر مولى آل أبي لهب ... » [١]

وذكره ابن شاكر الكتبي في باب السين المهملة من فوات الوفيات قال « ج ١ ص١٦٧ » :

« سجيم [٢] بن أبي الحسحاس ...

سداد بن ابراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر ... كانت وفاته في حدود الأربعمائة ...

سعد الله بن نصر الله بن سعيد ...

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ ورقة ١١٦ » .
(٢) هو عبد بني الحسحاس لا ابن ابي الحسحاس .

وقال القائم على طبع الكتاب في الهامش ما هذا نصه « أبو النجيب الجزري هكذا ذكر هنا في النسختين وحقه أن يذكر في المعجمة » وقد وهم القائم على الطبع في تعليقه هذا ، وأصاب ابن شاكر في جعله في باب السين المهملة .

وأعيد طبع فوات الوفيات بمصر سنة « ١٩٥١ » باشراف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، « ج ١ ص ٣٤٠ » وقد صحفه هذا الرجل الجريء على التصحيف الى « شدّاد » وعلّق عليه قائلاً « كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة وآثرنا بقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أنّ موضعه في حرف الشين وله ترجمة في معجم الأدباء » . ثم قال في فهرست الجزء الأول تعليقاً على « شداد » هذا « هكذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المبدوءة بحرف السين المهملة » . فهو لم يزدْ على أنْ وقع في الوهم الذي وقع فيه طابع الوفيات قبله ولكنه احتقب الخطأ وحده ، وأري القاريءَ أنه لم يسبقه اليه أحد . وجاء في كتاب المجموع اللفيف « ورقة ٢١ » أن بيتي الطاهر الجزري هما :

أرى جيل التصوُّف شرَّ جيلٍ فقل لهمُ وأهوِن بالحلولِ
أقال الله حين عشقتموه : كلوا أكلَ البهائم وارقصوا لي ؟

وهكذا أورد في فوات الوفيات وذلك يعني أنهما نُسبا الى أبي العلاء المعرّي تشنيعاً عليه أو انتزاعاً من الجزري .

(بغداد) مصطفى جواد

« يتبع »

(دهاليز) أم (كواليس) ؟

وهذه كلمة أخرى ولدتها الحياة النيابية فيما أحسب ، دائرة على الألسنة وتناولتها أقلام الكتاب وسجلات على صفحات الجرائد ، أريدُ بها : (كواليس) ، (من أسرار الكواليس) .

تساءلت عن معنى هذه العبارة وعما يريد بها قائلوها حين يطلقونها من أفواههم أو كاتبوها حين يثبتونها على الورق دون أن يحاولوا البحث عن فصحى ألذّ وقعاً على الأذن ، وأيسر لفظاً من الفم .

فأما (كواليس) والحقيقة (كوليس Coulisse) فهي افرنجية لم يكتف مقتبسوها من الأعجمية باستعمالها مفردة (كوليس) فتجاوزوا الى جمعها (كواليس) كأنما هي عربية الأصل .

و (Coulisse) بالافرنسية مشتقة من (Couler) وهذه من اللاتينية (Coulare) وتعني (filtrer) أي (رشح ، تسرّب) ومعناها الحقيقي كما جاء في معاجمهم : (مجرى ، حجزة ، جزء من المسرح خلفَ تزييناته وعلى طرفي صحن المسرح) ثم انتقلت عندهم مجازاً الى ألسنة الساسة والكتاب ليعبروا عما هو واجب كتمانه عن الشعب من أسرار السياسة (les coulisses de la politique).

فأنت ترى أن الـ (كوليس) ما هو في الحقيقة إلا (رِواق) يُسترق فيه السمع أو تُتسقط فيه الأخبار للوقوف على سر مغلق ، أو خبر ملفق ، يتسابق للحصول عليه أرباب الصحف الحريصون على أن يقدموا لقرائهم كل ما هو طريف ظريف .

ولو جاز استعمال (كواليس) لوجب أن يقال (ما وراء الكواليس) بمعنى (ما وراء الأسرار) لا كما يقولون (من أسرار الكواليس) لئلا يكون المعنى (من أسرار الأسرار) وهو معنى غير مستقيم .

فلئن كان لا بد لأصدقائنا الكتبة من كلمة تقرب وزناً من (كواليس) وتطيب وقعاً على السمع مثلها ، فلتكن (دَهاليز) . فدَ (الدِّهليز) لغةً (ما بين الباب والدار ، جمعه دهاليز) وفي هذا الشرح ما يراد به من كلمة (كواليس) . فيقال (من أسرار الدهاليز) أي الأروقة ـ أروقة دور الحكومة أو الندوة النيابية ـ التي يتسرب منهـا استراقاً أو تسقطاً ، بعض أسرار المناقشات العجيبة أو المشادات الغريبة مما لا يجوز اطلاع العامة عليه . وإلا فلا معنى لقولهم (من أسرار الكواليس) أي (من أسرار الأسرار) لأن (الكواليس) تتضمن (أسرار السياسة) ، فمن الكياسة إذن أن تستعمل بعد الآن أسرار (الدهاليز) خصوصاً وهي (الحرز الحريز) تنطلق فيه الألسنة الذلقة دون وجل وتنحبس خارجه خوف التبعة من الزلل .

الكواكبي

« الرماح الردينية »

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي كلمة الأستاذ خالد بن محمد الفرج عن الرماح الردينية . والأستاذ مصيب في قوله ان «ردينة» اسم مكان على الأرجح ، ومحق في تفنيده الزعم القائل بأن «ردينة» كانت امرأة تثقف الرماح ـ فهذا أمر بعيد الاحتمال . والظاهر انه سبق الانتباه الى هذه النقطة بعينها فجعل بعضهم «ردينة» اسم رجل يثقف الرماح لا اسم امرأة[1] . وقد أدى الأستاذ خالد بن محمد الفرج خدمةً جليلة يشكر عليها بتعيينه أماكن نباتها .

غير أني أرجو أن يسمح لي الأستاذ بالتنبيه على نقطة ثانوية هي استشهاده ببيتي النابغة :

(١) معجم البلدان لياقوت ـ مادة ردينة .

أثيث نبته جعـد ثراه ... به عوذ المطافل والمتالي
يكشفن الآلاء مزبنات ... بغاب «ردينة» السحم الطوال

والأستاذ يستدل على أن هذا مكان ذو مستنقعات وغاب نباته أسود كثيف طويل .

والقارئ يلاحظ أن صيغة النعت في « السحم الطوال » تدل على أن لفظ « غاب » هنا يعني القصب ذاته أي الرماح لا الغابات . ومعنى ذلك أن الباء هنا باء الاعتمال لا بمعنى « في » على المكانية . وعلى ذلك بطل الشاهد .

والذي يقرأ قصيدة النابغة يجد أن الشاعر يصف دياراً مهجورة قد سكنها صوار من بقر الوحش وهي المقصودة بهذين البيتين . وقد انتبه ابن حبيب لهذا الأمر ففسر الغاب هنا على أنه كناية عن قرونها — أي قرون كغاب ردينة السحم الطوال . وأورد ياقوت [1] تفسير ابن حبيب كما يلي : « أراد أن العود هي التي تكشفها عن الشجر بقرونها ، يعني الأغصان ، ثم قال السحم وهي السود نعت للقرون » .

والظاهر أن ابن حبيب قرأ مزبِّنات بالباء المكسورة من الزبن وهو الدفع — والقرن أداة الزبن . ولعل الشاعر أراد هنا حركة الرأس التي تلاحظ في الحيوانات . وربما كانت القراءة مزبَّنات بفتح الباء بمعنى مدفوعاتٍ أي مطرّدات يتبعها الصيادون بالرماح الردينية السحم الطوال .

أما القراءة التي يجدها المطالع في طبعات ديوان النابغة ، وهي « مزيَّنات » بالياء المفتوحة (وأحياناً المكسورة) فلعلها أضعف للتكلف في تعليق الحال .

(لندن) الدكتور وليد عرفات

---

(١) معجم البلدان لياقوت — مادة ردينة .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مَطبُوعَات المجمع العلمي العربي بدمشق

محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
- ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .

٢٩ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣٠ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣١ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٣ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٤ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٥ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٦ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٧ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٨ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الثالث المجلد الثلاثون



دمشق



١ تموز سنة ١٩٥٥ م

١١ ذو القعدة سنة ١٣٧٤ هـ



انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي
- في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
- وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

الجزء الثالث المجلد الثلاثون



١ تموز سنة ١٩٥٥ ١١ ذو القعدة سنة ١٣٧٤

جرير

- ٢ -

شعره

أظهر مزية في شعر جرير مزية الطبع ، يسهل عليك الشعور بها كما يسهل عليك الشعور بجمال الصور الجميلة أو الأصوات الحسنة . وقد يكون جرير أوضح مثال للشاعر المطبوع ، يرسل الشعر على سجيته سمحاً سهلاً كما يرسل الحمام سجعه لا يتكلف ولا يتصنع . وهذا النوع من الشعر يصدر عن القلب فيرد على كل قلب ، ويترجم عن النفس فتأنس به كل نفس ، يسهل على قائله وراويه ومنشده وسامعه . والشاعر المطبوع اذا تناول بعيداً أبرزه قريباً واضحاً ، واذا قصد الى معنى متداول جلاه بديعاً محبباً كأنه سبق إليه . يجعل السامع يشاركه في أحاسيسه وخوالجه من غير أن يحوجه إلى إدامة تبصر أو إطالة تفكر . وهكذا شعر جرير تروقك بساطته وانسجامه وسهولته وعذوبة جرسه

وجزالته ؛ وقد تأخذك وأنت تنشده نشوة لا تصيبها في شعر من ينفحون شعرهم ، يغوصون على المعاني ويحلقون في سماء الخيال ؛ فاذا رجعت الى نفسك تسائلها عن سر هذه النشوة ، وجدت أنها البساطة وعدم التصنع والطبع يتمثل عارياً عن التكلف والتمويه . أنت لا تقع في شعر جرير على معانٍ مخترعة أو فِكَر عميقة أو خيال واسع أو وصف متتالٍ . ولكنك تسمع ألحاناً منسجمة وتتبيَّن حساً مرهفاً وطبعاً فياضاً وترى نفساً وثَّابةً أشبه ما تكون بنفس الطفل تسرع في الرضا والغضب والحب والبغض ، تقدم اذا استدرجت وتحجم إذا خُوِّفت ، تستفزها كلمة وتطمئنها أخرى ؛ أضف إلى ذلك خفةً في الروح وصفاءً في الفطرة .

يتمثل طبع جرير بعذوبة ألفاظه وسهولة مآخذه والقوة على الاستمرار والإفصاح عن المعنى بأوضح السبل وعدم التقيد بتتالي المعنى تتالياً منطقياً ، فكل بيت وحدة تامة والأبيات التي يعالج بها غرضاً واحداً لا تربط بينها صلة واشجة ، بل هي أفكار متداعية أو لمحات مختلسة يمت بعضها الى بعض برحمٍ ولكن غير ماسة . ولعلَّ ذلك ماعناه الفرزدق بقوله : (إني وإياه لنغترف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهز [1]) . وقال المبرد : (الفرزدق يجيء بالبيت وأخيه ، وجرير يأتي بالبيت وابن عمه [2]) .

ولإرساله الشعر بلا تعمّل وعدم الأخذ بالتساوق يكثر من الالتفات في الضمائر فمن المفرد الى الجمع ومن المخاطب الى الغائب بل ربما نادى من يتغزّل بها بأسماء مختلفة في القصيدة الواحدة . قال : (الديوان ص ٥٩٤)

يا أم عمروٍ جزاكِ الله مغفرةً ردّي عليَّ فؤادي كالذي كانا
بلقى غريبكمُ من غير عسرتكم بالبذل بخلاً وبالإحسان حرمانا

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٨ .

(٢) الموشح للمرزباني ص ١٢١ .

يا أمَّ عثمان ان الحبَّ عن عرضٍ يصبي الحليم ويبكي العين أحيانا

ضنتْ بوردةٍ كانت لنا شرعًا تشفي صدى مستهام القلب صديانا

وقد تعجبه اللفظة أو إعادتها فيكررها في البيت الواحد مرتين فيزيد اللفظ حلاوة والمعنى قوة ، قال : (ديوان جرير ص ١٣٣)

حي المنازل بالأجزاع غيَّرها مرُّ السنين وآبادٌ وآبادُ

وقال : (الديوان ص ١٥٢)

كم دون بابك من قومٍ نحاذرهم يا أمَّ عمروٍ وحدَّادٍ وحدَّادِ

وقال : (ص ١٩٨)

يا شبَّ ما زال في قيسٍ لآ نفكم رغمٌ ورغمٌ وأوتارٌ وأوتارُ

وهو يعدُ من أقل الشعراء صنعةً تقل في شعره أنواع البيان والبديع ، فاذا وردتْ كانت عن غير قصدٍ ولا تتبع .

ومزية العاطفة في شعره أعظم بكثير من مزية الخيال ، فهو مقتصد في خياله لا يحلق بأجنحته وقلما تجد له صورة تامة من صور الخيال ، ولكنك تشعر بعاطفته تتلظى في أكثر شعره ، من ذلك قوله : (ص ٣٩٦)

أهواكِ فوق هوى النفوس ولم يزل مذ بنتِ قلبي كالجناحِ الخافقِ

وقوله : (ص ٥٧٠) :

أخطا الربيع بلادهم فتيمموا ولحبهم أحببتُ كلَّ يماني

صدع الظعائنُ يوم بنَّ فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تدانِ

ومعانيه مطروقة ولكن حسن التعبير عنها وبراعة التصرف بها يريقان عليها من السحر ما يجعلها تستهوي القلوب . ولعل هذه الخاصة من أعظم ما خص به الشعراء المطبوعون وفي طليعتهم جرير ، مثال ذلك قوله : (ص ٩٦)

يقول العاذلاتُ علاك شيبٌ أهذا الشيب يمنعني مراحي

وقوله : (ص ٤٥)

وقالتْ لا تضم كضم زيدٍ ... وما ضمي وليس معي شبابي

ولكل ما تقدم من الخصائص التي مصدرها الطبع قالوا : «جرير يغرف من بحر» وهو نفسه يشعر بهذه الخاصة فيقول مفتخراً :

بني مالكٍ جاء القيون بمقرفٍ ... الى سابقٍ يجري ولا يتكلفُ

أما أوزانه فلا يكاد يخرج عن البحور الطويلة التي اعتاد الجاهليون النظم منها كالطويل والبسيط والوافر والكامل ، وله مقدار يسير من الأراجيز يكثر فيها الغريب جرياً على عادة الرجاز . وهاك مثالاً على شعره المطبوع المنسجم قال : (ص ٥٠٣) :

سمعتُ حمامةً طربت بنجدٍ ... فما هجت العشية يا حماما

مطوقةً ترنم فوق غصنٍ ... إذا ما قلت مالَ بها استقاما

سقى الله البشامَ وكلَّ أرضٍ ... من الغورين أنبتت البَشاما

وقال : (ص ٥١٢)

متى كان الخيام بذي طلوحٍ ... سُقيتِ الغيث أيتها الخيامُ

أقول لصحبتي لما ارتحلنا ... ودمعُ العين منهمرٌ سِجامُ

تمرّون الديار ولم تعوجوا ... كلامكمُ عليَّ إذنْ حرامُ

أقيموا إنما يومٌ كيومٍ ... ولكنَّ الرفيق له ذمامُ

بنفسي من تجنبه عزيزٌ ... عليَّ ومن زيارته لِمامُ

ومن أُمسي وأُصبح لا أراه ... ويطرقني إذا هجع النيامُ

أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بفرع بَشامةٍ سُقِيَ البشامُ

ومن شعره ما يظهر عليه الإحكام والمتانة وشدة الأسر والجزالة حتى يكون أشبه بشعر الحطيئة . من ذلك قوله : (ص ٢١٤)

ونبئتُ تيماً قد هجوني ليذكروا فهذا الذي لا يشتهون من الذكرِ
اقوا وابلاً فيه الصواعق ترتمي أواذيُّهُ ترمي الجناحين بالصخر

وقوله : (ص ١٤٢)

إذا ذكرت نفسي تيماً تذكرت أموراً تنسيني الضغائن والحقدا
فكيف تقول السيف يحمل نصله إذا فارق السيفُ الحاملَ والغمدا
شكونا إلى سعدى جوىً وصبابةً وما كل ما في النفس تُخبَرُهُ سعدى

وقوله : (ص ٤٦٢)

تمنى رجالٌ من تميم لي الردى وما ذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي
كأنهمُ لا يعلمون مواطني وقد علموا اني أنا السابق المبلي
ولو شاء قومي كان حلمي فيهمُ وكان على جهال أعدائهم جهلي

وقوله : (ص ٢٣٣)

ياأهل جزرة إني قد نصبتُ لكم بالمنجنيق ولما يرسل الحجرُ

ومن العناصر التي أثرت في شعر جرير أو نفضت عليه ألواناً خاصةً : البداوة الماثلة بساطتها في كل شعره حتى لتجد منه عبق الشيح والقيصوم وتحس لفحات الهواجر ونفحات العشايا وتراه ينتزع تشبيهاته واستعاراته وإشاراته من البادية وأجوائهـا ، بل ترى روح البادية شائعة في كل ما يقول ، وأخلاق البداة متمثلة فيه كالعصبية للقبيلة ، والتمدح بالقوة والبأس والكرم ، وازدراء الصناعة والزراعة فاذا هجا الفرزدقَ لقبه بالقين (والقين الحدّاد ويطلق على كل صانع) (ص ٥٥٨) :

هو القين وابن القين لا قين مثله لفطح المساحي أو لجدل الأداهمِ

وقال يهجو البعيث بالنسج : (ص ٥٤٤)

فتؤخذ من عند البعيث ضريبةٌ ويترك نساجاً بدارين مسلما

وقال يهجو بني حنيفة بالزراعة : (ص ٦٠٠)

أبناء نخلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ سيوفهم خشبٌ فيها مساحيها

ولبداوته لا يكاد يصف في شعره غير الفلوات والأغوار والأنجاد والقيعان والأباطح والإبل ، وكثيراً ما يذكر أسماء الأمكنة بنجد مثل اليمامة ورهبى والوريعة وسلمانين وفليج وكثير غيرها .

والى هذه البداوة ترى أثر الإسلام والقرآن واضحاً جلياً في شعره ، يفخر بالإسلام ويعظم شأنه ويستعمل الألفاظ والمصطلحات الإسلامية كبعض أسماء الله الحسنى وأسماء الأنبياء والرسل والكتب المنزلة والملائكة والإيمان والكفر والشرك والنفاق والجنة والنار والمساجد والمنابر والدعاء والمعاد والتوكل والتسبيح والقضاء والقدر وليلة القدر والمفصل والمثاني ويوم القيامة وإبليس والأعور الدجال وأشباهها . من قوله : (ص ١٧)

دعا الحجاجُ مثل دعاء نوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا
ولو لم يرضَ ربك لم ينزلْ مع النصر الملائكة الغضابا

وقوله : (ص ٦٣) :

فقد حلت يمينك إن إمامٌ أقام الحدَّ واتبع الكتابا

وقوله : (ص ٧٩)

له حوض النبي وساقياه ومن ورث النبوة والكتابا

وقوله : (ص ٩١)

ولقد كسرتَ سنان كلّ منافقٍ ولقد منعتَ حقائب الحُجّاجِ

وقوله : (ص ٩٨)

ثقي باللهِ ليس له شريكٌ ومن عند الخليفةِ بالنجاحِ

وقوله : (ص ١٢٦)

ولقد حكمتَ فكانَ حكمكَ مقنعاً وخلقتَ زينَ منابرٍ ومساجدِ

وقوله : (ص ١٣٦)

وتدعو اللهَ مجتهداً ليرضى وتذكر في رعيتك المعادا
وأنت ابن الخضارم من قريشٍ همُ نصروا النبوّةَ والجهادا

وقوله : (ص ١٤٩)

وإنْ أهل الضلالة خالفوكم أصابهمُ كما لقيتْ ثمودُ

وقوله : (ص ١٥٩)

اللهُ أعطاك توفيقاً وعافيةً فزاد ذو العرش في سلطانكم مددا
مثبتٌ بكتابِ اللهِ مجتهدٌ في طاعةِ اللهِ تلقى أمره رشدا
أعطيتَ من جنةِ الفردوس مرتفقاً من فاز يومئذٍ فيها فقد خلدا

وقوله : (ص ٢٧٥)

نال الخلافةَ إذ كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدرِ

وقوله : (ص ٢٠٣)

دعت المصور دعوةً مسموعةً ومع الدعاء تضرّعٌ وحذارُ

وقوله : (ص ٢٧٩)

فما أحصنته بالسعودِ لمالكٍ ولا ولدته أمه ليلةَ القدرِ

وقوله : (ص ٣٢٤)

قومٌ لهم خصّ إبراهيم دعوته إذ يرفع البيتَ سوراً فوق تأسيسِ
نحن الذين ضربنا الناسَ عن عرضٍ حتى استقاموا وهم أتباعُ إبليسِ

وقوله : (ص ٤٢٣)

قبّح البراجم شر الخلق كلهم أخزاهمُ رب جبريلٍ وميكالِ

وقوله : (ص ٤٥٧)

لنا الفضلُ في الدنيا وأنفكَ راغمٌ ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

وقوله : (ص ٤٧١)

ياضبُّ إنَّ هوى القيون أضلكم كضلالِ شيعةِ أعورِ الدجالِ

وقوله : (ص ٤٧٤)

فعليك جزية معشرٍ لم يشهدوا لله أنَّ محمداً لرسولُ

وقوله : (ص ٥٦٧)

لحى اللهُ الفرزدقَ حين يمسي مضيعاً للمفصل والمثاني

وقد يستعير بعض معاني القرآن وألفاظه ، ويشير الى بعض قصصه وحوادثه فيمثل الشاعر العربي الإسلامي الذي ولد في الإسلام ووعى القرآن ولم يشهد الجاهلية ، فاقتبس من بيان القرآن من ذلك قوله : (ص ٣٥)

كونوا كيوسف لما جاء إخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تثريبُ

الله فضله والله وفقه توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب

وقوله : (ص ١٥٣)

من يهده الله يهتد لا مضلَّ له ومن أضلَّ فما يهديه من هادِ

لاقوا بعوثَ أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بعثت نحساً على عاد

فيهم ملائكة الرحمن مالهمُ سوى التوكل والتسبيح من زاد

أنصار حقٍّ على بلقٍ مسوَّمةٍ أمداد ربك كانوا خيرَ أمداد

وقوله : (ص ٤٦٤)

ضللتَ ضلالَ السامريِّ وقومه دعاهم فظلوا عاكفين على عجلِ

وقوله : (ص ٥٠٦)

وحبل الله تعصمكم قواه فلا تخشي لعروته انفصاما

وقوله : (ص ٥٠٧)

أمير المؤمنين على صراطٍ   إذا اعوجّ الموارد مستقيمِ

وقوله : (ص ٥٧٦)

يُعطَى كتابَ حسابه بشماله   وكتابنا بأكفنا الأيمانِ

ومن آثار الإسلام في شعره أنه لم يذكر الخمر إلا على سبيل الهجاء والتقبيح ، ولعل جريراً من أكثر الشعراء الإسلاميين تأثراً بالإسلام والقرآن لأنه كان ديّناً تقياً ولا يفوقه بالتأثر بالقرآن إلا الفرزدق لأنه كان يحفظه .

وللعصر الذي عاش فيه جرير ولحوادثه أثر غير ضئيل في شعره ، فلقد كان عصراً مفعماً بأعظم الحوادث ، قام في الحجاز عبد الله بن الزبير فبايعه بالخلافة أهل الحجاز وكثير من أهل العراق ؛ وثار بالعراق المختار الثقفي . فرمى عبد الملك بن مروان الحجاز بالحجاج فقضى على ابن الزبير ، ثم ولاه العراق فأخمد النوائر ، واستقر الأمر لبني أمية بعد فتن عديدة ؛ فوجهوا هممهم نحو الفتوح وبخاصة في عهد الوليد بن عبد الملك فقد بلغت جيوشهم الهند في الشرق وفتحت الأندلس في الغرب ودحروا الروم في آسية الصغرى وتغلغلوا فيها . ثم كانت ثورة ابن المهلب في أيام يزيد بن عبد الملك وما الى ذلك من الأحداث في الداخل والخارج مع الحوادث اليومية الهامة . ولكلٍ منها أثر في شعر جرير يشير اليها بمناسبات شتى وبخاصة في المدح ، ولعل جريراً من أكثر شعراء عصره إشارةً إلى الفتوح الأموية ومدح الخلفاء والأمراء والعمال والقواد بها ، والشواهد على ذلك من شعره غير قليلة ، نورد منها ما يدل بوضوح على تأثره بحوادث عصره ، وما يصح أن يكون وثيقةً على تلك الحوادث من ذلك قوله يمدح الحجاج من قصيدة : (ص ١٨)

كأنك قد رأيت مقدّماتٍ   بصين أستانَ قد رفعوا القبابا

وذلك أن الحجاج كتب الى محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح له السند والى قتيبة بن مسلم الباهلي وهو على خراسان : أيكما سبق الى الصين فهو والٍ على صاحبه ·

وقوله يمدح مسلمة بن عبد الملك بالفتوح : (ص ١٠٤)

مَسلمٌ جرار الجيوش الى العدى ... كما قاد أصحابَ السفينة نوحُ

وقوله في معاوية بن هشام (ص ١٥٥)

حتى أتتك ملوكُ الرومِ صاغرةً ... مقرّنين بأغلالٍ وأصفادِ

يومٌ أذلّ رقاب الروم وقعته ... بشرى لمن كان في غورٍ وأنجاد

وقوله في معاوية أيضاً : (ص ١٨٢)

وجدوا معاوية المبارك عزمه ... صلبَ القناة عن المحارم مِذْوَدا

يلقى العدوّ على الثغور جيادُهُ ... أبدأن ثم ثنين فيها عُوّدا

أما العدو فقد أبحتَ ديارَهم ... وتركتَ أمنعَ كلّ حصنٍ مُبْلَدا[1]

فتح الإلهُ على يديك برغمهم ... وملأتَ أرضهم حريقاً موقدا

ولقد أبحتَ من العُقابِ[2] منازلاً ... نرجو بذلك أن تنالَ الفرقدا

لما رأتكَ على العقاب ملوكهم ... ألقوا سلاحهمُ وخرّوا سجدا

ما إن نزلتَ بمشركين بربهم ... إلا تركتَ عظيمهم مستعبَدا

كان ابنُ سيسن طاغياً فرددته ... رخوَ الأخادع في الكبول مقيدا

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك بسعة الفتوح : (ص ٣٨٤)

وأدتْ اليك الهند ما في حصونها ... ومن أرض صين أُستان تجبي الطرائفُ

وأرضُ هرقلٍ قد قهرت وداهراً[3] ... وتسعى لكم من آل كسرى النواصف

---

(١) المُبْلَد : المستوي بالأرض اللاصق بها .

(٢) العُقاب : قلعة في بلاد الروم فتحها معاوية بن هشام .

(٣) داهر : ملك الديبل قصبة السند (تاج العروس) .

وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد : (ص ٤٣٤)

وللترك من عبد العزيز وقيعةٌ ... وللروم يومٌ ما تتم حوامله

وقال يشير الى ثورة ابن الأشعث وابن المهلب : (ص ١٥٤)

لاقى بنو الأشعث الكندي إذ نكثوا ... وابن المهلب حرباً ذات عِصوادِ [1]

وقال أيضاً : (ص ٢١٩)

آل المهلبِ فرّطوا في دينهم ... وطغوا كما فعلتْ ثمودُ فباروا

وقال في حبس عمر بن هبيرة : (ص ٣٨١)

أبا حفصٍ مخافة كلّ ظالمٍ ... عليك وكيف يهجع من يخافُ

وأدعو الله فيك وأن يجلّي ... عماية ما يزايلها انكشافُ

وقال في عمر بن عبد العزيز حين منع المكس : (ص ٤١٥)

ولقد نفعتَ بما منعتَ تحرجاً ... مكسَ العشور على جسورِ الساحلِ

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك ويشير الى بنائه الجامع الأموي بدمشق : (ص ٤٩٢)

إنّ الوليد خليفةٌ لخليفةٍ ... رفع البناء على البناء الأعظمِ

فعلا بناؤكمُ الذي شرّفتمُ ... ولكم أباطحُ كلِّ وادٍ مفعم

إن الكنيسة كان هدمُ بنائها ... قسراً فكان هزيمةً للأخرم [2]

وقال يشير الى حوادث مروان بن الحكم : (ص ٥١١)

قد جربتْ مصر والضحاك أنهمُ ... قومٌ إذا حاربوا في حربهم قُحُمُ

هلا سألت بهم مصر التي نكثتْ ... أو راهطاً يوم يحمي الرايةَ البُهَمُ [3]

---

(١) العصواد : الجلبة والاختلاط في ضرب أو خصومة .

(٢) الأخرم : ملك الروم .

(٣) البُهَم : جمع بُهْمَة وهو الشجاع الذي يستبهم على اقرانه مأتاه .

أما مذهبه السياسي فقد كان أمويًا صرفًا لم ينصر ابن الزبير بيده ولا بلسانه ، فلما تمّ الأمر لعبد الملك بن مروان وفد عليه ومدحه ونال من ابن الزبير وأخيه مصعب وأثنى على سياسة الشاميين كما سيأتي في فصل المدح ·

وللبلدان التي كان يقصدها في سبيل المدح أثر ضئيل في شعره لا يتجاوز في غالب الأحيان تسمية الأمكنة الى الإلماع الى بعض صفاتها ، ولكنه كان يسهب في وصف الفلوات التي كان يقطعها الى الحواضر ، لما ركب في طبعه من البداوة ·

وللكتابة وأدواتها أثر في شعره يدل على أنه لم يكن أميًا بالرغم من بداوته من ذلك قوله : (ص ٣٨٦)

كأنه بعد تحنان الرياح به   رقٌّ تبينُ فيه اللامُ والألفُ

وقوله : (ص ٤٨٨)

حي الديار كوحي الكاف والميم   ما حظك اليوم منها غير تسليمِ

وفي هذه القصيدة يقول : (ص ٤٨٩)

تقضي القضاة على تيمٍ وإن رغمت   فاكتب قضاءك واطبعْ بالخواتيم

ويقول من أخرى : (ص ٣٩٦)

تحت المناطقِ أستاهٌ مصلبةٌ   مثل الدوا مسها الأنقاسُ والليقُ

ويقول : (ص ٤٩٨)

كأنّ أخا اليهود يخط وحيًا   بكافٍ في منازلها ولامِ

وجرير على بداوته وعصبيته العربية لا يخلو شعره من أثرٍ – ولو ضئيل – للفرس مباشرةً أو بالواسطة ، فقد مدحهم ببضعة أبياتٍ من شعره ونوّه بمفاخرهم ، وظنهم من أولاد اسحق فدعاهم بأبناء عمه وذكر أنه كان فيهم نبوة وملك · وقد أعجبته سحن دهاقينهم وهيئاتهم وحسن ألبستهم وتريثهم واختيالهم في مشيهم

فشبه بهم ثيران الوحش ، كما استعمل عدداً من الكلمات الفارسية في شعره ، ولذلك كان الموالي يحبونه ويتحفونه بهداياهم ؛ قال يشبه ثيران الرصافة بالمرازبة : (ص ١٤٧)

بها الثيران تحسب حين تضحي مرازبةً لها بهراةَ عيدُ

المرازبة جمع مَرْزُبان وهو الرئيس من الفرس .

وقال : (ص ٥٨٧)

يمشي بها البقرُ الموشيُّ أكرُعُهُ مشيَ الهرابذِ حجوا بيعةَ الزُّونِ

الهرابذ : أصحاب بيوت النار ، والزُّون : الصنم .

وقال : (ص ٢٥٢)

يمشي بها كل مُوَشَّى بربارْ مُوَشَّمُ الأكرع فيها جَأَّرْ

يهز رَوْقيه كهز الإسوارْ

الإسوار من أساورة الفرس وهو الرامي أو الفارس .

وقال : (ص ٣١٧)

إن الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيثِ لشر ما إستارِ

الإستار : أربعة وهو معرب جهار بالفارسية .

وقال : (ص ٤٠٥)

وبنا يدافع كل أمر عظيمةٍ لبست كنزوك في ثياب الكُرَّقِ

لا خير في غضب الفرزدق بعدما سلخوا عجانك سلخ جلد الرُّوذق

سبعون والوصفاء مهر بناتنا إذ مهر جعثن مثل حر البيذق

الكُرَّق : هو الكُرَّج فارسي معرّب وهي لعبة يلعب بها المخنثون . والرُّوذق : الحمل وأصله بالفارسية روذه . والبيذق : الصغير من الغلمان .

وقال : (ص ٤٨٣)

لبست سلاحي والفرزدق لعبةٌ عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ

وقال : (ص ٤٣٥)

كاد مجيبُ الخبث تلقى بينه طبَرْزين بين مقضباً للمفاصل

والطبرزين فارسي وتفسيره فأس السرج .

وقال : (ص ٤٦٦)

رُفع المطيُّ بها وسمتُ مُجاشعاً والزنْبري يعوم ذو الأجلال

الزنبري : ضرب من السفن .

وقال من قصيدة يفخر بأبناء إسماعيل وإسحق ظاناً أن الفرس من أبناء إسحق : (ص ٢٤٢)

وأبناء إسحق الليوث إذا ارتدوا حمائلَ موتٍ لابسينَ السَّنَوَّرا [1]

فيوماً سرابيل الحديد عليهمُ ويوماً ترى خزّاً وعَصْباً منيَّرا

إذا افتخروا عدوا الصبهبذ [2] منهمُ وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا

ترى منهمُ مستبصرين على الهدى وذا التاج يضحي مَرْزَباناً [3] مسوَّرا

أغر شبيهاً بالفنيق إذا ارتدى على القبطريِّ الفارسيِّ المزررا

وكان كتابٌ فيهمُ ونبوةٌ وكانوا بإصطخرَ الملوكَ وتُسْتَرا

أبونا أبو إسحق يجمع بيننا أبٌ كان مهدياً نبياً مطهرا

أبونا خليلُ اللهِ واللهُ ربنا رضينا بما أعطى الإلهُ وقدَّرا

(يتبع) خليل مردم بك

---

(١) السَّنَوَّر : الدروع والسلاح (معرب) .

(٢) الصبهبذ : فارسي معرب ومعناه القائد والأمير وهو علم لملوك طبرستان .

(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس .

اللغة العربية في أفغانستان

يرجع في الغالب تأثير لغة على لغة ثانية الى عوامل دينية أو ثقافية ، ومن اللغات التي كان لها تأثيرها الكبير على غيرها من اللغات هي اللغة اللاتينية واللغة السانسكريتية واللغة الصينية واللغة اليونانية القديمة واللغة العربية .

ونجد أن اللغة العربية واللاتينية كانتا من أكثر اللغات تأثيراً في غيرهما من اللغات .

ويحسن أن نلم بادئ بدء بصورة موجزة بأثر اللغة اللاتينية في اللغات الغربية ، ثم ننتقل الى بيان أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية .

فاللغة اللاتينية ولا شك لعبت دوراً هاماً في الحياة الثقافية للأمم الأوروبية . وأصبح من المسلم به لدى علماء الغرب ما يلي :

١ — تولدت من اللغة اللاتينية اللغات التالية وهي الفرنسية والإسبانية والايطالية والبورتغالية والرومانية والريتية وثلث الانجليزية .

٢ — ثم دخلت كلمات كثيرة من أصل لاتيني الى سائر لغات أوروبا بعوامل سياسية ودينية وعلمية .

٣ — أصبحت اللغة اللاتينية لغة علمية في أوروبا كلها واستعملت في كل المعاهد العلمية حتى قبل (١٥٠) سنة .

٤ — أصبحت اللغة اللاتينية لغة الدين المسيحي وبقيت لغة دينية للدين المسيحي الكاثوليكي حتى اليوم .

٥ — كانت لغةً سياسيةً حتى حلت محلها اللغة الفرنسية في القرون المتأخرة أي منذ ٣٠٠ سنة .

٦ — كانت اللاتينية اللغة الرسمية في بعض الممالك كمملكة المجر التي اتخذتها لغةً رسمية وأعلنت بها كل قوانينها وأوامرها حتى عام ١٨٦٧ م .

٧ — كانت لغة أدب لفئةٍ من الناس لا يمتون الى اللاتينية بنسب ، وإن آخر شاعر معروف نظم باللاتينية هو البابا ليو الثالث عشر والذي توفي عام ١٩٠٣م .

٨ — كان النحو اللاتيني وصرفه أساساً لتدريس الصرف والنحو في اللغات الغربية حتى ان معظم الاصطلاحات ـ إن لم تكن كلها ـ مأخوذة عن اللاتينية .

هذا ما كان من أثر اللغة اللاتينية في اللغات الأوروبية ؛ فما هو أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية ؟

١ — إن اللغة العربية الفصحى حفظت وحدتها رغماً عن اللهجات الدارجة واللغات العامية ، وليس بالإمكان أن تنقسم لغة الضاد الى لغات فرعية وليست المالطية إلا استثناءً صنعياً أرادته السياسة الانجليزية .

٢ — أثرت اللغة العربية في سائر لغات الأمم الإسلامية تأثيراً عميقاً كاللغة الفارسية والأردية والباشتوية والخ ... حتى انها أثرت في اللغة اليوغوسلافية في بوسنا سراي المسلمة .

وإن النقطة الدقيقة في هذا التأثير ، هي أن اللغة العربية في ترتيبها ذات شكل لا يشبه شكل سائر اللغات المذكورة لأن العربية لغة سامية في حين ان التركية لغة ملزقة أرالاتائية . واللغات الفارسية والباشتو والاردية الخ ... لغات آرية . فكان في دخول ألفاظ اللغة اللاتينية الى لغات كاللغات الجرمانية والسلافية أمر هيّن لأن تركيب تلك اللغات مثل تركيب اللغة اللاتينية بينما احتاج دخول كلمات عربية لى لغات تخالفها في ترتيبها مقدرة عظيمة .

٣ — إن اللغة العربية كانت لغة العلم والبحث في مشرق البلدان الاسلامية ومغربها .

٤ — اللغة العربية هي لغة دينية أكثر من اللغة اللاتينية لأن اللاتينيـة

خصت بالقساوسة بينما العربية بقيت لغة دين لعامة الناس في البلدان الاسلامية باستثناء تركية الحديثة .

٥ — كانت اللغة العربية لغة سياسية لدرجة قوية وذات مكانة دولية سياسية لا سيما في القرون الوسطى حيث كانت اللغة العربية لغة السياسة في المشرق .

٦ — كانت اللغة العربية لغة رسمية وبقيت أيضاً حتى اليوم . فلا ننسى أن لغة المحاكم الشرعية الاسلامية كانت العربية وقد سعى السلطان عبد الحميد العثماني الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٩) إلى أن يجعلها لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها ، هذا وتوجد حركة في الباكستان الآن تسعى لاتخاذ العربية لغة رسمية فيها .

٨ — لم يكن صرف اللغة التركية والفارسية والأردو والباشتوية ونحوها إلا تقليداً لصرف اللغة العربية ونحوها لدرجة كبيرة .

وسنذكر الآن أثر اللغة العربيه في بلاد الأفغان .

انتشرت اللغة العربية وآدابها مع انتشار الدين الاسلامي المبين ، رغم جهل الأمراء والسلاطين اللغة العربية ، وتجنبهم تعلمها ، حتى أن يعقوب بن الليث الصفار أمر بترجمة المدائح العربية التي قرئت في الجامع الى اللغة الفارسية لجهله العربية . ولكن مع ذلك ظهر شعراء وعلماء في أفغانستان أحسنوا في الشعر والنثر العربي . ومنهم أبو الحسن شهيد بن حسين البلخي الفيلسوف [١] .

وبشار بن برد الذي ولد عام ٩٥ هـ/٧١٣ م في طخارستان وتوفي في بغداد عام ١٦٧ هـ و ٧٨٣ م وهو شاعر مشهور اشتهر بأهاجيه للخليفة المنصور العباسي [٢] .

وأبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش وهو نحوي كبير

(١) محمد كريم خان نزيهي تاريخ ادبيات افغانستان كابول ١٣١٤ هـ ش/ ١٩٣٣ م ١٣٥٢ هـ ق ص ٢٠١ .

(٢) نزيهي ص ٢٠٧ .

وكتب (بحر الخبب) [1] وتوفي في عام ٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م ثم ابورجا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق بن عبد الله البغلاني الذي ولد عام ١٤٨ هـ ق / ٧٦٥ م وكان عالماً في علم الحديث . وأبو معشر بن محمد بن عمر البلخي الذي كتب أكثر من (٤٠) كتاباً [2] في علم الحديث [3] وتوفي عام ٢٧٢ هـ ق /٨٨٥ م وأبو حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي ، كان من أصل أفغاني لأن جده أسر عند فتح مدينة كابول ونقل الى الكوفة وشرح مذهبه أفغاني آخر هو أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي في كتابه الفقه الأكبر [4] .

وكانت قرب بلخ العائلة البرمكية أيضاً ولها تأثير مهم في الآداب العربية كما هو معروف . ويقال ان أبا عثمان عمرو بن عبيد (بن باب) الذي أسس الطائفة المعتزلية بالاشتراك مع أبي حذيفة واصل بن عطاء الذي ولد عام ٤٠ هـ ق / ٦٦٠ م وتوفي عام ١٤٢ هـ ق / ٧٥٩ م هو من أصل أفغاني [5] . أما أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي الذي أسس الطائفة الكعبية وهي قسم من المعتزلة فهو بلخي بدون شك وتوفي عام ٣٢٨ هـ ق / ٨٤٣ م في بلخ .

أما في هراة فقد ظهر أدباء وشعراء وفلاسفة أيضاً وبينهم أبو الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري الذي توفي في عام ٣٢٩ هـ ق / ٩٤٠ م [6] وأحسن في

---

(١) هو الأخفش الأوسط : وقد زاد في العَروض بحر (الخَبَب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر ، وفي الأعلام للزركلي أنه توفي في عام ٢١٥ هـ — ٨٣٠ م . « المجلة »

(٢) بروكلمان تاريخ الأدبيات العربية ذيل الجلد ١ ص ٢٨٤ .

(٣) كان أولاً من أصحاب الحديث ، ثم صار عالماً بأحكام النجوم والتاريخ . « المجلة »

(٤) شراينير : تاريخ اللاهوت الاسلامي ، في مجلة العلوم الشرقية الألمانية جلد ٥٢ ص ٥٢٩ .

(٥) ولد عام (٨٠) هـ ، وتوفي عام (١٤٤) هـ (٦٩٩ — ٧٦١ م) وكان جده من سبي فارس. « المجلة »

(٦) الصحيح أنه توفي عام (٣١٧ هـ — ٩٢٩ م) كما في الأعلام نقلاً عن المقريزي ، ووفيات الأعيان . « المجلة »

في علوم الآداب وله شعر في الشطرنج [١] . وأبو أسامة وأبو سهيل [٢] وهما لغويان وأبو ذر عبد الله بن احمد ويظن كثير [٣] أنه مؤلف كتاب المستدرك على الصحيحين ويظن بروكلمان [٤] أن مؤلفه هو محمد بن عبد الله بن (محمد) [٥] الحاكم النيسابوري بن البيع . وأبو زيد احمد بن سهل البلخي ولد في شاميستان بقرب بلخ وكان أبوه معلماً وتوفي في بلخ وتعلم في العراق عند الكندي وأحسن اليه أمير بلخ عبد الله بن سهل بن هاشم المروزي وكتب في عام ٣٠٩ ه‍ ق / ٩٢١ م كتابه الجغرافي المشهور كتاب الأشكال أو صور الأقاليم وتوفي في عام ٣٢٢ ه‍ ق / ٩٣٤ م وبهذا الكتاب سلسلة من نشرات علماء جغرافية العرب المشهورين وبين كتبه الصغار كتاب (فضائل بلخ) . وأبو المظفر محمد بن آدم الهروي وهو نحوي وأديب ، وأبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي [٦] وكتابه كتاب مفاخر المقالة وهو معلم للأزهري . ومنصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي [٧] ولد في ٢٨٢ ه‍ ق / ٨٩٥ م في هراة وأسره بعض الأعراب عند رجوعه من الحج الى بيت الله . واستفاد من الأسر وتعمق درس اللغة العربية حيث أصبح معلماً مشهوراً ومؤلفاً بعد رجوعه من الأسر الى هراة ومن آثاره القاموس المشهور (تهذيب اللغة) ، ومحمد يوسف الهروي وهو عالم في علم الحديث وتلميذه أبو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

---

(١) من كتبه « نظم الجمان » و « الفاخر » و « الشامل » كلها في علوم العربية . « المجلة »

(٢) لعله : سهل بن هارون أبو عمرو وهو فارسي الأصل . « المجلة »

(٣) نزيهي ص ٢٠٨ .

(٤) ب ج ١ ص ١٦٦ وذيل ١ ص ٢٧٦ .

(٥) هو ابن حمدويه الضبي . « المجلة »

(٦) قد تقدم ذكره قبل أسطر . « المجلة »

(٧) ب ج ١ ص ١٢٩ وذيل ١ ص ١٩٧ — نزيهي ص ٢٠٨ .

الهروي الذي توفي في عام ٤٠١ هـ ق / ١٠١٠ م وله (كتاب الغريبين في القرآن والحديث) وكتب غيره [١] ، وأبو الحسن علي بن محمد الهروي [٢] وهو لغوي ونحوي وخطاط مشهور .

أما في العصر الـ ٦ الهجري (الـ ١٢ الميلادي) فقد فتح الغزنويون أفغانستان وأصبحت اللغة الفارسية لغة الشعراء والأدباء والعلماء ولكن الكثيرين منهم ظلوا يؤلفون بالعربية ومنهم شهاب الدين أديب صابر بن أديب اسماعيل الترمذي وأمير امام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل عمر المسمى رشيد الدين الوطواط وهو بلخي وأكبر شهرته في شعره الفارسي . وقد ألف أيضاً ديواناً عربياً و ١٥ كتاباً بالعربية وترجم مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الأصل العربي الى اللغة الفارسية وعنوان الترجمة هو (مطلوب كل طالب) وتوفي في عام ٥٧٨ هـ ق / ١١٨٣ م .

وأبو الفضل محمد بن حسين البيهقي عاش ٣٩ سنة في حاشية ملوك غزنة وخصوصاً عند محمود الغزنوي وكتب تاريخ الغزنويين المشهور وتوفي في عام ٤٧٠ هـ ق / ١٠٧٧ م وألف أشعاراً ومؤلفات عربية أيضاً [٣] ثم الصوفي المشهور أبو اسحاق بن أبي علي عثمان الجلاني الهجويري صاحب كتاب (كشف المحجوب) وكتاب (البيان) توفي في ٤٦٥ هـ ق / ١٠٧٢ م وله مؤلفات عربية أيضاً [٤] .

والقاضي حميد الدين أبو بكر عمر بن محمود البلخي نشر مؤلفات في الفقه باللغة العربية واستعمل أولاً السجع المأخوذ من الأدب العربي في الأدب الفارسي .

---

(١) ب ج ١ ص ١٣١ وذيل ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) لم نجد (الهروي) بهذا الاسم الا الملا علي القاري المشهور وهو علي بن محمد سلطان الهروي ولد في هراة وسكن مكة الى أن توفي عام (١٠١٤ هـ – ١٦٠٦ م) . « المجلة »

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الجزء الأول عمود ٦١٦ .

(٤) نزيهي ص ٢٢٢ ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ع ٩٦٦ .

أما شيخ الاسلام الإمام أبو اسماعيل عبد الله بن أبي منصور محمد بن أبي معاذ علي الخرزجي الأنصاري الهروي فقد ولد في عام ٣٩٦ هـ ق/١٠٠٥ م قرب هراة وتوفي في هراة عام ٤٨١ هـ ق/١٠٨٨ م وهو من أشهر مؤلفي التصوف نثراً شعراً ونثراً عربياً وفارسياً وكتابه الأشهر هو كتاب (منازل السائرين) الذي نقل وطبع مراراً وتكراراً وهو نظريات ومقامات التصوف وكتاب (ذم اللام) وهو كتاب فلسفي والكتابان باللغة العربية[١] .

وابن سينا والبيروني وهما من أكبر مؤلفي العرب ولا لزوم لتعريفهما للقراء ، فهما أكبر من أن يعرفا فالبيروني عاش في مدينة غزاة عند محمود الغزنوي وكتب هناك أشهر آثاره ، وصلات ابن سينا بالسلطان محمود معروفة .

ثم نذكر أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيّب الباخرزي وهو عالم في الحديث والفقه والعلوم الأدبية قتل عام ٤٦٧ هـ ق/١٠٧٥ م وألف ديواناً عربياً وكتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) ترجم فيه ٢٢٥ شاعراً عربياً حياةً وشعراً[٢] .

ومحمد بن علي بن محمد المعروف بأبي سهل ولد في هراة عام ٣٧٢ هـ ق/٩٨٣ م وتوفي في القاهرة عام ٤٣٣ هـ ق/١٠٤٢ م وهو كبير في علم الحديث[٣] .

ثم آدم بن أحمد بن أسد الهروي المعروف بأبي سعد الذي درس أولاً في بلخ ثم حجّ وأسس مدرسة في بغداد وتوفي عام ٥٣٦ هـ ق/١١٤٢ م وكان عند تدريسه في بلخ معلماً لرشيد الدين الوطوط ودرس الأدبيات والحديث وألّف

---

(١) ب ج ١ ص ٤٣٣ وذيل ١ ص ٧٧٣ .

(٢) نزيهي ص ٢٣٧ .

(٣) هو لغوي ، كان مؤذناً بمصر وتوفي فيها ، له « شرح فصيح ثعلب — ط » و « مختصره » و « اسماء الأسد » و « أسماء السيف » (الأعلام ، عن بغية الوعاة ٨٣ والكتبخانة ٤ : ١٦٧) . « المجلة »

(كتاب الاصراف في أدب القضا وغوامض الحكومات)[١] أما أبو المظفر محمد ابن آدم بن كمال الهروي الذي توفي في عام ٤١٤ هـ ق/١٠٢٣ م فقد ألف شرحاً لديوان الحماسة وشرحاً آخر لديوان أبي الطيب المتنبي وغيره[٢]، وأبو نصر احمد بن حسين الباخرزي المتوفى عام ٤٣٥ هـ ق/١٠٤٤ م، وأبو ذر الهروي المتوفى عام ٤٣٤ هـ ق/١٠٤٣ م، واحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الفقيه المتوفى عام ٤٩٣ هـ ق/١١٠٠ م، وعبادي الهروي الفقيــه الشافعي المتوفى عام ٤٥٨ هـ ق/١٠٦٦ م، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المتوفى عام ٤٨٨ هـ ق/١٠٩٥ م في بلخ وقد ألف (كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال) و (تحفة الوزراء) و (كتاب المقالات)[٣] . وأبو يعقوب اسحاق بن أحمد اسحاق، ويعقوب القراب المتوفى عام ٤٩١ هـ ق/١٠٩٨ م في هراة كتب (فضائل الرمي في سبيل الله)[٤] . وأبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الذي ولد في بغشور بين هراة ومروالروز المتوفى عام ٥١٠ هـ ق/١١١٦ م في مروالروز وكتب (كتاب مصابيح السنة) وثلاثة كتب غيره[٥] .

وما زالت الفعالية المخترعة في أزمنة المغول في العصر السابع الهجري أي في العصر الثالث عشر الميلادي . أما العناية بالعربية فكانت قليلة في زمان التيموريين أي في العصر الثامن الهجري أو العصر الـ ١٤ الميلادي حيث ظهر عمر بن اسحاق الغزنوي الدولتآبادي المتوفى عام ٧٧٣ هـ ق ١٣٧١ م وكتب (شرح المغني) وهو فقيه[٦] . وعلي شهاب الدين الحسيني الحداني الأمير الكبير الصديق للسلطان قطب الدين وهو الصوفي المشهور والذي ولد عام ٧١٤ هـ ق/١٣١٤ م

(١) ب ١ ص ٤٠٣ ونزيهي ص ٢٢٧ .
(٢) نزيهي ص ٢٢٨ .
(٣) ب ج ١ ص ٣٦٣ و ب ذيل ج ١ ص ٦١٩ .
(٤) ب ذيل ج ١ ص ٦١٩ .
(٥) ب ج ١ ص ٤٦٣ و ٣٦٤ و ب ذيل ج ١ ص ٦٢٠ .
(٦) ب ج ٢ ص ٢٢٠ .

في همذان والمتوفى عام ٧٨٦ هـ ق ١٣٨٣ م في تيراه في ياغستان ودفن في ختلان في بدخشان وهو صاحب كتب عربية كثيرة [١] ، وعلي بن محمد الجرجاني السيد الشريف ألَّف كتباً عربية كثيرة تقرب من (٤٤) كتاباً عاش وتعلم في هراة من سنة ٧٦٦ هـ ق / ١٣٦٥ م الى ٧٧٠ هـ ق / ١٣٦٨ م [٢] ، ثم نشطت العربية في أفغانستان مجدداً في العصر التاسع الهجري (الـ ١٥ الميلادي) والعصر العاشر الهجري (الـ ١٦ الميلادي) وكان أكبر المعنيين بها الشاعر عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي قوام الدين وقد ألَّف كثيراً بالعربية علاوةً على ما ألفه من الكتب المتعددة باللغة الفارسية وله اثنا عشر كتاباً ترجم منها الى العربية كتابه الشهير (نفحات الأُنس) [٣] وتوفي عام ٨٩٨ هـ ق / ١٤٩٢ م في هراة ، ثم نذكر الغبك شاهروخ بن تيمور الذي حكم هراة من ٨٥٢ هـ ق / ١٨٤٨ م الى ٨٥٣ هـ ق / ١٤٤٩ م وألف آثاراً كثيرة في علم الفلك باللغة العربية ، ونور الدين أبا القاضي بن أحمد البلخي الذي ألف كتابين في علم الفلك (المدخل في علم النجوم) وغيره [٤] ، ثم زين الدين بن علي بن احمد المعبري المليباري الصوفي المولود في كوشان عام ٨٧٢ هـ ق / ١٤٦٧ م والمتوفى في فنان ٩٢٨ هـ ق / ١٥٢٢ م وكتب بالعربية (هدايات الأذكياء الى طريق الأولياء) [٥] وله شرح كتبه ابنه عبد العزيز وعنوان الشرح (مسالك الأذكياء) وكتب عبد الباقي بن محمد حاجي صدر الدين الصيراني في قندهار في عام ٩٥٠ هـ ق / ١٥٤٣ م الكتاب اللغوي (رسالة في تمام المشترك) [٦]

---

(١) ب ج ٢ ص ٢٢١ وذيل ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) ب ج ٢ ص ٣٠٥ وذيل ج ٢ ص ٢١٦ و ٢١٧ .

(٣) براون تاريخ ادبيات الفرس ٣ ص ٥٠٧ وما بعدها وبروكلمان ح ص ٢٠٧ .

(٤) ب ج ٢ ص ٢١٢ وذيل ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) ب ج ٢ ص ٢٢١ .

(٦) ب ج ٢ ص ٢١١ .

وكتب شرف الدين القاضي بن حسين المدراغي الغزنوي الذي توفي عام ٨٥٤ هـ ق/١٤٥٩ م (التنقف الحسان في الفتاوى) [١] وكتب معين الدين بن شرف الدين حاجي محمد الفراحي الهروي المسكين الذي توفي في هراة عام ٩٠٧/١٥٠١ (بحر الدرر) [٢]، وكمال الدين حسين بن علي البيهقي الكاشفي الواعظ عاش في هراة حيث توفي عام ٩١٠ هـ ق/١٥٠٥ وكان شاعراً فارسياً معروفاً [٣] وكتب بالعربية (لوائح القمر) وابنه فخر الدين علي بن حسين الواعظ الكاشفي الهروي المولي الصافي كتب الكتاب الصوفي المشهور (رشحات عين الحياة) [٤]، ونظم عبد المعين بن أحمد بن البكاء البلخي الحنفي في عام ٩٧٢ هـ ق/ ١٥٦٤ م ديوان شعر بعنوان (غواشي الأسواق في معاني العشاق) [٥] وكان عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفرائيني المتوفى عام ٩٤٤ هـ ق/ ١٥٣٧ م قد قضى الشطر الأوفى من عمره مدرساً في مدرسة شاهروج موسا في هراة وكتب (ميزان الأدب في العلوم الثلاثة الصرف والنحو والبلاغة في لسان العرب) و (رسالة في علم المجاز) وكتباً غيرهما كثيرة [٦].

وكتب محمد بن يوسف اللبيب الهروي في عام ٩٢٤ هـ ق/١٥١٨ م كتاباً طبياً عنوانه (بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية من العربية واللاتينية واليونانية). وكان كتاباً مشهوراً ثم كتب كتباً عديدة غيره [٧]، ومحمد رح

(١) ب ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٢) ب ج ٢ ص ٢٧٨ .
(٣) براون ج ٣ ص ٤٤١ و ٥٠٣ .
(٤) ب ج ٢ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .
(٥) ب ج ٢ ص ٥٧٠ .
(٦) ب ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ وذيل ج ٢ ص ٥٧١ ،
(٧) ب ذيل ج ٢ ص ٥٩٢ .

ابن الحاج محمد الهروي كتب (أنيس المستوحشين) وهذا في العصر الـ ١١ الهجري (الـ ١٧ الميلادي) ، أما في العصر الـ ١٣ الهجرى (الـ ١٩ الميلادي) فنذكر صاحبزاده محمد عمر ميال المحمدي الذي ألف كتاب (برهان الأصول) و (لائق السماع في تحقيق الجمعة) ، وملا أحمد الله البشاوري صاحب (تحفة الإخوان في التفرقة بين الكفر والايمان) وملا دوست محمد بن ملا أمين الكابلي الذي كتب في عام ١٢٩١ هـ ق / ١٨٧١ م (تحفة الاخلاء في عصمة الأنبياء) [١] .

هذا وإن من أهم الشخصيات التي بشرت بالوحدة الاسلامية ونفخت روح الوحدة العربية وتعدتها الى (الوحدة الشرقية) السيد جمال الدين الأفغاني وليس من اللزوم أن نعرفه لقراء هذه المجلة وهو هو وثم عالم أفغاني شرح مؤخراً تطوره الروحي نحو العروبة [٢] .

وفي تدريس الأفغانيين اليوم للعربية شاهد على عنايتهم بها وتوجد مدارس كثيرة في أفغانستان تدرس العربية مستقلة أو بالاشتراك مع الديانة وفي المدارس الثانوية المصرية أصبح تدريس العربية إجبارياً . ولمعلمي اللغة العربية الأفغانيين معرفة جيدة بالعربية ومثلنا على ذلك زميلنا العزيز الذي يدرس العربية في مدرستنا (النجاة) الثانوية وهو القاضي عبد الطاهر السامي الذي درس العربية بالأزهر فهو يتكلم العربية بسهولة واتقان مبعثهما حب العربية .

وأهم المدارس التي تدرس العربية في الأفغان هي دار العلوم العربية ثم المدارس التي تدرس فيها الديانة على الطراز القديم وبينها دار العلوم في كابول ويدرس فيها (١٣٠) طالباً ، وفخر المدارس في هراة يدرس فيها (٢٢٠) طالباً . ونجم المدارس في حده وهي قرب جلال آباد ويدرس فيها (٥٠) طالباً .

---

(١) ب ذيل ج ٢ ص ٨٤٩ .

(٢) سيد أحمد شاه خان هاشمي (سيد جمال الدين ومفكورة اتحاد اسلامي) في مجلة العرفان كابول عام ٩٥٤ م/١٣٧٣ هـ ش ثم بركلمان ذيل ج ٣ ص ٣١١ وما يليها .

ومدرسة الاسدية في مزار الشريف وتضم (١٠٠) طالب ، ومدرسة ظاهر شاهي في ميمنة وفيها (٣٠) طالباً ، ومدرسة تخارستان في كندز وتحوي على ستين طالباً ونور المدارس في غزنة وتضم ثلاثمائة طالب والمدرسة المحمدية في قندهار وفيها ستون طالباً وغيرها في المدن الصغيرة والقرى وهذه المدارس تحت إدارة وزارة المعارف الأفغانية وأكثرها نظامية لا سيما مدارس التدريس المسلكي أي التدريس الصناعي وإدارة هذه المدارس موحدة ورئيسها الآن الدكتور محمد حيدر ومعاونه الأستاذ محمد هاشم المجددي الذى درس سنوات كثيرة في الجامع الأزهر الشريف ويجيد العربية بطرز كامل وهو من عائلة لها مقامها وان عمه السيد هاشم المجددي أسس مدرسة نور المدارس المذكورة وأخوه السيد محمد صادق المجددي كان سفيراً للافغانستان في مصر وهو ملم بالثقافة العربيـة . أما فخر التدريس العربي في أفغانستان الحديثة فهي دار الفنون العربية في بغمان بقرب كابول وتضم (٢٠٠) طالب في القسم الثانوي و (١٠٠) طالب في القسم الجامعي . وان التدريس العصري لهو الغالب اليوم وهناك أساتذة يدرّسون على الطراز القديم وتستخدم الحكومة الأفغانية ثلاثة مدرسين من بلدان العرب اثنان من العراق وهما السيد عبد الجبار ومحمد الطيبي وواحد من مصر وهو الأستاذ خياط وهم يدرّسون على الطراز الجديد ويتكلمون مع التلامذة بالعربية ويدرسون كتباً عصرية وجرائد . ويجيد أكثرية أساتذة هذه المدرسة اللغة العربية . وتعجبني سهولة تكلمهم بها وعبارة المتعلمين والتلفظ الكامل ، والطلبة الأفغانيون يلفظون أحرف الضاد والعين والهمزة بوضوح ويصعب على المرء أن يعرفهم أفغاناً حين يتكلمون العربية إلا بتلفظهم الخاص للألف الممدودة فقط . وترى أن أولئك التلامذة لا تعادل فرحتهم فرحة لمعرفتهم العربية .

ويوجد مسرحان في كابول ما زالا تحت تأثير الأدب الفرنسي ووحيه ولكن السيد رشيد اللطيفي وهو مدير سابق وكان يشتغل في السفارة الأفغانية في مصر (القاهرة) استوحى من المسرح المصري العصري فنه وترجم روايات عربية عديدة وأكثر ما ترجمه للأستاذ توفيق الحكيم وهكذا دخل المسرح المصري على المسرح الأفغاني وأخذ يغزوه .

وجمهرة الناس تطرب اليوم للفن المنبعث عن الأدب العربي . وتستسيغه أكثر من الأدب الفرنسي ويعود ذلك لجهود الأستاذ رشيد ولتآليفه وشخصيته المحبوبة .

وهكذا نجد أفغانستان تحتل مكاناً ممتازاً في البلدان المسلمة غير العربية من حيث الآداب منذ أقدم العصور حتى اليوم ....

كارل شتولز

كتاب الجليس والأنيس

للمعافى بن زكرياء النهرواني

تمهيد

قبل أكثر من سبعين سنة أي في سنة ١٨٨١ م نشر وليام رايت (William Wright) كتاب الكامل للمبرد في كمبريج ، ومن ذاك التاريخ أظهر الاختصاصيون اهتمامهم بهذا الكتاب ، ورغماً عما كان لهذا الكتاب من قيمة كبيرة في أوربا كان له قيمة أكبر في العالم الاسلامي القديم ، وكان يُعدّ المبرد صاحب مدرسة البصرة في عهده كما كان زميله في ذلك الوقت ثعلب صاحب مدرسة الكوفة ، إن هذا الكتاب يُعدّ بدون مبالغة من أهمّ الكتب الأدبية التي أخرجت في القرن الثالث الهجري . وقد ظهر بعض الأدباء الذين أخذوا على عاتقهم انتقاد هذا الكتاب ومن جملتهم كان القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد بن حماد بن داوود الطرارا الجريري النهرواني[١] ، لقد توفي المبرد في سنة ٢٨٥ وأما المعافى فقد ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٩٠ وهذا يعني أن المعافى توفي بعد مائة سنة تقريباً من وفاة مؤلف الكامل .

ولد المعافى في إحدى قرى كورة النهروان وكان لمدة ما نائباً لقاضي باب الطاق الواقعة شرق مدينة بغداد ، وكان منذ طفولته يميل الى الشرع الإسلامي وتفقه به وأصبح فقيهاً كبيراً يشار اليه بالبنان .

---

(١) انظر بروكلمان (C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur) الطبعة الثانية ١ : ١٩٥ وتكملته ١ : ٣١٢ .

وكان يدعى الجريري نسبةً الى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مؤسس المذهب الجريري ، ومما يجب ذكره أن زميله في ذاك الوقت ابن النديم أتى على ذكره في كتاب الفهرست في فصل مذهب الطبري وأتباعه[١] ، ويعدد ابن النديم ثمانية عشر مؤلفًا للمعافى ، ويضيف أن المعافى نفسه ذكر له أنه صنّف أكثر من خمسين مؤلفًا في الفقه والأصول والنحو وغيرها ، ومن بين الكتب التي عدّدها ابن النديم ما هو في اللغة وما هو في التفسير ، وينتهي الى امتداح كتاب الجليس الذي أتحدّث عنه .

إن العنوان الكامل لهذا الكتاب القديم الغني الذي نعنى بنشره هو «كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» والكتاب مقسم الى مائة مجلس يُقرأ مجلس منها في كل اجتماع ، وكثيراً ما يبدأ المجلس بحديث نبوي تليه شروح لغوية وتفسيرات معنوية يُستخدم فيها بعض القصص التاريخي النافع أو الحكايات المسلّية أو القطع الشعرية .

نسخ المخطوطة ووصف النسخة الأصلية

وقبل أن نتحدث عن مادة الكتاب نحاول أن نتعرّف ، بايجاز ، الى النسخ المختلفة للمخطوطة ثم الى مصادر الكتاب .

لقد كان للأستاذ ريتر (Hellmut Ritter) الفضل في أنه دلّني على المخطوطة الأصلية ، أعني نسخة سراي احمد ٢٣٢١/٣ في استانبول ، ولم يذكر الأستاذ بروكلمان هذه النسخة في كتابه تاريخ الأدب العربي وإنما وصفها الأستاذ ريتر في Oriens ٢ : ٢٧٩ — ٢٨٢ ، وهي في ٢٥١ ورقة ومكتوبة بخط نسخي جميل وهي المخطوطة الوحيدة التي تقدّم لنا النص الكامل للكتاب ، وتاريخ نسخها يعود الى ٢٩ شوال من سنة ٦٢٩ .

(١) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ١ : ٢٣٦ ،

وأما النسخ الأخرى التي عرفتها لهذا الكتاب فليست كاملة وإنما تتضمن بعض الأجزاء أو المجالس ، ومن بينها نسخ أهميتها ترجع الى قدمها .

وأما نسخة سراي أحمد ، التي ستكون أساساً في نشر الكتاب ، فقوبلت على نسخ أخرى مقابلة كاملة من أولها الى آخرها ، ويشير الى ذلك تاريخ المقابلة الوارد في آخر الكتاب وهو ١٠ جمادى الآخرة من سنة ٦٨٤ أعني بعد ٥٥ سنة من كتابة المخطوطة ، وقد قام بالمقابلة عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن احمد بن الصابوني الشيباني السلامي الفوطي [1] الذي ظل قيم المكتبة المستنصرية ببغداد حتى وفاته .

وعلى النسخة ختم السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح .

وهناك أشياء كثيرة مما يمكن أن نقوله في وصف هذه المخطوطة ، وسنذكره في مقدمة الطبعة ، كما أننا سنتحقق ، عن طريق كتاب المعافى نفسه ، من كل الذي كتبه عنه مترجموه وما كتبه ابن النديم بوجه خاص .

شيوخ المعافى

وقد كان للمعافى عدد من الشيوخ ، وكتب التراجم تذكر أشهرهم ، كالبغوي ويحيى بن محمد بن صاعد من المحدثين ، ونفطويه اللغوي الكوفي ، وهناك عدد آخر من شيوخه أقل شهرة من هؤلاء ، غير أننا يجب أن نضيف الى هذه الأسماء أسماء أخرى يطلعنا عليها كتاب الجليس نفسه ، فاذا استعرضنا المجالس العشرة الأولى مثلاً وجدنا أكثر من أربعين شيخاً يروي عنهم المعافى ، ومن بين هؤلاء الأربعين لا تحتل الأسماء السابقة المكان الأول وإنما تحتل مكاناً ثانوياً .

---

(١) بروكلمان تكملة ٢٢ : ٢٠ .

والشيخ الذي يتردد اسمه في أكثر المرات هو اللغوي الكوفي ابن الأنباري ، ثم اللغوي البصري ابن دريد ، ويليهما الحسين الكوكبي وهو غير ذي شهرة واسعة [١] ، ثم الصولي ، ثم زكرياء والد المعافى الذي نعرفه بابنه [٢] .

وكذلك نجد من شيوخ المعافى أبا جعفر أعني الطبري شيخ المذهب الجريري ، ويظهر أن المعافى اتصل به منذ طفولته لأن الطبري مات سنة ٣١٠ والمعافى ولد سنة ٣٠٣ أو ٣٠٥ ، وبين الحين والحين يذكر المعافى تفسير الطبري تحت اسم «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (ق ١٣ (و)) .

الشعراء الذين استشهد بشعرهم

إن الشعراء الذين ذكرهم المعافى في هذه المجالس العشرة الأولى واستمدّ منهم شواهده على تفسيراته اللغوية يبلغون سبعين شاعراً ، وهم موزعون على كل العصور : العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الأموي والعباسي ، وأكثر من ذكرهم الأعشى وامرؤ القيس وحاتم الطائي وجرير وذو الرمة وأبو العتاهية وابن الرومي ، ولا يسمي المعافى الشاعر الذي يستشهد باسمه في أغلب الأحيان وإنما يكتفي باستعمال الجملة المعروفة «وقال الشاعر» ...

ويبدو من استعراض أسماء هؤلاء الشعراء السبعين أنه لا يفضل شاعراً من عصر على شاعر من عصر آخر وأنه يستخدم شعراء العصور المختلفة على السواء في الاستشهاد .

ويبدو المعافى من خلال هذه المجالس شاعراً ولكنه ليس بالشاعر الفحل ، والأبيات التي هنا أكثر عدداً من الأبيات التي تطلعنا عليها كتب التراجم .

(١) بروكلمان تكملة ٣ : ١٣١٥ .

(٢) نسخة استانبول ق ١٤ (ظ) و ١٧ (و) و ٦٨ (و) و ١٤٦ (ظ) و ٢١١ (و) و ٢٤١ (و) وغيره .

مؤلفات المعافى

ومن خلال الاشارات المقتضبة في هذه المجالس نستطيع أن نضيف جديداً الى قائمة المصنفات التي ذكرها ابن النديم والتي أشرنا اليها في مطلع هذه المقالة ،

إن المعافى يشير الى طائفة من كتبه الفقهية بتعابير أو بجمل عامة كقوله « فيما ألّفنا من كتب الفقه » . مثال ذلك أنه يتحدث عن المصلّي خلال الصلاة هل يجب أن يقطع صلاته إذا سئل فقال « القول في هذا النحو مستقصى فيما ألّفناه من كتبنا في الفقه » (ق ٦ (و) من نسخة استانبول) ، وفي موضع آخر يضع المعافى أمامنا التعبير التالي : « من كتبنا في فرائض المواريث » (ق ١٨ (و)) .

أما عن كتبه في المسائل النحوية واللغوية فالمعافى يشير الى شرحه مختصر أبي عمر الجرمي[١] (الفهرست يسميه خطأً « شرح كتاب الحزمي ») ، كما يشير الى « رسالة مفردة مستقصاة » في تصريف فِعْل شَكَرَ متعدّياً الى المفعول (شكره) أو متعدياً بحرف الجر (شكر له) .

إن هذه الكتب التي تحدّثنا عنها هي الكتب التي صنّفها المعافى ، غير أننا نلمح من خلال دراسة كتاب الجليس أن هنالك مجموعة كتب كان ينوي أن يصنفها في التفسير بوجه خاص ، ولما كان المعافى مسنّاً حين صنف كتاب الجليس - إذ كان بلغ الثمانين - فنحن نرجح أنه لم يستطع أن يكتب هذه الكتب التي بشر بها أو تحدث عنها .

وهو لا يحدد أسماء هذه الكتب التي بشر بها وإنما يتحدث عنها بتعابير عامة كقوله « كتبنا في القرآن » (ق ٦ (ظ)) و « في علوم القرآن »

---

(١) ق ١٣ (و) وانظر معجم البلدان لياقوت نشر وستنفلد (Wuestenfeld) ١ : ٨٩٤ .

(ق ٧ (و) و ٧ (ظ)) و «في علوم تنزيل القرآن وتأويله» (ق ١٣ (و))، إلا أن هنالك مؤلَّفاً يشير اليه دائماً ويذكر اسمه الواضح هو «البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز» (ق ٣ (ظ) و ٤ (ظ) و ١٣ (و) و ٢١ (ظ))، ومن الممكن أن نفترض أن أكثر مؤلفاته القرآنية التي يتحدث عنها بالصيغ العامة المبهمة هي نفس كتاب البيان الموجز .

والمعافى يتكلم عن كتابين في القراءات ويتحدث عنهما بلفظ «في القراءات» أو «في علل القراءات وتفصيل وجودها» (ق ٤ (ظ))، ويبدو مقبولاً أنهما لم يكتبا كذلك، بينما يظن أنه كتب كتاباً «في القراءات وعلوم القرآن على الشرح والبيان» (ق ٢٣ (و))، إن ابن النديم لا يتحدث إلا عن «كتاب في تأويل القرآن» .

مادة الكتاب

لكي نتعرف الى مادة الكتاب يجب أن نتوقف عند مقدمته، وهي مقدمة ذات أهمية بالغة لأن المؤلف يعرّفنا فيها بهدف الكتاب ويصوّر لنا هيكله المجمل :

«فلاح لي أن أنشيء كتاباً أضمّنه أنواعاً من الجد الذي يستفاد ويُعتمد عليه ومن الهزل في أثنائه ما يسرّ استماعه ويستراح اليه، فإنّ اختلاف الأنواع يسهّل النظر فيها وينشّط الوقوف عليها ويوفر الاستماع بها، وأن أضمنه علوماً غزيرة وآداباً كثيرة وأجعله مجالس موزعة على الأيام والليالي ولم أشترط فيه مبلغاً من العدد محصوراً ولا قدراً من المجالس محظوراً» .

ومن الغريب أننا نجد نفس الأفكار ونفس التعابير عند المبرد الذي يقول في مطلع الباب ٤٦ من كتاب الكامل[1] :

(١) الكامل ص ٤٠٩ نشر رايت (Wright) .

« نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

ومن مقارنة هذين النصّين نلاحظ أن المؤلفين معاً يجملان شرط كتابهما الاستراحة والاستطراف وتجنّب الملل والإتعاب .

ويمضي المعافى في المقدمة فيذكر لنا أسماء مؤلفات مماثلة لكتابه فيعدد كتاب « الجواهر » و « زاد المسافر » و « الزهرة » و « أُنس الوحدة » ، وتعجبه هذه الأسماء وتروقه على أنها عناوين كتب بينما لا يروقه ولا يعجبه عنوان كتاب المبرد : الكامل ، فهو بعد أن يمتدح بعض فضائله ينقده بعنف ويذكر أنه لا يجد فيه شيئاً من الكمال ويقول عنه أنه لا يستحق العنوان الذي أعطاه إياه المبرد .

ثم ينقد المعافى بشكل أكثر اعتدالاً الصولي الذي روى عنه بعض الأحاديث ويتكلم عن كتابه « الأنواع » الذي لا نعرف عنه إلا اسمه الذي ورد في خزانة الأدب [1] ، ويقول عنه إن هذا الكتاب حسن التقسيم ولكنه لا يعالج موضوعه معالجةً عميقة ، ثم يتكلم عن كتاب آخر للصولي مجهول تماماً واسمه كتاب « النوادر » .

ثم يعود الى ذكر كتابه فيقول عنه :

« وضمنته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره ومُلحه ونوادره وذكرت فيه أصولاً من العلم أتبعتها شرح ما يتشعب منها ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال ، مما يؤمن معه الملال ، ومن وقف على ما أتيت به من هذا علم أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال » .

---

(١) خزانة الأدب ٣ : ٥٣ .

ويوجه هذا اللوم الى « كامل » المبرد لنقص الأسانيد فيه ، وليس المعافى وحده هو الذي لاحظ على المبرد حذف الأسانيد ، وإنما هناك آخرون اتجهوا الى نفس الملاحظة كما نجد عند ياقوت في « إرشاد الأريب » حيث تطالعنا كلة لنفطويه : « ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وابي العباس ابن الفرات » [1] .

ويجب القول بأن المعافى يذكر كل خبر بإسناده ويذكر تاريخ الإسناد أحياناً ، ومن النظر في هذه التواريخ نلاحظ أنها تمتد بين سنة ٣١٤ — ٣٢٩ ، وإذن فالمعافى استمد مواد كتابه مما حفظه أو تعلمه وهو صغير بين سن التاسعة وسن الرابعة والعشرين .

وسيكون من محاولتنا أن ندرس كتاب الجليس وأن نعرف الى أي حد كان المعافى أميناً على هذا المنهج الذي تحدث عنه في المقدمة ، وليس في وسعنا أن نحلل الكتاب كله ولذلك سنكتفي بالنظر في مجلس واحد ، دون تعيين ، وليكن المجلس الرابع .

المجلس الرابع

يبدأ المجلس برواية حديث عن عائشة :

« حدثنا أحمد بن اسحق بن بهلول إملاءً في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلثمائة قال حدثنا أبي عن أبيه عن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الشعر حكما وإن أصدق بيت تكلمت به العرب قول الشاعر : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ » .

(١) ارشاد الأريب نشر مارجوليوث (Margoliouth) ٧ : ١٣٨ .

ثم يأخذ المعافى بالشرح فيذكر اسم الشاعر والشطر الثاني من البيت والبيت الذي يليه :

« قال القاضي أبو الفرج (يعني المعافى) : هذا البيت الذي حكاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قائله من الشعراء هو للبيد بن ربيعة افتتح به كلمة فقال في أولها :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وبعده :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيهيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ » .

ثم يروي عن عثمان أنه « لما سمع قوله : وكل نعيم لا محالة زائلُ ، قال : كذب ، نعيم أهل الجنة لا يزول » .

ويعلق على رأي عثمان بقوله : « وهذا القول من عثمان يدلّ على أن مذهب القوم في العموم هو جارٍ في لغتهم على الشمول عند تجرّده واستغراق الجنس بإطلاق لفظه » .

ويقف عند كلمة « دويهية » الواردة في بيت لبيد فيقول : « وأما قول لبيد في البيت الآخر دويهية على التصغير ، فمن الناس من يقول : هو تصغيرٌ معناه التكبير ، وجعله مثبتو الأضداد في اللغة من الأضداد ، وقال بعضهم : بل هو على تصغيره وإنما أريد به أنه إذا كان التصغير منه يبلغ هذا المبلغ ويؤثر هذا الأثر فكبيره أعظم وأبلغ » .

وهذا التناقض بين شكل الكلمة « تصغير » ومعناها « تكبير » يدعو المعافى الى الاهتمام بالمسألة وإبداء رأيه الخاص في صيغ التصغير ودلالتها فيقول :

« ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري وما علمتُ أحداً سبقني اليه ولا تقدّمني فيه ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء نبهني اليه ، وهو أن الاسم المصغّر إنما قصد به الدلالة على صغر ذاته وقلة أجزائه <١> وتعلّقه بجزء

يسير في نفسه ؛ فأما الصغير في ذاته وقلة أجزائه فكالحُجَيرة الصغيرة التي ليست حُجرة كبيرة ، وأما المتعلق بشيء يسير فكقولك : أتيتك قُبَيْلَ العصر أو بُعَيْدَ الفجر ، فبُني <على> أن المتقدم من الزمان في قولك قُبَيْلَ يسيرٌ قليلٌ والمتأخر منه في قولك بُعَيْدَ قصيرٌ ليس بطويل ، ونحو هذا قُدَيْدِيمَة ووُرَيِّئَة في قُدّامَ ووراءَ يجري الأمر فيه من جهة الأمكنة مجراه فيما قدّمناه من باب الأزمنة كما قال الشاعر :

قديديمةُ التجريبِ والحِلْم أنني أرى غفلاتِ العيشِ قبلَ التجاربِ

فظنّ من قال : إن التصغير في هذا الباب تكبير لما رأى ، أن القصد من قائله الإشعار بأمر عظيم وخطب كبير جسيم ، ولو تأمل هذا الظانّ الأمر في هذا لبان له أن الصغير على صغره ، فانه نتج كبيراً أو أدى اليه عظيماً في نفعه أو ضرره ، وكل واحدٍ من الأمرين على حقيقته في نفسه وخصوصيته في جنسه ، فالدويهية ههنا صغيرة جرّت أمراً كبيراً » .

ويستمرّ المعافى على هذه الفكرة الأخيرة بقوله : « كما قال :

رُبَّ كبيرٍ هاجه صغيرُ وفي البحورِ تغرقُ البحورُ

وقول القائل من المُحْدثين :

لا تحقرنْ سُبَيْبًا كم جرَّ أمراً سُبيبُ

ثم يمضي المعافى فينقل لنا أن بعض الذين استمعوا الى رأيه هذا انتقدوه فيورد الانتقاد ويردّ عليه ويقول :

« وكان بعض من يتعاطى الأدب ويدأب في طلب المعاني واستنباط لطيفها سمع مني معنى ما ذكرته في هذا الفصل بعد أن طعن على من قدّمتُ الحكاية عنه في هذا الباب وقال : كيف يكون الصغير كبيراً ؟ وإذا جاز هذا جاء منه أن يصح قول من قال : الداء هو الدواء ، والسقم هو الشفاء ، وهذا مما عبرت عن معناه بلفظي دون لفظ المتكلم به ، لأنني لم أحمد لحفظه ولأنه كان

غير بليغ في نفسه ولا مستقيم في ترتيبه ، فحكيت معناه بلفظ لم آلُ في إيضاحه وتهذيبه . وقال هذا القائل : إن الذي اجتبيته في هذا غير مخالف للقول الثاني الذي قدَّمت حكايته عن قائله . فكان من جوابي لهذا القائل أنْ قلتُ له : إن الفرق بين قولي وقول من رغبت عن قوله ونسبتني الى موافقته أن هذا الذي حكيت قوله يزعم أن الصغير المذكور اذا جرَّ الى ضرر فكبيره أبلغ في الضرر منه ، وأنا ذهبت الى أن هذا الصغير يؤثر تأثيراً كبيراً من حيث كان جنسه يؤثر نفعاً أو ضرًّا بكيفيته دون كميته ، وضربت لهذا المخاطب مثلاً قرَّبتُ به هذا الفصل عليه لما بعد عنه إدراكه إذ كان الفرق بين هذين القولين لطيفاً جدًّا وكان بينهما من بعض الوجوه تناسب وشبه وتقارب ، فقلت له لمَّا كان من الأشياء ما يكون عند قليل أجزائه منفعة جسيمة أو مضرَّة عظيمة كالدرياق والسم بولغ في العبارة عن المنافع بها لاشتهار هذا المعنى لقول الحباب بن المنذر : أنا جُذَيلها المحكَّك وعُذَيقها المرجَّب ، وفي الاخبار عن الجنس الضارّ قول لبيد :

دويهية تصفرُّ منها الأنامل » .

ويلخص رأيه ورأي معارضيه بقوله :

« وجملة الفصل بين قولي وقول من خالفته وتوهمت أني وافقته أنه عنى بالكمية وعنيت بالكيفية ، وقد يكون من الأشياء ما يؤثر قليله وينتفي تأثيره عن كبيره ، كالحرورا والحُباب والصُرَد والقيرْقيس والبَعوض من الجنس الواحد ، وكنوع من الحيات ذوات الأجسام اللطيفة وعظيم ضررها وقصور الحية الكبيرة المسماة الحُفَّاث في ذلك عنها وإن كانت أعظم خلقاً وأشنع منظراً ، وقد قال أهل العلم بصناعة الطب إن السقمونيا يُنتفع بتناول مقدار منه يسير ذكروه ويقاربه في النفع والضرّ ما قاربه من الأجزاء في المبلغ والقدر ، وإنه اذا بلغ من الكثرة مقداراً متفاوتاً لم يضرر كبير ضرر ولم يظهر في

أخذه ما يظهر بتناول قليله من الأثر في نفع ولا ضرر . ولقد حدثني بعض متفقهي القضاة أن قوماً دسّوا شيئاً كثيراً من السقمونيا في بعض المطاعم الحلوة لرجل كانوا يعاشرونه وكان معروفاً بكثرة الأكل وإنه أكل جميعه وانصرف عنهم ، فندموا على ما كان منهم وأشفقوا على هذا الرجل وعملوا على الفحص عن أمره واستعلام خبره ، فجاءهم يتأوه ويقول لهم : أيّ شيء أطعمتموني ؟ فقد عرض لي قولنج برّح بي . وأما قول هذا المخاطب لي : كيف يكون الداء دواءً والسقمُ شفاءً ؟ فإن هذا قد يوجد معنىً ويُستعمل لفظاً ، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خماراً العارض عن الشراب المسكر يشفي منه شرب شيء مما تولّد الخمار عنه » .

ثم يتابع المعافى في هذا الطريق فيستشهد بطائفةٍ من الشعر ، ويذكر بعض حكايات ، ويورد طائفةً من الأقوال الشائعة عند العرب كقولهم : رُبَّ محنة حدثتْ عن لحظة ، وربَّ حربٍ جُنيتْ من لفظة ، والقليل الى القليل كثير ، والذَّوْد الى الذود إبل ، وقد يملأُ القطر الإناء فيفعم ، وغيره . ويكون في بعض ما يقوله : « واستقصاء هذا الباب وما يضاهيه ويتشعب منه يطول ولا يليق بهذا المجلس الزيادة عليه » .

ولا ينسى المعافى وهو يردّد بعض الأبيات من شعر أبي نواس والأعشى أن يذكر بعض أبياتٍ من نظمه :

« وكنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة على نحو قصيدة مُدْرِك الشيباني في عمرو النصراني ، فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان نعته ونسبت الكلمة به :

سقْمٌ أرى أحسنَ عينٍ تطرِفُ ... تَقوَى به والقلوب تُضعِفُ
كالسمّ في الأفعى يَبقي ويحتِفُ ... تحيـا به والنفوس تُتلفُ

ثم قلت :

دواءُ من أقصده بسُقمِهِ تكراره نحو مرامي سَهمِهِ
كالأفعوانِ يُشتفى من سمِّهِ بشرب درياق كريه طعمِهِ

وقلت أيضاً من كلمة :

وشفائي بسُقْم مقلةِ ظبيٍ قدّ قلبي منه بأحسن قَدٍّ
سقمُها لي شفاءُ دائي إذا جا دَتْ وداءٌ إذا تصدّت لِصدٍّ

وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته » .

وفي نهاية المجلس يحرص المعافى على أن يذكر بعض الحكايات والقصص المسلية التي يختلط فيها النثر بالشعر والطرافة بالتأثير ، فمن ذلك الحكاية التالية :

« حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو معاذ خلف بن أحمد المؤدب عن ابن اسحق الزيادي قال حدثني رجل من العرب قال : كان بيننا وبين قوم حربٌ فلقونا فهزمناهم ، فاذا فتىً منهم قد صبر لنا فجعل لا يحمل على ناحيةٍ من عسكرنا إلا كشفها وهزمها ، ثم احتولناه بأرماحنا فأشفقنا عليه فعرضنا عليه الأمان فقال :

أذُلُّ الحياةِ وذُلُّ المماتِ وكُلاًّ أراه طعاماً وَبيلا
فإنْ كان لا بدَّ من واحدٍ فسيري الى الموتِ سَيْراً جميلا

ثم حملنا عليه فقتلناه فإذا هي امرأة »[1] .

* * *

لقد تحدّثنا عن المجلس الرابع الذي بدأ برواية الحديث وتفسيره وانتهى الى شعر وقصص وحكاياتٍ مسلّية ، والملاحظ أن المؤلف يضيع نظام البحث كما نفهمه الآن ويحكمه الاستطراد ، فتفسير كلمة في بيت من الشعر يدعوه الى الاستشهاد ببيت جديد أو الى ذكر الأبيات المماثلة وهكذا .

(١) انظر الأغاني (بولاق ١٢٨٥) ٤ : ٩٢ .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن الأفكار تتوالد أحياناً الأولى من الأخرى بطريق سببي أعني أن فكرةً تسبب فكرة . وفي دراسة مثل هذه الكتب الأدبية القديمة يجب أن ندع جانباً الطريقة الأوربية المعاصرة التي تجعل الموضوع مركزاً تدور حوله الحوادث أو فكرة محدّدة تتركز حولها الأفكار الثانوية الأخرى ، ذلك لأننا هنا أمام تآليف من نوع آخر ، وفي كتاب أدبي مثل كتاب الجليس يستطيع القارئ أن يجد كلّ الأشياء الممكنة مصفوفة بعضها الى جانب بعض لا على طريقة التركيز والترابط الفكري .

ويستحق أن نلاحظ أن الحكايات الصغيرة التي يوردها المعافى في خلال المجلس أو في نهايته تُستخدم لناحيتين : لتطويل بعض المجالس القصيرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإنهاء المجلس بأثر نفسيّ طيب بعد المناقشات اللغوية المتعبة ، وبصورة عامة نستطيع - بالمقارنة مع كتاب الكامل - أن نقول أن كتاب الجليس مرتب باتجاه أكثر قاعدية وقسوة من كتاب الكامل .

ولا يبدو المعافى تابعاً لمدرسة لغوية معينة فهو يتنقل بين مدرسة البصرة وبين مدرسة الكوفة .

وكتاب المعافى نافع في الدراسات التاريخية لأن أكثر القصص والشعر في هذا الكتاب تعود الى العصر الأموي وهو عصر ليس غنياً بالمصادر القديمة ، وفي هذه الناحية التاريخية يظهر الحجاج بن يوسف هو الشخصية التي يهتمّ بها المعافى ، ولكن يجب القول هنا أنه في كتاب الجليس ليست الحوادث التاريخية الواقعية ولا التأريخ الواقعي المحض هو الذي نجده فيه ، وإنما نجد معلومات تاريخية ، والمسألة هي : الى أيّ حدّ نستطيع أن نعتبر هذه المعلومات التاريخية وقائع معينة متطابقة مع الحقيقة ؟ [1] .

---

(١) انظر H. Ritter في Oriens ٢ : ٢٧٩ و ٢٨٠ و J. Sauvaget, Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman ص ٣٩ — ٤٢ .

لقد وصفنا كتاب الجليس في أول المقال بأنه كتـاب أدب غني قديم ، وأظن أن هذا التعريف يجعلنا نعتقد بأن هذه الأوصاف ليست مبالغة . والغريب أن كتاب المعافى لا يذكر إلا قليلاً ويحكم النادر في كتب الأدب العربي بينما هو لا يقل عن كتاب الكامل للمبرد حجماً وفائدةً وطرافةً ، وأخيراً نجد قصص كتاب المعافى مذكورة غالبًا في « مصارع العشاق » للسراج [١] ، ويذكر المعافى عالمًا بالشعر ونحويًا في « تأريخ دمشق » لابن عساكر [٢] ، ويجري ذكره في « تأريخ بغداد » للخطيب البغدادي [٣] ، وفي كتب التأريخ المؤلفة على أساس السنين وفي كتب التراجم وكتب الأنساب .

والمعافى أحد رجال المذهب الجريري ، وذلك يفسر لنا لِمَ أهمل ، فكأنه انطفأ مع انطفاء المذهب ، وليس هو وحده الذي أهمل بل أهملت معه مؤلفاته الفقهية وبقية كتبه الأدبيـة .

الدكتور ألبرت ديتريش

---

(١) مصارع العشاق للسراج (طبعة استانبول ١٣٠١) ص ٣١٠ و ٣١٤ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ وغيرها .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٠ و ٤٤١ و ٥ : ٦٥ و ٢٤١ وغيرها .

(٣) تأريخ بغداد للخطيب ٨ : ٢٤٩ و ١٣ : ٢٣٠ وغيرها .

فهرست مؤلفات

محيي الدين ابن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ ﻫ)

بقلم

عُني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

— ٥ —

١٣٧ — شجرة الوجود والبحر المورود [١] .

١٣٨ — شجون المشجون وفنون المفتون [٢] .

١٣٩ — شرح تائية ابن الفارض في التصوف [٣] .

١٤٠ — شرح حديث قدسي ومسائل [٤] .

١٤١ — شرح حزب البحر [٥] .

(١) دار الكتب ١ : ٣١٩ ولعله كتاب « شجرة الكون » المطبوع في بولاق سنة ١٢٩٢ ﻫ في ٢٢ ص . ومنه نسخة خطية في الأزهر ٣ : ٥٨٧ .

(٢) الأوقاف ببغداد ٩٧٤٣ — ٩٧٤٥ دار الكتب ١ : ٣٢٠ (نسختان) الظاهرية (زيات . ص ٦٢) الفهرس التمهيدي ص ١٣٥ عمر الواعظ (فهرس سباط ٦٥٨) برلين ٢٩٣٣ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ٨٦ قال : انه قدر خمس كراريس .

(٤) مكتبة المشهد الرضوي ٥ : ١٠٦ الرقم ٥٧٠ .

(٥) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

١٤٢ — شرح حكم الولاية [١] .

١٤٣ — شرح خلع النعلين [٢] .

١٤٤ — شرح رسالة الاستخارة [٣] .

١٤٥ — شرح روحية الشيخ علي الكردي [٤] .

١٤٦ — شرح مقامات العارفين في الاخلاص الى درجة مراتب اليقين [٥] .

١٤٧ — شرح منظومة الحروف التي مطلعها : « الحمد للنور المبين الهادي » [٦] .

١٤٨ — شعب الايمان [٧] .

١٤٩ — شفاء الغليل وبرء العليل [٨] . في المواعظ .

١٥٠ — شق الجيب ورفع حجاب الريب في إظهار أسرار الغيب [٩] .

١٥١ — شمائل النبي [١٠] .

١٥٢ — شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة [١١] .

١٥٣ — شموس الفكر المنقذة من كلمات الجبر والقدر [١٢] .

---

(١) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

(٢) كشف الظنون ٣ : ١٧٢ ؛ ٤ : ٣٧ .

(٣) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

(٤) دار الكتب ١ : ٣٢٢ .

(٥) الأوقاف ببغداد ١٠٠٩٢ (١) .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

(٧) كشف الظنون ٤ : ٤٩ .

(٨) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

(٩) دار الكتب ١ : ٣٢٧ (٣ نسخ) . وقد طبع ضمن « مجموعة الرسائل الالهية » لابن عربي (مطبعة السعادة — القاهرة ١٣٢٥ هـ) . وهو خامس ما في المجموعة .

(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٤ .

(١١) الأزهر ٣ : ٥٩٨ دار الكتب ١ : ٣٢٧ .

(١٢) كشف الظنون ٤ : ٨٠ .

١٥٤ — الشواهد [١] .

١٥٥ — الصحف الناموسية والسجف الناووسية [٢] .

١٥٦ — الصلاة الأكبرية [٣] .

١٥٧ — الصلاة الفيضية [٤] .

١٥٨ — صلوات محيي الدين ابن عربي [٥] .

١٥٩ — صيحة البوم بحوادث الروم [٦] .

١٦٠ — صيغة الصلاة [٧] .

١٦١ — الطب الروحاني في العالم الانساني [٨] .

١٦٢ — الطريقة [٩] .

١٦٣ — العبادلة [١٠] .

---

(١) دار الكتب ١ : ٣٥٤ ولي الدين ١٨٣٢ (٢) فاتح ٥٣٧٦ أسعد ١٣٢٣ برلين ٢٩٣٤ .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٢٧ .

(٣) برلين ٣٦٤٤ (٢) . وقد طبعت في القاهرة سنة ١٣٠٣ و ١٣١٠ هـ . وفي دار الكتب المصرية (١ : ٣٢٣) : « شرح صلاة محي الدين بن عربي لعبد الغني النابلسي (٣ نسخ) ، ولمؤلف مجهول ، ولمحمد بن عمر بن عبد الجليل البغدادي . وفي الظاهرية (حبيب زيات . ص ٦٢) شرح لها للشيخ أبي عصبة .

(٤) قولة ١ : ٢٤٩ .

(٥) دار الكتب ١ : ٣٢٩ (نسختان مختلفتان) .

(٦) برلين ٢٧٤٣ باريس ٢٦٦٩ (١) .

(٧) في دار الكتب (١ : ٣٠٨) : رسالة في شرحها ، لعبد الغني النابلسي .

(٨) برنستن ٩٣٤ .

(٩) Krafft ٤٩٥ .

(١٠) المتحف العراقي ١٩٨٩ (١) (نبذة منه) برلين ٢٩٧٩ ياتنا ٢ : ٤١١ الأزهر ٣ : ٦١٨ دار الكتب ١ : ٣٤٧ . (العبادلة طائفة من الأولياء عدتهم مئة ، تسمّوا بعبد الله) .

١٦٤ — العجالة في التوجّه الأتمّ [١] .

١٦٥ — العروش [٢] .

١٦٦ — عِظة الألباب وذخيرة الاكتساب [٣] .

١٦٧ — عقائد الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي [٤] .

١٦٨ — العقد المنظوم والسرّ المختوم [٥] .

١٦٩ — علوم الحقائق وحكم الدقائق [٦] .

١٧٠ — العلوم من عقائد علماء الرسوم [٧] .

١٧١ — علوم الواهب [٨] .

١٧٢ — عين الأعيان [٩] .

١٧٣ — العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر [١٠] .

١٧٤ — عيون المسائل [١١] .

١٧٥ — الغرباء (رسالة) [١٢] .

---

(١) الأزهر ٣ : ٦٠٢ ؛ برلين ٢٩٤٦ .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٥ .
(٣) دار الكتب ١ : ٣٤٥ (نسختان) الفهرس التمهيدي . ص ١٣٩ الظاهرية تصوف : ٣٤٨ المجلس الملي (طهران) ٦٦٣ غوطا ٣ : ١٦ باريس ١٣٤٤ .
(٤) كشف الظنون ٤ : ٢١٥ .
(٥) كشف الظنون ٤ : ٢٣٥ .
(٦) عقود الجوهر . ص ٣٥ .
(٧) اسكوريال ٤١٧ (٢) .
(٨) عمومية ٣٧٥٠ .
(٩) المتحف العراقي ٥٩٧ (١) وهي بخط المؤلف .
(١٠) كشف الظنون ٤ : ٢٨٤ .
(١١) دار الكتب ١ : ٣٣٣ .
(١٢) دار الكتب ١ : ٢٠٣ .

١٧٦ — الغنى في المشاهدات [١] .

١٧٧ — الغوامض والعواصم [٢] .

١٧٨ — الغوثية [٣] .

١٧٩ — فائدة [٤] .

١٨٠ — الفتوحات المدنية [٥] .

١٨١ - الفتوحات المصرية [٦] .

١٨٢ — الفرق الست الباطلة وذكر عددها [٧] .

١٨٣ — فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي [٨] .

١٨٤ — الفناء في المشاهدة [٩] .

١٨٥ — فهرست مؤلفات محيي الدين ابن عربي [١٠] .

١٨٦ — قاعدة في معرفة التوحيد [١١] .

---

(١) باتنا ٢ : ٣٤٣ .
(٢) كشف الظنون ٥ : ١٢٨ .
(٣) الأزهر ٣ : ٥٧٥ الفهرس التمهيدي . ص ١٣١ الاسكندرية : تصوف . ص ٣٤ غوطا Pers ٥ (٧) المتحف البريطاني ٧٥٤ (٥) اسكوريال ٢ : ٤١٧ (٢) برمنكهام ٦٧٨ [رسالة الغوث]
(٤) غوطا ١٢٧٨ .
(٥) عقود الجوهر . ص ٣٥ .
(٦) عقود الجوهر . ص ٣٥ .
(٧) المكتب الهندي ٦٥٧ (٥) قال وهي : الرافضة ، الخارجية ، الجبرية ، القدرية ، الجهمية ، المرجئة .
(٨) نفح الطيب ١ : ٤٠٤ .
(٩) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدراباد ١٣٦٣ هـ ؛ ٩ ص) وهو أول مافي المجموعة . ومنه نسخ خطية في : برلين ٢٩٤٥ فينة ١٩١٠ (٧) تذكرة النوادر ٣٦٩ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٧) جون ريلندز ١٠٦ (٩) .
(١٠) وهو هذا الذي ننشره في نسخة من خزانتنا .
(١١) دار الكتب ١ : ٣٤٠ .

١٨٧ — قبس الأنوار وبهجة الأسرار [١] .

١٨٨ — القربة وفلك الغربة [٢] .

١٨٩ — قصيدة في مناسك الحج [٣] .

١٩٠ — القطب والامامين والمدلجين [٤] .

١٩١ — القطب والنقباء [٥] .

١٩٢ — القول النفيس في تفليس إبليس [٦] .

١٩٣ — كتاب الكتب [٧] .

١٩٤ — كتاب النفس [٨] .

١٩٥ — كتاب المعاريج [٩] .

١٩٦ — كشف الأسرار وهتك الأستار : وهو تفسير القرآن في عشرين مجلداً [١٠] .

---

(١) ليدن ١٢٢٠ .

(٢) طبع ضمن « مجموع الرسائل الإلهية » لابن عربي (القاهرة ١٣٢٥ ﻫ) ، كما طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدرآباد ١٣٦٣ ؛ ٩ ص) وهو سابع ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ ٣٤٠ و ٣٦٢ المجلس الملي (طهران) ٥٩٤ (٢) تذكرة النوادر ٣٧٢ برلين ٢٩١٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٩) ياتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٢٧) .

(٣) الجزائر ١٦٢ .

(٤) عقود الجوهر . ص ٣٦ ..

(٥) الأزهر ٣ : ٥٦٨ دار الكتب ١ : ٣١١ برلين ٢٩٦٤ فينة ١٩١٠ (٥) .

(٦) طبع في القاهرة سنة ١٢٧٧ ﻫ في ٢٨ ص .

(٧) تذكرة النوادر ٣٥٧ .

(٨) كشف الظنون ٥ : ١٦٥ .

(٩) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٦ . ولا نعلم ما علاقة هذا التفسير بالتفسير الذي وصفه المؤلف نفسه في الرقم ٦ من فهرسته .

١٩٧ — الكشف الإلهي لقلب ابن عربي [١] .

١٩٨ — كشف الران (منظومة في الزايرجة) [٢] .

١٩٩ — كشف سر الوعد وبيان علامة الوَجْد [٣] .

٢٠٠ — كشف الغطاء لاخوان الصفاء [٤] .

٢٠١ — الكشف الكلي والعلم الاني في علم الحروف [٥] .

٢٠٢ — كشف الكنوز [٦] .

٢٠٣ — الكلام في قوله تعالى : لا تدركه الأبصار [٧] .

٢٠٤ — الكنز المطلسم من السر المعظم [٨] في علم الحروف .

٢٠٥ — كوكب الفجر في شرح حزب البحر [٩] .

٢٠٦ — كون الله سبق قبل أن فتق ورتق [١٠] .

٢٠٧ — كيمياء السعادة لأهل الارادة [١١] .

٢٠٨ — لغة الأرواح [١٢] .

---

(١) عقود الجوهر . ص ٣٥ .

(٢) لها شرح ، لشارح مجهول ، في برنستن ٩٤٩ ؛ وشرح آخر لعلي بن سليمان السالمي المالكي ؟ في الاسكندرية (حروف ١٤) .

(٣) المتحف العراقي ٥٩٧ (١١) وهي بخط المؤلف .

(٤) عقود الجوهر ص ٣٥ .

(٥) كشف الظنون ٥ : ٢١٣ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٧) تذكرة النوادر ٣٥١ .

(٨) الظاهرية (حبيب زيات . ص ٤٩) .

(٩) برنستن ١٩٤٦ .

(١٠) ولي الدين ١٨٢٠ ليدن ٢٠٣٩ بدليان (اكسفرد) ١ : ١٥٨ .

(١١) برلين ٢٩٣٦ باريس ١٣٤٣ (١) برمنكهام ٦٧٣ دار الكتب ١ : ٣٥٠ (نسختان) وعنوانه فيها « كيمياء السعادة وبلوغ الارادة في كلمتي الشهادة » .

(١٢) المتحف البريطاني ٢٣ .

٢٠٩ — اللمع الأفقية[١] .

٢١٠ — اللمعة النورانية[٢] .

٢١١ — لواعج الأسرار ولوائح الأنوار[٣] .

٢١٢ - ما أتى به الوراد[٤] .

٢١٣ — ما لا يعوّل عليه من أحوال الفقراء والمتصوفين[٥] .

٢١٤ — ماهية القلب[٦] .

٢١٥ — مائة حديث وحديث قدسية[٧] .

٢١٦ — المباحث الحلبية[٨] .

٢١٧ — متابعة القلب في حضرة القرب[٩] .

٢١٨ — المدخل الى علم الحروف[١٠] .

٢١٩ — المدخل الى معرفة مأخذ النظر في الأسماء والكنايات الإلهية الواقعة في الكتاب العزيز والسنّة[١١] .

٢٢٠ — المدخل الى المقصد[١٢] .

---

(١) غوطا ٩١٤ (٢) .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٦ .
(٣) كشف الظنون ٥ : ٣٣٩ .
(٤) آصفية : تصوف ٥١ .
(٥) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
(٦) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٤) .
(٧) دار الكتب ١ : ١٤٢ .
(٨) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
(٩) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(١٠) كشف الظنون ٥ : ٤٧٢ .
(١١) برلين ٢٩٦٣ المتحف البريطاني ٦٢٧ (١٨) المكتب الهندي ٦٥٨ أبسالة ٣٩٣ (٣).
(١٢) كشف الظنون ٥ : ٤٧٣ .

٢٢١ — مرآة العارفين فيما يتميز بين العابدين [١] .

٢٢٢ — مرآة العاشقين ومشكاة الصادقين [٢] .

٢٢٣ — مرآة المعاني لإدراك العالم الإنساني [٣] .

٢٢٤ — مراتب التقوى [٤] .

٢٢٥ — مراتب علوم الوهب [٥] .

٢٢٦ — المسائل [٦] .

٢٢٧ — المشارع [٧] .

٢٢٨ — المشرقات المدنية في الفتوحات الإلهية [٨] .

٢٢٩ — مشكاة المعقول المقتبسة من نور المنقول [٩] .

٢٣٠ — المضاددة في علم الظاهر والباطن [١٠] .

٢٣١ — مظهرة عرائس المخبآت باللسان العربي [١١] .

٢٣٢ - معارج الألباب في كشف الأوتاد والأقطاب [١٢] .

٢٣٣ — المعارج القدسية [١٣] .

---

(١) ماتنا ٢ : ٤١٠ .
(٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(٣) غوطا ١٢٦٥ ؛ ١٢٦٦ — ١٢٠٥ ليدن ١٦٩٩ باريس ١٦٩٩ (٣) اسكوريال ٢ : ٧٠٧ (٢) .
(٤) كشف الظنون ٥ : ٤٨٦ .
(٥) ماتنا ١ : ١٣٤٣ برلين ٢٩٤٦ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٨) جون ريلندز ١٠٦ (١٥) .
(٦) تذكرة النوادر ٣٥٨ .
(٧) كشف الظنون ٥ : ٥٤٥ .
(٨) عقود الجوهر ٣٧ .
(٩) جون ريلندز ١٠٦ (١٧) وفي كشف الظنون (٥ : ٥٦٠) : مشكاة العقول
(١٠) برلين ٢٩٥٥ .
(١١) في برنستن (الرقم ١٩٤٧) شرح لها ، لأحمد الجوهري الخالدي (١١٣٢ — ١١٨٧ هـ) .
(١٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .
(١٣) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

٢٣٤ — معرفة أسرار تكبيرات الصلاة [١] .

٢٣٥ — معرفة رجال الغيب [٢] .

٢٣٦ — المعرفة في المسائل الاعتقادية [٣] ، وهي مسائل كلامية .

٢٣٧ — المبشرات [٤] ، وهي قصيدة في بيان أحوال العباد .

٢٣٨ — المعوَّل على المؤوَّل عليه [٥] .

٢٣٩ — مغناطيس القلوب ومفتاح الغيوب [٦] .

٢٤٠ — مفاتيح مغاليق العلوم في السر المكتوم [٧] .

٢٤١ — المفادات التفسيرية القطبية [٨] .

٢٤٢ — مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل [٩] .

٢٤٣ — مفتاح الجفر الجامع [١٠] .

٢٤٤ — مفتاح الحجة وايضاح المحجة [١١] .

٢٤٥ — مفتاح دار الحقيقة (الباء) [١٢] .

---

(١) تذكرة النوادر ٣٦٨ .

(٢) جون ريلندز ٣٦٩ (٤) .

(٣) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٠) .

(٤) دار الكتب ١ : ٣٦٠ برلين ٢٩٨٦ باريس ٣١٧١ (٣) المتحف البريطاني ١٥٢٧ (٢) اسكوريال ٢ : ٤١٧ (١) . وقد شرحها الشيخ عثمان عبد المنان ، وطبع الشرح في الآستانة سنة ١٣٠٦ ﻫ بعنوان « مأوى الرغائب في مجد النصائح » .

(٥) عمومية ٣٧٥٠ .

(٦) دار الكتب ١ : ٣٦١ .

(٧) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٨) عقود الجوهر . ص ٣٦ .

(٩) الاسكندرية ٢١١٨ د الفهرس التمهيدي ١٤٥ .

(١٠) برلين ٤٢١٣ باريس ٢٦٦٩ (١٤) (؟) المتحف البريطاني Or. ١٠٨٨٧ [= الجفر الجامع] .

(١١) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(١٢) برلين ٢٩٧٢ باريس ١٣٣٩ .

٢٤٦ — مفتاح المقاصد ومصباح المراصد[١] .

٢٤٧ — المقامات السنية المخصوصة بالسادة الصوفية[٢] .

٢٤٨ — المقدار في نزول الجبار[٣] .

٢٤٩ — المقصد الأسمى في اشارات ما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الكنايات والأسماء[٤] .

٢٥٠ — المقنع في الكيمياء[٥] .

٢٥١ — المكاتبات[٦] .

٢٥٢ — منتخب من أسرار الفتوحات المكية[٧] .

٢٥٣ — منزل القطب ومقامه وحاله[٨] .

٢٥٤ — منزل المنازل[٩] .

٢٥٥ — منشأ الخليقة[١٠] .

٢٥٦ — منهاج التراجم[١١] .

٢٥٧ — منهاج العارف والمتقي ومعراج السالك والمرتقي[١٢] .

---

(١) جامع الباشا بالموصل (مخطوطات الموصل . ص ٧٠ الرقم ٣٦١) .

(٢) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(٣) المتحف العراقي ٥٩٧ (٦) وهي بخط المؤلف

(٤) جون ريلندز ١٠٦ (٢٢) .

(٥) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(٦) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(٧) دار الكتب ١ : ٣٦٤ .

(٨) تذكرة النوادر ٣٥٤ .

(٩) عقود الجوهر . ص ٣٧ .

(١٠) خزانة الامام الأعظم ببغداد .

(١١) دار الكتب ١ : ٣٦٥ (نسختان) .

(١٢) برلين ٢٩٨٤ — ٢٩٨٥ .

٢٥٨ — الموازنة [١] .

٢٥٩ — منافع الأسماء الحسنى [٢] .

٢٦٠ — مولد الجسماني والروحاني [٣] .

٢٦١ — مولد النبي [٤] .

٢٦٢ — نتيجة الحق [٥] .

٢٦٣ — نثير البياض في روضة الرياض [٦] .

٢٦٤ — النجاة من أسرار الصفات [٧] .

٢٦٥ — نزهة الأرواح [٨] .

٢٦٦ — نزهة الحق [٩] .

٢٦٧ — نزهة الأكوان في معرفة الانسان [١٠] .

٢٦٨ — نسبة الخرقة [١١] .

٢٦٩ — نسبة الحق [١٢] .

---

(١) برلين ٢٩٣٩ .
(٢) عقود الجوهر ص ٣٧ .
(٣) كشف الظنون ٦ : ٢٧٠ .
(٤) ياتنا ٢ : ٤٠٧ .
(٥) دار الكتب ١ : ٣٦٨ (٥ نسخ) . ولعل هذا الكتاب هو الذي سيجيء ذكره في الرقم ٢٦٩ .
(٦) المتحف العراقي ٥٩٧ (٧) وهي بخط المؤلف .
(٧) عقود الجوهر . ص ٣٨ .
(٨) عقود الجوهر . ص ٣٨ .
(٩) عقود الجوهر . ص ٣٨ .
(١٠) عقود الجوهر . ص ٣٨ .
(١١) برلين ٢٩٨١ — ٢٩٨٢ المكتب الهندي ٦٥٧ (٣) بروسه (Haraccizade) تصوف ٥٣ (٢) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٣٦) [رسالة في سلسلة نسب الخرقة الصوفية] .
(١٢) دار الكتب ١ : ٣٧٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٥) ياتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٨) .

٢٧٠ — النصائح القدسية [١] .

٢٧١ — نفحات الأفلاك [أو السر المكتوم] [٢] .

٢٧٢ — نفث الأوان من روح الأكوان [٣] .

٢٧٣ — نفح الروح (رسالة) [٤] .

٢٧٤ — النقباء [٥] .

٢٧٥ — نقش فصوص الحكم [٦]: اختصره مؤلفه من كتاب «فصوص الحكم» .

٢٧٦ — وصف تجلّي الذات [٧] .

٢٧٧ — وصية حكمية [٨] .

٢٧٨ — الوعاء المختوم على السرّ المكتوم [٩] .

٢٧٩ — اليقين (رسالة) [١٠] .

— انتهى —

(١) عقود الجوهر . ص ٣٨ . ولعله « الوصايا القدسية » المذكور أيضاً في عقود الجوهر . ص ٣٨ .
(٢) الاسكندرية : حروف ١٩ .
(٣) الاسكندرية : تصوف ٥٠ .
(٤) الأوقاف ببغداد ٩٧٢٤ (١) خزانة الإمام الأعظم ببغداد .
(٥) آصفية : تصوف ٥٠ .
(٦) تذكرة النوادر ٣٦٣ .
(٧) برلين ٢٩٢٩ — ٢٩٣٠ .
(٨) الأزهر ٣ : ٦٥١ (نسختان) كامل الغزي (فهرس سباط ٦٥٧) مصطفى طاس (فهرس سباط ٦٥٧) تذكرة النوادر ٣٦٢ برلين ٣٩٩٥ برمنكهام ٦٨١ . وقد طُبعت في المطبعة الميرية بمكة .
(٩) المتحف العراقي ١٧٨٥ الخزانة القادرية ببغداد دار الكتب ١ : ٣٧٦ (٣ نسخ) الاسكندرية : تصوف ٥١ .
(١٠) الأزهر ٣ : ٦٥٢ جون ريلندز ١٠٦ (٢٩) .

تعقيب

بعد أن فرغنا من تحقيق هذه الرسالة ونُشر قسمها الأول في هذه المجلة (٢٩ [١٩٥٤] ص ٣٤٥ وما بعدها)، كتب الينا صديقنا الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد، أنّ المستشرق الاسباني اسين بلاثيوس (Asin Plalacios)، عُني بابن عربي عناية كبرى، فنشر دراسات مختلفة، ذكرنا إحداها وفاتنا التنويه بسائرها. وهذا ما بعث به الينا من عناوين تلك الدراسات :

١ — La Psicologia del extasis en dos grandes misticos musulmanes (Algazel y Mohidin Abenarabi) en « Cultura Espanôla » pp. 209 — 235 : Madrid 1906.

٢ — El mistico murciano Abenarabi.

نُشر في أربعة أقسام، في مجلة مجمع مدريد Boletin de la Real Academia de la Historia : يُرمز الى هذه المجلة بالأحرف (B R A H).

وهذه الأقسام الأربعة هي :

I. Autobiografia cronologica (BRAH , Vol. LXXXVII ; Madrid 1925 ; pp. 96 — 173).
II. Noticias Autobiograficas de su « Risalat al - Cods » (Vol. LXXXVII ; pp. 512 — 611).
III. Caracteres generales de su sistema. (Vol. LXXXVIII ; 1926, pp. 582 — 637).
IV. Su teologia y sistema del cosmos. (Vol. XCII ; 1928, pp. 654 - 751).

٣ — El Islam cristianizado. Estudio del « Sufismo » a traves de las obras de Abenarabi de Murcia. (Madrid, 1931).

وقد نُقل هذا الكتاب الى الفرنسية فيما بعد بعنوان :

L'Islam Christianisé : caractères de la spiritualité d'Ibn Arabi. (Traduction del Padre Barea).

٤ — De la Mystique d'Abenarabi. Les états, les demeures et les charismes. (Toulouse, 1931).

★ ★ ★

وذكر لنا صديقنا الأستاذ الدكتور مصطفى جواد ، أن ترجمة قصيرة لابن عربي ، وردت في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد » لابن الدبيثي ، انتقاء الذهبي (الجزء الأول . بغداد ١٩٥١ ؛ ص ١٠٢ الرقم ١٩٨) .

★ ★ ★

كما أننا عثرنا أيضاً على ترجمة ابن عربي ، في مصادر أخرى مختلفة ، نذكرها فيما يأتي إتماماً للبحث :

١ — أرسلان (الأمير شكيب) : الحُلَل السُندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (٣ [القاهرة ١٩٣٩] ص ٥١٤ — ٥٢٨) .

٢ — براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٤ ؛ ص ٦٣٣ — ٦٣٧) . وهذا البحث يُرى في أصل الكتاب بالانكليزية :

Browne (E. G.), Literary History of Persia. (Vol.2. Cambridge 1928 ; P. 497 - 501).

٣ — مبارك (الدكتور زكي) : مكانة ابن عربي في الأدب والتصوف (التصوف الاسلامي ١ [القاهرة ١٩٣٨] ص ١٦٠ — ٢١٠ ، ٢٣٢ — ٢٣٤) .

٤ — Asin Palacios: Mohidin, in « Homenaje a Menéndez y Pelayo » (Madrid, 1899 ; II, 217 - 256).

٥ — Hartmann (R.), Kleinere Schriften des Ibn al-Arabi, ed. H. S. Nyberg. (Der Islam. XIII, 1932 ; p. 132 - 134).

٦ — Huart (Cl.), A History of Arabic Literature. (London, 1903 ; p. 277 -278).

٧ — Nicholson (Reynold A.), A Literary History of the Arabs. (London, 1923 ;p. 399 - 404).

٨ — — Muhyi al-Din ibn al-Arabi, (Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol. VIII, p. 907 - 909).

٩ — Ibn Arabi. (Encyclopadia Britannica. 14 th ed., Vol. 12 ; p. 32).

★ ★ ★

ولسنا ندّعي فيما ذكرنا في صدر « المقال » ، ثم في هذا « التعقيب » من دراسات عن ابن عربي ، أننا أحطنا بذكر كلّ ما ظهر منها . فلعله يقوم غداً مَن يستدرك على ذلك . وما لا بدّ من الإشارة اليه ، أن هذا الرجل قد اهتمّ بكتبه وآرائه جمهرةٌ كبيرة من الباحثين فأشبعوها درساً ونقداً وتمحيصاً . وما نشروه من ذلك لشتّت في غير لغة ، ولا سيما في العربية والاسبانية والانكليزية والألمانية والفرنسية .

(بغداد) كوركيس عواد

مقدمة المرزوقي

لشرح حماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٥ —

قال (وجزالة اللفظ واستقامته) .

كثر في كلام أئمة النقد وصناعة الانشاء والشعر ذكر وصف الجزالة في محاسن الألفاظ وقد عدّها المؤلف في محاسن المعاني أيضاً إذ قال [1] « فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلةً عذبة » .

ولم أرَ منهم من أفصح عن مقومات هذا الوصف وشرائط حصولها وأنا أبذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا الوصف وأقدم ما هو منه وصف للفظ ثم أتبعه بما هو منه وصف للمعنى على سبيل الاستطراد وإكمالاً للفائدة .

فأما الجزالة فهي وصف للفظ مأخوذ من صفات الناس إذِ الجزالة في الإنسان هي جودة رأيه وكمال عقله ، فبها يكون كامل الانسانية ـ وهي في اللفظ عرّفها ابن مكرم في لسان العرب فقال : « الكلام الجزل : القويُّ الشديد ، واللفظ الجزل خلاف الركيك » .

وظاهر أن مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب أو المفرد لا الى مبناه وصورته فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا غرابة الكلمة .

(١) صفحة ٨٦ من النشرة .

فلنتطلب حقيقة الجزالة عند أئمة النقد ونتقصها من آثار كلامهم ونتعرفها من تعرف ضدها الذي يقابلونها به فابن رشيق في العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفاً يظهر منه أنه أراد به التفسير قال [١] « منهم قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضريّةً هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وقال [٢] : « وشبه قومٌ أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة » ووصف عبد القاهر الجزالة فقال [٣] : « من البراعة والجزالة وشبهها مما ينبئُ عن شرف النظم » .

وقال [٤] عند ذكر النظم « أن تقتفي في نظم الكلم آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس » . وذكر ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد [٥] « الجزالة فقال عند ذكر لبيد « شعره ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصالة ، فلا تسمع إلا كلاماً فصيحاً ، ومعنى مبيناً صريحا » [٦] .

وقال في ابن هانئ الأندلسي : « إلا أنه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق ، يُؤَثّر في النيق » [٧] فجعل الجزالة وصفاً للمباني أي الألفاظ . وقال ابن الأثير في المثل السائر في المقالة الأولى في الصناعة اللفظية [٨] : « قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي بيت فجاءت في القرآن جزلةً متينة وفي

---

(١) صفحة ٨٠ من طبعة أمين هندية بمصر .
(٢) صفحة ٨٥ من تلك الطبعة .
(٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الإعجاز طبع مطبعة المنار .
(٤) صفحة ٣٩ من الكتاب المذكور .
(٥) طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٣١ في مجموعة رسائل البلغاء .
(٦) صفحة ٢٤٤ من مجموعة رسائل البلغاء نشر الأستاذ محمد كرد علي طبع البابي بمصر سنة ١٣٣١ .
(٧) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة .
(٨) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢ .

الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب في هذين الوصفين الضدين أما الآية فقوله تعالى : «ان ذالكم كان يؤذي النبي» وأما البيت فقول أبي الطيب :

تلذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ومن يعشقْ يلَذَّ له الغرامُ

وقال أبو البقاء العكبري في كلياته «الجزالة إذا أُطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة» اهـ . وقلتُ قد رأيتهم يقابلون الجزالة مرةً بالرقة ومرةً بالركاكة ومرةً بالضعف ومرةً بالكراهة فحصل لنا من معنى الجزالة أنها كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ الكاتب أو الشاعر ألفاظاً متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء سالمةً من ركاكة المعنى ومن أثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة أو بالكلام فهذه الجزالة صفة مدح وقد مثّلوا للركاكة بقول بعضهم :

يا عتْبَ سيدتي أما لكِ دينُ حتى متى قلبي لديكِ رهينُ
فأنا الصبورُ لكل ما حملتني وأنا الشقي البائسُ المسكينُ

وفيه ركاكة من جهات منها كون المعنى أجوف دائراً بين جميع العامة وكون جل الألفاظ مرذولاً وذكر البائس والمسكين بعد الشقي وفي الشقي ما يغني عنهما .

ومن الركاكة قول الخوارزمي يخاطب بديع الزمان الهمذاني :

وإذا قرضتُ الشعر في ميدانه لا شك أنك يا أخي تنشقُّ (١)

فقوله في ميدانه لا موقع له وقوله يا أخي لا مقام له لأن الكلام في مقام مناظرة ومشادة .

وإذا قابلوا الجزالة بالرقة فانما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة كقول أشجع :

وعلى عدوِّك يا بنَ عم محمدٍ رَصَدان ضوءُ الشمس والإظلامُ
فاذا تنبه رُعْتَه وإذا غفا سلّتْ عليه سيوفَك الاحلامُ

(١) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجوايب بالاستانه .

ويريدون بالرقة نسجه على منوال المحدثين في اللين والظرف وأظهر مثال جمع هذين الوصفين قول جميل :

ألا أيها النُّوَّام ويحكم هبوا　　أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحُبُّ

قال بعض أئمة الأدب «هذا البيت أوله اعرابي في شملته وآخره مخنث من مخنثي العقيق يتفكك» .

ألا ترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو قال أفديكم لاعتاض عن الجزالة بالرقة . وقد تقال الجزالة في هذا الإطلاق على الكلام الذي يصدر في أغراض تناسبها الشدة كالرثاء والحماسة وتقال الرقة على كلام في أغراض يناسبها اللين واللطافة كالنسيب والزهريات والملح . والجزالة في هذا كله من صفات الألفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتمثيل وتشبيه وكناية وأنواع البديع . وأما المعاني الوضعية فتأتي بطبع سياق الكلام وتأتي الألفاظ تبعاً للمعاني .

وأما استقامة اللفظ فهي وصف نِسْبي يعرض للفظ في حين انتظامه في الكلام فان للألفاظ معاني موضوعة لها ولها معان كثر استعمالها فيها ولها معان يستعملها المتكلم فيها على وجه المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك فاستقامة اللفظ هي وفاؤه بالمراد الذي استعمله فيه البليغ دون خطأ ولا تقصير ولا غموض . فمن الاستقامة السلامة من التعقيد المعنوي أو السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ إما لقصورٍ في معرفة اللغة وإما لغفلةٍ كاستعمال اللفظ الدال على الأعمّ في حين إرادة الأخص . وفي بعض هذا المقصد ألفت الكتب المنبهة على أخطاء الخاصة مثل درة الغواص للحريري وقد أشار المؤلف الى هذا بقوله الآتي «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال . وقوله : وهذا في مفرداته وجملته مراعى» .

(والإصابة في الوصف) المراد بالوصف معناه المصدري وهو التصوير والايضاح قال تعالى «وتصف ألسنتهم الكذب» وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال لأن ذلك أخص من المقصود هنا . فإصابة الوصف هي أن يصور المتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير انعكاس ولا انتقاض ، وضد إصابة الوصف الخطأ فيه كلاً وهو الغلط أو بعضاً وهو العيب أي عيب النقص في التوصيف . والشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكاتب لأن الشاعر يكثر منه تخيل المعاني عن غير مشاهدة فربما أخطأ في تخيله أشياء لم يعتد الإحاطة بصفاتها أو خفي عنه بعض ما يدق من مشاهدته إياها . وقد عُدّ بشار بن برد من أعجوبات الشعراء إذ كان مع عماه لا يكاد يخطئ في الأوصاف الدقيقة وحسبك بيته المشهور :

كأنّ مُثارَ النقع فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبه

(ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات) أي ان ما استوفى من النثر والشعر هذه الأسباب الثلاثة فيه توجد الأمثال السائرة والأبيات الشاردة فكثرت في المآثر الأدبية في الجاهليين والمولدين فالأمثال موجودة في الشعر بأن يكون المصراع أو جزء منه سار مثلاً كقول أبي أخزم الطائي « شنشنة أعرفها من أخزم » وقبله :

إنّ بَنِيّ رَمّلُوني بالدَّمِ من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلم

وقول بشر بن أبي حازم «أحقّ الخيل بالركض المعارُ» من أبيات انظرها في مجمع الأمثال في باب الحاء . وأما ما كان بيتاً كاملاً يتمثل به الأدباء فذلك لا يسمى مثلاً وإنما يسمى تمثلاً . ومعنى السائرة الفاشية بين أهل اللسان فشبه الفشو بالتنقل في أمكنة كثيرة بجامع تكرر عروضه للحواس وهو السير وفي الكشاف : «ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول

والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير » . وأراد بالغرابة أنه قول زائد على المعتاد لخصائص فيه دقيق المعاني وخفة اللفظ مع وفرة المعنى .

وأما شوارد الأبيات فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صحة المعنى وجزالة اللفظ وإصابة المعنى المفاد منها وأطلق المؤلف عليها وصف الشوارد لعزة هذا النوع فشبهه بالوحش الشارد في حال كونه مطلوباً مرغوباً فيه لقانصه فتلك الرغبة هي المقصود للمؤلف فاستعار لها الشوارد لهذه المناسبة تمثيلاً للحالة . وإنما جعل المؤلف قوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات هو اجتماع هذه الأسباب الثلاثة دون سبب مقاربة التشبيه ومناسبة الاستعارة لأن كثيراً من الأمثال والأبيات خلوٌ من التشبيه والاستعارة كمثل « لأمرما جدع قصير أنفه » وبيت امرئ القيس

« قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ » البيت .

وقوله سوائر وشوارد جمع سائر وشارد لأن المثل والبيت مذكران فجمعه على وزن فواعل إما على تأويل المثل والبيت بمعنى الكلمة وإما على وجه الشذوذ كما قالوا فوارس وعواذل .

(والمقاربة في التشبيه) عطف على قوله والإصابة في الوصف . المقاربة القرب الشديد لأن صيغة المفاعلة فيه للمبالغة إذ ليس المراد قرب كل من طرفي التشبيه من الآخر في الوصف فان التشبيه إلحاق ناقص بكامل في وصف ، وأما مايسمى بالتشابه كالذي في قول الصابئ :

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكاس عيني تسكبُ

فذلك غلو في التشبيه يقرب من التشبيه المقلوب كما في قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأنَّ غرته وجهُ الخليفةِ حين يمتدحُ

قال قدامة في نقد الشعر « فأحسن التشبيه ما أوقع بين شيئين حتى يدني بها الى حال الاتحاد اهـ » . وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه بحيث يستغني

المشبّه عن ذكر وجه الشبه . وليس المراد بالمقاربة تمام المماثلة بين المشبَّه والمشبَّه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراك فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به لكون المشبه أعلى من ذلك كما قال المعري :

تنازع فيك الشبه بحر وديمة ولستُ الى ما يزعمون بمائلِ

إذا قيل بحرٌ فهو ملحٌ مكدرٌ وأنت نمير الجودِ حلوُ الشمائل

ولستَ بغيث فوك للدرّ معدن ولم يُلف درٌّ في العيون الهواطل

والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف ما كان بأداة شبه أو كان تشبيهاً بليغاً لأنه عند المحققين من نوع التشبيه لا من الاستعارة . وأما الاستعارة فسيخصها بالذكر .

(والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن) قال الجاحظ [1] : «أجود الشعر ما رأيته متلائم الأجزاء ، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً . ا هـ» .

والالتحام مطاوع لَحَم الثوب يلحمه اذا نسج لحمته بضم اللام وبفتحه وهي ما يثني به الحائك نسج الثوب فيجعله أعلى فوق السَّدى الذي هو أسفل النسج وفي الحديث الولاء لُحمة كلُحمة الثوب كذا في رواية فالالتحام أن تكون الكلمات بعد نظمها كالشيء الواحد وأجزاء النظم كلماته .

والالتئام مطاوع لأمه اذا جعله متلائم الأجزاء أي متناسباً موافقاً بأن تكون كلمات النظم متناسبة بحيث لا يكون في النطق بها بعد اجتماعها ما يثقل على اللسان فان الكلمة قد تكون في ذاتها غير ثقيلة فاذا ضمت الى غيرها لم تتلاءما وثقلتا على اللسان فلا يستطيع تخفيفه ومثاله المشهور في بحث الفصاحة قولُ مَن لا يُعرف « وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ » وقول أبي تمام :

(١) انظر العمدة ص ١٧١ جزء أول .

« كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معي » البيت . وانما قلت فلا يستطيع تخفيفه احترازاً من نحو قول البحتري : « أأفاق صبٌّ من هوًى فأفيقا » . فان اجتماع الهمزتين ثقيل يمكن التخلص من ثقله بتسهيل احدى الهمزتين .

وقوله « على تخير من لذيذ الوزن » على فيه بمعنى مع وأراد بالوزن وزن الشعر وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح العروضيين وما فيه من أعاريض وضروب . وقد بين المؤلف فيما يأتي من كلامه هذا القيد بقوله « وإنما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرّب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه كما يطرّب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه » . وكأنَّ المؤلف يشير الى أمرين : أحدهما مزية الشعر العربي باشتراط العرب الوزن فيه بحيث لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص . وثانيهما الإشارة الى تجنب الأعاريض والضروب الثقيلة والزحاف والعلة الجائزين المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزان فيصير كالعثار في السير وقد يحصل من تجمع الكثير من ذلك ما يوشك أن يخرج الشعر من كونه شعراً الى كونه نثراً كما في أبيات من مجمهرة عبيد بن الأبرص التي أولها :

عيناك دمعهما سروب كأنَّ شأنَيهما شعيب

وقد قرن المؤلف تخير لذيذ الوزن بالتحام الأجزاء والتئامها لأنهما من وادٍ واحد على أن بعض العروض في بعض الموازين لا يخلو من ثقل مثل الضرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح [١] . وبعضها من بعض العروض يكون أشبه بالسجع منه بالشعر مثل عروض المجتث المكفوف [٢] وأمثلة من استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرة وإن شئت فانظر شعر عمر بن أبي ربيعة كقوله :

---

(١) هو مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفعولن

(٢) كقوله : ماكان عطاؤهن أعـــدة ضمـــارا

أمن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجّر

(ومناسبة المستعار منه للمستعار له) .

المناسبة شدة الانتساب وأراد بها قوة المشابهة وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدمجها في شرط مقاربة التشبيه مع أن الاستعارة من قبيل التشبيه ، لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وعلى ادعاء أن المستعار له من جنس المستعار منه فكانت لذلك جديرةً بتمام المشابهة بين المستعار له والمستعار منه ولما كانت الاستعارة تتفرع الى مصرحة ومكنية وتخييلية وتمثيلية وكان منها أصلية وتبعية ومنها مرشحة ومجردة ومطلقة ، كانت دقة التشبيه فيها أحق وأولى من مطلق التشبيه ليحسن وقع كل قسم من هؤلاء في موقعه .

قال في دلائل الاعجاز [1] : «وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية انك اذا قلت رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة وذلك انه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون اﻫ .» ويجب أن لا يغفل الشاعر عن استعارته فينقضها كقول أبي تمام :

تحملتُ مالو حمل الدهرُ شطرَه لفكّر دهراً أي عِبئيه أثقلُ

فانه لما جعل الدهر بمنزلة الانسان المفكر كان عليه أن لا ينقض ذلك بأن يجعل لتفكيره مدةً يسميها دهراً فتصير مدته هي عينه .

(ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما)

المشاكلة المماثلة إذ الشكل الشِّبْه والمِثل . وأراد بالمعنى هذا الغرض المفاد بألفاظ التركيب لا المعنى الموضوع له اللفظ لأن المعنى الموضوع له لا يتصور فيه اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد أن الغرض الشريف تناسبه الألفاظ

(١) صفحة ٥٦٦ .

الموضوعة لمعان حميدة وأن الغرض الخسيس تناسبه الألفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية ام كانت مجازية ومستعارة : فمقام المديح والرثاء مثلاً يناسبه المعاني الحميدة ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة كما في مقذعات شعر بشار بحيث لا يحسن أن يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ للمعنى « وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس فهو البريء من العيب » . وقال الجاحظ في البيان جاء رجل الى محمد ابن حرب الهلالي بقوم فقال « إن هؤلاء الفساق ما زالوا في مسيس هذه الفاجرة » فقال محمد بن حرب « ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي أن يكنى عن الفجور بهن » يعني حيث كنى بلفظ المسيس . وقال ابن زيدون في رسالته الى الوزير أبي عامر ابن عبدوس الطامع في صحبة ولأدة خليلة ابن زيدون « الساقطُ سقوطَ الذباب على الشراب » . وفي ذلك قول المتوكل عُمر بن الأفطس صاحب بَطَلْيُوس يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ليحضر الى الأنس في روض :

أَقبِلْ أبا طالبٍ الينـا وقَعْ وقوعَ النَّدى علينا[1]

ومعنى شدة اقتضائها للقافية أن يكون غرض البيت وألفاظُه يستدعيان اللفظ الذي يقع قافيةً له استدعاءً شديداً أي قوي المناسبة حتى تجيء كلمة القافية كالموعود المنتظر فلا تكون مغتصبة متكلفة الوضع في مكانها ، والقافية أراد بها هنا الكلمة الأخيرة من كل بيت وهذا مأخوذ من كلام الأخفش[2]

(١) أنشده في قلائد العقيان في ترجمة قائل البيت وبطليوس من بلاد الأندلس .
(٢) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الأدباء وأما القافية التي يضاف اليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من أحكام آخر البيت وهي الساكنات اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول .

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي «القافية المتمكنة هي التي يبني البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت نزلت في مكانها متمكنة قد رسخت في قرارها بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت لتمام الوزن ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرةً عن الطباع وزعم بعضهم أن بعض الشعراء غيّر قوافي لامية الطغرائي من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذّر لأن ألفاظ هذه القصيده في غاية الفصاحة وقوافيها في غايه التمكن اه» ٠

وقد ذكر أبو العلاء في رسالة الغفران أن خلفاً الأحمر أنشد بمجلسه قولُ النمر بن تولب :

ألمّ بصحبتي وهمُ هجوع خيالٌ طارقٌ من أم حصنِ
لها ما تشتهي عسلاً مصفى اذا شاءت وحُوّارَى بسَمْن

فقال لهم خلف لو قال النمر في موضع أمّ حصن أم حفص ما كان يقول في البيت الثاني فسكتوا فقال خلف «وحوارى بلمص» يعني الفالوذج ٠ ثم إن المعري أخذ يفرض أن تغير قافية البيتين على جميع حروف المعجم على تقدير تغيير كنية أم حصن بحرف غير النون فكانت القوافي متفاوتة في اقتضاء البيت إياها [1] ٠

وقوله «حتى لا منافرة بينهما» أي بين المعنى ولفظه وبين القافية وهذه المنافرة كقول أبي عدي القرشي في قصيدة دالية :

ووُقيتَ الحتوفَ من وارثٍ وا لٍ وأبقاك سالمًا ربُّ هُودِ

فليس لهود مناسبة بالمعنى ولكنه اجتلب لأجل الروي فهو قافية مغتصبة ٠ وأعلى اقتضاء البيت للقافيه أن تكون القافية كالموعود به المنتظر كما سيأتي في كلام المؤلف ٠

---

(١) صفحات « ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ » رسالة الغفران طبع أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١ ٠

(فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر) سماها أبواباً لأن كل واحدٍ منها يعتبر عنوان باب من أبواب فن النقد او شاء أحدٌ تبويبه وقد عملت بعض ذلك .

والعمود عود عظيم يركز في الأرض تقام عليه القبة أو الخيمة وتشد بأعلاه ويتفرع منه أديم القبة أو ثوب الخيمة الى أن تشدّ بالأرض بالأوتاد على شكل قبةٍ أو هرم ، فما به قوام الشعر فهو كالعمود للبيت وقد وقعت هذه العبارة للحسَن الآمدي في الموازنة وساق في كلامه ما محصله : ان عمود الشعر هو الأسلوب الذي سلكه فحول الشعراء من عهد الجاهلية وما بعده في بلاغة الكلام وإحسانِ المعاني والبعدِ عن التكلف وتجنب استكراه الألفاظ والمعاني وذكر عن البحتري أنه سئل عن طريقته وطريقة أبي تمام فقال البحتري : «أنا أقوم بعمود الشعر وأبو تمام كان أغوص على المعاني» فبين أنه امتاز عن أبي تمام بإجادة الناحية اللفظية من شرائط الإجادة وأن أبا تمام امتاز بالناحية المعنوية . فتحصل أن عمود الشعر هو مجموع شرائط الإجادة اللفظية والمعنوية وهو الذي اعتمده المؤلف .

(ولكل بابٍ منها معيار) المعيار اسم آلةٍ للتعيير . والتعيير تحقيق الوزن أو الكيل على ميزانٍ أو مكيال محقق المقدار مضبوط لا زيادة فيه ولا نقصان عن المقدار الذي يستعمل له يقال عيّر الدينار إذا وزنه بدينار محقق الوزن وعير المكيال كذلك ويقال لما به الكيل أو الوزن معيار وعِيار أيضاً كما سيجيء في عبارة المؤلف ومعنى كلامه أن لكل باب منها ضوابط ورسوماً بها يكون الشعر حسناً مقبولاً وممیزاً عن القبيح المردود عند أهل النقد مع بيان ما به إدراك تمييز الحسن من السيء وهذا المعيار هو كقول علماء المعاني ان تمييز الفصيح من غير الفصيح بعضه يبيّن في علم اللغة أو التصريف وبعضه يدرك بالحس فظهر أن المعيار مجموع الشروط وطريقُ إدراكها .

(فعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب) أي ضابط المعنى

المشروط فيما تقدم بالشرف والصحة . يعني أن الوسيلة لتحصيل ملكة الحكم في استيفاء المعنى ما شرط فيه هي أن يعرض المعنى على العقل الصحيح أي الفكر المستقيم والفهم الثاقب وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني ولا تلتبس عليه الحقائق المتقاربة ، شبه بآلةِ الثقب إذ تخترق الأجسام الصلبة وهو يغوص الى الحقائق التي يعسر فهمها على غالب الأذهان . ومراده عقل الشاعر وفهمه وهو المقصود ومثله الكاتب وكذلك عقل السامع الذي هو من أهل الذوق والنقد والاختيار .

(فاذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته) .

قوله فاذا انعطف عليه تفريع على أن يعرض على العقل الصحيح أي فاذا انعطف عليه جنبتا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب إياه واصطفائه له خرج وافياً الخ ... وأراد بهذا إعادة التنبيه على أن المعنى لما كان غير مستغنٍ عن كلام يقع فيه فجودة المعنى مفتقرة الى جودة الكلام الذي يدل عليه .

واستعار الانعطاف الذي حقيقته الميل والمحبة الى معنى الرضى به والموافقة أي فاذا صادف المعنى من نفس عقل الشاعر صاحب الذوق المكين وفهمه قبولاً ورضىً فذلك المعنى وافٍ بشرط الكمال لنوعه وهو الصحة والشرف والجنْبتان تثنية جنبة بسكون النون وفتحها وهي الجانب أي اذا وافقه جانبا القبول والاصطفاء ووقع في نسختيْ تونس ونسخة الأستانة جُبَّتا القبول تثنية جبة وهي ثوب له جيب وكان يلبس فوق الثياب الداخلية ونسخة جنْبتا أولى وهي مماثلة لقول أبي العباس المبرد في أول باب من الكامل في اللفظ الغريب إذ قال : « فاذا انعطفت عليه جنبتا القبول غطتا على عُوّاره الخ »[1] . وإضافة جنبتا أو جنبا الى القبول

(١) انظر صفحة ١٧ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ .

والاصطفاء إضافة بيانيه لان المضاف عين المضاف اليه . واستعارة جنبتا للقبول والاصطفاء لأن القبول والاصطفاء أشبها جانبين يحيطان بالمعنى ويحضنانه . واستعارة جبنا لها لأنهما أشبها ما يكتسي به المعنى بهجة . وقد أشار بالقبول الى صحة المعنى لأن المعنى لا يقبل إلا أذا كان صحيحاً وكني بالاصطفاء عن شرف المعنى لأنه إذا جاء شريفاً كان مرضياً في نفس المخترع فيما يقول والسامع فيما يستمع والناقد فيما يختار . وقوله مستأنساً بكسر النون حال من ضمير عليه ويجوز فتح النون أيضاً على معنى أن قائله اصطفاه وقبله واستأنس بما معه .

والاستئناس التأنس وهو ضد الوحشة وكني به هنا عن المماثلة لأن المماثلة تستلزم التأنس بالمثل إذ الشيء يألف مثيله فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى وبين ما يقترن به من المعاني حتى يكون الكلام كله مفرغاً في قالب واحد من الكمال ولا يكون بعض معانيه مقبولاً وبعضها مكروهاً وذلك ما سماه رؤبة بالقِران كما سيأتي . والقرائن جمع قرينة من الاقتران وهو الاجتماع وأنث القرائن على تأويله بالكلمات وبمقدار ما يقترن بالمعاني المرتضاة من معانٍ مكروهة ينتقص الكلام نقصاً قليلاً أو كثيراً ويوحش السامع والناقد .

(وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال) .

يعني اللفظ الذي وصفه آنفاً بالجزالة والاستقامة . أي وسيلة اختبار تحقق ذينك الوصفين فيه ثلاثة أشياء :

الأول : الطبع وهو طبع البليغ وذوقه ودربته الحاصلة من كثرة مزاولة الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها بين اللفظ المقبول المستحسن واللفظ الجفو المستنكر فينتقي ما يستحسن وينبذ ما يستنكره .

والثاني : الرواية وهي رواية ذلك اللفظ فيما يروى عن العرب وأيمة الاستقراء ليعلم بذلك مواقعه من الكلام الفصيح فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه ·

والثالث : الاستعمال ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز ويظهر العام والخاص مثلاً ·

(فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم) ·

قال الجاحظ في البيان « ومتى شاكل اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وِفقاً ، ولذلك القدر لِفقاً ؛ وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع » [1] ·

والهجنة العيب في الكلام ·

(وهذا في مفرداته وجملته مراعى لأن اللفظة تستكره بانفرادها فاذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً) ·

في نسختي تونس ونسخة الآستانة « وجُمَلِه » عوض جملته والمراد بها مجموع الكلام لا الجملة في اصطلاح النحاة · قال عبد القاهر [2] : « انك ترى الكلمة تروقك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة :

تلفتُّ نحو الحيِّ حتى رأيتُني وجعتُ من الإصغاء لِيتا وأخْدَعا

فان لها ما لا يخفى من الحسن ثم انك تتأملها في بيت أبي تمام :

يا دهرُ قوِّمْ من أخدعيك فقد أضججتَ هذا الأنامَ من خرقكْ

« فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدتَ لها هناك من الروح والخفة اھ » ·

ولم يبين الشيخ سبب ثقل هذه اللفظة في موضع وحسنها في الآخر لأنه أحاله على الذوق · وزعم ابن الأثير في المثل السائر أن سبب ذلك هو إفراد

---

(١) ص ٢٠ جزء ٢ المطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٤٥ ·

(٢) ص ٣٧ دلائل الاعجاز طبع المنار ·

الأخدع في بيت الحماسة وتثنيته في بيت أبي تمام وهو وهمٌ من ابن الأثير .
والحق أن سبب حسنها في بيت الحماسة مجيئها مستدعاةً للكلام الذي قبلها
حيث كان ذكر وجع الليت يستدعي وجع ما حوله وهو الأخدع فكان انظ
الأخدع فيه رشيقاً ، وهو في بيت أبي تمام مغصوب للقافية إذ لا مناسبة في
استعارة الأخدع للدهر في هذا المقام إذ ليس في أحوال الدهر ما يكون
الأخدع رديفاً له كما يؤخذ من كلام الآمدي في كتاب الموازنة [1] .

(وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز فما وجداه صادقاً في العلوق
ممازجاً في اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذلك سيما الإصابة فيه) .

أي ان الذكاء وحسن التمييز يدرك بهما الوصف المصيب في العلوق أي في
تعلقه بالغرض الموصوف المشخص منطبقاً عليه ممازجاً له لا تقصير فيه . والسيما
بالقصر العلامة قال تعالى : « سيماهم في وجوههم » .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

---

(١) ص ١٠٥ – ١٠٧ طبع الجوايب .

رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

- ٥ -

(وأما القرن الطيّار فانما يسوّل له التكذيب بما لا يُرى ويصور لديه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع ٠)

التفسير : قوله وأما القرن الطيار أي المتخيلة ، فانما يسول له التكذيب [ورقة ١٠٥ ألف] بما لا يرى ، أي من شأن هذه القوة إنكار الأمور العقلية ، والتكذيب بها إذ كان إدراكها الإدراك الجسمي وليس لها الإدراك العقلي بوجه ٠ ويصور اليه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع أي انها وان اعترفت وأذعنت لإثبات مبدأ أول وخالق معبود فانما تُثبته [١] على أنه جسم طبعي كفلك أو كوكب أو جسم صناعي كصنم أو تمثال على ما يعتقده عبدة الأصنام والكواكب ٠

(ويساود سرّ الإنسان أن لا نشأة أخرى ولا عاقبة للسوءى [٢] والحسنى ولا قيوم على الملكوت ٠)

أي يلقى في بال الانسان أنه لا بقاء للنفس وعبّر عنه بالنشأة الأخرى من قوله تعالى « ونُنشئكم فيما لا تعلمون » (سورة ٥٦ ، آية ٦١) أي تبقى النفس منكم مفارقة للمادة مجردة عن البدن وانه لا ثواب لها ولا عقاب عليها ٠ ولا قيوم على الملكوت أي هي منكرة للمدبر للعالم الذي هو قايم بذاته الغير المحتاج [٣] الى موضوع في قوامه والى سبب في وجوده ٠

---

(١) مه و ص : تثبت .　　(٢) ب : للسوء .
(٣) ب : الغير محتاج .

(وانّ من القرنين لطوائف تصادفت[1] حدود إقليم وراء إقليمكم[2] يعمره الملائكة الأرضية تهتدي[3] بهدي الملائكة . قد نزعت عن غواية المردة ، وتقيّدت سير الطيبين من الروحانيين فأولئك إذا خالطوا الناس لم يعبثوا بهم ولا يُضلّوهم ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم وهي جنّ وحن .)

التفسير : قوله وان من القرنين لطوائف وجماعات قد تهذبت وتأدّبت بضرب من التهذيب والتأديب فهي لذلك كأنها مجاورة لإقليم وراء إقليمهم تعمرها الملائكة الأرضية ، يشبهها في السيرة الفاضلة بالملائكة واهتدائها بهديها واستنانها بسنتها ، ونعني بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للمعقول [ورقة ١٠٥ ب] والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية .

قد نزعت عن غواية المردة أي هذه الطوائف كفت عن أعمال المردة من جنسها أو ترفعت عن غوايتها وجهالتها .

وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين أي انقادت لمشورة العقل وتخلقت بالأخلاق المرضية ، أما السيارة فبارتداعها عن الانهماك في الأفعال الغضبية والشهوانية ، وأما الطيارة فباتباعها أحكام العقل وقلة منازعتها ومجاذبتها إياه ومعارضتها له في قضاياه . فأولئك اذا خالطوا الناس لم يعبثوا بهم ، ولا يضلوهم أي ان الغضبية والشهوانية المتصفة بالصفة المذكورة وان لم يخل عن مصاحبة العقل فانها لا تحمل الناس على العبث والفساد ، ولا تقسرهم على ركوب الهوى واتباع الضلال .

ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم أي ان المخيلة المتصفة بالصفة المذكورة مظاهرة للعقل ومعاونة على أفعاله ، والاستكمال بمعقولاته إذ قد علم أن الحاجة داعية أي أفعال الحس والتخيل في بلوغ الناس الى كمالها كما عرف في موضعه .

(١) مه و ص : تصاقب ، (أي تواجه) . (٢) ب : اقليم .
(٣) مه و ص : تُهدى .

قال وهي جن وحن ، أراد بالحن القوة المتعلقة بالحس[١] من الحواس والتخيل وغير ذلك ، وسماها جنًّا لاجتنانها واستتارها عن المعقولات من قوله تعالى : «فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً» (سورة ٧١ ، آية ٧٦) . أي لما تفرّق حال الموجودات من جهة الحس والخيال .

وأراد بالحنّ الغضبية والشهوانية اللتين هما شعبتا القوة النزوعية وعبر عن النزاع بالحنّ وكأن القوة الشوقية حانّة ونازعة إلى استجلاب اللذيذ واستدفاع المؤذي .

(ومن حصل وراء هذا الإقليم وغَل في أقاليم الملايكة فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه[٢] الملائكة الأرضيون ، وإذا هم[٣] طبقتان ، طبقة ذات الميمنة وهي علامة وامارة . وطبقة تحاذيها[٤] مؤتمرة [ورقة ١٠٦ الف] عمالة . والطبقتان تهبطان الى إقليم الجن والإنس هوياً ويعمان في السماء رقيّا ، ويقال إن الحفظة والكرامَ الكاتبين[٥] منهما وان القاعد مرصد اليمين من الامّارة واليه الاملاء والقاعد مرصد اليسار من العمّالة واليه الكتاب .)

قال المفسر : قوله ومن حصل وراء هذا الاقليم أي إقليم القرنين ، وغَل اي دخل في أقاليم الملئكة أي اذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدنية انتهيت في النظر الى رتبة الملئكة وذلك انك اذا تجاوزت معرفة الادراك الحسي انتهيت الى معرفة الادراك العقلي ، فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه الملئكة الأرضيون ، أراد به النفوس الناطقة الانسانية ، فان أول مراتب الملئكة التي معنا[٦] ، والمراد بها المدركة للمعقول رتبة الملايكة الأرضية التي هي النفوس الناطقة الانسانية .

---

(١) هكذا في ب و ك ، أما في نسخة المهرني : المتعلقة من الحواس والتخيل ، وفي نسخة صبري : المتعلقة من الحواس والتخيل ، فافهم .
(٢) مهو ص : سكنه .
(٣) أيضاً : واذ هم .
(٤) أيضاً : تحاذيها ذات الميسرة وهي مؤتمرة الخ .
(٥) هكذا في ك ، وفي ب : وكرام الكاتبين ، وفي مه و ص : الحفظة والكرام والكاتبين .
(٦) ب : معناها .

واذا هم طبقتان : أراد به القوة العلمية والعملية ٠

وقوله طبقة ذات اليمين أي العلمية وجعلها ذات الميمنة لشرفها وفضلها على العملية ولذلك جعلها علامة امارة أي حاكمة وباعثة وداعية ، وطبقة تحاذيها أي العملية وجعلها مؤتمرة عاملة أي متصرفة على حكم الآمر والحاكم والباعث والداعي الذي هو العقل العملي ٠

والطبقتان تهبطان ٠٠٠٠ هويا ٠٠٠٠ رقيًا : أشار بذلك الى جهتي نظرهما ، فانهما تارةً تقبلان على العقل الفعّال تستمدّان[1] منه ، وتارةً تقبلان على البدن ، مدبّرتين[2] له ـ وقد شرح ذكر هاتين الجهتين للنفس في موضعه ٠

قوله[3] ان الحفظة وكرام الكاتبين منهما ، أراد بالحفظة وكرام الكاتبين قوة العقل من قوله تبارك وتعالى كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون (سورة ٨٢ آية ١٠ — ١٢) وذلك لأن العقل هو الذي يحفظ الانسان ويدبّر أمره ، وهو الذي يستثبت في ذاته ما يدركه من المعقولات ٠

وإن القاعد ٠٠٠ الاملاء أي ان العلمية منهما هي المبدأ للهداية لما يجب أن يعمل[4] به ٠

وإن القاعد مرصد ٠٠٠٠ الكتاب أي ان العملية منهما هي التي تتوجه [ورقة ١٠٦ ب] وتنقضي[5] الأمر فتعمل ما يجب أن يعمل به ٠

(ومَن وُجد له الى عبور هذا الاقليم سبيل خاص الى ما وراء السماء خلوصًا فلمح ذرية الخلق الأقدم ولم ملك واحد مطاع ٠)

التفسير : قوله ومن وُجد ٠٠٠٠ الاقليم أي إقليم الملايكة الأرضية ٠

---

(١) هكذا في ك أيضاً ، ولكن في مه و ص : مستمدتين منه .
(٢) هكذا في ك و مه و ص ، وأما ب ففيه : مدبرتان له .
(٣) ب : قوله تبارك وتعالى .
(٤) هكذا في ك أيضاً ، وأما مه و ص ففيهما : ان يعلم .
(٥) ك تتوجه وتنتهي الى الأمر .

خلص ... خلوصاً أي ان المرتبة الانسانية والعقل الخاص بها متاخمة ومجاورة للمرتبة [١] السماوية والعقول الخاصة بها .

فلمح .... الأقدم أراد به القدم الذاتي [٢] أي الامور [٣] المفارقة للمادة المتقدمة بالذات والعلية [٤] على الأمور الملابسة لها .

قوله ولهم ملك ... مطاع أي ان هذه المفارقات تنتهي في مراتبها الى مبدأ أول واجب الوجود ، الكل فايض عنه وموجود به ومسبّب له فهو الملك الغني عنهم وهم المملوكون المقتصرون اليه . وأراد بالمطاع تصرف الكل على تدبيره [٥] وبموجب قضايه ومشيئه ، لا معدل لشيء منه عن القضاء الأول والمشية الأولى .

(فأول حدوده معمور بخدم لملكهم الأعظم عاكفين على العمل المقرب اليه زلفى ، وهم أمة بررة لا تجيب داعية نهم أو قرم أو غُلمة أو ظلم أو حسد أو كسل قد وكلوا بعمارة ربض هذه المملكة ووقفوا عليه وهم حاضرة متمدنون ، يأوون الى قصور مشيّدة وأبنية مسرية تنوف في عجن طينها [٦] حتى انعجن ما لا يشاكل طينة إقليمكم ، وإنه لأجلد من [٧] الزجاج والياقوت وسائر ما تستبطئ أمد بلائه ، وقد أُملي لهؤلاء في أعمارهم وأُنشي في آجالهم فلا يحرمون دون أبعد الآماد وتيرتهم عمارة الربض طائعين .)

التفسير : قوله وأول .... الأعظم أشار به [ورقة ١٠٧ الف] الى النفوس الفلكية [٨] المباشرة للتحريك .

المراد بقوله عاكفين على العمل المودي الى الاستكمال ، المراد بقوله المقرب

(١) هكذا في ك أيضاً ، وفي مه و ص : للرتبة .
(٢ و ٣) هكذا في ك أيضاً ، وغير موجود في مه و ص .
(٤) هكذا في ك أيضاً ، وفي مه و ص : العلة .
(٥) ك : مدبره ، ومعنى « المطاع » غير موجود في مه و ص .
(٦) ب : تتوق - ومه و ص : طينتها .
(٧) ب لأجلد الزجاج .
(٨) ك : الملكية

اليه زلفى ، فان القرب منه هو الاستكمال [١] ، وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص به .

قوله وهم أمة بررة أي منزهة عن القوى الأرضية الغضبية منها والشهوانية ، ولذلك قال : لا تجيب داعية .... غيلة ، وهي أمور متعلقة بالقوة الغضبية .

قد وكلوا بعمارة .... عليه أي هي قوى مقرونة بالأجسام السمائية ولهذا عبّر عن هذا المعنى بقوله وهم حاضرة متمدنون أي ليست هي بمجردة عن المادة كل التجريد بل ملابسة لها ضرباً من الملابسة .

وقوله يأوون .... مشيدة أي هي صور الأفلاك التي شبهها [٢] في علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة والأبنية السرية .

وأشار بقوله تنوف .... اقليمكم أي ان المادة الفلكيــة مباينة للمادة الأرضية وكأنها نوع آخر من المادة . مباينتها لها انهـا لا يفارق صورها ولا يتعاقب عليها الصور كما يتعاقب على المادة الأرضية ، وانها لا تتغير تغيراً تستعد به لقبول صورة أخرى ، والى هذا أشار بقوله وانه لأجلد من الزجاج .... أمد بلاء فهذه صفة موادها ، ثم عدل الى وصف هذه الصور التي تلابسها فقال:

وقد أملي .... الاماد أي ان هذه لا تبطل ولا تفسد كما تبطل ساير القوى المقارنة للنوع الآخر من المادة . قوله وتيرتهم .... طايعين أي لا يتغيرون عما هم بصدده من عمارة الربض أي ملازمة الفلك والطاعة الى التحريك للفلك .

(وبعد هؤلاء أمة أشد اختلاطاً بملكهم مصرون على خدمة المجلس بالمثول وقد صينوا فلم يبدلوا [٣] بالاعتمال [ورقة ١٠٧ ب] واستخلصوا للقربى ومُكّنوا من رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله ومُتّعوا بالنظر الى وجه الملك وصالاً لا فصال فيه .)

---

(١) ك : فان التقرب منه كما هو الاستكمال .

(٢) هي صور الأفلاك وشبهها . (٣) مه و ص : فلم يتبدلوا .

قوله : وبعد ۰۰۰۰ بملكهم أشار به الى العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً ،
وعنى بقوله أشد اختلاطا بملكهم ما عليه هذه العقول من الاختصاص بالمتعقلات
دون غيرها من التحريكات كما عليه النفوس [1] المتقدم ذكرها .

مصرون ۰۰۰۰ بالمثول أي من شأنهم الثبات على الأحوال التي هم عليها
لا يلحقهم عنها تغير ولا انتقال .

قد صينوا ۰۰۰۰ بالاعتمال أي هم منزهون عن مباشرة الأعمال والتصرف
في المواد .

واستخلصوا ۰۰۰۰ حوله أي هم أقرب الخلائق رتبة من الأول الحق فالقربى [2]
بالحقيقة لهم دون غيرهم ، وأشار الى أن وجه قربهم وجه دنو مرتبتهم هو تمكنهم
من رموق المجلس الأعلى ، والحفوف حوله بحيث لا يتقدمهم في ذلك خليفة ،
وأشار الى دوام هذه الحالة لهم وإحالة تغيرهم عما هم عليه بقوله ومتعوا بالنظر
الى وجه الملك وصالاً لا فصال عليه .

(وحلوا تحلية اللطف في الشمائل والحسن والثقابة [3] في الأذهان والثقافة [4]
في الاشارات والرواء الباهر والحسن الرائع والهيئة البالغة ، وضرب لكل واحد
منهم حد محدود ومقام معلوم ودرجة مفروضة لا ينازع فيها ولا يشارك ، فكل
من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفساً بالقصور [5] دونه .)

التفسير : شرع بهذا الكلام في ذكر جمل من أوصافهم التي خصوا بها وهي
اللطف في الشمائل إذ لا شيء من [6] الشمائل ألطف حقيقة من شمائلهم التي هي
التعقلات .

والثقابة في الأذهان ، إذ لا شيء من الأذهان أثقب من أذهانهم التي بها

(١) ب : من النفوس .
(٢) مه و ص : والقربة .
(٣) أيضاً : الثقافة .
(٤) ايضاً : النهاية .
(٥) ايضاً : المقصور .
(٦) أيضاً : في .

أدركوا [ورقة ١٠٨ ألف] حقيقة الأول التي تعجز عن إدراكها بالحقيقة كل ما سواه ، والثقافة في الاشارات إذ لا شيء أبلغ منها[1] في هذا بالحقيقة [....] الى الإدراك بل كل مدرك فانما يدرك بهداية هذه العقول إياه .

والرواء الباهر إذ لا شيء من الرواء المنسوب الى كل ذي رواء أبهر العقول من روايهم ، وذلك لشدة تواريهم وغلبتها على أذهان المحاولين لتحققها ومعرفة كنهها .

والحسن الرايع إذ لا شيء أروع حسناً من حسنهم الذي هو الحسن الحقيقي الذاتي دون الحسن العرضي المستعار الذي لغيرهم ، والهيئة البالغة إذ لا شيء من الهيئات أكمل من هياتهم التي لا يشوبها نقص ولا يشبهها قصور .

وضرب لكل واحد منهم حد .... مفروضة ، أشار بذلك الى مرتبتهم في مراتبهم وحصول كل واحد منهم في رتبةٍ ما مفروضةٍ من جهة القرب والبعد من الأول ، لا ينازع واحد واحد منهم[2] الآخر في تلك الرتبة ، ولا يشاركه[3] فيها ، إذ كان لكل واحد منهم[4] محل من القرب ليس للآخر ذلك المحل بل إمّا دونه وإمّا فوقه ، وعلى ذلك دلّ بقوله فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفساً بالقصور دونه .

(وأدناهم منزلة من الملك واحدٌ هو أبوهم وهم أولاده وحفدته وعنه يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه .)

التفسير : أشار بقوله هذا الى أول رتبة من رتبهم بقوله وأدناهم منزلة .... وحفدته ، وأراد به العقل الفعال الذي هو المبدع الأول وسماه أباً لهم ، إذ كان وجود ما سواه عن الأول بتوسطه عنه[5] يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه أي كما أن وجودهم بتوسط وجوده ، كذلك ما أكرموا به من الفيض الإلهي والتعقل الأوّلي انما يصل اليهم بتوسطه ومن جهته .

---

(١) ب : منهم .
(٢) مه و ص : واحد منهم .
(٣) مه و ص : ولا يشاركها .
(٤) غير موجود في مه و ص .
(٥) ك : وعنه .

(ومن غرايب أحوالهم أن طبائعهم لا تستعجل بهم الى الشيب والهرم وان الوالد منهم وان كان أقدم مدة فهو أسبغ منه وأشب بهجة [ورقة ١٠٨ ب] وكلهم مسخرون قد كفوا الاكتنان [١] ، والملك أبعدهم في ذلك مذهباً .)

التفسير : قوله ومن .... والهرم ، أشار به إلى إحالة وصول تأثير الزمان اليهم وامتناع لحوق النقصان بهم الحاصل لغيرهم من تطاول المواد ، وذلك لبراءتهم عن ملابسة المادة والقوى الجسمانية التي تبرهن انها لا محالة متناهية وانها تمتنع عليها غير التناهي .

وان الوالد .... بهجة أشار به الى القِدَم [٢] الذاتي ، الآ انه رمز به القِدَم الزماني ، فقال إن الذي هو أقدم في الذات فهو أسبغ [٣] وأتم قوة ، وسبوغ قوته انه سبب وعلة لما دونه ، وما دونه معلول له ، «وأشب بهجة» أشار به الى علو درجته على درجة مَن دونه .

وكلهم مسخّرون قد كفوا الاكتنان ، أشار الى تجرد ماهياتهم عن هيولى بدني ، وبالجملة عن عنصر جسماني ، وقيامهم بذواتهم من غير حاجة الى موضوع .

وقوله والملك أبعدهم في ذلك مذهباً أي انهم وإن كانوا موصوفين بما يوصف به الأوّل الحق من التجرد والاستغناء عن الموضوع . فالملك متفرد من هذا الوصف بخاصية لا يشاركونه فيها إذ هم وإن حصلوا على هذا الوصف فلهم اختصاص ما بأمر جسماني . وهو أن كل واحد منهم هو المحرك على سبيل التشويق لفلك ما من الأفلاك ومنسوب الى تدبير واحد منها باستمداد خاص نفسه منه دون غيره فله نسبة الى موضوع خاص ، فأما الملك الذي هو الأول الحق فيميزه [٤] عن ذلك من كل وجه ، فلهذا يوصف بأنه قيوم ، وهو المبالغة في القيام بالذات ولا يوصف واحد منهم بذلك فهو في القيام بالذات ، والاستغناء عن الموضوع في أعلى الدرجات وبحيث لا يشاركه فيه غيره .

(١) مه و ص : الاكتفاء . (٢) أيضاً : التقدم .
(٣) ب : اشبع (في الموضعين) . (٤) مه و ص : فيميز تمييزاً .

(ومَن عزاه الى عرق فقد زلّ ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى ، ند [١] فات قدر الوصّاف [٢] وحادت عن سبيله [ورقة ١٠٩ الف] الأمثال لا يطيع [٣] ضاربها له لا يتباين [٣] أعضاء بل كله لحسنه وجهٌ ولجوده يدٌ . يفني حسنه آثار كل حسن ويحقر كرمه نفاسة كل كرم .)

التفسير : شرع من ها هنا في ذكر نبذ من صفات الأول الحق فقال من نسبه الى أصل من مادة أو صورة أو فاعل أو غاية أو والد فقد زاغ عن الحق ، إذ هو لا ينسب الى شيء من هذه الأصول لأنه ليس بمركب فيكون له مادة أو صورة ، ولا مسبب [٤] فيكون له فاعل أو غاية لكنه البسيط الذي لا تركيب فيه بوجه ، والسبب الأول لا سبب قبله في الوجود ، والموجود الأول الذي لا أوّلية لغيره متقدماً [٥] عليه .

قال : ومن ضمن ... هذى أي من حاول أن يفي بكنه ما هو عليه من الصفات فقد حاول باطلاً ، وكيف صفاته التي هي مختصة به لا يشاركه فيها غيره ، الا بالاسم ، ولا صفة من صفاته لغيره فيها شركة بوجه وإنما نعرف على وجه يظن أنه يشاركه فيها غيره ، فلا يكون معرفة [٦] لأحد على كنهها .

قال : وقد فات قدر الوصاف أي ليس في وسع أحد من واصفيه أن يصفه بكنه ما هو عليه لما تقدم من السبب في ذلك . قال : وحادت .... له أي ومع ذلك فان واصفه إن رام وصفه لا على سبيل الطمع في إيراد كنهه على وجهه بل على سبيل ما يضرب من الأمثال ، وطريق تشبيه الشيء بالشيء لم يطع المعاني إذ كان لا مشابه في شيء من المعاني ولا مماثل فكيف يمثل بما لا يماثله أو يشبه ما لا يشبهه فكأن في نفس المعاني منعاً للمشبه عن تشبيهه بشيء منها أو ضرب المثل له بواحد منها .

---

(١) مه و ص : قد فات .
(٢) أيضاً : الوصاف عن وصفه .
(٣) ايضاً : فلا يستطيع ضاربها إلا بتباين .
(٤) أيضاً : سبب .
(٥) أيضاً : متقدم .
(٦) ب : معروفة .

قال : لا بتباين ... يد أي لا ينقسم على وجه من وجوه القسمة لا المعنوية منها ولا المقدارية فلا مباينة لجزء من ذاته جزءاً آخر كما تباين الصورة المادة ولا كما تباين العضو العضو ، وكيف ولا احتمال فيه لضرب من ضروب القسمة لا بالقوة ولا بالفعل ، ولا أجزاء له معنوية [ورقة ١٠٩ ب] أو مقدارية لا بالقوة ولا بالفعل ، بل هو واحد من كل جهة ، فان اعتبر ذاته كان الكمال المطلق الذي هو الحسن المطلق والجمال المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى الوجه ، وان اعتبر كونه سبباً لوجود ما يوجد عنه وكون وجوده فايضاً عنه الموجودات كان الجواد المطلق بالجود المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى اليد وليس فيه غير هذين الاعتبارين وهو فيهما على أتمّ ما يصح أن يكون حتى لا حسن ولا جمال أحسن من حسنه وكماله ولا جود ولا كرم أتم من جوده وكرمه . وعلى هذا دلّ بقوله يعني حسنه .... كل كرم .

ومتى همّ بتأمله أحد من الحافّين حول بساطه غضّ الدهش طرفه فآب حسيراً يكاد بصره يختطف قبل النظر اليه ، وكان حسنه حجابَ حسنه ، وكان ظهوره سبب بطونه ، وكان تجليه سبب خفائه كالشمس لو انتقبت يسيراً لاستعلنت كثيراً ، فلما أمعنت في التجلي احتجبت وكان نورها حجاب نورها .)

التفسير : قوله ومتى همّ .... طرفه أي ان شيئاً من المقربين الذين هم العقول الفعّالة لا يستطيع بعقله الذي عبَّر عنه بالتأمل على حاف ما هو عليه من الاكتناه والتحقيق في الذات بل يكون الإدراك الذي له يقصر عن إدراكه لذاته قصوراً كبيراً فانه لا يشاركه في إدراكه لذاته أحد من المدركين له فالحال لإدراكه على الوجه البالغ ممنوع بدهشه عنه ، ومغضوض الطرف دونه آيب عن غرضه خايباً حسيراً كالانحاز للطرف منه لما يبهره من نور الحق فكأنه يسلب بصره دون النظر اليه ، ثم ذكر أن السبب في ذلك فرط نوره وحسنه الذي يجاوز الحد الذى [....] فلما تجاوز هذا الحد صار كأن الحاجب والمانع عن إدراكه هو ذاته ، وعلى هذا دلّ بقوله :

فكان حسنه [ورقة ١١٠ ألف] حجاب حسنه وكان ظهوره سبب خفايه أي لما كان متجاوز الحد في الظهور فصار لا يدرك أظهوره فصار ظهوره سبب خفايه أي ان المدرك ومثل ذلك بالشمس من الأمور المحسوسة فانه وان كان السبب في ظهور ما يظهر للحس وإدراك ما يدرك من المبصرات لما يحصل من وقوع نورها عليها الى حدّ ما فانها لما بلغت الغاية في النورانية وتجاوزت الحد عجزت الأبصار عن تأملها وإدراكها لما يبهرها ويغلبها من نورها ، فكأنها لو انتقبت أي سترت من نورها قليلاً لأدركت فلما تجلّت في الغاية واختصت بكمال النور صار ذلك التجلي البالغ والنور الباهر حجابين دُون الناظرين اليها والقاصدين لإدراكها.

(وان هذا الملك لمُطلع على ذويه بهاءه ، لا يضنّ عليهم بلقائه ، وانما يوتون من دنوّ قواهم دون ملاحظته وإنه لسمح فيّاض واسع البر ، غمر النائل ، رحب الفناء ، عامّ العطاء .)

أي لا ينبغي أن يظن أن سبب قصور القاصر عن إدراكه هو ضنّ منه أو بخل عليه بتعقله [1] وإدراكه بل السبب في ذلك ما جبل عليه بحسب رتبته في الوجود الممكن من العجز ونقصان القوة التي بها يستطاع ذلك التعقل ، وذلك الإدراك عن قوة الممكن له ذلك .

وانه لسمح فياض أي من اعتبر حاله من حيث نسبته الى الموجودات الفايضة عنه وجده فايضاً عنه ذرات سائر الموجودات ، وهذا هو المعنى الذي عبّر عنه بقوله سمح فياض ، ووجد فايضاً عنه أيضاً عامة أحوالها وأوضاعها [.....] معطياً الأمور الضرورية لها في وجودها ، والضرورية لها في حُسن أحوالها وصلاح أمورها ، وهو المعنى الذي عبر عنه بقوله واسع البر ، غمر النايل ، رحب الفناء ، عام العطاء .

(١) ب : بتعلقة .

(مَن شاهد أثراً من جماله ووقف عليه لحظُه لا يلفته عنه [ورقة ١١٠ ب] غمزةٌ ولربما هاجر اليه أفراد من الناس فيتلقاهم من فواضله ما ينوبهم، ويُشعرهم احتقار متاع إقليمكم، هذا فاذا انقلبوا من عنده انقلبوا وهم مكرهون [1]) .

(قال الشيخ حيّ بن يقظان ولولا تقربي [2] اليه بمخاطبتك منبهاً إياك لكان لي به شاغلٌ عنك وإن شئت اتبعتني اليه .)

التفسير : ذكر حالَ من يدرك منه ما من شأنه أن يدركه، وفي وسعه أن يبلغه من أثر جماله أي من جماله وكماله في ذاته وما يصدر عن جماله وكماله من الأثر .

فقال : من شاهد .... غمزةٌ أي يلحقه من الالتذاذ به ما لا يلحقه من الالتذاذ بغيره مما يدركه بحسب فضل ما يدرك من جماله على ما يُدرك من جمال غيره فيصير بحيث لا يؤثر عليه لذة أخرى ولا يعدل بنظره الى غيره، فكأنه يجعل نظره ولحظه وقفاً عليه لا يصرفه عنه ما أمكنه .

اللهمّ إلاّ أن يكون هذا المدرك ممنوّاً بأمور أخرى تصده عن مراده من ذلك أو مكنوفاً بقوى أخرى تجاذبه وتصرفه عن مراده فيكون حينئذٍ مكرهاً على الإعراض عنه ممنوعاً من الإقبال بالكلية عليه، وتلك هي الحالة التي يستعاذ بالله منها ومن شرها وغايلتها .

تمت بحمد الله ومنّه والصلاة على محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه .

محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

---

(١) ايضاً : مكرمون .

(٢) مه : تعزّبي .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره [1]

— ٣ —

العراق عامة والموصل خاصة في القرن الرابع

شهد العراق – والموصل بصورة خاصة – في هذا القرن أحداثاً سياسية جساماً كان لها أثرها القوي في الحياة العلمية والحياة العقلية .

في هذا القرن أخذت الأقاليم الاسلامية تنفصل سياسياً عن بغداد ، ومن هذه الأقاليم إقليم الموصل الذي أخذ يسير في طلب شبه استقلال سياسي منذ أواخر القرن الماضي (سنة ٢٩٢ هـ) حين ابتدأ حكم بني حمدان يمتد اليه . وقد حاول الخليفة المقتدر القضاء على هذا الانفصال لخطر هذا الاقليم وقربه من دار الخلافة ولأنه الثغر القوي الذي تسير منه الجيوش الاسلامية الى غزو الروم ، فمن امتلكه وسيطر عليه وضع يده على قلعة عظيمة من قلاع الاسلام . أحس الخليفة المقتدر أن سلطان الحمدانيين أخذ يقوى وأن نفوذهم ابتدأ يطغى على ذلك الإقليم فأرسل في سنة ٣٠١ هـ القائد يمناً الطولوني لعزل أبي الهيجاء عبد الله ابن حمدان عن إمرة الموصل فعزله ثم تعاقب على الموصل بعد أمد قصير أمراء

---

(١) هذا هو الفصل الثالث من البحث الذى نشر الفصل الأول منه في الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين (ص ٥٣٧ – ٥٤٦) والفصل الثاني منه في الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين (ص ٧٨ – ٨٦) .

كثيرون منهم يمن هذا ، ومنهم نحرير الخادم الصغير وغيرهما ؛ كل هذا وأبو الهيجاء ابن حمدان مرابط يراقب الحالة عن كثب ويتهيأ لعمل حاسم ولو كان في ذلك إعلان للثورة على الخلافة ، ولكن الخليفة أحس بذلك فأرسل جيشاً قوياً بقيادة مؤنس المظفر وجماعة من القواد ، فعلم أبو الهيجاء أن لا قبل له بذلك الجيش فاستأمن وأخذه مؤنس الى الخليفة فعفا عنه وخلع عليه ثم عاد فولاه الموصل في سنة ٣٠٢ هـ ورجع اليها وبقي فيها كأنه مخلص للخليفة الى سنة ٣٠٧ فعزله الخليفة المقتدر بالعباس بن محمد بن اسحق بن كنداج ، وظل أبو الهيجاء بعيداً عن إمارته الى سنة ٣١٤ هـ ثم أعاده الخليفة اليها بعد سعي طويل ، ومنذ ذلك الحين حتى أواخر هذا القرن ظل بنو حمدان يتقلبون عليها : ففي سنة ٣١٤ سافر أبو الهيجاء الى بغداد وترك أمر البلد الى ابنه الحسن ـ الذي عرف فيما بعد ـ بناصر الدولة . وفي سنة ٣١٨ هـ وقعت فتنه بين بني حمدان : ناصر الدولة وعمّيه سعيد ونصر فغلباه على أمره واستوليا على المدينة . وفي سنة ٣٢٣ هـ وقعت فتنة ثانية فقتل ناصر الدولة فيها عمه أبا العلاء وغضب الخليفة الراضي بالله لهذا الأمر فأمر وزيره ابن مقلة أن يتوجه بجيش الى الموصل فسار اليها فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة فأقام ابن مقلة بها يجبي مالها ، ولما طال مقام الوزير بها احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير ، وكان ينوب عن أبيه ببغداد فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب الى أبيه يستدعيه زاعماً أن الأمور بالحضرة قد اختلت فسار الوزير واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طياب ، وماكرد الديلمي الساجي ، وانحدر الى بغداد فرحل ناصر الدولة الى الموصل وما لبث أن استعادها بعد قتال ثم كتب الى الخليفة الراضي بالله يسترضيه فرضي عنه ، ثم عاد ثانية فأغضب الخليفة لأنه أخّر عنه المال المفروض عليه فسار الخليفة نفسه الى الموصل على رأس جيش يريد التخلص من ناصر الدولة والاعيبه وكان معه على قيادة ذلك الجيش القائد بجكم ، والقاضي أبو الحسين عمر بن محمد .

ولما بلغ الخليفة وجنده تكريت بدا له أن يبقى فيها ويبعث بالجند وعلى رأسهم بجكم ، فذهب هذا وقاتل ناصراً وهزمه . وبينما كان الخليفة غائباً عن بغداد إذا هو بابن رائق الثائر يحتل العاصمة ويبلغ الخبر الراضي فيرجع اليها ويصالح ناصر الدولة على خمسمائة ألف درهم كل سنة . ويظل ناصر الدولة الأمير المطاع في الموصل حتى سنة ٣٤٦ ، وفيها يبلغه أن معز الدولة بن بويه توجه يريد الموصل فأرسل اليه ناصر الدولة يضمن الإقليم بألفي ألف درهم وحمل اليه مثلها فرجع معز الدولة ، ودخلت سنة ٣٤٧ هـ فلم يرسل ناصر الدولة الضمانة فتجهز معز الدولة ومعه وزيره المهلبي الى الموصل ففرّ ناصر الدولة عنها واستولى عليها معز الدولة وكان من عادة ناصر الدولة إذا فرّ أن يستصحب معه جميع الكتاب والوكلاء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان في البلد وربما جعلهم في قلاعه كقلعة أردمشت المعروفة بقلعة (كواشي) أيضاً وقلعة الزعفران [1] . وضاقت الأقوات على معز الدولة فلحق بناصر الدولة وهو بنصيبين واستخلف على الموصل سبكتكين الحاجب الكبير . ولما بلغ ناصر الدولة ذلك فرّ الى أخيه سيف الدولة في حلب وأقام عنده فسعى سيف الدولة في الصلح بينه وبين معز الدولة ورجع ناصر الدولة الى الموصل في أوائل سنة ٣٤٨ هـ وهدأت الأمور خمس سنوات كان ناصر الدولة خلالها يؤدي الضمان الى معز الدولة . وفي سنة ٣٥٣ هـ تخلف عن إرسال المال لأنه طلب من معز الدولة أن يجعل أمر الموصل من بعده الى ابنه أبي تغلب فضل الله المعروف بالغضنفر فلم يجبه الى ذلك فرفض إرسال المال اليه . ولما شعر ناصر الدولة بزحف معز الدولة اليه ترك الموصل كعادته الى نصيبين فدخل معز الدولة الموصل وأمّر عليها أبا العلاء صاعد بن ثابت وسار الى نصيبين فلما قاربها فارقها ناصر الدولة فرجع معز الدولة الى الموصل لأنه علم أن أبا تغلب قصد الموصل وحارب من بها وأحرق السفن في ساحلها

---

(١) انظر ابن خلكان ١ / ١٤٠ وابن الأثير في هذه السنة .

وكاد أن يتغلب عليها ، ولكنه فشل فتجمع ناصر الدولة وأولاده جميعاً وساروا نحو الموصل يقصدون أبا تغلب فدخلوها وأسروا أبا العلاء وسبكتكين ويكتوزون وملكوا كل مال معز الدولة وسلاحه ؛ لهذا قصد معز الدولة الموصل ففر بنو حمدان لما سمعوا بعودته واستمرت هذه الفتنة طويلاً حتى صالح أبو تغلب معزَّ الدولة على مال قرره وعلى أن يطلق ما عنده من الأسرى ففعل .

منذ ذلك الحين استراح بنو حمدان من قتال الغرباء ولكنهم جعلوا بأسهم بينهم فتجالدوا بالسيوف وأذاقوا البلاد شتى ألوان العسف والظلم ففي سنة ٣٥٦ هـ قبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وحبسه في قلعة أردمشت مدعياً أن أباه أصيب بفساد في عقله لتضييقه على أبي تغلب وإخوته ومخالفته إياهم فيما يرون من ضروب السياسة ، وكان فيما خالفهم فيه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أولاد ناصر الدولة على قصد العراق وأخذه من بختيار بن معز الدولة فنهاهم وحذّرهم سوء المغبة وقال لهم فيما قال : « إن معز الدولة خلف أموالاً يستظهر بها ابنه فاصبروا حتى يتفرّق ما عنده ثم اقصدوه وفرّقوا الأموال في الجند والناس فإنكم تظفرون به لا محالة » فلم يعجب هذا القول أبا تغلب فأراد حبس أبيه فاختلف هو وإخوته في ذلك ثم تغلب عليهم لأنه كان أدهاهم فوثب على أبيه ورفعه الى القلعة ووكل به من يقوم بخدمته وحاجاته ، وانتثر أمر بني حمدان من يومئذ وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم ، ثم انعكس الأمر فأصبح أبو تغلب محتاجاً الى مداراة بختيار بن معز الدولة البويهي وتعهد له بأن يدفع اليه ضمان البلاد ألفي ألف ومائتي ألف درهم . وفي سنة ٣٥٨ هـ عظم الخلاف بين أولاد ناصر الدولة الحمداني ولقي الناس منهم بلاءً عظيماً واضطربت البلاد وهاجر العلماء والأغنياء وأرباب الصناعات وانتهى الأمر بأن استقر أبو تغلب في الموصل وما اليها وهدأت الحالة نحواً من خمس سنوات . وفي سنة ٣٦٣ هـ سار بختيار البويهي الى الموصل فاضطرب أمرها ثم دخلها وطارد أهلها وأخذ أموالهم ، ولكن أبا تغلب

عاد فجمع جموعه وطرده ففرح الموصليون بذلك فرحاً عظيماً كما يحدثنا بذلك ابن الأثير الموصلي .

وفي سنة ٣٦٧ ﻫ قصد بختيار الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة الذي حسّن له أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب لكثرة أموالها ونخامة مركزها وأطمعه فيها وانها خير من الشام وأسهل وأقرب فرضي بختيار أن يقدم على ذلك وسار نحوها وكان عضد الدولة البويهي قد حلّفه ألاّ يقصدها فنكث بيمينه وقصدها ، ولما بلغ الخبر أبا تغلب كتب الى بختيار يعاتبه وطلب منه أن يقبض له على أخيه حمدان وأنه اذا فعل ذلك سار هو معه الى قتال عضد الدولة فبلغ ذلك عضد الدولة فسار الى الموصل وتملكها ، وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان يفعل غيره ، أي انه يقيم يسيراً ثم يضطر الى المصالحة ويعود ، وكان عضد الدولة حازماً اذا قصد بلداً لم يتركه حتى يوطّد أمره فيه فانه لما قصد الموصل حمل معه اليها الميرة والعلوفات ومن يعرف أعمالها ويقوم بكتاباتها واخراجها فأقام بالموصل مطمئناً وأرسل السرايا في طلب الأمان . وهكذا انتهى ملك الحمدانيين في الموصل [1] ، وانتقلت الى بني بويه يولون عليها من يريدون حتى استقر أمرها في أواخر هذا القرن الى بني عقيل .

هذه نظرة مجملة الى تاريخ العراق أو بالأحرى الموصل في قرن لم تهدأ فيه الفتن بل كانت تتوالى عليه فتخرّبت المساجد وتهدّمت الأسواق والقصور والدور ، وكسدت سوق العلم والعلماء فلم ينبغ في تلك الديار نابغ ، وهجرها كثير من رجال الأدب الى غيرها طلباً للهدوء والسكينة أو الرزق والطمأنينة ، وليست الحروب وحدها هي التي أقضت مضاجع الموصليين وجيرانهم بل كانت الفتن الأهلية جد كثيرة أيضاً وقلّما خلت سنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية ؛ ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين

(١) انظر عاقبة أمر ابي تغلب في تاريخ ابن خلكان ١ / ١٤١ .

الأساكفة ، واحترق سوق الأساكفة بما فيه ، وكان الوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بالثائرين فحصنوا البلد وسدوا الدروب فلما رأى ذلك ترك قتالهم وأمر من التف حوله من أعراب البادية أن يخربوا الأعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر الى الخليفة فعزله وكان الأمير آنئذٍ العباس بن محمد فاستبدل به عبد الله بن محمد وكان هذا عفيفاً صارماً فاستقرت الأمور به .

وفي سنة ٣٠٧ أيضاً ثارت فتنة كبرى بين الموصليين وبين الأكراد الماردانية ولم تهدأ حتى أرسل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكينة الى ربوعها . وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية وبين أهل المربّعة والبزازين فظهر أصحاب الطعام على أولئك أول النهار ثم انضم الأساكفة الى أهل المربّعة والبزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم ، وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الأثير واجترأ أهل الشرّ وتعاقد أصحاب الخُلْقان والأساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني ليسكّن الناس فلم يسكنوا ولا كفّوا ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم .

ومن يقرأ تاريخ الموصل في هذه الفترة يعثر على أخبار كثيرة من مثل هذه الفتن ، والحق أن أمراء بني حمدان ما كانوا يهتمون بغير الحروب والقتال وجمع الأموال أما العمران والسهر على راحة الناس فشيء لا يعرفونه . وقد ظلت الموصل على هذه الفوضى في حياتها العلمية والعقلية والعمرانية حتى انتقل أمرها الى بني بويه ، ففي سنة ٣٧٩ يحدثنا ابن الأثير أن عضد الدولة شرع في عمارة بغداد والعراق عامة وكانت قد خربت بتوالي الفتن فعمر مساجدها وأسواقها وأدرّ الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والفقراء ، وألزم أصحاب

البيوت الخراب بعمارتها وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والنسابين والأطباء والحساب والمهندسين ، وأذن لوزيره النصراني نصر بن هرون في عمارة البيع وإطلاق الأموال لفقرائهم [(١)] .

أما بعد فقد ظهر لك مما سبق أن العراق عامة والموصل خاصة مرت في تلك الفترة بآونة مزعجة مضطربة سواء في السياسة أو في العمران ، غير أن النشاط العلمي القوي الذي كان في القرنين السابقين قد استمر بالقوة الدافعة التي كان يسببها بعض الاستمرار ، وسترى في الفصل الآتي بعض مظاهر هذا الاستمرار وتعدد نواحيه .

* * *

سيرته

أبو الفتح عثمان بن كنّي (٢) أو جنّي الرومي الموصلي الأزدي مولاهم ، ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة [(٣)] ولا نعلم من أوليته شيئاً سوى ما يذكره الرواة

---

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٣٧٩ .

(٢) يقول طاش كبري في مفتاح السعادة ج ١ ص ١١٤ إنه معرب (كَنى) ، وكذلك نقل السيوطي في بغية الوعاة ص ٣٢٣ . أما الأستاذ بركلمان فيقول في كتابه (تاريخ الآداب العربية) G. A. L. ١ / ١٢٥ « وربما كان هذا الاسم آتياً من Gennaios گنايوس » أي انه تعريب لهذا الاسم اليوناني وقد حدثني المستشرق الأستاذ ماسينيون أنه ربما كان من (چينار يوس) يعني الشهر الأول من العام الميلادي لأنهم كانوا يسمون بهذا الشهر ايضاً . ولعل أصح الأقوال هو ما ذهب إليه الأستاذ بروكلمان لأن ذلك أقرب إلى التسمية والواقع .

(٣) اختلفت العلماء في سنة ميلاد ابن جني ؛ فأكثر القدماء يذهبون إلى أنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة ومن هؤلاء ابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٤ ، وياقوت في الإرشاد ج ٥ ص ١٥ : وطاش كبري في مفتاح السعادة ج ١ ص ١١٤ ، والسيوطي في البغية ص ٣٢٢ . ويقول بروكلمان في تاريخه الآداب العربية G. A. L. « إنه ولد قبل الثلاثمائة » وفي دائرة المعارف الاسلامية —

عنه من أن أباه كان مولىً رومياً (يونانياً) لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي [١] وانه نشأ في الموصل فتعلم بها ما شاء الله أن يتعلم ثم رحل الى بغداد فقرأ العربية على الإمام أبي علي الفارسي [٢] (— ٣٧٧) ولازم وقرأ القراءات والأدب واللغة على جماعة منهم أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ [٣] وأبو اسحق ابرهيم بن أحمد القرميسيني [٤] وابو الحسين علي بن عمر بن عمرو [٥] وبندار بن عبد الحميد الكرخي [٦] وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن [٧]

— « إنه ولد قبل الثلاثمائة » ويقول الأستاذ بروبستر Pröbster ناشر (كتاب المقتضب) في المقدمة ص ١٠ « إنه ولد حوالي سنة ٣٢٠ » ... وهذا الرأي هو الذي اختاره زميلنا الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ص ٢ . فنحن أمام أقوال كثيرة وليس من شك في أن اضطراب المؤرخين المحدثين آتٍ من اضطراب القدماء ، ولعل خير مايقال في هذا الصدد انه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة لأنه يذكر في الخصائص ج ١ ص ٧٦ « ان أبا علي الفارسي شيخه قد أنشده بالموصل سنة احدى وأربعين ... » ومن المعقول جداً أن يكون في أواسط العقد الثاني على الأقل حين استماعه الى شيخه في هذه السن .

(١) انظر ياقوت في الارشاد ج ٥ ص ١٥ ، وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٣ . ويقول القصاص ص ٣ [ولم أعثر له على خبر في كتب التراجم] .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .

(٣) انظر الخصائص ج ١ ص ٣٦٥ و ص ٣٩٢ من الطبعة الأولى فقد ذكر ابن جني ثمة نقولاً عن أبي صالح هذا . ولم أعثر على ترجمته وأغلب ظني أنه احد الأعراب الذين كانوا يفدون الى الحاضرة . وقد روى أبو صالح هذا كثيراً عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (— ٣١٠) واخباره في ابن خلكان ١ / ٥٠٣ وبغية الوعاة ص ٥٠ .

(٤) نقل عنه في الخصائص ج ١ ص ٧٧ ، وذكره ياقوت ج ٥ ص ٢٠ ولم أعثر على أخباره .

(٥) ذكره في الخصائص ح ١ ص ٨٢ ولم أعثر على شيء من خبره .

(٦) ذكره في الخصائص ج ١ ص ٢٥٣ وترجمته في البغية ص ٢٠٨ وطبقات الزبيدي المحفوظة في خزانتنا ص ٢٦ ورقم ١٤٨ .

(٧) أكثر من النقل عنه في الخصائص ج ١ الطبعة الأولى وخصوصاً في الصحائف ١٠٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٤١٠ وذكره في سر الصناعة ص ١١٣ وترجمته في المنتظم ٦ / ٢٦١ .

وابو بكر جعفر بن محمد بن الحجاج [١] وابو سهل احمد بن محمد القطان [٢] وابو العباس احمد بن محمد الموصلي الأخفش الثاني [٣] وابو الفرج الاصفهاني علي ابن الحسين [٤] وابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم [٥] وابو بكر محمد بن هرون الروماني [٦] ، ومحمد بن سلمة [٧] . كما أخذ عن جماعة من الأعراب الفصحاء الذين كانوا يردون الحواضر ومنهم محمد بن العساف الشجري الجوثي التميمي [٨] قد استشهد ابن جني بأقواله ومسائله في كثير من كتبه [٩] ومنهم ابو صالح السليل الذي تقدم الحديث عنه .

رحل ابن جني في سبيل العلم الى أنحاء العراق والشام وغيرهما من الأمصار كما ذكر ذلك في الإجازة التي كتبها عام ٣٨٤ لأبي عبد الله الحسين بن احمد ابن نصر والتي حفظ لنا نصها ياقوت في معجمه [١٠] .

وليس من شك في أن أكثر شيوخه تأثيراً فيه هو أبو علي الفارسي إمام وقته في النحو والصرف [١١] والرواة يذكرون قصةً عن اتصال ابن جني بأبي عليّ وشدة تعلقه به ، ولا أرى بأساً من إيرادها لما فيها من الطرافة ، فقد ذكرها ياقوت فقال : « وحدثت أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة وكان السبب

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٣٩١ ولم أعثر على شيء عنه .
(٢) المبهج ص ٢٦ وسر الصناعة ص ٢٦٣ ، ٤٤٧ وانظر ترجمته في المنتظم ٧ / ٣ .
(٣) بغية الوعاة ص ١٧٠ .
(٤) سر الصناعة ص ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٥) نقل عنه في سر الصناعة ص ١٧٦ ، ٦٣٥ .
(٦) نقل عنه في الخصائص ١ / ٧٧ .
(٧) انظر سر صناعة الاعراب ، المطبوع ١ / ٣٥ .
(٨) انظر الخصائص ج ١ ص ٧٨ .
(٩) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٠ .
(١٠) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٥ .
(١١) انظر ابن خلكان ج ١ ص ١٣١ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٣٨ .

في صحبته له أن أبا علي اجتاز بالموصل فمرّ بالمسجد الجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصَّر فيها فقال له أبو علي زبَّبت قبل أن تحصرم ، فسأل عنه فقيل له هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف (١) » .

قلت ويظهر أن هذه القصة مصنوعة لأن ابن خلكان يرويها على شكل آخر فيقول : « ... قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فاجتاز بها شيخه فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه فقال له : تزبَّبت وأنت حصرم .. » (٢) .

فالفرق بين الروايتين يظهر من وجوه ثلاثة :

أولاً — أن الرواية الأولى تذكر أن ابن جني ما كان يعرف أبا علي لما وقف عليه في الحلقة ، والرواية الثانية تنص على أنه كان يعرفه بل تزعم انه كان تلميذه .

ثانياً — يذكر ابن جني في كتابه الخصائص « .. إن أبا علي أنشده بالموصل سنة إحدى وأربعين ... (٣) » ونحن نعرف أن ابن جني قد ولد حول الثلاثين والثلاثمائة فعلى هذا يكون عمر ابن جني في سنة إحدى وأربعين نحواً من اثني عشرة سنة وما يجوّز عقل أن انساناً له هذا العمر يرحل في طلب العلم قبل هذه السن من الموصل الى بغداد ثم يعود ويحلّق حلقةً يعلم فيها النحو ؟ ؟

ثالثاً — جرت عادة المترجمين من المتقدمة أن يختلقوا قصصاً وروايات يعللون بها أسباب انصراف هذا الطالب الى ذاك العالم أو هذا الشيخ

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٥ .
(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .
(٣) الخصائص ج ١ ص ٧٦ .

فيخترعون لذلك قصصاً ينسجها خيالهم . وأنا أرى أن قصة الزبيب والحصرم من هذا النوع ابتدعه مترجمو ابن جني ليبينوا سبب تعلق ابن جني بالصرف أولاً وبشيخه أبي علي ثانياً .

وكان أبو الفتح شديد الحب لشيخه كثير الإعجاب به مكبراً علمه وعقله ، وقد ذكر الرواة أن ابن جني ثقة حجة فيما ينقل عن شيخه الفارسي [1] وقد أكثر من النقل عنه في كتبه ، وإن ما بقي بأيدينا من كتبه مثل سر الصناعة ، والخصائص ، والمبهج ، والمحتسب ، والتنبيه ، كله مملوء بأقوال أبي علي والاعتماد عليها ، والترجيح بها .

ويظهر أن أبا الفتح كان شديد التعلق بشيخه فقد كان يتنقل معه أينما رحل ويحل حيث حل ؛ ذكر في الخصائص أن أبا علي حدثه بالشام عن مسألة ... [2] وذكر الذهبي : أنه لزم أبا علي وتبعه في أسفاره حتى أحكم العربية [3] فكانا لا يكادان يفترقان ، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، وفي بلاط عضد الدولة البويهي في إيران .

وكان ابن جني أيضاً شديد الإيمان بسعة علم شيخه ، وقوة قياسه ومعرفته بالتصريف خاصةً ، حتى إن التصريف أصبح همه لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر وهاك بعض كلامه يؤيد ما قلناه :

« ... سألني أبو علي رحمه الله عن ألف (يا) من قوله فيما أنشده أبو زيد :

فخيرٌ نحنُ عندَ الناسِ منكمْ إذا الدّاعي المثوّبُ قالَ يالاَ

فقال أمنقلبة هي ؟ قلت لا ، لأنها في حرف أعني (يا) قال بل هي منقلبة فاستدللته على ذلك فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووُقف عليها فصارت

(١) المزهر ج ١ ص ١٧٥ .
(٢) الخصائص ج ١ ص ١٢٧ .
(٣) تاريخ الذهبي حوادث سنة ٣٩٢ .

اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزلة (قال) والألف في موضع العين وهي مجهولة فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو ، وهذا أجمل ما قاله ولله هو وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ، فكأنه إنما كان مخلوقاً له ، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحة علله ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً ، إلا بأخرة ، وقد حط من أثقاله ، وألقى عصا ترحاله ، ثم إني – ولا أقول إلا حقاً – لأعجب من نفسي في وقتي هذا كيف تطوع لي بمسألة ؟ أم كيف تطمح بي الى انتزاع علة ؟ مع ما الحال عليه من علق الوقت وأشجانه ، وتداؤبه وخلج أشطانه ، ولولا معازة الخاطر واعتناقه ، ومساورة الفكر واكتداره ، لكنت عن هذا الشأن بمعزل وبأمر سواه على شغل[1] » .

فنحن نرى في هذا النص شدة إعجاب ابن جني بشيخه كما نرى فيه إعجابه بنفسه من انصرافه الى هذا النوع من البحث مع ما هو عليه من سوء الحال ، ولكن ذلك كله أتاه من تشجيع شيخه الذي كان يرى فيه المثل الأعلى للعالم المدقق والباحث المنصرف الى طلب العلم والحقيقة .

ويظهر أن انصراف ابن جني الى أبي علي وشدة تعلقه به وانقطاعه اليه لم يؤثر في علمه ومذهبه في البحث فحسب ، ولكن أثر أيضاً في عقيدته ومذهبه في الدين ؛ فان أبا علي كان من كبار شيوخ المعتزلة ، قال ياقوت في ترجمة محمد بن طوس القصري : « .. هو من النحويين المعتزلة أحد تلاميذ أبي علي الفارسي »[2] .

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ الطبعة الأولى .
(٢) انظر بغية الوعاة ص ٥٠ ، وابن خلكان ج ١ ص ١٣٢ ، والمزهر ج ١ ص ٦ .

وهذه العبارة تدلنا على أن النحويين المعتزلة كان يتتلمذون على أبي علي أو بعبارة أصح تدلنا من وراء سطورها على أن أبا علي كان يحبّب الى تلاميذه في النحو والعربية مذهب الاعتزال لما له من صلة بالمنطق (١) .

ثم إنا حين ندقق في آثار ابن جني نرى فيها روح الاعتزال قوية فانه في كل آثاره وبخاصة في (الخصائص) و (سر الصناعة) يكثر من تحكيم العقل وطرد الأقيسة وحبّ المجادلة التي تماشي العقل والمنطق ، وإنك لتقرأ الفصول الأولى من كتابه (الخصائص) فيخيّل اليك أنك تقرأ أبحاثاً منطقية لا مناقشاتٍ صرفيةً أو لغويةً ؛ انظر مثلاً الى قوله في (سر الصناعة) حيث الكلام على الصفات :

« ... وليس يريد النحويون بالصفة ما يريد المتكلمون بها من نحو القدرة والعلم والسكون والحركة لأن هذه الصفات غير الموصوفين بها ، ألا ترى أن السواد غير الأسود ، والعلم غير العالم والحركة غير المتحرك وإنما الصفة عند النحويين هي النعت ... (٢) » .

أفلا تنظر في هذا رأي المعتزلة في صفات الخالق سبحانه .

وقد ظلّ أبو الفتح ملازماً أستاذه الفارسي في بغداد وفي رحلاته العلمية الى أن مات الشيخ في ربيع الآخر أو الأول من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فحل محله والتفّ تلاميذُ أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتى أصبح إمام بغداد وحجتها غير مدافع ، كما أصبح مرجع العالم الإسلامي في علوم العربية .

وقد تقلد أبو الفتح بعض مهام الدولة فكتب لسيف الدولة بن حمدان

---

(١) المجلة (؟ !) .

(٢) سر الصناعة مخطوطتنا ٢٩ وانظر أيضاً كتاب الخصائص ج ١ ص ٢٣ من الطبعة الأولى .

صاحب حلب ، كما كتب لعضد الدولة الديلمي صاحب المشرق [(١)] والتقى بأبي الطيب المتنبي عندهما فقويت أواصر الصلات بينهما وكان المتنبي يحبه ويعجب بذكائه ويقول فيه : « أبو الفتح هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وسئل المتنبي مرةً بشيراز عن معنى قوله في مخاطبة أبي شجاع :

وكان ابنا عدوٍ كاثراه له يائي حروف انيسيان

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره [(٢)] » .

وروى ياقوت : أن أبا الفتح بن جني كان بحلب يحضر عند المتنبي الكثير ويناظره في شيء من النحو من غير أن قرأ عليه ديوان شعره إكباراً لنفسه عن ذلك [(٣)] .

ولما كان أبو الفتح في بغداد اتصل بالشريف الرضي محمد بن حسين العلوي وقد فسر له بعض قصائده [(٤)] كالقصيدة التي رثى بها أبا طاهر بن ناصر الدولة

---

(١) انظر ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية في ترجمته وذكر الصابي في كتاب تاريخ الوزراء « انه خدم عضد الدولة وصمصام الدولة وشرفها وبهاءها اهـ » ج ٨ ص ٤١٧ وكذلك ذكر الذهبي في تاريخه في حوادث سنة ٣٩٢ .

(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ وتفسير البيت ان كلمة (انسان) مركبة من خمسة حروف فلما صغرت صارت مركبة من سبعة فازدادت الحروف وصغر المعنى . فهو يقول لأبي شجاع ان عدوك الذي يكاثرك بولديه لا يؤبه له لأن مثله مثل (انسان) اذا صغرتها .

(٣) معجم ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، تاريخ الوزراء للصابي ج ٨ ص ١٤٧ .

(٤) معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٢٠ — ٢٢ وقد اختلف العلماء في قراءة ابن جني على أبي الطيب شعره والصحيح أنه قرأه عليه كما يقول ابن خلكان وكما يقول هو نفسه في شرحه الديوان :

كنت قرأت ديوان أبي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كافور :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا أشتكي فيها ولا أتعتب

وبي ما يذود الشعرَ عني أقله ولكن قلبي يابنة القوم قلب

فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة فقال : حذرناه وأنذرناه .

والتي أولها :

ألقي السلاحَ ربيعة بن نزار أودى الردى بقريعك المغوارِ (١)

وكالقصيدة التي رثى بها الصاحب بن عباد وأولها :

أكذا المنون تقنطر الأبطالا أكذا الزمان يضعضع الاجبال (٢)

وكالقصيدة التي رثى بها الصابي وأولها :

أعلمت من حملوا على الأعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي (٣)

وقد شكره الشريف على ذلك ومدحه بقصيدة أولها :

أراقب من طيف الحبيب خيالا ويأبى خيال أن يزور خيالا (٤)

وهي في خمسة وثلاثين بيتاً أشاد فيها الشريف بمناقب صديقه أبي الفتح وعلمه وفيها يقول :

فدى لأبي الفتح الأفاضل إنه يبزّ عليهم إن أرمّ وقالا
إذا جرت الآدابُ جاء امامها قريعاً وجاء الطالبون إفالا
فتى مستعاد القول حسناً ولم يكن يقول محالاً أو يحيل مقالا
ليقري أسماع الرجال فصاحة ويورد أفهام العقول زلالا
ويجري لنا عذباً نميراً وبعضهم إذا قال أجرى للمسامع آلا
... ولما رأيت الوفر دون محله جزاءً وقد أسدى يداً وأنالا
بعثت له وفراً من الشعر باقياً وكنزاً من الحمد الجزيل ومالا
فسم آخراً منه كوسمك أولاً وشنّ عليه رونقاً وجمالا
ومثلك إن أولى الجميل أتمه وإن بدأ الإحسان زاد ووالى

(١) ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٣٧٨ .
(٢) ديوان الشريف الرضي ج ٢ ص ٦٧٠ .
(٣) الديوان ج ١ ص ٢٩٤ .
(٤) الديوان ج ٢ ص ٦٤٠ .

وكأنه في البيت الأخير والذي قبله يطلب منه أن يفسر ديوانه كله كما صنع بشعر أبي الطيب ولكنّ أبا الفتح لم يفعل ذلك .

ولما مات الشيخ أبو الفتح اشتدّ حزن صديقه الشريف الرضي عليه وصلى عليه ورثاه بقصيدة من أجود شعره في نحو من سبعين بيتاً قال فيها (١) :

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق　　وللعظم يرمى كل يوم بعارق
وللدهر يُعري جانبي من أقاربي　　ويقطع ما بيني وبين الأصادق

ومنها : يذكر بلاغته وفهمه لدقائق المعاني وقد أجاد :

فمن لأوابي القول يبلو عراكها　　ويحذفها حذف النبال الموارق
إذا صاح في أعقابها اطَّردت له　　ثواني بالاعناق طرد الوسائق
وسوّمها ملس المتون كأنها　　نزائع من آل الوجيه ولاحق
... ومن للمعاني في الأكمة ألقيت　　الى باقر غيبَ المعاني وفاتق
يطوّح في أثنائها بضميره (٢)　　مريرَ القوى ولاّج تلك المضائق
تسنَّم أعلى طودها غير عاثر　　وجاور أقصى دحضها غير زالق
طوى منه بطن الأرض ما تستعيده　　على الدهر منشوراً بطون المهارق (٣)

ومنها ؛ يذكر خالص وفائه وصداقته وشرف نفسه وسمو أخلاقه :

مضى طيب الاردان يأرج ذكره　　أريج الصبا تندى لعرنين ناشق
كأن جميع الناس آذنوا عشيةً　　على بعض أمطار الربيع المغادق
وما احتاج برداً غير برد عفافه　　ولا عرف طيبٍ غير تلك الخلائق
وفارقني عن خلة غير طرقة　　تضمنها صدر امرىء غير ماذق
تروّق ماء الود بيني وبينه　　وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق
فما العهد مني إن لهوت بثابتٍ　　ولا الود مني إن سلوت بصادق

(١) الديوان ج ١ ص ٥٦٢ .
(٢) لعلها « ببصيرة » .
(٣) « الورق والصحائف » .

فما أصدق هذه العاطفة وأكرم هذا الرثاء من الشريف الرضي في أبي الفتح . ولا عجب فان أبا الفتح لم يكن صديق الشريف فحسب ولكنه كان أستاذه وهو الذي خرّجه في الشعر على طريقة أبي الطيب المتنبي كما يذكر ذلك الأستاذ ميتس Mez [١] .

[وبعد] فقد ظلّ أبو الفتح يعلّم الناس ويؤلف ويرحل في طلب العلم إلى أن أدركه الأجل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وهي الليلة الموافقة لليلة السادسة عشرة من (كانون الثاني) سنة ١٠٠٢ ميلادية [٢] بعد أن خرّج جمهرة لا تحصى من الفحول منهم أولاده الثلاثة عليّ [٣] ، وعلاء [٣] ، وعالٍ [٤] ، وكلهم أديب فاضل محسن « قد خرّجهم وحسّن خطوطهم فهو معدودون في الصحيحي الضبط وحسن الخط » [٥] . ومن خير تلاميذه : محمد بن عبد الله بن شاهويه [٦] وعلي بن زيد القاشاني [٧] والثمانيني عمر بن ثابت [٨] والأمير الشاعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

---

(١) انظر كتاب الأستاذ ميتس Mez ص ٢٢٦ . والذي نراه أن ميتس يغالي في نظريته فان شعر أبي الطيب في واد وشعر الشريف في واد ، ولو كان الشريف يعجبه شعر أبي الطيب .

(٢) هكذا ذكر ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ وهو رأى جمهور من ترجمه وأما ابن الوردى فقد ذكر في تاريخه ج ١ ص ٣١٧ نقلاً عن المهذب المعرى في تاريخه أنه مات سنة ٣٩٠ وقال إن هذا أصح لقرب عهده بابن جني وذكر الخطيب البغدادي أنه مات سنة ٣٩٣ كما في ج ١١ ص ٣١١ .

(٣) لم أعثر على ترجمتها .

(٤) ذكره في البغية ص ٢٧٤ وقال كان مثل أبيه حسن الخط ومات سنة ٤٥٧ .

(٥) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .

(٦) البغية ص ٥٣ .

(٧) البغية ص ٣٣٨ وياقوت ٥ / ٢٠٧ .

(٨) البغية ص ٣٦٠ وياقوت ٤ / ٢٣٨ .

الخفاجي الأديب الناقد المؤلف (— ٤٦٦) [١] صاحب سر الفصاحة الذي اعتمد فيه على آراء شيخه وأقواله في الفصاحة ، وعبد السلام بن الحسن بن محمد ابن البصري [٢] وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار الشمسي [٣] وأبو عبيد الله الحسن بن احمد بن احمد بن نصر [٤] وثابت محمد الجرجاني الأندلسي [٥] وغيرهم .

ويذكر القفطي في انباه الرواة على انباه الرواة في ترجمته : « وخدم أبو الفتح عثمان بن جني بيت آل بويه في عهد عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة وولده بهاء الدولة الذي مات في عهده وكان ملازمهم في دورهم » فهذا يدل على أن هؤلاء الأمراء العظام كانوا يغترفون من بحره ويفيدون من علمه وانهم قد تتلمذوا عليه .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) فوات الوفيات ١ / ٢٩٨ ، واعلام النبلاء ٤ / ٢٠٣ .
(٢) البغية ص ٣٠٥ .
(٣) ياقوت ج ٥ ص ٢٣ والبغية ص ٣٤٣ .
(٤) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .
(٥) ياقوت ٢ / ٣٩٨ .

التعريف والنقد

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف الشريف الرضي

تحقيق محمد عبد الغني حسن

هذه هي المرّة الأولى التي طبع فيها كتاب : تلخيص البيان في مجازات القرآن لصاحبه الشريف الرضي ، وقد جاء الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقدمة الكتاب بالأدلة القاطعة على صحة نسبته الى الشريف الرضي وكان تحقيقه قائماً على جهد ظاهر فهو لم يجازف به مجازفة .

إلاّ أن المقدمة لم تشتمل على هذا الأمر وحده وإنما اشتملت على أمور ثانية بارعة مثل الإشارة الى قيمة الكتاب العلمية والأدبية والى القراءات فيه والى منزلته بين كتب التفسير والى عصر الشريف والحياة الأدبية فيه والى أشياء ثانية تتصل بالشريف الرضي .

ولكنني أحبّ أن أنتخب من هذه الأمور كلها أمراً واحداً وأعني به إشارة الأستاذ محمد عبد الغني حسن الدقيقة الى إعجاز القرآن في ألفاظه وأساليبه ومعانيه والى مسالكه اللطيفة وغرائبه العجيبة في التعبير ونكته البلاغية الخفية والظاهرة وأسراره واستعمالاته ومجازاته واستعاراته ومقاصده وغير ذلك مما يكشف لنا عن مقدار تقدير الأستاذ المومأ اليه لروح القرآن .

أما الكتاب نفسه : تلخيص البيان في مجازات القرآن فلم يؤلف مثله في هذا الغرض على نحو ما ذكر ذلك الأستاذ المحقق ، فالشريف الرضي خطا أوّل

خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفاً مستقلاً بذاته ولم يأتِ تأليفه عرَضاً في خلال كتاب أو في خلال بابٍ من أبواب مصنَّف من المصنَّفات ، وإنما بدأ بتأويل مجازات القرآن وتوضيح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه وتحليل استعاراته متناولاً في هذا كله سورة سورة من القرآن بحسب الترتيب .

هذا كلُّه فصَّله لنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن تفصيلاً دلنا على عنايته بأسرار القرآن وعلى حسن ذوقه لبلاغته ولا شك في أن في انصرافه الى تحقيق كتاب الشريف الرضي ووضع مقدمته وترتيب فهارسه فائدة جليلة فالقرآن يقرأ المسلمون كل يوم آيات كثيرة منه ويسمعون هذه الآيات من دور الإذاعات ويشهدون تدريسه في المدارس والجامعات وعلى الرغم من هذا كله لم نصل بعدُ الى إدراك أسراره على الوجه الأكمل فلم نذق بلاغته الذوق كله ولم نحط بعبقريته الإحاطة كلها فكثيراً ما نمرُّ بآية من آياته الكريمة فلا نشعر بمحاسنها إلاّ من ناحية أو من ناحيتين فاذا خلصنا إلى إدراك معناها جملةً فلا نخلص الى إدراك أسرار بلاغتها واذا خلصنا الى إدراك هذه الأسرار فلا نكاد نخلص الى الصلات بين ألفاظها وأظن أن ضرب مثل من الأمثال يوضح هذا الكلام .

قال الشريف الرضي :

وقوله سبحانه : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وهذه استعارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يُرجم بها كالحجارة وغيرها فجعل ، سبحانه ، إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرضّ ما صكَّه ويدمغ ما مسَّه ، ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفّى الاستعارة حقَّها وأعطاها واجبها فقال سبحانه : فيدمغه ، ولم يقل فيذهبه ويبطله لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال وعلى طريق

الغلبة والاستعلاء فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد : فاذا هو زاهق والزاهق : الهالك ·

هذا مثل من أمثال الكلام على الاستعارة في كتاب الشريف الرضي انتخبته عرضاً فقد نستطيع أن نحيط بظاهر معنى الآية وأن ندركه لأول وهلة ولكننا لا نستطيع الوصول الى باطن المعنى إلاّ بعد إعمال الفكر أي لا نستطيع أن نصل الى الصلة بين القذف بالحجارة والقذف بالحق إلا بعد أن نفهم الصلة المعنوية بين هاتين الصورتين فاذا فهمنا هذه الصلة تجلت لنا القدرة في صب اللفظ في موضعه وفي التنسيق بينه وبين أخيه وفي النسبة بين صورة الحقيقة وصورة المجاز واذا تجلت لنا هذه القدرة نعمنا حينئذٍ بذوق البلاغة والوقوف على أسرارها وعلى غير هذا الشكل لا يمكن أن نفهم القرآن ولا أن نتمتع من إعجازه ·

فاذا شكرنا للأستاذ محمد عبد الغني حسن جهده في تحقيق كتاب الشريف الرضي وفي وضع مقدمة له وفي إفاضته في الذي أفاض فيه في هذه المقدمة مما يطول بسطه في هذا المقام فنحن نشكر له هذا الشكر لأنه مهّد لنا سبيلاً الى الاطلاع على كتابٍ نقوّم به أذواقنا في البلاغة ونفقه به مداركنا في معرفة الألفاظ وأسرارها ونقوّي به فهمنا لأكبر مصدر من مصادر البلاغة في لغة العرب ·

نوابغ الفكر العربي

بديع الزمان الهمذاني

بقلم مارون عبود

حقاً إن هذه السلسلة التي وضعتها دار المعارف في مصر وسمتها : نوابغ الفكر العربي تمهد السبيل الى الاتصال برجال الأدب والفكر في القديم والحديث ، فانها تشتمل على خلاصة ما يصوّر كاتباً من الكتّاب أو شاعراً من الشعراء أو مفكراً من المفكرين فاذا تمت هذه السلسلة في يوم من الأيام فانها ستكون بمنزلة خزانةٍ للفكر العربي .

أقول هذا القول على شرط واحدٍ ، أن يكون واضع كل كتاب من هذه السلسلة قد أحاط بموضوعه من كل ناحية فلا يكاد يتفلت منه أفق من آفاقه ثم كثّف كلامه بعد هذه الإحاطة حتى يقول أكثر ما يمكن قوله في أقلّ ما يكون من البيان ، أما الذين يغيرون على مطوّلات الكتب فيمسخونها مسخاً ويسرقون أفكارها دون الإشارة الى كلّ سرقة في حاشية الصفحة مكتفين بذكر مصادرهم في الفهرست العام ، أما هؤلاء فانهم بعيدون عن أن يحققوا لدار المعارف ما ترمي اليه في وضعها سلسلة نوابغ الفكر العربي ولست أحب التصريح بالأسماء في هذا المقام وانما أكتفي بالتعريض .

أحمد الله على أن الأستاذ مارون عبود ليس من هذه الطبقة التي لم تنعم بانفراد الفكر واستقلال العقل وإنما الأستاذ من الذين يحترمون أنفسهم ويثقون بأذواقهم ويعتمدون في الكتابة على أفهامهم وعلى دقة هذه الأفهام ، لقد وضع كتابه : بديع الزمان الهمذاني بعد أن محّص هذا العبقري كل تمحيص بنظره الثاقب وفهمه الشامل .

جرى في كتابه على الأصول المتبعة في سلسلة نوابغ الفكر العربي فأنشأ ثلاثة فصول : عصر بديع الزمان ، بديع الزمان في عصره ، جوانب بديع الزمان ، وبسط في فصل من هذه الفصول الثلاثة ما للبديع من صلة بعصره وما للعصر من صلة بالبديع ، فاذا تكلم على حالة اجتماعية في العصر الذي عاش فيه البديع فلا يخلو كلامه من الإشارة الى تفاعل العصر وآثار الهمذاني ، لقد عاش البديع في عصر ظهرت فيه آثار الاستبداد والغرق في النعيم كما ظهرت آثار الفقر والظلم فلم يغفل الأستاذ مارون عبود عن الإشارة الى أن رسائل الهمذاني كانت صورة هذه الحالة الاجتماعية وهذه هي فائدة تصوير عصر الأديب ولولا هذه الصلة بين الأديب وبين عصره لما كان لذكر الحالات الاجتماعية أو السياسية معنى من المعاني ، فالأستاذ مارون عبود لم يهمل ذكر هذا كله ولقد ذكره في أوجز عبارة دون شيء من الإضجار .

ثم اذا أفاض في ترجمة البديع ذكر الصلة بين حياته وبين آثاره ولولا ذكر هذه الصلة لم يكن للترجمة قيمة ولقد علقت بذهني عبارة قالها بعض كتاب الانكليز في حق أديب من الأدباء فقد قال : اذا أردنا أن نفهم فنّ هذا الأديب لزمنا أن نعرف دقائق حياته ، فالأستاذ مارون عبود بسط ما بسط من دقائق حياة البديع ولكنه كان ماهراً في التنسيق بين هذه الدقائق وبين فنّ صاحبها .

ولما وصل الى فن البديع جاء بالكلام الذي يدل على فهم دقيق وعلى ذوق صالح فقد فطن قبل كل شيء الى أن آثار البديع كانت صورة حالات اجتماعية كما كانت آثاراً أدبية فقد صوّرت حالات البؤس وفساد الأخلاق والترف والنعيم في بعض الطبقات ويعجبني تنبيه الأستاذ على تأثير العصر في فن البديع فاذا نبّه على تأنق البديع في إنشائه نبّه في الوقت نفسه على أن مصدر هذا التأنق إنما هو تأنق العصر في النعيم والترف ، وضّح الأستاذ مارون عبود هذا

كلّه ووضّح خصائص فن البديع فتكلم على ميله الى الصناعة اللفظية والى السجع والإكثار من التشبيهات والاستعارات والكنايات وما يشابه ذلك ووازن بين فنّ البديع وفن الحريري موازنةً تدل على تعمق في الوقوف على أسرار الفن .

من خصائص البديع التهكم وقد ظللت أتتبع الأستاذ مارون عبود في كل كتابه لأصل الى آثار هذ التهكم حتى وصلت الى قوله في بعض المواضع : فهو يمجن ويمزح ويتهكم ... ولكني كنت أرجو أن يفرد الأستاذ لتهكم البديع سطوراً قليلة على نحو ما فعل في كلامه على مجامع نواحيه لأن التهكم في أدبنا غير كثير فاذا اهتدينا الى كاتب يميل الى هذا النوع فلا بأس باظهار صفات تهكمه فانا نعرف أن الجاحظ كان إمام المتهكمين ولكنا نعرف أيضاً أن تهكمه خبيث ولم يك مؤذياً فكنا نريد أن نعرف خصائص تهكم البديع واذا أردنا هذه المعرفة فلأنا نعيش في عصرٍ أصبح التهكم فيه أقوى سلاح لأنّ فيه مندوحة عن الشتم والقذف .

على أن مرور الأستاذ مارون عبود على هذه الناحية دون بسطها وشرحها لا يصرفنا عن توفيتنا إيّاه حقّ فضله وعن تهنئته بكتابه : بديع الزمان الهمذاني الذي دلّ على علمٍ وادب وفهم .

نظرة تاريخية
في حركة التأليف عند العرب

للدكتور أمجد الطرابلسي
الأستاذ في كلية الآداب

الشهادة الأولى في كلية الآداب في الجامعة السورية إنما هي شهادة الثقافة العامة ، فلا بدّ لطلاّب الشهادات كلها : طلاّب الأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية من تهيئة شهادة الثقافة العامة قبل انصرافهم مدة ثلاث سنين الى تهيئة الشهادات التي يتفرغون لها .

مهمة الأساتذة في شهادة الثقافة العامة أن يثقفوا طلاّبهم تثقيفاً عاماً في أدب العرب وتاريخ الحضارة وعلم الاجتماع والجغرافية وبعض اللغات حتى لا تضيق آفاق معلوماتهم العامة في تفرّغهم لشهاداتهم الخاصة .

الدكتور أمجد الطرابلسي يزوّد طلاب شهادة الثقافة العامة بثقافة أدبية عامة فضلاً عن تدريسه الأدب في شهادة الآداب العربية في آخر سنة فهو يطلعهم على التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية من أول عصورنا الأدبية حتى أول عصر نهضتنا الحديثة وقد وضّح في مقدمة كتابه : (نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب) الهدف الذي يرمي اليه فقال :

« لهذا البحث في منهاج السنة الأولى بكلية الآداب هدف مزدوج ، فهو يرمي الى أن يكوّن لدى الطلاّب فكرةً موجزةً وواضحة عن بعض نواحي النشاط الفكري عند العرب حتى فجر النهضة الحديثة كما يرمي أيضاً الى دلالة الطالب الجامعي على المراجع والمصادر الهامة التي هو بحاجةٍ اليها لاستكمال أدوات بحثه ... » .

وبعد أن وضّح هذين المدفين شرع يشرح فكرته ويبين فوائدها وإني لأكتفي بالإشارة الى الفائدة الأُولى وهي توثيق الصلة بين مستقبلنا العلمي وبين ماضينا .

ميّز الأُستاذ في بحثه بين معرفة الرجوع الى المصادر وبين معرفة الاستفادة من هذه المصادر فليس المهمّ أن يعرف الطالب مصادر البحث وانما المهم أن يعرف كيف يستفيد منها وكيف تكون استفادته عميقة وشخصية على نحو ما قال المؤلف ، ولا شك في أن أمثال هذه الدقائق تدل الدلالة القوية على إدراك الدكتور أمجد الطرابلسي للأُسلوب الجامعي في التدريس والتأليف وعلى تمكنه من هذا الأُسلوب فهو يعرف كيف يقوّي في الطالب شخصيته وكيف ينمي هذه الشخصية وهذا ما ظهرت آثاره في تأليفه وفي تدريسه فهو لا يريد أن تكون مدارك الطالب بمنزلة آلةٍ يحرّكها زر من أزرار الكهرباء وإنما يريد أن يقوّي الطالب مداركه بنفسه والأُستاذ يتولى إرشاده وهدايته . فاذا قلت ان الدكتور أمجد الطرابلسي تمكن من الأُسلوب الجامعي التمكن كله فلم أُغالِ في قولي .

أمّا كتابه فانه يشتمل على بابين : التأليف في اللغة والتأليف في الأدب ، وقد احتوى باب التأليف في اللغة على فصلين : فصل في معاجم الألفاظ وفصل في معاجم المعاني ، واحتوى باب التأليف في الأدب على ثلاثة فصول : المجموعات الشعرية القديمة وكتب الثقافة الأدبية العامة وكتب تراجم الأدباء .

أظن أن القارئ يستطيع أن يفطن الى جلالة قدر هذه المحتويات من عناوين الأبواب والفصول فهو يستطيع على الأقل أن يفطن الى فوائد الكتاب وإني لأمرّ بهذه الفوائد كلها ما خلا فائدةً باطنة لا مندوحة لي عن التنبيه عليها .

إن أعظم ما يفتقر اليه أدبنا لا بل تاريخنا كله إنما هو تسلسل أطواره بحيث يمكننا أن نعرف كيف كان أمر من الأمور في أول نشأته وما هي الأطوار

التي دخل فيها حتى وصل الى ما وصل اليه في عصرنا هذا فاذا عرفنا أدبنا وتاريخنا على هذا النحو من المعرفة استطعنا أن نوثق الصلة بين ماضينا وبين حاضرنا واستطعنا من جهة ثانية أن نشهد هذا الماضي بأعيننا حتى كأنا نعيش فيه وكأنا من أبنائه . والدكتور أمجد الطرابلسي لم يقتصر فضله على تزويد الطلاب بثقافة أدبية عامة أو على تقوية شخصياتهم أو على إرشادهم الى جوهر البحث والاستقصاء وإنما استطاع بفضل تنسيق فكره وأسلوبه الجامعي أن يجعلنا نعيش في الماضي ونشعر بأنا من أبنائه . وأعتقد أن ضرب المثل في هذا المعنى إنما هو أقوى برهان .

لقد تكلم في كتابه على المعاجم فبدأ بذكر الأشكال التي جمعت عليها ألفاظ اللغة العربية ، فالشكل الأول منها إنما هو تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب والشكل الثاني تدوين ألفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف والشكل الثالث وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة وبعد أن فرغ من هذا التقسيم المتقن أخذ يضرب الأمثال لكل شكل من هذه الأشكال وعلى هذا النحو من تنسيق البحث والاستقصاء يستطيع القارئ أن يمرّ بالأطوار التي تقلب فيها التأليف في اللغة وأن يشهد هذه الأطوار بعينه فيشهد ميلادها وحياتها في أوضح صورة .

فاذا افتخرت كلية الآداب الناشئة التي لم يتجاوز عمرها ثماني سنين فانها تفتخر بأساتذة من طراز الدكتور أمجد الطرابلسي فهموا الأسلوب الجامعي أدقّ فهم وطبّقوه أبرع تطبيق .

ابن الرومي

بقلم محمد عبد الغني حسن
دار المعارف

إنك لا تريد أن تعرف شيئاً عن ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن إلا عرفته ، فقد صوّر في الفصل الأول عصر الشاعر من نواحيه المختلفة ، من نواحي سياسته واجتماعه وثقافته ، فذكر في حالته السياسية الصراع بين العرب والفرس والترك ، لقد كان ذلك العصر عصر اضطراب لم يستقرّ فيه شيء من أمور الدولة .

وإذا كنّا لم نشهد مقدار اتصال ابن الرومي بعصره أو مقدار انفصاله عن هذا العصر من ناحية السياسة فقد شهدنا مبلغ اتصاله بالعصر من الناحية الاجتماعية لقد وصف الشاعر حياة السهر والليل في الطبقات الرفيعة ووصف الجواري وطبقات رجال الدولة على اختلافهم واستنبط المؤلف من هذا كله حكماً صائباً فانه لما بيّن الصلة بين ابن الرومي وعصره من الناحية الاجتماعية بيّن في الوقت نفسه الصلة بين اضطرابه في فنون شعره وبين اضطراب ذلك العصر فكان شعر ابن الرومي صورة العصر : صورة الترف والبؤس ، صورة السعة والضيق ، صورة المروءة والخساسة ...

وكما كان الأستاذ محمد عبد الغني حسن بارعاً في الإشارة الى التناسب بين شعر ابن الرومي وبين روح عصره فكذلك كان بارعاً في الإشارة الى التناسب بين شعره وبين ثقافة عصره فقد كان عصر الشاعر عصر علم وفلسفة ، عصر أدب وهندسة وتنجيم وكيمياء وغير ذلك فاختلط ابن الرومي بالقديم والحديث ،

بالدين والفلسفة ، فشارك عصره في الثقافة ، ففي بعض شعره فكر وفلسفة ومنطق وفيه بعض صفات عقلية ، إلاّ أنه لم يكن في الفلسفة من أصحاب الشك والريب .

ولمّا فرغ الأستاذ المؤلف من الكلام على أحوال السياسة والاجتماع والثقافة في عصر ابن الرومي انتقل في الفصل الثاني الى الكلام على أشياء كثيرة من أخباره ونسبه وصوره وتدينه وتشيعه واعتزاله ومعيشته . لم يُعن أصحاب التراجم بأخبار ابن الرومي فكثير منهم أهملوا ترجمته فأشار الأستاذ محمد عبد الغني حسن الى ما أمكنه الإشارة اليه من مصادر أخباره ، أمّا صورة ابن الرومي فحسبنا أن نعرف عنها أنه كان غريب الأطوار ، فهو يمدح الرجل اليوم ويذمه غداً ويستحسن زهراً اليوم ويستقبحه غداً ، فهو غريب في أطواره ، غريب في أخلاقه .

ولكن الذي يهمنا من ابن الرومي شاعريته قبل كل شيء وهذا ما أفاض فيه الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي أبلغ إفاضة فلم يغفل عن كل شيء له صلة بهذه الشاعرية .

تقوم شاعرية ابن الرومي على التعمق في المعاني فهو لا يترك المعنى حتى يستهلكه أو يميته وهذا التعمق هو الذي جعل شعره في نظر بعض النقّاد غريباً عن شعر العرب ، لأن الشاعر العربي لا تألف عقليته التحليل وادارة المعنى على كل وجه وإنما الشعر العربي كان لمحاً وخطرات على أن ابن الرومي لم تستغفل وحدة الموضوع في كل شعره فبعض شعره كان لمحاً وخطرات .

أما تشبيهاته فهي في نظر الأستاذ محمد عبد الغني حسن معنوية عميقة تبعد عن الواقع الملموس على خلاف تشبيهات ابن المعتز فانها حسية ، على ان ابن الرومي لم يقصر عن ابن المعتز في التشبيهات المحسوسة ولكن صور ابن المعتز لا روح فيها ولا حياة ، انها تماثيل من فضة وذهب وياقوت وعنبر وزبرجد وأحجار كريمة أما صور ابن الرومي فانها فياضة بالحياة والحركة وغرائب المفارقات .

هذا ما قرّره الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي وعندي أن هذين النوعين من التصوير متلازمان لا يكاد يستغني أحدهما عن الآخر فان تماثيل ابن المعتز اذا لم تستنفض فيها الحركة والحياة كانت جامدة لا تأثير لهـا في القلب وصور ابن الرومي إذا كانت مجرّدةً ، عقلية ، لم تفرغ في قوالب حسية كانت جامدةً فقد يجوز أن يفتقر ابن المعتز الى بعض الحركة والحياة في شعر ابن الرومي وقد يجوز أن يفتقر ابن الرومي الى بعض الصور المحسوسة في شعر ابن المعتز ، فابن الرومي لم يُعن بالتصوير عنايته بالصورة نفسها وهذا ما أشار اليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن فهو يفتش عن المعنى فاذا ظفر به قذفه في أي قالبٍ كان سواء أكان هذا القالب مناسباً له أم كان نابياً عنه في بعض الأحيان ، إنا نقرأ بعض شعر العرب ، مثل سينية البحتري ، فنجد التناسب بين الصورة وبين الألوان أو الخطوط التي خلقت لهذه الصورة فاذا كانت الصورة تعبّر عن الحركة اختار لها البحتري لفظاً مناسباً لهذه الحركة : والمنايا مواثل .... وما شابه ذلك .

أمّا هجاء ابن الرومي الذي اشتهر به فأكثره من فحش القول فما الفرق بين من يسب وهو في الزقاق وبين سب ابن الرومي في شعره :

وجهك يا عمرو فيه طولٌ ... وفي وجوه الكلاب طول

إنا نفضل السخرية على هذا النوع من الهجاء ولقد أشار الأستاذ المؤلف الى سخرية ابن الرومي فقال في بعض فصول كتابه : ويسخر الشاعر من هؤلاء القوم المعربدين ... وكنا نريد أن يدلنا على آثار هذه السخرية كما دلنا على كل ما له صلة بابن الرومي حتى كأنّ ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن ماثل لأذهاننا في كل شيء ، في نواحي عصره وأخباره الخاصة وأسرار شعره وفنه وهذه مزية كتاب الأستاذ وهي مزية غير قليلة .

شفيق جبري

الجزء الثالث

من محاضرات المجمع العلمي العربي

عندما أنشئ المجمع العلمي العربي ، عقب الحرب الكبرى الأولى ، جعل في جملة أعماله إلقاء محاضرات أسبوعية على الكافة ، في مواضيع ثقافية مختلفة .

وعندما كان يُنتخب عضو جديد عامل في المجمع ، أو كان أحد أعضائه المراسلين يأتي دمشق زائراً ، كان المجمع يرغب الى هذا أو ذاك إلقاء محاضرة في ردهته ، في موضوع من المواضيع التي اختصّ بها ، وعُرف بإتقانها .

وعلى كرّ الأيام والسنين حصل في المجمع جملة كبيرة من هذه المحاضرات ، كثير منها جزيل الفائدة ، ينم على دراسة عميقة ، فلا يجوز أن يظل محفوظاً في الخزائن ، أو مبثوثاً في مجلدات مجلة المجمع ، لما في الاهتداء اليه من مشقة .

وقد انتبه الى ذلك العلامة خليل مردم بك رئيس المجمع ، ورأى أن الجزء الأول من المحاضرات طُبع منذ ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٥ م فعرض على الأعضاء العاملين اتخاذ قرار بطبع جملةٍ أخرى من تلك المحاضرات . وهكذا استطاع المجمع أن ينشر منها في سنةٍ واحدة ، وهي سنة ١٩٥٤ م ، جزءاً ثانياً فجزءاً ثالثاً .

وهذا الجزء الثالث الذي نعرّف القراء به جاء في ٥٩٦ صفحة . وقد جُعل قسمين الأول يحتوي على ثلاث عشرة محاضرة لمن توفاهم الله من أعضاء المجمع وهم السادة : محمد كرد علي والأمير شكيب أرسلان وخليل مطران وأحمد أمين ومحمد اسعاف النشاشيبي وأمين الريحاني والشيخ محسن الأمين الحسيني والشيخ سعيد الكرمي وقسطاكي الحمصي والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ أحمد رضا وسليم العنحوري وعبد الله رعد .

ولسنا في حاجة الى ذكر الفوائد الجمة التي يستطيع كلُّ متأدب جنيها من محاضرات يلقيها أمثال هؤلاء الأدباء واللغويين الأثبات : « فأثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، و « نهضة العرب العلمية في القرن الأخير » للأمير شكيب أرسلان ، و « اللغة العربية وخزائنها الأدبية قديمًا وحديثًا » للأستاذ خليل مطران ، و « المتنبي وسيف الدولة ، وفلسفة القوة في شعر المتنبي » للدكتور أحمد أمين ، و « سيفيات المتنبي » للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ، و « إعراس الخليفة المأمون » للأستاذ قسطاكي الحمصي ، الى آخر تلك المحاضرات ، كلها دروس أدبية يصيب فيها القارئ المثقف متعة وفائدة على السواء .

أما القسم الثاني من المحاضرات فقد احتوى على أربع عشرة محاضرة لأربعة عشر عضواً من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . فمن المراسلين الأستاذ أحمد حسن الزيات تكلم في بحث ماتع على (ألف ليلة وليلة « تاريخها وحياتها ») ، والدكتور عبد الوهاب عزام على « الأدب العربي في بلاد فارس ، واللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية » والأستاذ محمد الخضر حسين على « أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية » .

وتكلم رئيس المجمع على « عدي بن الرقاع العاملي » ، وبعض الأعضاء العاملين على « ثقافة المتنبي ومصادرها » ، و « لغة شوقي » ، و « شيء عن أناتول فرانس » ، و « الأندلس ، عبرة وذكرى » ، و « شعوب سورية وآثارها القديمة » الخ .

والمواضيع الأدبية في هذا الجزء تزيد على غيرها . والذي أعرفه أن المجمع لا يزال محتفظًا بعدد من المحاضرات في اللغة والعلم والأدب والفلسفة ، ألقاها بعض الأحياء والمتوفين من أعضائه ، ولم يضمها حتى يومنا هذا كتاب .

فمن رأيي أن يداوم المجمع على عمله فيطبعها في جزء رابع أو أكثر ، لأن

جماع هـذه المحاضرات يدل على جهد بذله أعضاؤه في نشر الثقافة بالأسلوب العلمي ، يوم كانت ردهة هذا المجمع الندوة الوحيدة للأدباء والمتأدبين في الفيحاء ، وهذه الصفحة من تاريخنا الأدبي لا يجوز إهمالها .

والمحاضرات ، فوق ذلك ، تعد مرجعاً يجد فيه طلاب الفائدة معلومات ميسرة لو أرادوا العثور عليها في مظانها لاحتاجوا الى وقت طويل وجهد كثير .

المباحث اللغوية في العراق

وهي محاضرات لغوية للأستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد ألقاها على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية . وقد طبعها المعهد المذكور في كتاب بلغت صفحاته ١٣٣ صفحة .

وصاحب هذه المحاضرات مشهور في البلاد العربية بسعة اطلاعه على كتب اللغة والأدب القديمة ، وبتعقبه للكتاب ، ونقده لما يكتبونه في تشدد يرى بعض الأدباء أحياناً أنه إغراق لا مسوغ له ، أو لا حاجة اليه ، ويرى بعضهم أنه ضرورة لا بد منها للاحتفاظ بسلامة لغتنا الضادية ، ولترجيح الفصيح من الكلم على غيره .

وأعتقد أن الدكتور مصطفى جواد قد خلف في النقد الشيخ ابراهيم اليازجي ، وأنه بذه ، بوفرة المراجع التي يستشهد بنصوصها . ومن المعلوم أن أغلاط الكتاب قلت في أيامنا هذه ، فأصبح الانتقاد في عصرنا أصعب منه في عصر اليازجي .

بدأ المحاضر يتكلم على مشكلات اللغة العربية فجعلها خمس مشكلات : أولاها

وأهمها مشكلة المصطلحات العربية ، والثانية مشكلة الصرف والنحو ، والثالثة مشكلة المعجمات ومفرداتها ، والرابعة مشكلة التعبير بالعربية ، والخامسة مشكلة الرسم أي الإملاء .

وقد استغرق حديث هذه المشاكل ٤٩ صفحة جاءت مقدمة للكتاب .
وللأستاذ الفاضل في هذه الموضوعات آراء طريفة تستوقف النظر : منها ان المصدر ليس أصلاً للمشتقات ، بل أصلها المادة وما جرى مجراها من مشهود ومسموع .
ومنها إنكار أوزان المطاوعة .

ومنها قوله ان المصدر الصناعي ليس مصدراً بل اسماً ، لذلك يرى تسميته الاسم اليائي ، أو الاسم النسبي ، أو الاسم الإضافي .

ومنها ان قاعده النسب الى فَعيل وفَعيلة ، بإلقاء الياء منها ، ليست قاعدة عامة ، بل هي قاعدة خاصة . واستشهد الأستاذ بما جاء في «أدب الكاتب» لابن قتيبة وهو : «وكذلك اذا نسبت الى فعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهوراً ألقيتَ منه الياء مثل ربيعه وبجيلة تقول رَبَعِيّ وبَجَلِيّ ، وحنيفة حنفي ، وثقيف ثقفي ، وعتيك عتكي ، وإن لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء الخ .»

وأوضح الأستاذ ، بناءً على هذا النص ، ان قاعدة حذف الياء تقتضي اجتماع شرطين أساسيين في الاسم المنسوب اليه ، وهما العلمية والشهرة . ولذلك لا يجوز أن يقال بَدَهي ، ولا طَبَعي ، ولا غَرَزي ، ولا قَبَلي ، نسبةً الى بديهة وطبيعة وغريزة وقبيلة ، بل الصحيح فيها (وفي أمثالها) بديهي وطبيعي وغريزي وقبيلي بإثبات الياء . وقد أنكر الأستاذ على ابن الحاجب وغيره من الصرفيين إعمام قاعدة الحذف ، خلافاً لرأي ابن قتيبة الذي خصها

بالمشهور من الأعلام . ومقام ابن قتيبة معروف . وقد عاش قبل هؤلاء الصرفيين ببضعة قرون .[١]

ومن بحوث المحاضر في المقدمة الملمع اليها بحث في النسب الى الجمع ؛ وقد جوّزه على مذهب الكوفيين ، عند الاحتياج اليه احتياجاً مطلقاً ، وعلى مذهب البصريين بشروط ذكرها .

ومنها آراء طريفة في دلالة طائفة من حروف الجر ، وطائفة من أوزان الأفعال .

وانتقل المحاضر ، بعد هذه المقدمة المملوءة بالآراء والملاحظات والانتقادات المفيدة ، الى الكلام على المباحث اللغوية في العراق ، فذكر انه لم يكن من العراقيين ، في أول النهضة اللغوية الحديثة ، من اختص بالمصطلحات العلمية والفنية ، وأن أول من بحث فيها الأب أنستاس ماري الكرملي اللبناني الأصل والعراقي المولد . فقد أصدر ببغداد سنة ١٩١١ م مجلة « لغة العرب » ، فعاشت حتى سنة ١٩١٤ ، وفيها نشبت الحرب الكبرى الأولى . وبعد استيلاء الانكليز على العراق أصدر الأب مجلة « دار السلام » سنة ١٩١٧ ، لكنه لم يعالج فيها

(١) قلت : لقد كنتُ انتبهت ، منذ سنين ، الى جملة ابن قتيبة في أدب الكاتب . وراجعت يومئذ كتاب سيبويه ، وسيبويه عاش قبل ابن قتيبة ، فألفيته يجعل حذف الواو والياء قياساً في النسبة الى أسماء على وزن فَعُولة وفَعِيلة وفُعَيْلة . ولكن الشواهد التي ذكرها كلها أعلام مشهورة كرَبِيعة وجَذِيمة وجُهَينة وشَنُوءة الخ . أما الأسماء التي ليست دالةً على قبائل أو بلدان مشهورة كسَليقة وسَليمة وشَديدة وطَويلة وحُوَيزة وخُرَيبة فقد أثبت الياء في النسب اليهـا إما شذوذاً ، أو بتعليلات مختلفة .

ولم أقنع قط بالشذوذ ، ولا باعمام الحذف في هذه القاعدة ، وكنت أتساءل قائلاً : كيف ننسب الى قَحَليفة وجَميلة ومئات من أشباه هذين اللفظين ؟ أنقول قَطَفي وجَمَلي ، كما نقول في النسبة الى قَطَف ، وهو نبات غير نبات القطيفة ، والى جَمَل ، وأين الجمل من الجميل ! أم نثبت الياء ونسمي ذلك شذوذاً ، على الرغم من كثرة هذا الشذوذ ؟ ولبثت متشككاً في هذا الموضوع حتى جلاه الأستاذ مصطفى جواد .

مسائل اللغة إلا قليلاً . وعاشت هذه المجلة ثلاث سنوات ؛ ثم استأنف الأب إصدار مجلته «لغة العرب» فلبثت تصدر من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣١ .
ويعرف المتأدبون أن الأستاذ مصطفى جواد كان يشارك مشاركةً واسعةً في الكتابة في هذه المجلة ، وأنها حوت عدداً غير قليل من المصطلحات العلمية ، فضلاً عن البحوث اللغوية والتاريخية والاجتماعية وانتقاد مقالات الكتاب ومؤلفاتهم .

وأشاد المحاضر الفاضل بفضل العلامة الدكتور أمين المعلوف ، وقال إنه هو الذي ألّف المعجم العسكري الذي زاد عليه الأستاذ عبد المسيح وزير بعدئذٍ ألفاظاً كثيرة . والذي أعرفه أن نواة المصطلحات العسكرية كانت وضعت في دمشق ، أيام الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه ، وانها نُقلت الى العراق . والأرجح أن ناقلها هو الدكتور أمين المعلوف .

وذكر المحاضر زميلنا الأستاذ عز الدين التنوخي ، ووضعه لعدد من المصطلحات في علم الفيزياء ، عندما كان يدرّس هذا العلم في بغداد .

وتكلم على المجمع اللغوي الذي أنشأته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٢٧ بتشجيع الأستاذ ساطع الحصري وزير المعارف في تلك الأيام . وقال إن أعضاءه سرعان ما استعفوا بعد أن خرج الأستاذ الحصري من الوزارة .

ونقل كثيراً من آراء الأستاذ المشار اليه في النحت . وهي آراء طريفة وجديرة بأن تقرأ بإمعان ، وإن كان المؤلف ، وكنت أنا أيضاً ، من الذين لا يبيحون النحت إلا قليلاً وفي حالات محدودة .

وبعد أن تكلم على «المجمع العلمي العراقي» الذي أُنشئ سنة ١٩٤٧ ، والذي ما برح يعمل بنشاط ، أنهى محاضراته بذكر أهم مؤلفات العراقيين المطبوعة والمخطوطة في اللغة وفي الألفاظ العلمية . فمن المطبوع معجم الحيوان والمعجم الفلكي للدكتور أمين المعلوف ، والمعجم العسكري الذي مرّ ذكره ، وكتاب أغلاط اللغويين الأقدمين ، وكتاب نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها للأب

أنستاس ، وكتاب الاقرباذين البيطري للبيطار الهندي السيد محمد أكبر خان ، وقد ألفه في العراق .

ومن المخطوطات المعجم المساعد ، والمعجم الفرنسي العربي ، وجمهرة اللغات ، وكتاب الجموع ، وكلها للأب أنستاس . والمعجم المستدرك ، ومعجم الجمل العربية الفرنسية للمحاضر .

وأشار الى كتب ورسائل من تأليفه ، منها فقه اللغة العربية ، وكتاب القلب والإبدال ، و «قل ولا تقل» وغيرها . ولم أتبين هل طبعها أم لا .

ومن المؤسف القول بأن الغلط المطبعي كثير في الكتاب . والواضح أن المؤلف لم يشرف على طبعه .

وبعد هذه إلمامة حاولت بها أن أعرّف كتاب الدكتور اللغوي مصطفى جواد . وفوائد هذا الكتاب كثيرة لا تستفاد من الكلام عليه في أسطر قليلة .

الشهابي

المدخل الى علم النفس الجماعي

تأليف الدكتور (شارل بلوندل) ، وتعريب الدكتور حكمة هاشم

وهو من منشورات جماعة علم النفس التكاملي التي يشرف على إصدارها الدكتور يوسف مراد . طبع في دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ ، عدد صفحاته ١٨٨ صفحة من القطع الوسط

★ ★ ★

يقول المؤلف ان كتابه ليس «مؤلفاً في علم النفس الجماعي ، وإنما هو مدخل الى علم النفس الجماعي» (ص ٧) . فهو يهدف إلى تحديد موضوع هذا العلم كما يهدف إلى تعيين الفرضيات التي يستند اليها . ولذلك اشتمل هذا الكتاب على دراسة آراء (كونت) و (دور كهايم) و (تارد) في ثلاثة أبواب ، كما اشتمل على ثلاثة أبواب أخرى في الإدراك ، والذاكرة ، والحياة الانفعالية

تبين كلها أن دراسة الحياة الذهنية لا تكون تامة إلا اذا أحاطت بالعوامل الاجتماعية المؤثرة في النفس .

فما قاله المؤلف بصدد تحديد موضوع علم النفس الجماعي : «ان أول واجب يترتب علينا ... هو تحرير قائمة بكل شيء في الشعور الفردي يأتي من الجماعة لا من ذات الشعور . فاذا كانت السيكولوجيا الجماعية هي ... علم الظواهر النفسانية التي مردها الى جماعة من الأفراد ، واذا كان الشعور الفردي مليئاً بالعناصر الجماعية المحمولة اليه من الخارج ، فان طائفةً كبيرة من الحوادث الذهنية المعروفة بكونها فردية تدخل في الواقع في حوزة هذا العلم من دون أن تكون الجماعة أو الجماهير حاضره إبان حدوث تلك الحوادث» (ص : ١٤ ـ ١٥) . وهذا وحده يفرق بين وجهة نظر السيكولوجيا الجماعية ووجهة نظر علم نفس الجماهير ، أو علم نفس الشعوب اللذين تخبط (غوستاف لوبون) وغيره في تحديد مفاهيمها .

والنظام الذي يجب السير عليه في دراسة الفردي والجماعي هو تقديم السيكولوجيا الجماعية على السيكولوجيا الفردية . فان العلوم الباحثة في الذهنية البشرية ومظاهرها وفي أسبابها ونتائجها يجب أن تترتب وتتأسس وفق النسق التالي : السيكوفيزيولوجيا ، والسيكولوجيا الجماعية ، والسيكولوجيا الفردية (ص ١٦) فالبحث يجب أن يمضي إذن من المجتمع الى الفرد لا من الفردْ الى المجتمع ، هذا ما تمليه شروط التجربة ، وهذا ما تدعونا اليه مسلماتها .

فهناك إذن ثلاث طرق لدراسة الحياة الذهنية : الأولى طريقة السيكوفيزيولوجيا وهي دراسة ما يدين به الإنسان الى ترتيبه النوعي ، والثانية طريقة علم النفس الجماعي وهي دراسة ما يدين به الانسان الى بيئته الاجتماعية ، والثالثة طريقة علم النفس الفردي أو الفرقي ، وهي دراسة ما يدين به الأفراد الى خصائص تركيبهم الفيزيولوجي ووجودهم الاجتماعي معاً . وهذه الطرق الثلاث ليست مستقلة

بعضها عن بعض ، بل هي من الوجهة العملية متعاونة ومتضافرة وما من عالم نفسي يستطيع اليوم أن يقول إن بعض هذه الطرق أولى بالاتباع من بعضها الآخر ، فالاتجاهات الثلاثة توصل الى معرفة الحياة الذهنية كما ان جميع الدروب توصل الى رومة . وغاية ما في الأمر أنه يمكننا أن نجازف فنزعم ان السيكولوجيا الفيزيولوجية والسيكولوجيا الجماعية والسيكولوجيا الفردية قد بلغت بهذا الترتيب المنطقي مرحلة إيجابية ، ولكن هذا الترتيب لا يفرض على التحريات العلمية نظاماً واحداً لا يمس ، وإنما يهدف الى تنظيم الحقائق التي أدت اليها بحوث العلماء تنظيماً منسقاً .

ويمكننا أيضاً أن نذهب الى أبعد من هذا فنقرر انه لا سيكولوجيا حق ولا فيزيولوجيا دون سوسيولوجيا ، وان علم النفس النوعي (الفيزيولوجي) يستضيء هو نفسه بضياء علم النفس الجماعي . نعم انه عندما يدعو الأمر الى تنظيم المعرفة التي تم اكتسابها يتخذ علم النفس الجماعي مكانه بين السيكولوجيا النوعية والسيكولوجيا الفردية ، ولكن الشرائط المحيطة بالظواهر النفسية تبين لنا أن هذا العلم يجب أن يأتي في المنزلة الأولى لاصطباغ العوامل الفيزيولوجيا والعوامل الفردية ذاتها بصبغة اجتماعية ظاهرة . واذا تصورنا علم النفس الجماعي على هذا النحو شمل نطاقه السيكولوجيا العامة كلها .

ان هذه الإشارة السريعة الى موضوع علم النفس الجماعي كافية للدلالة على قيمته . فهو يصل حقائق علم النفس الفيزيولوجي بحقائق علم النفس الفردي ويجمعها كلها في إطار واحد . ومن حسن الحظ أن يقيّض الله لهذا العلم معرباً كصديقنا الدكتور حكمة هاشم ، فإن الترجمة التي أتحفنا بها أكمل من الترجمة التي جاءنا بها أحد الكتاب المصريين . ولا غرو ، فالدكتور هاشم لا يكتب إلا عن اختصاص ، ولا يترجم إلا بدقة وضبط ، فالشكر له على بيانه المشرق ، وأسلوبه الرصين ، وأمانته العلمية .

تحت قناطر آرسطو

تأليف الأستاذ أمين نخلة ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٤
في مطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٤٢

لو أُتيح لي أن أُؤلّف مثل هذا الكتاب لما اخترت له العنوان الذي اختاره له المؤلف ، فهو قد سمّى القسم الأول منه : (تحت قناطر آرسطو) ، والثاني (حول القناطر) ، والثالث (بين الكرة والطست) ، وهي عناوين غريبة توهم القارئ بأنه سيجد في الكتاب شيئاً من فلسفة آرسطو ، ولكنه اذا قرأه لم يجد فيه إلا مقالات في الأدب والشعر والفن والحياة لا تمتّ الى فلسفة آرسطو بأي صلة .

وليس هذا بقادح في قيمة الكتاب ، فهو مملوء من الخواطر النادرة والآراء الصحيحة والنكت اللطيفة . قال المؤلف : « إن الأدب مرآة الحياة : مجالها مجاله ، وإطارها إطاره ، ولا ريب . وكل أدب لا يتراءى فيه وجه الحياة على تمامه ، هو مرآة ناقصة ، طرحها أجدر من الإبقاء عليها . وكما أن الحياة قسوة وإعنات ، وتصعيد وتصويب ، فكذلك ينبغي للأدب إذ أنه من المحصل ، الذي لا يختلف فيه اثنان ، إن الضحولة (كذا في الأصل ولعله الضحل) لا تقذف اللؤلؤ ، وإن عباب اليمّ لا يشق برأس الاصبع ... ومن العبث أن لا يجعل الأدب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بمثله » (ص : ٦١) .

وهذا صحيح . إننا نرى مع المؤلف أن الأدب يجب أن يكون مرآة للحياة ، ولكننا نرى مع ذلك أيضاً أن هذه المرآة ليست صادقة ، وإنما هي مرآة مسحورة تبدل صور الحياة فتجعل القبيح جميلاً ، والتافه الحقير كريماً سامياً . وما قيمة الأدب الذي يصور الحياة كما هي دون أي تبديل أو تغيير ؟ إنه أشبه شيء بعدسة آلة التصوير التي ترسم الأشياء بألوانها الطبيعية ، وهل

في هذا التصوير الواقعي جمال كالجمال الذي تبدعه ريشة الرسام الملهم ؟ إن كل أدب واقعي مصبوغ بصبغة نفسية لحمتها العاطفة وسداها الخيال . ولولا ذلك لما كان أدباً حقيقياً . لقد كان (زولا) على واقعيته واسع الخيال يشبّه (القاطرة) مثلاً بانسان يلهث من التعب ، ويبالغ في كل ما يصفه من القبح النفسي والمادي ، ويجمع الحوادث ويرتبها ترتيباً مخالفاً للواقع فهو لم يستمدّ من الحياة إذن إلا خيوط الوقائع التي ألّف منها صوره الفنية ، ولولا ذلك لكان أدبه تقليداً محضاً للحياة على النحو الذي أراده المؤلف .

وأصدق شاهد على ما نقول أدب الأستاذ نخلة نفسه ، فهو في (فردوسه الأرضي) وفي (خصوصياته) و (اخوانياته) ، وفي كل ما يكتب من مقالاته أديب واقعي ، ولكن الواقع الذي يحكيا عنه ليس خالياً من الاختراع والخيال . ونحن كثيراً ما يلذ لنا أن نتقرّى صوره وأحلامه .

جميل صليبا

فقه الإسلام

سموّ مبادئه — رصانة قواعده — تعدّد مزاياه ومحاسنه

تأليف : حسن أحمد الخطيب

لا يخفى أنّ مدار التشريع الإسلامي على الكتاب والسنة ، وما استند اليهما من إجماع أصولي أو قياس صحيح ؛ فلا يصح الاحتجاج بعمل أية حكومة إسلامية أو جماعة من المسلمين إذا هم خالفوا نصّاً شرعياً ، أو إجماعاً معتدّاً به ، فان أعمالهم ليست حججاً شرعية بالاتفاق ، بل منها ما هو مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، ومعارض كل المعارضة لما عرف من قواعد الاجتماع ؛ أليس من البدهيات أنّ الطفرة محال ، وأنّ قوانين كلّ أمة يجب أن تكون منتزعة

من روحها وتاريخها ، لا سيما أمة كأمتنا لها عظمة في التاريخ ، وعز قديم موروث ، فهي أحرى بأن تجدد بماضيها عهداً ، وتحفظ لها وجوداً خاصاً بين الأمم الأخرى . ولا حجة أيضاً في عمل الجاحدين لنعمة التاريخ الاسلامي المتفرقين في الأمصار إذا هم خطبوا أو كتبوا طاعنين في ملتنا وأمتنا ، ولا الجامدين الذين انقطعوا عن هذا العالم ومعاملاته ، ولم يعنوا بتخريج ما يتجدد من ضروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ، حتى ظن كثير أن معينها قد نضب ، ومادتها نفدت ، فليس في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاجتماعية والاقتصادية في عهد المدنية الحديثة . وجماع القول : إنه لا حجة في خروج فريق عن دائرة الإسلام ، ولا في وقوف آخرين ينتظرون مجيء المهدي عليه السلام ! بل عمل المسلمين في أهدى عصورهم وأرقاها هو حجة عملية لله وكتابه ورسوله وصالحي هذه الأمة على جميع من ذكرنا ، فقد وسعت شريعتهم في ذلك العهد الزاهر حضارات الأمم الغابرة ، ودانت لها أمم الغرب بمدنيتها الحاضرة .

وهذا هو روح هذا الكتاب الجليل وخلاصته ، وما أجملناه هنا من عندنا لا يغني عن قراءة فهرسه المفصل ، وفهرسه لا يغني عن تتبع فصوله التي أربت صفحاتها على أربعمائة فقد طالعناه فأكبرناه ، وإليكم ملخص ما حواه :

أما مقاصده وأبوابه فهي سبعة (١) أصول التشريع الإسلامي المتفق عليها (٢) الأدلة المختلف فيها (٣) أسباب اختلاف العلماء في الأحكام الشرعية (٤) القواعد الفقهية في التشريع الإسلامي (٥) محاسن الشريعة الإسلامية ومزاياها (٦) التشريع الإسلامي وحرية الاجتهاد (٧) بحوث وتحقيقات حول الشريعة الإسلامية ، وله مقدمة وخاتمة . وقد أبان في المقدمة الباعث على تأليف الكتاب والقصد منه ، ومنها قوله : وقد أهاب في نفسي ودوى في جوانبها صوت الضمير حينما انكببت على كتب الفقه الاسلامي ، غير متأثر برأي معين ، ولا متعصب لمذهب دون مذهب ، فراعني ما رأيت من دقة الأحكام والتخريج ،

وبيان الأصول والقواعد التي ترجع اليها أحكام الحادثات الجزئيـة الخ ...
(وقال) : من أجل ذلك كله عوّلت على إبراز محاسن الشريعة ، بجمع الهامّ من أصولها وقواعدها ، وذكر شيء من فروعها وأحكامها ، وبيان ما يثبت أنها صالحة للأمم في كل عصر ، ووجوب الرجوع اليها في تشريعنا ، وذكر شهادة أساطين العلم والقانون في الشرق والغرب بفضلها ، عسى أن يتحقق بذلك توجيه أولي العزم اليها ، وإثارة رغباتهم فيها . وأمّا الخاتمة فقد جاء فيها : وعلى الشعوب الإسلامية وقادتها من العلماء وأولي الرأي أن يحملوا حكوماتهم ومجالسهم النيابية على الرجوع الى الشريعة الإسلامية عند التشريع ، وإلاّ كانوا جميعاً مسئولين أمام الله ، ومقصّرين في حق أنفسهم ، ومفرطين في حق الأجيال القادمة الخ ...
فهل من سميع وهل من مجيب ؟

وقد اشتمل كل باب من هذه الأبواب السبعة على عدة فصول ، وذكر مراجع كل باب من أبوابه (أي الكتاب) ، ومصادر كل فصل من فصوله ، من قديمة وحديثة ، عربية وأجنبية ، وهي من أجلّ المراجع وأفضلها .

فالفصول الأولى من الباب الأول في مباحث الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهي مباحث أصولية ممتعة مقنعة ، ومن الباب الثاني فصول في الأدلة المختلف فيها كمذهب الصحابة ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا ، واستصحاب الحال ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، ومن فصول الباب الثالث : أسباب اختلاف العلماء في الأحكام الشرعية كتاباً وسنةً وقياساً . والباب الرابع في القواعد الفقهية في التشريع الاسلامي ، وذكر كثير من هذه القواعد الجامعة ، والباب الخامس في محاسن الشريعة الاسلامية ومزاياها ، ومنها (ص ٣٣٥ المزية ٢٢) وضعها قاعدتين أساسيتين للحكم : سلطة الولاية مرجعها الى الأمة ـ بناء الحكم على الشورى (فأين من هذا الذين يرمونها بحكم الفرد) ؟ وفي الباب السادس : التشريع الاسلامي ، وحرية الاجتهاد الشرعي وذم التقليد المميت . وفي خاتمة

الأبواب وهو السابع : بحوث وتحقيقات حول الشريعة الإسلامية ، ولا غنى لطالب علم ديني أو حقوقي عن مطالعته . ففيه بحث الفقه الإسلامي واستقلاله عن القانون الروماني ، ورد الشبهات التي يوردونها . رأي المؤتمر الدولي للقانون المقارن . الشريعة الإسلامية : وفاؤها بحاجيات الأمم ومطالبها في كل عصر ، دفع ما وجّه اليها من شبهات . سلامة الأمم وأمنها وسعادتها باقامة الحدود الشرعية . أصول القوانين ومصادرها في العصر الحديث . التشريع الاسلامي والقانون المقارن – موضوعات القانون المقارن . نقص الشرائع الحديثة ومساويها . شهادة أساطين العلم والقانون في الغرب والشرق بفضل الشريعة الاسلامية ، وسمو أصولها ومبادئها وسعة مباحثها ، وانها تحمل كلّ العناصر التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية . وختم الكتاب ببيان واجب الأمة الاسلامية والشعب المصري ، وواجب الحكومات العربية : الرجوع الى الشريعة الإسلامية .

وإني أختم البحث بما نقله الأستاذ المؤلف عن مجلة الأزهر من مقال للدكتور عبد السلام ذهني المستشار بمحكمة الاستئناف (بمصر) سابقاً ، قال : « وفي الأخذ بالشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية ، تمكين للنزعة القومية في مصر ، وانتصار للكيان الشرقي العربي وكرامته ؛ وفيه إحياء لمجد مدفون بغير حق ، وبعث لحياة شرقية عربية جديدة بحق » . أقول : « يا ليت قومي يعلمون » ويوجّه هذا الخطاب الى الحكومات العربية ، ومجالسها النيابية ، وهل يعزب عن علمهم أن لكل أمة منهاجاً تسير عليه ، وخصائص تحافظ عليها ، وأن الأمة التي تستمد قواعد الحياة وأصولها من غيرها ، ولا تعتبر الفروق في الطباع والأخلاق ، ولا تأثير البيئات والأقاليم ، لا يمكن أن تعيش لنفسها وتحتفظ بوجودها واستقلالها ، بل تكون عاقبتها الزوال ، وتكون جنايتها على رعيتها فوق جناية عدوّها عليها .

١ — هذا وقد نصح العلاّمة المؤلف لمتخرّجي الأزهر وكلية الحقوق وطلاب التخصص ولسائر الباحثين أن يقبلوا على دراسة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم — وعدّ طائفــة من أفضلها في التشريع — وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ، والفروق للقرافي المالكي ، والأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ، وشروح أمهات كتب الحديث ، وكتاب نيل الأوطار ، وسبل السلام ، وتفسير آيات الأحكام ، « ليبلغوا مرتبة الاجتهاد أو ما يقرب منها » قلت : ومثلها من أمهات فقه الإسلام : المغني للموفق المقدسي الحنبلي ، مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي ، والمحلّى لمجدد القرن الخامس ابن حزم الأندلسي ، والموافقات في الأصول والاعتصام في الفروع للشاطبي ، وغيرها ، فهي من جنس ما هدى اليه ، وحثّ عليــه .

المصالح المرسلة للطوفي

٢ — جعل الأستاذ المؤلف الفصل السادس من الباب الثاني الذي خصّه بالأدلة المختلف فيها — في المصالح المرسلة — وهي التي لم يشهد باعتبارها ولا بالغائها دليل معيّن من الشرع — وذكر أقوال أئمة الفقه في شأنها (ص ١٩٣ — ١٩٧) ولكنه لم ينوّه بشأن رسالة نفيسة ألفت في موضوعها ، وهي رسالة الشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (المتوفى سنة ٧١٦ هـ) التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية ، وبين منزلة رعاية المصلحة من أدلة الشرع ، وكان جرّد هذه الرسالة أستاذنا القاسمي الدمشقي ، وطبعها في مجموعة رسائل أصولية ، ونشرتهــا مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ثم طبعت بمصر مستقلة ، وهي من أنفس ما ألف في رعاية المصالح المرسلة .

٣ — ليت المؤلف الكريم — وهو واسع الاطلاع — ذكر لنا بعض الكتب التي ألفت في مصر والشام (ساحلها وداخلها) وغيرهما من أقطار العروبة والإسلام —

في موضوع المقارنة بين الفقه الإسلامي ، وما يقابله في أعظم الشرائع القديمة والحديثة الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الاميركية والانكليزية والفرنسية ، والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، ـ ليعلم فضل هذا الفقه الإسلامي المستقل عنها .

٤ ــ وقعت في الكتاب أغلاط مطبعية قليلة لم نرها في جدول التصويب ، كابن ماجة بالتاء (ص ٩٣ و ٣٩٢) وصوابها بالهاء وصلاً ووقفاً . وفي (ص ٣٩٩) : والغلب على الشرائع الوضعية » والغلب المغلوبية وفي القرآن الكريم « وهم من بعد غَلَبِهم سيَغْلِبون » والمراد الغلبة .

جزى الله المؤلف خير الجزاء ، وأقرّ عينه بما يرجوه من توحيد التشريع لهذه الأمة العانية .

محمد بهجة البيطار

زُبدة الحلب من تاريخ حلب

تأليف كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم
المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور
سامي الدهان. طبع في جزئين الأول عام ١٩٥١ والثاني عام ١٩٥٤

يقدم لنا المعهد الافرنسي بدمشق في كل سنة دليلاً جديداً على نشاطه العلمي وانصرافه للهدف الذي أنشئ من أجله لتعزيز التعاون الثقافي السوري الافرنسي وإحياء تراثنا والإشادة بأمجادنا ، وللزميل الدكتور سامي الدهان الأثر البارز في هذا النشاط وحسن التوجيه . وقد أخذ الزميل على عهدته تحقيق ونشر هذا الأثر النفيس .

إن تاريخ حلب لابن العديم لا يحتاج لتعريف ، كان مؤلفه من أعلام القرن السابع هـ . ، محدثاً فاضلاً ، ومؤرخاً صادقاً ، وفقيهاً مفتياً ، درّس وأفتى وصنّف . وهذا التاريخ من أجلّ تصانيفه ، ليس هو تاريخ حلب فحسب بل هو تاريخ

الشام وما يتصل بالشام وبالاخص حزؤها الشمالي • هذه وثيقة جديدة من تاريخنا تنبش من ظلمات دور الكتب لترى النور من جديد في حلة قشيبة وطبعة محققة مفهرسة تعهدتها يد أمينة وعين نقادة توحيان الثقة والاطمئنان للباحث والمستنير • وهذا التاريخ على اختصاره وإيجازه هو أوسع مصدر في تاريخ الشام وأجمع سجل لحوادث الدول التي تعاقبت عليه منذ عهد الأمويين الى حروب الصليبيين •

ومن حسنات هذا التاريخ أن مؤلفه قد استقى مادته من مصادر فقد أكثر أصولها ، فلا عجب إن رحبنا بنشر هذا الكتاب وشكرنا لابن حلب البار جهده وجميل صنعه ووفائه للمدينة الشهباء •

وقد ظهر لي أثناء مطالعة الكتاب وجه الصواب في بعض عبارات النص رأيت الإشارة اليه ، منه : ص ١/٦١ حرباً وخراجاً وصلاة ، صوابه : حرباً وخراجاً وضياعاً كما جاء في ص ٧٠/١ • ص ٢/٢٨ وأحكم يد حزامه ، صوابه : وأحكم شد حزامه • ص ٣/٧٣ دخل زوجته ، صوابه : دخل على زوجته • ص ٢/٨٢ مرج الصفر : ••• ممتد شمالي دمشق ، صوابه : جنوبي دمشق •

تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء السادس

تأليف المحامي عباس العزاوي • عدد صفحاته (٣٩) صفحة من القطع الوسط طبع في بغداد عام ١٩٥٤

هذه حلقة جديدة يضيفها المؤلف الى سلسلة أبحاثه عن تاريخ العراق بين احتلالين دوّن فيها حوادث عهد حكومة المماليك المعروفين بـ (الكولات) الذين قضوا على سلطان (الينگچرية) وطغيانهم وحلوا محلهم وتولوا إدارة العراق من سنة ١١٦٢ هـ الى سنة ١٢٤٧ هـ • وهذا الجزء عامر بحوادث هذه الفترة من تاريخ العراق ، وقد ألحق به المؤلف مستدركات وتعليقات وردت على الأجزاء

السابقة وضم اليه فهارس أسماء الكتب والأمكنة والأعلام والمصطلحات الواردة في النص ٠

وكان لهذا العهد على ما فيه من منغصات أثره في سياسة العراق وعمرانه فقد عمه شيء من الرفاه وساده بعض النظام ٠ ولم يزل العراقيون الى يومنا هذا يرددون في مجالسهم حوادث هذا العهد ويذكرونه بالخير ٠

وقد حاول المؤلف استخلاص الحقائق من مراجعها الكثيرة رغم غموض بعضها وتضارب نزعاتها ، فجرد حوادثها من الشوائب التي كانت تشوبها وتضعف الثقة بصحة روايتها وتثير الشك في صدقها فأدرك غايته بتصوير حقيقة هذا العهد بأمانة خالصة من الميول والنزعات قدر المستطاع ٠

أضاف الأستاذ المؤلف بكتابه هذا مأثرة جديدة الى مآثره العلمية العديدة أثابه الله ووفقه ٠

جعفر الحسني

معجم اللسان العربي الفصيح

تأليف تيودور نولدكه

طبعه وبوبه المستشرق كرمر – الجزء الثاني ٥٩ صفحة – برلين ١٩٥٤

THEODOR NÖLDEKES
BELEGWÖRTERBUCH ZUR KLASSISCHEN ARABISCHEN SPRACHE — JÖRG KRAEMER, Berlin 1954

ألف المستشرق الألماني الكبير نولدكه معجماً للسان العربي الفصيح ، جعله على جزازات وأوراق في شكل واسع مفصّل ، وقضى قبل أن يستطيع ترتيبه ونشره ، ولذلك قام المستشرق الشاب الأستاذ كرمر (الأستاذ بجامعة توبينكن في ألمانيا الغربية) بترتيب مواده في دقةٍ وأمانة ، فأظهر منه الجزء الأول ، وجعل فيه من غير شكٍ مقدمة شرح فيها طريقة تأليف هذا المعجم ، وبيّن

-الأسلوب الذي سار عليه مؤلفه ، وما أضافه الناشر الشاب إلى هـذا العمل الضخم ، وألمع فيه الى جدول الرموز المختصرة وما تشير إليه من مصادر ومباحث ومكان طبعها وأماكن نشرها ٠

ونحن لم نقع من هذا المعجم إلاّ على هذا الجزء الثاني ، وهو في قرابة تسع وخمسين صفحة بحجم الربع ، يبدأ بكلمة (أسن) وينتهي بكلمة (أَيْهقان) ٠ ونستطيع أن نتبين الطريقة مما جاء في هذا الجزء ، فهو يضع الكلمة العربية ، ويتبعها بالترجمة الألمانية لها ثم الانكليزية ، ويورد بعد ذلك المصادر التي جاءت فيها هذه الكلمة بذكر الصفحة والسطر ، سواء فيها الكتب أو المجلاّت ، ولا يتولّى شرحها بالعربية ٠ فكأنه جعل معجمه للباحثين من المستشرقين لعلهم يسترشدون بما يبسط من مواقع هذه الكلم في نصوص اللغة العربية القديمة ؛ حتى لكأنه فهرس شامل أو ثبت بالمصادر التي وقعت فيها الكلمات الفصحى ٠ وهو جهد كبير يستلزم مراجعة الكتب والمظان وفهرستها والبحث في تضاعيفها ٠

وسنضرب مثلاً لما في هذا المعجم لعلّ الناطقين بالضّاد يقفون عليه فينتفعون به في تحقيق الكتب وشرح الأمهات والتعليق على النصوص :

جاء في الصفحة ٣٠ من هذا المعجم ، كلمة «أَفِد» فيقول : انظر وفد ، ويترجمها الى الألمانية والانكليزية هكذا :

HERANNAHEN (ZEIT) / to DRAW NEAR (time)

ويذكر ورودها في المصادر الآتيـة : ديوان النابغة ٧ : ٢ ـ لبيد ٧١ : ٣ ـ ياقوت ٥٨٦/١ ـ عمر بن أبي ربيعة ٢١٨ : ١ ـ الأغاني ٤٧/١ : ٥ ، ٢٣٦/٢١ : ٦ ـ النقائض ٢١٣ : ٢ ـ وجاءت كلمة أَفِدٌ في ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٦١ : ١ ٠

وتليها كلمة أفر ، أَفَق ، أُفُق ، أَفَك ، إِفْكٌ ، أُفوكٌ ٠٠٠

وهكذا ٠٠

وهذه الطريقة علمية دعا اليها العلماء المستشرقون منذ زمن طويل ، وأرادوا أن يكون شرح الكلمة بسرد النصوص التي وردت في كتب اللغة والأدب والتاريخ . واذا كان المستشرق نولدكه هو الذي حقق الأمنية ، فقد قام بشطر كبير من المشروع ، وبقي أن يثبت هذه النصوص بحروفها ، لا أن يدل على مكان وجودها ، فان المراجع لا يملك هذه الطبعات الأوربية كلها ، فاذا ملك كثيراً منها فهو سيبذل جهداً في جمعها والتقريب بين رواياتها واختلاف مواقعها من العبارات . ولعل المستشرق كرمر يرى رأينا في هذا ، ويفكر كما نفكر في معجم شامل حافل ، جامع مانع ، يحوي هذه الشواهد جميعاً ليكون في متناول الباحث كل ما يريده على كثير من اليسر والتقريب . ولكن هذا العمل يتطلب جهداً جديداً يوازي جهد المؤلف ويضاعف في عدد الصفحات فيجعل المعجم ضخماً واسعاً . والمستشرق الشاب يعرف كما نعرف أن معاجم اللغات الأجنبية تحفل بهذه الشواهد بنصوصها عينها ، ومواقعها من الكتب القديمة مرتبة على التاريخ الزمني وفاق العصور ، فيدرك المراجع تطور معاني الكلمة على الأزمان والأقاليم ، وذلك بعيد بعيد .

فنحن نبارك بهذه الخطوة الأولى لأنها متينة قوية تحمل في ذاتها نواة لمعجم كبير يعمل له العلماء المستشرقون والعلماء العرب في المجامع العلمية يكمل ما قام به المستشرق الكبير فيشر ، مما يطبع مجمع اللغة العربية في مصر . ولهذا نشيد باليد التي أسداها المستشرق الناشر (كرمر) إلى الباحثين والعلماء ، ونقدر عمله أوفر التقدير ، راجين أن يتابع نشر الأجزاء التالية لأن الجهد كبير والمسافة بعيدة .

الدكتور سامي الدهان

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٧ شباط سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين وهم السادة :

١ ـ الأستاذ ساطع الحصري : العراق

٢ ـ الأستاذ عادل زعيتر : فلسطين

٣ ـ الأستاذ يوسف البنوري : باكستان

٤ ـ الأستاذ أحمد آتش : تركيا

٥ ـ الأستاذ جورج سارطون : الولايات المتحدة الاميركية

٦ ـ الأستاذ ايفيكني برتل : الاتحاد السوفياتي

وقد صدرت باقرار انتخابهم وتعيينهم ستة مراسيم جمهورية ارقامها من ١٢١٦ ـ ١٢٢١ بتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ .

وانتخب المجمع العلمي في جلسته المنعقدة في ٣ آذار سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك عضواً مراسلاً وهو الأستاذ مارون عبود من لبنان وقد صدر بإقرار انتخابه وتعيينه مرسوم جمهوري برقم ١٢٢٢ تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ .

شرح لزوم ما لا يلزم

— ١ —

زرت أنا والصديقان الأستاذان عبد الحميد العبادي وأحمد الزيات ، الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين في داره ، فأهدى الينا ، الى ما أهدى من حديثه الممتع ، نسخاً من شرح لزوم ما لا يلزم .

وكانت كتابة شرح واف للزوميات أمنيةً قديمة طال حديثنا فيها ، وتطلّعنا اليها . حرصت على أن أقرأ الكتاب فوراً . فحالت الشواغل ، وأعجلني السفر فحملت نسختي الى المملكة العربية السعودية ، ووضعتها على مرأىً مني ، وفي متناول يدي لأظفر بالنظر فيها بين الحين والحين .

ولم يتيسر لي النظر فيها إلا أول من أمس . لمحها طرفي فامتدّت اليها يدي بعد هزيع من الليل . فانفتح الكتاب اتفاقاً على اللزومية التي أولها :

يأتي على الخلق إصباح وإمساء   وكلّنا لصروف الدهر نَسّاء .

ووقع نظري على هذا الشرح :

« الإصباح الصباح . وهو نقيض المساء أما الصبح فهو أول النهار والفجر . والإمساء نقيض الإصباح » .

فعجبت ووَجمت حيناً وقلت : هل الإصباح الصباح ؟ ثم هل يحتاج الصباح الى تعريف ؟ ثم هل يعرّف الصباح بأنه نقيض المساء ؟

وجلست فقرأت مقدمة الكتاب . فاذا الدكتور طه يقول في آخرها :

« وللصديق الزميل ابراهيم الابياري أعظم الفضل في هذا الجهد . فهو الذي احتمل عناء التنقيب والمراجعات على اختلافها ، كما احتمل عناء الشرح اللغوي . وأنا على ذلك شريكه في تبعات ما احتمل من جهد » .

فعلمت أن التبعة على الأستاذ الذي احتمل عِناء الشرح اللغوي وإن تطوّع

الدكتور باحتمال التبعة معه . ومضيت فنظرت في التعليق على مقدمة أبي العلاء ، المقدمة العروضية التي افتتح بها كتابه ففزعت كما يفزع من يرى أفعى في باقة ورد ، ولست في قولي هذا غاليًا ولا متزيّدًا ، نظرت في تعريف الأمكنة التي ذكرها المعري في المقدمة فاذا تعريف قاصر أو غلط واضح أو ترديد بين قيل كذا أو قيل كذا .

وأسرعت الى اللزوميات نفسها فوجدت الإبانة عن المعاني في أسلوب رصين جميل جدير بأن يكون شرحًا للزوميات أبي العلاء ولكني وجدت مع هذا وقوفًا دون دقائق المعاني أحياناً وحَيْدًا عنها أحياناً .

ونظرت في الشرح اللغوي فاذا إسهاب في سرد ألفاظ وبيان اشتقاقها ، واذا استطراد الى ما لا يتصل اتصالاً بيّنًا بشرح الألفاظ . فقلت : لكل شارح مذهبه . وهذا الاسهاب وهذا الاستطراد لا يخلوان من فائدة . ولكني لم استحسن في شرح الألفاظ الإكثار من قيل كذا وقيل كذا . وقلت في نفسي : إنّ الشارح ينبغي له أن ينظر ويختار ويفسّر بما اختاره ، أو يبين أن الكلام يحتمل هذا المعنى وذاك ، ولا ينبغي له أن يحكي اختلاف اللغويين في الكلمة الواحدة وهو يفسّرها ثم يدع القارىء وإياها .

(٢)

مضيت في القراءة أحمد الله إن عبرت صفحتين لا مأخذ فيها ، وأعوذ به كلما وقعت عيني على ما آخذه على الشارح .

وبدا لي أن أسارع الى تسجيل هذه المآخذ وأبادر الى الكتابة عنها . ورأيت أن أبينها على نسقها في الكتاب وأذكر المهم منها واحدة واحدة .

وقصدت بالمبادرة الى الكتابة في هذا الشأن أن أوفّي الكتاب حقه من العناية ، وأن أنبّه الشارح الى ما في شرحه من مآخذ عسى أن يتجنبها في الأجزاء التالية . وأحسب الجزء الثاني يُعدّ اليوم للنشر .

(٣)

التعليق على مقدمة المعري

قال الشارح : (ص ١٥)

الدَّوم شجر المقل . ثم نقل عن أبي حنيفة الدينوري وصف الدوم . وليس الدوم في حاجة الى أن يصفه لنا الدينوري . فهو شجرة كالنخلة معروفة في مصر وجزيرة العرب .

وتصوَّر ما يعتري القارىء من عناء ودوار حين يقرأ : (ص ٣٥)

القلوص : الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء ، وقيل هي الثنية وقيل هي ابنة المخاض ، وقيل هي كل أنثى من الإبل حين تركب . فهل يحتاج تفسير لفظ جاء في بيت في مقدمة أبي العلاء الى نقل هذه الأقوال المختلفة ؟ وهل يجمل بالشارح أن يسردها للقارىء هذا السرد ؟

وجاء في المقدمة قول الأعشى : (ص ٣٥)

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبُها يوم اللقاء وقلَّتِ
همُ ضربوا بالحنو حنو قُراقرٍ مقدمة الهامُرز حتى تولَّت

ففسر الشارح « قلّت » في البيت الأول بقوله : علت وسمت ، دعاء لبني ذهل . والصواب أن قلّت فعل من القلة يعني ان هذه الفدية قليلة لبني ذهل ، وليس هذا شيئاً الى الغلطة البلقاء في تفسير « حنو قراقر » . قال الشارح : حنو قراقر قرب مكة حيث كانت الواقعة بين الفرس وبكر بن وائل .

فهل سمع أحد من قبل أن وقعة الحنو وقعة ذي قار الطائرة الصيت في التاريخ العربي والأدب كانت قرب مكة . أنا أستغفر الله من نقل هذا الكلام .

وقال الشارح : (ص ٣٨)

سلع : جبل بسوق المدينة وقيل موضع بقرب المدينة .

وليت شعري كم ألف من زوار المدينة يرون جبل سلع أو يصعدون عليه كل سنة ؟ ألا نزال نشك في سلع أجبل أم موضع ·

وقال الشارح : (ص ٥٠)

إضم : ماء بين مكة واليمامة · فهب أن إضماً ليس وادياً شمالي المدينة كما أعلم · فهل يجوز تعريفه بأنه بين مكة واليمامة ، و بينهما زهاء الف كيلٍ وصحراء لا يجوزها راكب السيارة إلا في ثلاثة أيام ·

هذا بعض ما أخذته على التعليق على المقدمة · والى القارئ مآخذي على شرح اللزوميات نفسها :

اللزومية الأولى

اذا نزل المقدار لم يكُ للقَطا نهوض ولا للمُخدرات إباء

في الشرح (ص ٦٠) : المخدرات صنوف الحيوان المتنعات بالأجمات · وظاهر انها هنا الأسود ، وقد غلب عليها هذا الوصف · وقول الشاعر ولا للمخدرات إباء يدل على هذا ·

وفي المتن : (ص ٦٢)

وزادك بعداً عن بنيك وزادهم عليك حُقوداً أنهم نحساء

والصواب نجباء · وهو تحريف مطبعي · ومثله كثير ولن أتعرض له من بَعد ·

اللزومية الثانية

فان إباء الليث ماحَلَّ أنفَه بأن مَحلات الليوث أباء

قال الشارح (ص ٦٧) : أنفه أشده · وما حَلّ أي ما نقص ونقض من مرّته ، هذا قوله · والظاهر أن الشاعر يريد أن يقول ان إباء الليث لم يحل بأنفه بأنه يسكن الأباء وهو القصب · وهذا في الرد على من يعير أهل المعرة باسم بلدهم · فيقول لا يدل اسم البلد على حال أهلها · لم يلحق التثريب أهل يثرب ، ولا كان إباء الليوث من أنها تسكن الأباء وهو قصب ضعيف ·

اللزومية الثالثة

في الشرح : (ص ٧٤)

وراءيت الرجل مراآة ورئاء ، أريته اني على خلاف ما أنا عليه والصواب أريته خلاف ما أنا عليه ، وأحسبه من غلط الطبع ٠

اللزومية الرابعة

يقول المعري : سألت رجالاً عن معدٍّ وأهله

فيذكر الشارح (ص ٧٥) معد بن عدنان ويتكلم في أن ميمه أصلية أو زائدة ، وأن النحاة يقولون ان الاغلب على معد وقريش وثقيف التذكير الخ ٠

فهل ينتظر قارئ اللزوميات أن يوقف به على ميم معد ٠

ثم يقول الشارح في تفسير هذا الشطر : (ص ٧٥)

« سألت رجالاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بحقائق الأشياء عن معد أو رهطه » ٠ فهل ذكر المعري أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر أو قال سألت رجالاً فحسب ٠

ويقول : وما نُوَبُ الأيام إلاّ كتائب

يقول الشارح (ص ٧٦) : النُّوَب جمع نادر لنائبة والأعرف نوائب ٠ ثم ينقل عن ابن جني تعليل جمع نَوْبة بالفتح على نُوَب بالضم ٠ فالنُّوَب إذاً جمع نوبة وليست جمعاً نادراً لنائبة كما قال ٠

اللزومية السادسة

وكم مضى هَجَرِيّ أو مُشاكله من المَقاوِل سَرّوا الناس أم ساءوا

يقول الشارح (ص ٨٠) : هجري نسبة الى هجر بفتحتين مدينة ٠ وهي قاعدة البحرين ٠ وقيل ناحية بها ٠

أهَجَر مدينة أم ناحية ؟ هذا ينبغي أن يعلمه الشارح ويجزم فيه برأي أمام القارئ . ثم لا توجد اليوم مدينة باسم هجر ولا ناحية . والبحرين اليوم غير البحرين في أيام المعري . فهل يتكلم الشارح عن الماضي أو الحاضر ؟ ينبغي أن يبيّن هذا .

اللزومية التاسعة

يقول المعري :

أكفيءْ سوامك في الدنيا مياسرة وأعرضْ عن قوافي الشعر تُكفِئها

يقول الشارح : (ص ٩٠)

السّوام والسائمة بمعنى . وهي كل إبل خُلّيت في الفلوات ترعى الخ .

ولست أُوافقه على تخصيص السوام بالإبل . فكل ماشية خُلّيت في المرعى تسمّى سَواماً وسائمة .

اللزومية الحادية عشرة

يقول المعري :

وإخوان الفطانة في اختيال كأنهمُ لِقوم أنبياء

فيقول الشارح (ص ٩٥) في تفسير الفطانة :

« والفطانة ضد الغباوة . يقال فَطَن لهذا الأمر بالفتح يفطُن بالضم فِطنة وفَطُن بالضم فَطْناً وفَطَناً وفُطُناً وفُطونة وفَطانة وفطانية فهو فاطن وفَطون وفَطِن وفَطِين وفَطْن وفَطُن وفَطونة . وفطِن بالكسر فِطنة وفَطانة وفَطانية . والجمع فُطْن والأنثى فَطِنة » .

فهل يحتاج قارئ اللزوميات الى هذا البيان اللغوي كله ؟ لن أعود من بعد الى نقد الإسهاب والتشكيك في الشرح اللغوي فحسبي ما قدّمت من أمثلة وهما يلقيان القارئ في كل صفحة فالحديث عنهما يطول ويُمل .

وقال المعري :

تعالى رازق الأحياء طراً لقد وهت المروءة والحياء

الشرح (ص ٩٤) : تعالى أي جلّ ونبا عن كل ثناء الخ . فلماذا خصص التعالي بالتعالي عن الثناء . الحق ان المراد تعالى الله عما لا يليق بالألوهية . وفي التنزيل : فتعالى الله عما يصفون . وتعالى عما يقول الظالمون . والله أهل للثناء الحسن : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

اللزومية الثالثة عشرة

يقول الشارح : (ص ١٠١)

الدرع لبوس الحديد تذكّر وتؤنث . ثم يقول : وتصغير درع دُريع بغير هاء على غير قياس الخ . وأقول : إن كانت الدرع تذكر كما يقول فليس في تصغيرها على دريع شذوذ إنما تزاد الهاء في تصغير الثلاثي المؤنث .

ويقول المعري :

ولست كمن يقول بغير علم سواء منك فتك واتقاء

فيفسر الشارح (ص ١٠٢) البيت بما معناه اني أقول على علم . فأعلمك أن الموت واقع لا محالة لا ينجيك منه فتك أو اتقاء .

والصواب أن الشطر الثاني مقول القول أي لست من القائلين على غير علم إنّ الفتك والاتقاء سواء . ويبين هذا الأبيات التي بعده فليتأمل القارئ .

اللزومية السادسة عشرة

يقول الشارح (ص ١٢٠) :

والفرقد واحد الفرقدين . وهما نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي وقيل هما كوكبان قريبان من القطب كما قيل انها في بنات نعش الصغرى .

وأقول الفرقدان ظاهران لمن ينظر الى السماء لا يحتاج تعرّفهما الى الحدس

وتعداد الأقوال . ثم هذه الأقوال التي سردها الشارح لا تختلف فيما بينها .
فالفرقدان نجمان لا يغربان ، في بنات نعش الصغرى ، قريبان من القطب .

ويقول المعري :

وأرى الأربع الغرائز فينـا وهي في جثّة الفتى خصماء

فيقول الشارح (ص ١٢٥) : والغرائز الأربع العناصر التي يتكون منها الكون . وهي المائية والترابية والهوائية والنارية .

وأقول : ان الغرائز الأربع ليست العناصر بل هي طبائع الجسم أو الأمزجة الأربعة : الصفراوي والسوداوي والدموي والبلغمي .

وجاء في أثناء الشرح : (ص ١٣٢)

وفي حديث بيعة النساء « ولا يأتين ببهتان يفترينه » .

أقول هذا لفظ الآية . فان يكن اللفظ نفسه جاء في الحديث فالآية أولى أن تذكر ويستشهد بها .

ويقول المعري :

والبهارُ الشميمُ تحميه من وطء معاديكَ أرنبٌ شمّاء

يعني المعري أن المرعى تحميه حميتك وأنفك الأشم والأرنب هنا أرنب الأنف .
وتكلف المعري بالجناس جمع بين الشميم والشماء دون جدوى .

وقد قال الشارح اللغوي فيما قال (ص ١٣٤) : إذ المشمرم ما دام موصولاً بعرنين أنفك فهو أبعد من أن يوطأ .

وقال شارح المعنى :

فهم كالزهرة النضرة لا يذبلها وقع الأقدام ، ولكن يذبلها شم الأنوف .
وكلا الشرحين بعيد من المعنى كل البعد .

وجاء في الشرح (ص ١٣٨) الاستشهاد بقول الشاعر :

أضحت أميةُ معموراً بها الرجَم لفي صعيد عليه التربُ مرتكم

والصواب لَقًى صعيد ، واللقى الشيء المُلقى .

وأعبر لزوميات على هنات فيها ومآخذ تتخللها الى :

اللزومية الثانية والثلاثين

مَتى آداكِ خيرٌ فافعليـه ... وقولي إن دعاكِ البِرُّ آرَى

يقول الشارح : (ص ١٩٥)

آرى كلة فارسية ، بمعنى نعم وصرحى وحقاً . وتكون بمعنى لا .

ولست أدري أين وجد الشارح أن آرى تكون بمعنى لا .

ويقول المعري :

فلو قَبِل الغواةُ عرفتِ كشفي ... من الكذب المموه ، ما توارى

والمعنى بيّن . يقول الشاعر : لو قبل الغواة الحق لعرفت كشفي وإباني ما توارى من الكذب المموّه . ولكن الشارح يقول : (ص ١٩٥)

وكشفي أي ما أظهر مما لا مواربة فيه ولا مداهنة .... أي عرفت حقي من باطلهم ولم يغمّ عليك .

فانظر كيف يترك المعنى الجلي الذي يُبين منه اللفظ الى معنى لا يدل عليه اللفظ .

اللزومية الرابعة والثلاثون

يقول المعري لمن يخاطبه :

عهدتُك تُشبه سِيدَ الضَّراء ... ولست مُشابهَ ليث الشَّرى

تدِبّ فان وُجدت خلسة ... فيا ليلسُلَيك أو الشنفرى

والمعنى بيّن . يقول الشاعر انك تختل ختل الذئاب . تمشي الهوينى حتى تجد الفرصة فتعدو اليها عدو السليك والشنفرى . ويقول الشارح :

والدنيا خادعة ماكرة ومحتالة ماهرة تدب دبيب الشيخ الخ .

وليس في هذه الأبيات ذكر الدنيا ولا الإشارة اليها .

وفي المتن :

فهوّن عليك لقاء المنون وقل حين تطرق : أطرقْ كرا

والصواب حين تَطرُق أي حين تطرق المنون .

ويقول المعري :

وتختلف الأنس في شأنها وأبعدْ بمن باع عنْ شرى

فيقول الشارح (ص ٢٢٦) : الضمير في شأنها للحياة وان لم يجر لها ذكر صريح فالحديث عنها .

وأقول إن الضمير هنا للانس ، أي ان الناس مختلفون في شئونهم .

(للكلام صلة) جُدة عبد الوهاب عزام

عثرات الأقلام والأفام [1]

(مزاودة)

فمن عثرات الأقلام قولهم : (مزاودة) فقد نشرت بعض المصالح الحكومية إعلان مزايدة بعنوان (إعلان مزاودة) كذا بالواو مكان الياء . ثم كررت الخطأ نفسه أذ قالت (تأجيل المزاودة) (تجري المزاودة) (فمن كان له رغبة بالمزاودة) والإعلان لا يزيد على بضعة أسطر وصوابه (المزايدة) بالياء لأنه مصدر زايد بالياء وأصل فعله الثلاثي يائي وهو زاد يزيد لا زاد يزود . فكما لا يقال من فعل (بايع يبايع) المباوعة لا يقال في زايد يزايد المزاودة إذ ليس فعلها أجوف واوياً كالمصاولة والمقاولة .

---

(١) الأفام جمع فم المشددة الميم وهي لغة في الفم المخففة التي جمعها أفواه وقد اخترنا الأفام على الأفواه للازدواج بالأقلام .

(استبعاد)

ويقولون (ترى الحكومة استبعاد فلان عن العمل) يعنون إبعاده وهو خطأ: لأن العرب تقول استبعد الشيء عده بعيداً غير متوقع الحصول . ويقولون استبعد فلانٌ عنا اذا تباعد وشط مزاره عنا . كأنه بمعنى طلب البعد عنا وفضَّله على القرب . أما اذا أرادوا معنى التنحية عن عملٍ ما فيقولون إبعاده وتنحيته وصرفه لا استبعاده .

(الحِفاظ)

ويقولون (الوزارة الفلانية أمرت بكذا لأنها ترغب في الحفاظ على سمعة سورية) وصوابه المحافظة على السمعة بمعنى حفظها وصيانتها من قالة السوء . أما الحِفاظ فلا يكون بمعنى الحفظ في الفصيح وانما معناه الأَنَفَة والحَمية والغضب للكرامة أن تمس كالحفيظة . والفعل منه (أحفظ) يقال أحفظني كذا أي أغضبني .

(كورس)

ومن عثرات الأقلام : (كَوْرس) يلفظونه على وزان جوهر ومنهم من يضم أوله . ويضيفونه الى محطة الإذاعة فيقولون (كورس المحطة) أو (كورس الإذاعة) ويريدون بها جماعة المغنين فيها . ونرى من الصواب العدول عن كورس الى (جوقة المحطة) والجوقة - وإن كانت مشكوكاً في عروبتها - غير أنها مما عرفه العرب واستعملوه ودوّنوه في معاجمهم وفسروه بالجماعة من الناس ثم خصوا به الجماعة من المغنين . أما (الكورس) وبعضهم يلفظه كأصله (خورس) بالخاء فلفظ يوناني يراد به الجماعة من الناس أيضاً ثم خصوا به جماعة الكهنة الذين وظيفتهم إنشاد الترانيم الكنائسية في الحفلات الدينية . كما كنا نسمع من نصارى الساحل قولهم في صدد الكلام على الحفلات الكنائسية

(الخورس) فنسألهم ما الخورس فيقولون فئة من الخوارنة ترفع صوتها بالترانيم في حفلات عيد الشعانين مثلاً . ولم نسمع كلمة (خورس) مستعملة إلا بهذا المعنى . ونحن لا نمنع التعريب واقتباس لغة من لغة لحين الضرورة . ولكننا نفضل أن لا ندع كلمة قاموسية مأنوسة بيننا وهي جوقة الى كلمة ليست كذلك . ولا سيما إذا كانت ذات صبغة دينية ، أو ذات مقام خاص بها وهو مقام الأعياد الكنسية وقال بعض الظرفاء : لو لم أسمع شمس الدين سامي يقول في قاموسه : إن كلمة (خورس) ـ وهي اسم للديك عند الأتراك ـ فارسية الأصل لقلت أنها يونانية وان الديك بما أوتي من موهبة الصوت أشبه بالشماس الذي يترنم بتمجيد الرب .

(خطورة)

يقولون : (لاحظ فلان خطورة الموقف فتجنب الدخول في ما لا يعنيه) كلمة (خطر) المصدر تكون بمعنى التهلكة يقال (فلان على خَطَر عظيم) وبمعنى جلالة القدر ورفعة المقام يقال فلان له خَطَر . وفلان خَطِير . وليس لفلان خَطَر أي قيمة ومنزلة . فاذا أراد قائل الجملة بخطورة الموقف عظمته ورفعة شأنه صح : إذ أنهم يقولون خَطَرَ الرجل خطورةً اذا صار رفيع القدر . أما اذا أراد بخطورة الموقف أن فيه الهلاك والتلف لم يجز الاستعمال ووجب أن يقول (خَطَر الموقف) لاخطورته . والراجح أن استعمال الكتّاب لخطورة الموقف إنما يريدون أنه مؤدٍ الى التهلكة . فالأصوب إذن أن يقال خطر الموقف لاخطورته .

(رابض الجأش)

ويقولون فلان (رابض الجأش) بالضاد وصوابه (رابط) بالطاء . أي ساكن القلب لا يضطرب حين الفزع . أما الربوض بالضاد فمعناه أن تجثم الدابة على الأرض للنوم والاستراحة كما يبرك البعير .

(القدامى)

ويقولون (أسلافنا القدامى) وقدامى جمع قديم كالقدماء لكنهم يفتحون القاف في القدامى وهو غلط صوابه الضم • ويجب قوم أن يتسامحوا في مثل ضم المفتوح أو فتح المضموم ويقولون : ولماذا هذا التنطع وما يضر اذا قلنا قدامى وفتحنا القاف ؟ ولا نطيل الجواب على هذا المعترض ونكتفي بهذا المثال الذي يذعن له الانصاف : وهو ان الفرنسيين يقولون في معنى القديم Ancien أَنسيين : أي بفتح الهمزة • فلو ألقى أحد الفرنسيين حديثاً في الإذاعة وقال Oncien أُنسيين بضم الهمزة فهل تقبل منه (الاكاديمي) ذلك وهل يقبل ابن باريز منه الاعتذار الذي اعتذره ابن دمشق الذي فتح قاف (قَدامى) ويقره عليه ؟

(القد)

ويقول المذيع في الإذاعة فلان يغني (قِدّ كذا) و (تسمعون الى قدّ كذا) والمراد بالقِدّ الأغنية أو ضرب من الأغاني أو من الألحان : وهو اصطلاح قديم • وعهدنا في لفظ (قد) أنه يفتح أوله لكن المذيع يكسره • مع أن القد بالكسر معناه السير من جلد تتخذ منه الحبال والأغلال وفي أمثال العرب (امرأة السوء قِدّ قَمِل وجرح لا يندمل) • و (القد) بمعنى الأغنية لم تذكره كتب اللغة حتى نعرف إن كانت قافه مفتوحة أو مكسورة لأنه لفظ مولد وإنما رجحتُ فتح قافه لأننا كذا نسمعه من متعاطي فن الغناء من يوم أن خلقنا ونرى أن تسميتهم الأغنية به (أي بالقد) أنسب لما في الأغاني من وصف قدّ المليح والتشبيب بتثنيه • والقد بمعنى القوام قافه مفتوحة وكذلك نسمعهم يجمعون القد بمعنى الأغنية على قدود ولو كان بالكسر لجمعوه على أقداد مثل ندّ أنداد وضد أضداد •

(تريض)

ويقولون (حديقة لتريض الأطفال) صوابه لتروّض الأطفال لأن فعله الثلاثي واوي (راض يروض) والمتعدّي (روّضه يروّضه) والمطاوع (تروّض تروّضاً) بالواو لا (تريّضاً) على أن المعروف في مطاوع روّضه (الارتياض) لا التروّض فصواب الصواب أن يقال حديقة (لارتياض الأطفال) واذا كان ولا بد من التفعّل فليقل (تروّض) لا (تريّض) .

(التنويه)

ويقولون مدير الجريدة : أرجأنا المقالة الى العدد الآتي فاقتضى التنويه ، التنويه بالشيء أو بفلان معناه تعظيمه ورفع الصوت بذكر اسمه ورفعة شأنه ولكن درجت كلمة التنويه على الألسنة بمعنى التنبيه وهو خطأ فالأولى أن يقال أرجأنا المقالة فاقتضى التنبيه . ولعل التقارب بين اللفظين هو الذي أورد الأقلام والأفهام هذا المورد .

(المرابطة)

ويقولون (شارع ضيق وفيه مرآب ترابط فيه السيارات) مرادهم بفعل ترابط أن السيارات تقيم فيه أو تبيت فيه أو تستودع فيه ونحو ذلك ، أما فعل رابط يرابط فلا يحسن أبداً أن يستعمل مع السيارات وأشباهها حتى ولا مع الحارس والشرطي حين يلازم مخفره للحراسة .

وفعل (رابط يرابط) إنما يستعمل عند البلغاء في مقامين :

(١) إقامة الجنود بخيولهم على الحدود متربصين للعدو فلا يفجأ أرض الوطن فيقال لنا جيش قوي يرابط على حدودنا . وكان صلاح الدين الأيوبي اذا هادن الصليبيين صرف جنوده الى أهليهم وبقي في فئة من مماليكه وخاصة جنده يرابط على الحدود .

(٢) إقامة الصوفي والزاهد في رباطه أي زاويته يرابط ويجتهد في العبادة وقيام الليل . كأنه يجاهد نفسه ويدافعها عن الشرور والآثام . وكان ابراهيم بن أدهم يرابط في رباطه على ساحل بحر الروم بعبد الله ويرقب قرصان العدو وكان رباطه في جبلة أو على مقربة منها فنسبت اليه وقيل جبلة الأدهمية .

في هذين المقامين يستعمل فعل (رابط يرابط) فلا يقال رابطت السيارة في المرأب ولا رابط الشرطي في المخفر ولا قاطع الطريق في مكان كذا .

(الشجب)

ومنها قولهم (عرض الأمر الفلاني على الوزير فشجبه) وهذا الخطأ في استعمال فعل (شجب) قديم على ألسنة كتابنا المعاصرين وهم يريدون به معنى استنكار الشيء واستقباحه ووجوب رده . وليس معنى (شجب) في اللغة ما توهموا . وإنما معناه الحزن والهلاك : شجب زيد حزن وشجب عمرو هلك وشجّب الله فلاناً أهلكه . فيمكننا أن نستعمل مكان (شجبه) بمعنى عدم الرضا منه ـ نكره وأنكره واستنكره وقبحه واستقبحه ، واستبشعه وعابه ورده ولام عليه ، ولم يرض عنه الخ الخ .

(الغيرة)

ومن عثرات الأقلام كسر أول (الغيرة) مذ يقولون (اذا ولد للصغير أخ استولت عليه الغيرة) وصواب الغين فتحها . ومثلها كلمة (الحيرة) يكسرون حاءها والصواب فتحها . ويستثنى من ذلك بلد (الحيرة) في العراق فان حاءها مكسورة .

(المرئاب)

ومن الأغلاط قولهم (فينبغي إلغاء هذا المرئاب) وصوابه (المرأب) على وزن مَفعل (اسم مكان) لا على وزن مِفعال (اسم آلة) : المرأب مكان تُرأب أي تصلح فيه السيارات أو تودع : كالمخزن مكان تخزن فيه الغلال والبضائع ونحوها .

(طِيلة)

ومن عثرات الأقلام قولهم (لم ينم المريض طيلة ليلته) كلمة طيلة شاعت على الألسنة شيوعاً ملحاً بل مُملاً مراداً بها طول الزمن مع أن اختها كلمة (طول) أقدم في استعمال الفصحاء وأخف على الأفواه والأسماع : فهم يقولون طول الليل وطول النهار وطول السنة ولا يستعملون طيلة للزمان إلا في مقام واحد كما يفهم من كتب اللغة وهو مقام الدعاء يقولون (أطال الله طيلة الأمير) أي عمره ولا أظن الكاتب المتقن يستجيز لنفسه استعمال (طيلة) إلا في مثل هذا المقام وهذا إمام اللغة (ثعلب) جمع الكلمات الفصحى الجديرة باستعمال الكتاب فلم يذكر طيلة وإنما ذكر طوال بفتح الطاء فقال (لا أكلمك طَوالَ الدهر) أي مدى الدهر فهو رجحها في فصاحة الاستعمال على أختها (طول الدهر) فما تراه فاعلاً لو قلنا (طيلة الدهر) ؟ بل الأغرب من ذلك أنهم استعملوها في المكان فقال قائلهم (وكانت أقواس النصر منتشرة على طيلة الطرقات) ؟ ؟ وربما فتحوا طاءها فقالوا طَيْلة ! ! !

(عِبْر)

ومثل ولوع الكتاب بكلمة (طيلة) ولوعهم بكلمة (عبر) بكسر العين وسكون الباء . وكأنَّ مترجماً ترجمها عن كلمة فرنسية فشاعت وسواء أكانت الترجمة في محلها أو في غير محلها فان الكتاب حتى المعروفين منهم أسرفوا في استعمالها . ففي صفحة واحدة تقرأ (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) (سافروا الى الكويت في سلسلة الرحلة التي يقومون بها عبر العواصم العربية) (الولوج الى عوالم عبر هذا العالم) دع عنك قولهم (عبر الأيام) و (عبر الصحراء) . ولا نفهم لمعنى (عبر) في استعمالاتهم الا ما تفيده كلمة (داخل) (خلال) بل ان حرف الجر (في) يغني عنها . ويريح الأسماع منها ، وفي القرآن (أفلم يسيروا في الأرض)

ولو قالها كتاب اليوم لقالوا (عبر الأرض) ، والعبور في اللغة مرور شيء في شيء أما (عبر) فيقال في اللغة (عبر الوادي) شاطئه أي أحد جانبيه · ومثله عبر النهر · فيكون معنى (عبر الصحراء) أحد جانبيها وهم بالطبع لا يريدون هذا وانما يريدون معنى آخر تفيده كلمة افرنسية أو انكليزية لاطئة في أذهانهم · فقولهم السابق (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) إن أرادوا من عبرها استقرار التجارة فيها صلح أن يقولوا (في الباكستان) أو (داخل الباكستان) وإن أرادوا من عبر الباكستان ان التجارة تجتازها وتمر فيهـا مروراً (ترانزيت) ـ ولا نظنهم يريدون هذا ـ فعندها يصلح أن يقولوا تجارة الأفغانستان مجتازة أو مارة بالباكستان أو يقولون اجتياز التجارة أو مرور التجارة أو عبور التجارة أما (عِبْر الباكستان) فلا يعرف العرب استعمالها بمعنى (في) ولا بمعنى اجتياز وانما يعرفونها بمعنى الشاطئ والجانب الآخر من الصحراء والنهر والوادي ·

(سواح)

ومن العثرات قولهم (قافلة سوّاح تمر بدمشق) وصواب سواح بالواو أن يقال (سياح) بالياء لأن فعله ساح يسيح : أي انه فعل يائي لا واوي ·

(بيعة)

ومن عثرات الأفهام قولهم (وبعد أن تمت البيعة للملك جرى كذا وكذا) يلفظون (البيعة) بكسر الباء وهو خطأ لأن بَيعة الملك بمعنى مبايعته والحلف على الإخلاص له فباؤها مفتوحة أما بِيعة المكسورة الباء فهي معبد النصارى وتجمع على بِيَع ويقال لها كنيسة أما الكنيس من دون تاء التأنيث فهو معبد اليهود ·

(غيلة)

ومنها قولهم (قتلوه غيلة) يفتحون أولها أي يفتحون حرف الغين وصوابها الكسر وهي اسم مصدر بمعنى الاغتيال · وهو أن يقتل رجل آخر من حيث لا يشعره أنه يريد قتله ·

(مغرّض)

ومن عثرات الأقلام تشديد (المغرض) فقد سمعت من تقول في الإذاعة وفلان معروف انه (مغرِّض) أو (من المغرِّضين) تعني أصحاب الأغراض والغَرَض الهدف وأغرض أصاب الغرض وأصبحوا يريدون من المغرض الذي له قصد سيئ أو مصلحة شخصية في أمر من الأمور . وهذا الاستعمال للغرض مولد دخيل وقد أجزناه لهم بشرط أن يشتق من أغرض فهو مغرض بتخفيف الراء أما (مغرّض) بتشديدها فله معان أخر لا تناسب معنى القصد السيئ .

(التأخلق)

ومن العثرات الغريبة قولهم في نشرة مصرية (الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية) ومرادهم بالتأخلق (التخلّق) أي الاجتهاد في جعل الأخلاق الاسلامية عادةً للمرء وطبعاً راسخاً في نفسه . فلماذا تركوا (التخلق) وهو المعهود الاستعمال في كلام الفصحاء وآثار السلف وعدلوا الى (التأخلق) الذي لا يمت الى اللغة ولا الاشتقاق الصرفي بصلةٍ ما : كأنهم ظنوا أن الهمزة في كلمة (أخلاق) أصلية فهم يدخلونها في بناء فعل تأخلق وليس الأمر كذلك وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم (تأرجح الأمر بين كذا وكذا) وقولهم (كان الدخان يتأرجح في سماء المدينة) وصوابه (يترجح) لكنهم توهموا أن الهمزة في (أرجوحة) أصلية فأدخلوها في الفعل . وكانوا قديماً يقولون خطأ أيضاً (تمرجح الأمر) على توهم أن ميم (مرجوحة) أصلية وليس كذلك فلا الميم ولا الهمزة بجائز أن تدخلا في الفعل وانما الصواب أن يقال (ترجّح) أي تردد بين الجهتين والجانبين : تارةً يمنة وتارةً يسرة .

(مـيّزة)

ومن عثرات الأقلام تشديد كلمة (ميزة) فيقولون مثلاً أن لتاريخنا العربي (ميّزة) على سائر التواريخ . مع أن ميزة على وزن ميرة لا تشديد فيها : وهو اسم مصدر لفعل ماز يميز كما في شرح القاموس .

(حقل)

ومن عثرات الأذهان ولوع الكتاب بكلمة (حقل) في قولهم فلان أحد العاملين في حقل الحركة التحريرية ولو حذفوا كلمة حقل لحسن المعنى ووافق أسلوب كتابنا الأقدمين ولوافقوهم أيضاً لو قالوا (في ميدان الحركة التحريرية) ولعمري ان تشبيه رجال الحركة بالعاملين في الميدان خير من تشبيههم بالعاملين في الحقل ! ! !

(آذان)

وسمعنا الراديو بل أحد المذيعين على لسانه يقول (نحن الآن بانتظار آذان المغرب) بمدّ همزة آذان ، وآذان بالمد جمع أُذُن وهي الجارحة التي نسمع بها فصوابه (أَذان) من دون مد الهمزة ومعناه التأذين وإعلان وقت الصلاة . وهذه الغلطة من الراديو كانت تتكرر ثم تُصَلَّح ثم يعاد اليها . فهي إذن سبق لسان . وتكرار التنبيه يؤدي الى فرط الانتباه .

★ ★ ★

ولا ينبغي أن يستهان بتصحيحات هذه الأغلاط ولا سيما ما وقع منها في الإذاعة لأن المستمعين والمستمعات يعدون بالألوف وليس كلهم ممن يتنبه الى الصواب فيها فاذا علقت الغلطة المتكررة ـ وهي ستتكرر بالطبع ـ بسمع مئة مثلاً من الضعاف في اللغة واستأنسوا بها واستعملوها في كلامهم لا جرم أن الخطأ فيها يسهل على من حولهم . فتسري العدوى . وتعم البلوى .

المغربي

الخزانة الشرقية

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة «١٩٥٢»

— ٢ —

٦ — وقال في «ص ٦٧» من ذلك الجزء «ثم حضر الصاحب أيضاً مجلساً في عكبرا وهي بليدة في نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، مشهورة بجودة الخمر ..» .

والصحيح أن عكبرا لم تكن أيام الصاحب بن عباد من نواحي دجيل ، قال ابن عبد الحق في مَراصد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي وتتبع لأوهامه «عكبرا : بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة ، وقد يُمدّ ويقصر بُليدة من ناحية دجيل ... قلت : كانت عكبرا من الجانب الشرقيّ على شاطئ دجلة فلما استحالت دجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة وخربت وانتقل أهلها الى أوانا وغيرها وصار ما في شرقيّها الى دجلة من عمل دجيل ويسمى الآن المستنصري ، لأن الامام المستنصر استخرج لها نهراً يسقيها من دجيل ووقفه على آدُر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان» . فاستحالة دجلة الى الشرق وخراب عكبرا كانا على عهد المستنصر بالله «٦٢٣ — ٦٤٠ هـ» أي بعد عصر الصاحب بن عباد بسنين كثيرة ، وأما قبل ذلك فكانت عكبرا من شرقي دجلة مع أنّ دجيلاً من غربيّها دائماً . فلا يصح أن تكون عكبرا من نواحيه ، وبعد انتقال دجلة عنها وخرابها لم تبقَ فائدة في ذكرها سوى الفائدة التاريخية كالتي ذكرناها الآن .

٧ — وتكلّم في «ص ٧٤» من الكتاب على «الفقراء المخرّبين» وقال «يصعب جداً تعيين الزمن الذي أطلق فيه لقب المخرّبين على الفقراء الذين عرفوا بالاستهانة بالشرائع والآداب واستباحة المحارم والمآثم ، ولذلك حار طابع كتاب

الحوادث الجامعة لابن الفوطي - يعنيني أنا نفسي - ولم يدْر له توجيهاً ... » .

وقد صدق الرجل في أني لم أهتد يومئذ الى معنى « التخريب » ولا هو اهتدى الى أصله بل ذكر شواهد على استعماله ، وقد اشتهر الفقراء القلندريون بالاستهانة بالشرائع واستباحة المحرّمات ، ويظهر لي أن « التخريب » مأخوذ من « خراب النفس » الذي سمّاه الفرس « خَرابات » وسموا الذي لا ينتهي عن منكر ولا يأنف من عمل قبيح ولا يلتزم الفرائض « خَراباتي » فالتخريب عندي أن يكون الانسان « خراباتياً » أي غير مبالٍ بما يجب عليه أدباً وشرعاً ؛ قال الاُستاذ المحقق عباس العزاوي في سيرة « الشيخ مصطفى المولوي الخراباتي » :

« وهذا الدرويش كان من الملامتية ... أكثر الناس من التقوّل عليه بأنه لا يبالي (خراباتي) والله أعلم بحقيقة الحال »[1] . ولقائل أن يقول إنّ الخراباتي يجوز أخذه من « الخرابات » أي المواضع الخربة ، ودلت الخرابات على المغارات عند الفرس ، فالسّادر الذي لا يبالي يأوي الى المواضع الخربة كما يفعل كثير من الدراويش والفقراء وهناك يفعلون ما يفعلون ، وقد استعملت « الخرابات » في الشعر العربي كما في قول نجم الدين ابراهيم بن هاشم النيلي يهجو عز الدين أبا الفضل عامر بن عامر البصري من أهل القرن السابع :

يحبّك ربع في خرابات باطني   غدا عامراً والبالُ بالٍ وداثرُ
وذلك شيء من عجائب دهرنا   فوا عجباً إذ في الخرابات عامر[2]

٨ — وذكر من المخرّبين « علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري » المتوفى سنة « ٦٤٥ » هـ كما في ذيل الروضتين « ص ١٨٠ » وتاريخ أبي الحسن الخزرجي وفيها أو في سنة « ٦٤٦ » كما في النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٣٥٩ — ٢٦٠ » أو في سنة « ٦٤٦ » كما في الموسوم بالحوادث الجامعة « ص ٢٣٥ » وقال : « ونشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهاجه في التخريب الديني والاُدبي وتجاوزوها

---

(١) العراق بين احتلالين « ج ٥ ص ٥٣ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي « ج ٤ ص ١٤ » من نسختنا الخطية .

بارشاده الى التخريب المادّي فكانوا يهدمون كل ما تناولتـه أيديهم من معابد النصارى ونصّ ابن شاكر على أن خراب كنيسة المصلّبة أي كنيسة حنانيا بدمشق سنة « ٥٨٠ / ١١٨٤ » وتحويلها الى مسجد قام به رجل حريريّ في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يدرك المستشرق سوفير فيما نقله من عيون التواريخ الى الفرنسية معنى لقب «الحريري» فترجمه Marchand de soie بدلاً من « Partisan de la secte Haririeh ·

وهذا قول يحدو على العجب فانّ « عليّاً » هذا كان يقال له « الحريريّ » قبل أن يؤسس الطريقة الحريرية ولم يكن حريرياً وحده بل كان معه « حريريون » فان سلمنا أن ولادته كانت سنة « ٥٥٥ » ه لانه توفي منيفاً على التسعين كان عمره سنة أخربت كنيسة المصلبة (أي سنة « ٥٨٠ ») خمساً وعشرين سنة فكيف نشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهاجه في التخريب الديني والأدبيّ حتى تجاوزوهما الى التخريب المادي ؟ وهو في هذه السنّ ؟ وكيف تجوز طريقته في مثل أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الحريص على جملة الاسلام وتفصيله وتفاريقه ؟ ومتى هدم الرجل بناءاً من الأبنية حتى ينسب أتباعه وتلامذته الى مثله ، ولِمَ لَمْ يباشر ذلك بنفسه وهو في ريعان شبابه ؟ فالصحيح أن طريقة الحريرية لم تكن معروفة سنة « ٥٨٠ » ه وأنّ « الحريري » الذي سعى في هدم الكنيسة كان حريرياً يحوك الحرير أو يشتغل به كسائر الحريريين يومئذ وأن المستشرق سوفير قد أصاب في ترجمته وأن الباحث الفاضل واهم فيما قال ·

٦ — وقال في « ص ٩٣ » مستقصياً ماورد من « مفعول ومفعولة على مفاعيل » على زعمه :

« منع أهل اللغة أن يُقال مثعوب بدلاً من ثعب ، ومع ذلك فقد أجازه الجاحظ كما تقدم من كلامه آنفاً » - وكلام الجاحظ المقدّم هو « مباهير كثيرات الثعب ومباهير متاعيب قد علاهم البهر » ·

وليس في « متاعيب » دليل على أن المفرد « متعوب » كما ظن الرجل ، لأنّ « مفاعيل » مشترك بين مُفعَّل كمذكَّر ومذاكير من أسماء المفعول و « مُفعَل » اسم مفعول أيضاً كمسند ومسانيد ومُرسَل ومراسيل ومصعب ومصاعيب ومنكر ومناكير ومُفرد ومفاريد ، و « مُفعِل » اسم فاعل كمُطفل ومطافيل و « مِفعال » كمذياع ومذاييع و « مِفعيل » كمسكين ومساكين و « مفعول » كمضمون ومضامين [1] ، فالمتاعيب جمع « المتعَب » اسم مفعول من « أتعبه إتعاباً » فتأمل ذلك واعجب من رجل لم يدرس الصرف حقّ دراسته ويدخل نفسه في مسائل صرفية كالتي قدّمنا ذكرها .

١٠ — وقال في « ص ٩٤ » في الجمع المذكور « مجهود مجاهيد » ونقل من معجم البلدان « أقمت بمصر فرأيت أهلها مجاهيد » وقول القاضي الفاضل « مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدأبون » . والمجاهيد هنا جمع « مُجْهَد » اسم مفعول من « أجهده إجهاداً » فهو كالمتعب والمتاعيب ، وعلى قياسه الصرفيّ . ثم إنّ « المجهود » من المصادر التي جاءت على « مَفعول » كالمجلود والمحلوف والعرب تخشى جمع « المجهود » اسم المفعول على مجاهيد لئلا يلتبس بجمع المصدر المذكور .

١١ — وقال في « ص ٩٤ » : « محووج محاويج » لأبي العلاء :

ما اليسر كالعدم في الأحكام بل شحطت ... حال المياسير عن حال المحاويج

ولم يفطن إلى أنّ « المحاويج » جمع « المِحْواج » أي المحتاج أو الكثير الحاج بإجماع من ذكره من اللغويين وهم كثير . وقد أغرب أيضاً في تصحيحه « تاريخ قضاة الأندلس » بقوله « ص ١٢٤ » من التصحيح « المجاذيم جمع مجذوم

(١) يضاف الى ذلك أنّ اشباع كسرة ما بعد الألف من صيغة منتهى الجموع حتى تصير كسرة جائز كزورق وزواريق ومذبح ومذابيح ومنه « ثنية المذابيح التي ذكرها الباحث الفاضل في مقالته « ص ٩٦ » فظنها جمع المذبوح . وكذلك فعل بالمقول والمقاويل في « ص ١٠٣ » ظنه جمع « مقول » اسم مفعول وبالملابيس جمع ملبس في « ص ١٠٣ » .

أو «المحاويج جمع مُحوج أي الفقراء» فليسائل نفسه لماذا جمع هناك «المحوج» على «المحاويج» ؟ إنه بعيد عن هذا الفن الذي تكلّفه تكلّفاً ظاهراً ، فكان عليه أن يتوقّى الوهم كثيراً .

١٢ — وقال في «ص ٩٥» من كتابه «محروق محاريق» قال العتبي :

ولي صاحب سرّي المكتّم عنده محاريق نيران بليل تحرّقُ

نقل ذلك من «المحاسن والمساوئ ٢ : ٥٩» . والنصّ الذي نقله فيه تصحيف فهي «المخاريق» بالخاء المعجمة لا «المحاريق» كما ظنّ . قال المبرد في الكامل «وقال آخر :

ولي صاحب سرّي المكتّم عنده مخاريق نيران بليل تحرّق»

فقال الدلجموني الأزهري في شرحه «ج ٢ ص ٢٣٦» من طبعته «مخاريق نيران : جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً ، استعارها للشعل التي تشعل النار فيها ، شبه السرّ عند صاحبه الذي أوصاه بكتمانه بشعل النار التي تحترق بالليل ، يريد أنه لا يكتم سراً» .

قلت : وأورد صاحب جمهرة أشعار العرب قول عمرو بن كلثوم :

كأنّ سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

وقال «المخاريق : ثياب صغار يلعب بها الصبيان ويضرب بها بعضهم بعضاً وقيل عيدان» (ص ١٦٣) ثم أورد قول قيس بن الخطيم «ص ٢٤٧» :

لقيتكمُ يوم الخنادق حاسراً كأنّ يدي بالسيف مخراق لاعب

وقال «المخراق : ثوب يجعله الصبيان مفتولاً في أيديهم يتضاربون به» . وأيّاً كان فهو ليس بمحروق .

١٣ — وقال في «ص ٩٦» في البحث نفسه «مخموص مخاميص ، من قولهم : خمصَ الجوع فلاناً فهو مخموص قال زهير بن سهم المرادي من أبيات :

وابن المنيح ومرداساً وإخوته إذا فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

نقل ذلك من أنساب الأشراف للبلاذري ٤ : ٨٨ » . وكان المبرد قد نقل هذا البيت وما معه في الكامل « ج ٣ ص ١٥٦ — ٧ » ونقلها من كتابه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « مج ١ ص ٤٥٣ » قال الدلجموني الأزهري « مخاميصا : أي ضامري البطون ، كناية عن الزهد في الدنيا وقلة ما يملكون منها رغبة عنها » . وعلى هذا يكون مفرد المخاميص « المِخماص » لا المخموص ، فهو مثل « المِحواج والمفضال والمقدام » أدلّ على المبالغة ، وليس من دليل في الشعر ولا في الكتب التي ورد فيها على أنه جمع مخموص » . والفعل « خمَص » ورد متعدياً ولازماً فالمخماص من اللازم .

١٤ — وقال في « ص ٩٦ » أيضاً مذكور .مذاكير ، لأبي الشبل البرجي (كذا) في رثاء سراجه :

وليس يقوى بروقه جبل صلد من الشمّخ المذاكير »

والصحيح أن « المذاكير » هنا جمع « المذكّر » اسم مفعول بتشديد الكاف والمذكّر عند العرب كلُّ ما يدلُّ على القوّة والشدّة والصلابة ، ولا معنى لمذكور هنا في وصف الجبل ، كما هو بيّن للمتأمل المدرك معاني كلم العرب .

١٥ — وقال في « ص ٩٧ » نقلاً من الأغاني ١٣ : ٢٨ لأبي الشبل البرجمي في رثاء سراجه :

يلتهب الموت في ظباه كما تلتهب النار في المساعير

قال « مسعور مساعير » يعني أنّ « المساعير » في البيت جمع « مسعور » ، ولم يفطن للمراد بالمساعير مع أنّ استعمالها كالأسماء لا كالصفات كان حرىً (١) أن يبعثه على التفكير في حقيقتها ، فالمساعير جمع « مسعار » وهو ما تُسعر به النار كالقبَس والأشياء السريعة الاحتراق والالتهاب ، وليس بين الأسماء « مسعور » بالاطلاق حتى يدّعي أنه اسم جمع على « مساعير » وانما يقال نار

(١) بفتح الحاء والراء والقصر .

مسعورة ورجل مسعور أي أكول مستكثر وناقة مسعورة لا تستقر من القلق .

١٦ — وأثبت في « ص ١٠١ » معروفاً ومعاريف قال في « العقود اللؤلؤية للخزرجي : وصل كتاب بعض معاريفه من أهل تعز » . والصحيح أن « المعاريف » أصلها « معارف » يقال « هو من المعارف أي المعروفين » ، كأنه موضع للعرفان ، ثم أشبعت الكسرة فأصبحت « معاريف » وقد ذكرنا جواز الاشباع في حاشية سابقة ، وليس في النصّ المنقول نصّ على المفرد فينبغي أن يخرّج على الوجه المستعمل المقبول .

١٧ — وقال في « ص ١٠٥ » « منكول مناكيل ، لابن الجندي الشاعر الحمصي :

فكيف يرجون عهداً للذين هم بهت شحاح مشائيم مناكيل »

فمناكيل ان لم يكن تصحيف « مناكيد » فهو جمع « منكال » للكثير النكول وليس للمنكول وجه لأنّ فعله لازم ولأنه لا يلائم معنى البيت .

١٨ — وقال في « ص ١٠٦ » أيضاً « ميسور مياسير » والصحيح أن « مياسير » جمع « موسر » اسم فاعل من الرباعي « أيسر إيساراً » وقد ذكرنا ان « مُفعِلاً » اسم الفاعل يجمع تكسيراً على مَفاعيل ، في أول الكلام على هذا الجمع ، والمُوسر : هو الغنيّ وضد المُعسِر . قال الجوهري في الصحاح « ورجل مُفطر وقوم مفاطير مثل مُوسر ومياسير » .

١٩ — وتكلم في « ص ١٤٠ » على رزق جماعة من وزراء بني العباس كأبي العباس الخصيبي وأبي الحسن بن الفرات وقال بعد ذكر خبر من الأخبار « ومن هذه الملحة يتضح أن رزق الوزير في أواخر الدولة العباسية في الساعة الواحدة كان يوازي رزق العامل في أوائلها الشهر كله » . والحقيقة أن هؤلاء الوزراء كانوا أقرب عهوداً وأزماناً الى أواسط الدولة العباسية فان الوزير أبا الحسن بن الفرات قتل في الربع الأول من القرن الرابع للهجرة ، وأواخر الدولة العباسية تبدأ من بعد القرن الخامس للهجرة ، ولم يبق رزق الوزير في أواسطها ولا في أواخرها على ما ذكره الباحث الفاضل ، قال ابن الطقطقى في سيرة الوزير عون الدين

يحيى بن هبيرة المتوفى سنة « ٥٦٠ » «وما زال ينتقل من خدمة الى أخرى أرفع منها حتى تقلد الوزارة للمقتفي فمكث فيها مدّة ومشاهرته في كل سنة مائة الف دينار[1]» . وقال ابن خلكان في سيرته «وكان اقطاعه عشر مُغَلّ البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية»[2] . ومُرادنا إثبات تغير الرزق الوزيري في أواخر الدولة العباسية لا الاستدراك على الباحث الفاضل فذلك باب واسع .

هذا ما استوقفنا في أثناء تصفّحنا هذا النافع من الكتب ونحن نُعيد ما قاله الباحث الفاضل في « ص ١١٨ » خاصاً بالنقد قال «ولا بأسَ أن نعدّد كل ما مرّ بنا منها عملاً بحقوق النقد وغيرةً على العلم أن تلحقه شبهة أو ريبة» .

وهذا جدول حاوٍ غلط المؤلف في إنشائه وغلط المطبعة في حروفه .

ص	الغلط	الصواب
د	تنبئ عما غبر	عما مضى
د	كاف لاضاءة	كافٍ في إضاءة
د	التردّد علي دور	التردّد الى دور
ه	والأنسجة	والنُسُج
ه	تعريب	ترجمة ونقل
ه	القيود	التقييدات
و	وسنتبعها بكتاب	... كتاباً
ز	واختُصّ كلٌّ	واختَصّ[3]
ز	كافية لنشر	كافية في نشر
ح	لقاء ما تقتضيه	مقابل ما تقتضيه
ح	تكبدنا من أجله	كابدنا من أجله
ا	التوثق من	التوثق في
١٦	نيف ونصف	نصف قرن أو أكثر
٢٢	كما تدل عليها	كما تدل عليه
٢٥	لا آلوك	ولا آلوك
٢٦	يقتطف	يُقتَطَفُ
٢٦	يقتضي طبعاً	يقتضي بالبداهة
٢٨	لا يعرفون سواهم	لا يعرفون مَن سواهم
٢٩	كافية لتعريف	كافية في تعريف
٣٠	التعصب والتشيع	التعصب والنصب
٣٠	فلقوا كافور	فلقوا كافوراً
٣١	الي سواه	الى مَنْ سواه
٣٢	كيف أنه لم يلبث	كيف لم يلبث
٣٣	اعتقاده بصحة	اعتقاده صحة

(١) الفخري « ص ٣٢٩ » من الطبعة المصرية الأولى .
(٢) الوفيات « ج ٢ ص ١٨٧ » من طبعة بلاد العجم .
(٣) لأن الرغبة من الفاعل .

ص	الغلط	الصواب
٣٤	أبو عمر الهذلي	أبو معمر الهذلي
٣٧	فتنذر به	فتنذّر به
٤١	ابن الطقطي	ابن الطقطقى
٤٦	والدقة في الرواية	والتدقيق في الرواية
٤٦	لم يكن ليجهل	لم يكن يجهل
٤٧	يجيز ذلك	يجبر ذلك
٥٣	بعض اشارات	إشارات قليلة
٥٥	لم أشجه	لم أشجُهُ
٥٧	أثناء سروره	في أثناء سروره
٥٧	بالتروي	بالتروية
٥٨	يجيب على الكتاب	يجيب عن الكتاب
٥٩	لا تكفي لتصوير	لا تكفي في تصوير
٥٩	أفحموا العالم	أفحموا العالمين
٦٠	والشيخ أبي الحسن	... أبو الحسن
٦٠	يغدقون الأرزاق	يدرّون الأرزاق ويجرونها
٦٧	نال الليل تحيرا	بات الليل
٧٠	أمير فارقين	أمير ميافارقين
٧٥	وضع الفقراء	وضع الفقهاء
٨٤	ابن ابي الصغر	ابن أبي الصقر أحسن
٨٧	فتيان من الشاغوري	فتيان الشاغوري
٨٨	لابن ظهير الاربلي	لابن الظهير الاربلي
٨٨	ابن نقادة	ابن نفاذة
٨٩	ازخراً وحايلاً	اذخراً لا حليل ولا منزعجا
٩٠	تعدّ بالآلاف	تعدّ بآلاف
٩١	طافت بها الحدائق	أطافت بها الحدائق
١٠٧	أمداح	مديح ومدائح
١٢٦	راق لنا	راقنا
١٣٣	يحاجي عن نفسة	يحاجّ عن نفسه
١٣٣	رغبت به	رغبت فيه
١٣٧	واقتدين بذلك	... في ذلك
١٤٢	عارضه على ...	عارضه به
١٤٨	أحد عشر نفراً	أحد عشر إنساناً
١٤٨	ابن أسباط المغربي	الغرّبي
١٥١	أروبة	أوربّة
١٥٦	ادّعى أنه سعيد بن المسيّب ولا يمكن ذلك تاريخاً	
١٦٣	يقتات بها	يقتاتها
١٦٤	ابن القلونسي	ابن القلانسي

وسننشر ملاحظاتنا على الجزء الثاني من الخزانة الشرقية قريباً إن شاء الله تعالى ·

(بغداد) مصطفى جواد

غلط مطبعي

في مقالة كتاب الفنون

جاء في الجزء الأول من المجلة «مج ٢٩ سنة ١٩٥٤» :

ص ٣٧ «العاظمية» ص ٤٠ «أبو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل» ص ٤١ «القيّمة النسخ» ص ٤٢ «وهوى القرآن» ص ٤٣ «الدامغاني الحنفية» ص ٤٤ «يذكّر في الزبير» ص ٤٦ «الماحن» ص ٤٧ «تبلى نداك» .

والأصل «الكاظمية» «أبو يعلي محمد بن الحسين ابن الفراء وهو شيخ ابن عقيل» «السقيمة النسخ» «وهو في القرآن» «الدامغاني الحنفي» «يذكّرني الزبير» «الماجن» «يَبلى نداك» .

(بغداد) مصطفى جواد

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

— ١ —

في الجزء السادس من مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية المطبوع سنة ١٩٥١ (وقد حصلتُ عليه حديثاً من مكتبة السادة عبيد) اطلعتُ على (مصطلحات علم الصحة ص ١٤٥) وعلى (مصطلحات كيميائية ص ٢٦٤) . وبما أنَّ هذه المصطلحات تدخل في نطاق اختصاصي رأيت أن أبدي رأيي في بعض منها على صفحات مجلتنا ، فقد لا تخلو المقابلة بينهـا وبين ما اصطلحتُ عليه من فائدة لانتقاء الأصلح وما هو أكثر ملاءمةً للمعنى المطلوب . أما مصطلحات علم الصحة فلم أتعرضِ منها إلا لما كانت له علاقة بالكيمياء .

. صفحة ١٤٥ عمود ١ سطر ١٣ — اللّبن مع عباد الشمس (tournesol) litmus Milk ·

قلت : اللّبن المُعَبْشَم ، منحوتةً من (عباد الشمس) · وفى هذا النحت من سهولة الاشتقاق ما لا يخفى على المشتغلين بوضع المصطلحات · فيقال مُعَبْشَم tournesolé وعَبشم tournesoler الخ ·

صفحة ١٤٥ عمود٢سطر ١ — معيار الجراثيم bacteriological standard·

قلت : مُمْوثَل الجراثيم ، منحوتةً من (نموذج ، مثال) كما تفيده الكلمة الافرنجية ، ومنها يشتق : تَمثَلَ standardiser وتَمثْلَة standardisation ومُنمثَل standardisé · أما المعيار فهو لما يقابل كلمة titre · والمعيار آلة من (عيَّر الدنانير ، وزَنها واحداً بعد واحد) فمعيار الشيء مايختبر به صحته وجودته ، وليس هو نموذج للمقابلة عليه ·

صفحة ١٤٦ عمود ١ سطر ٨ — ماء غَرَواني colloid water ·

قلت : ماء غَرَويدي أو ماء مُغَرَّوَد · باستعمال الوسمات الافرنجية المتفق عليها بين الكيمياويين : (ئين ine للقلويدات ، كينين مثلاً ـ آز ase للخمائر ، غولاز ، شحاز مثلاً) أما وزن فَعَلان فكان مجمع فؤاد نفسه قد قرر قياسيته الكثير من الحركات في علم الفيزياء [1] وليس في الماء المحتوي على الغرويد أية حركة أو اضطراب ليجوز وصفه بغَرَواني · وعندي أن المجمع لو قال (غَرُاوُاني) لجاء موافقاً لما قرره في جلسته السادسة ٢٢ نوفمبر [2] ١٩٤٣

---

(١) جلسته المنعقدة ١٨ شباط ١٩٣٥ انظر المجلة المذكورة ج ٢ ص ٩ ·

(٢) من العجيب ألا يستبدل المجمع حتى الآن بأسماء الشهور الافرنجية الأسماء المشهورة الشائعة الوارد ذكرها في المعاجم العربية : آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين الأول (والثاني) ، كانون الأول (والثاني) ، شباط ·

من أجل ترجمة الكلمات المنتهية بالوسمة [(١)] oid بالنسب مع (ان) مثل سمسماني .
ص ٧٥ نسبةً للسمسم .

ص ١٤٦ عمود ٢ سطر ٤ — تحال كهربي électrolysis .

قلت : تحال كهرباوي بالنسبة الى الكهربا لا الى الكهرب électron .
فقد شاع استعمال كهرب لما يقابل (الالكترون) فلا يجوز أن يقال تحلل كهربي إلا اذا كان المقصود هو التحلل بسبب (الالكترونات) . أما التحلل الناجم عن تأثير الكهربا في المحلول فهو التحلل الكهرباوي . واصطلح بعض الزملاء بكلمة (حلكبة) . ومجمع فؤاد نفسه اصطلح على الـ alcoholyse بكلمة (التحلكل) ، والعجيب أنه لم يتخذها قاعدة ليقول (تحلكب) .

صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٢ — تركيز ايونات الايدروجين
. hydrogen - ion concentration

قلت : تركيز شوارد الهدرجين . فـ (الايون) هو الشاردة جمعها شوارد .
والهدرجين ، بالهاء لا بالألف وان كان لفظها في بعض اللغات الافرنجية (أ)
لأن المجمع نفسه في ص ٢٦٤ ع ٢ س ١ يقول (الدهيد) كما سيأتي ، فمن
الصواب تجنب التناقض .

صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٥ — طبقات لا نفاذة impermlable layers .

قلت : كتيمة أو مسيكة . ولما كان المفهوم من الجملة (طبقات الأرض
التي تمسك الماء) كان الأصلح أن يقال (طبقات كتنوتة) . فالكتنوت
وزان فعول الدالّ على القابلية هو ما يمسك الماء خاصةً . يقال سقاء كتيت
أي مسيك . ومنها يسهل اشتقاق كتنوتية لما يقابل imperméabilité .

صفحة ١٤٧ عمود ٢ سطر ٧ — تعدّن minéralisation .

(١) الوسمة لما يقابل suffixe .

قلت : تفليز ، من (الفِليز ، وهو جواهر الأرض كلها) . وأقصد به العمل الذي يتم به تحويل المعدن أو الجسم العضوي – بالحرق – الى فِليز . ومنها : مفلّز minéralisé ، فلّز minéraliser . أما التعدين فهو لما يقابل استخراج المعادن من فلزاتها ، بالطرائق الصناعية métallurgie .

صفحة ١٤٧ عمود ٣ سطر ١٥ — تفاعل متعادل neutral reaction .

قلت : تفاعل معتدل ، من الاعتدال . أما المتعادل فهو المتكافئ أو المتساوي وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية neutre .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١ — انحلال عضوي organic decomposition .

قلت : تحلل عضوي ، ويقصد به التفكك . أما الانحلال فيوافق dissolution وكذا الذوبان .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ٨ — غور percolation .

قلت : حَلْحَلة ، من حلحلهم أزالهم عن مواضعهم وحرّكهم فتحلحلوا ، أقصد بها العمل الصيدلاني الذي تُستشمد به جواهر النبات المؤثرة بازالتها عن مواضعها من مسحوق النبات بمذيب مناسب . ومن مرادفات الكلمة الفرنسية : par déplacement وهو الإحلال ، من أحلّ : خرج) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٤ — ت ١٠ . pH

قلت : ا ٠ هـ ٠ من (أس المدرجين) لما يوافق puissance d'H رياضياً .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٥ — دلائل ت ١٠ . pH indicators .

قلت : مُشْعِرات ا ٠ هـ ٠ فـ (indicator) هو المشعر لا الدليل (guide) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٦ — الفحص الطبيعي (الفيزيقي) للمياه physical .

قلت : الفيزيائي ، مقابلة لكلمة الكيميائي . وكلمة (فيزياء) من وضع صديقنا وزميلنا الأستاذ عز الدين علم الدين منذ ٢٦ سنة ، شائعة الاستعمال . ولا يصح أن يقال (الطبيعي) نسبةً للطبيعة naturel منعاً لكل لبس . وكذا القول في الكلمة التي بعدها (عوامل طبيعية) فالأصح : عوامل فيزيائية .

صفحة ١٤٩ عمود ١ سطر ٢٣ — طعم قابض styptic tast .

قلت : طعم عَفِيص ، تخصيصاً للطعم . أما القابض فقد خصصناه لما يعقل البطن أي يمسكه فتقول: دواء مَعْقَلَة (وزان مَفْعَلَة) أو قابض (astringeant).

صفحة ١٤٩ عمود ٢ سطر ١٩ — عَكَر turbidity .

قلت : كُدُورة ، من (كَدَرَ ، مثلثة الدال ، كَدَارة وكَدَراً محركة ، وكُدُوراً وكُدُورة وكُدْرَة ، نقيض صفا) . أما العَكَر فهو دردي كل شيء أي رُسابته . وفي الكيمياء التحليلية ، مقياس يسمى (قياس الكدورة turbidimétrie) بُني على أساس الكُدُورة في المائع لا على أساس الثُفالة أو التثفيل ، أو الرُسابة والترسيب ، وبين المقياسين بون شاسع .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٢١ — absolut alcohol .

قلت : غَوْل صِرف . كنت كتبت في مجلتنا (م ٢٩ ـ ج ٣ ـ ص ٤٧٤) كلمةً بعنوان (غول أم كحول) يثبُتُ فيها أن الغول أصح من الكحول ، وذكرت أنه لو جاز استعمال الكحول لما يقابل alcohol لوجب أن تكون صفتها مؤنثة لا مذكره أي (كحول صرفة) لأن (كُحُول جمع كُحْل) .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٧ — قابلية الامتصاص absorbabilité .

قلت : مَصُوصية ، وزان فَعُولية من (فَعُول) الدال على القابلية . وبهذه الصيغة يسهل الوصف والإضافة كقولك مثلاً : مصوصية الجسم . أما بالمصطلح الأول أي قابلية الامتصاص فلا يمكن أن يقال إلا (قابلية الجسم للامتصاص) بإدخال لام الجر للتعليل .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٨ — قابل للامتصاص absorbable .

قلت : مَصوص وزان فَعول الدال على القابلية . وبهذا الوزن يستغني عن لام التعليل .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٢ — شريط المَصّ absorption band .

قلت : شريط الامتصاص من (امتَصّ) على المطاوعة لأن الشعاع الضوئي الوارد على السطح الماص يبدي في منظار الطيف شريطاً خاصاً به يوافق ما عاناه من الامتصاص .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٣ — طيف المَصّ absorption spectrum .

قلت : طيف الامتصاص ، وفق الشرح الآنف الذكر .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٤ — الدهيد aldehyde .

قلت : غوليد . ومنه غوليد الخل ، لما يقابل acétaldéhyde بإضافة الوَسْمَة (يد) الى كلة (غول) لأن (aldehyde) منحوتة من alcool dehydrogenatum .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٦ — حمض الاسيتو أستيك aceto - acetic .

قلت : حمض خلّيل الخل (acetyl - acetic) أما (آسيتو) فقد أهملت بعد أن وضعت كلمة (أستيل) حسبما اتفق عليه في تسمية الجذور .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٧ — استيل acetyl .

قلت : خلّيل ، تعريباً للكلمة الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٣ — لا حَلْقي acyclic .

قلت : لا دَوْري ، من (دَوْرة) لما يقابل cycle التي اصطلح عليها المجمع نفسه انظر ص ١٥٠ ع ١ س ٦ في كلمة (دورة الماء في الطبيعة) أما الحلقة فهي تقابل ring (anneau) ، عدا عما في استعمالها من اللبس بحَلْق (gorge : throat) حين النسبة اليه .

(يتبع) الكواكبي

« غيابات » (كواليس)

قرأت في العدد م ٣٠ ج ٢ ص ٣٤٧ من هذه المجلة مقالاً للأستاذ الفاضل محمد صلاح الدين الكواكبي في شأن كلمة « كوليس » ج « كواليس » ، كلمة أعجمية فرنسية هجمت على متن لغتنا في هذا الزمن . وقد اقترح الأستاذ لفظة « دهليز » بإزائها . والذي يبدو لي أنّ ليس في « الدهليز » الخفاء الشديد الذي يلف « كوليس » . يضاف الى هذا أن مدلول الدهليز محدود مربوط : « ما بين الباب والدار » فمن المتعذر التلطف له من جهات . أعني إنْ جاز له من باب النقل أو من باب التخصيص أن ينم على أروقة دور الحكومة أو أبهاء الندوة النيابية حيث تجري أسرار وتحاك أمور فهيهات أن ينم على الأجزاء المستورة من بناء المسرح ، وهي « الكواليس » ، ووضعها بعيد عن هيئة الدهليز . ومن الكواليس انتقل المعنى في الفرنسية الى ميدان الأعمال وحقل السياسة .

هذا ومن قبل اقترحت لفظة « غَيابة » ج « غَيابات » لتلك الأجزاء المستورة (مسرحية « مفرق الطريق » القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٤ ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٥٢) . واللفظة في اعتقادي تصلح لمجال الأسرار كيفما وقع : في المسرح ثم في ميدان العمل وحقل السياسة وما اليهما ، بشرط الخفاء . وفي مادة (غ ي ب) طاقة غزيرة من الخفاء ، حسبك قولهم : « سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه » (أساس البلاغة) . و « الغيابة » فوق ذلك تفيد الاستتار في جملة مواقعها : النبات اذا أفلت من شعاع الشمس ، الأرض التي انخفضت عن مستوى الصعيد ، ومنها « غيابات الجب » (لسان العرب) ، بل « كل ما غيّب شيئاً » (أساس البلاغة) . والذي يلزمه التغييب حتى لا يقع عليه بصر ولا ينفذ اليه سمع ولا يشهره ضوء تأهب الممثلين قبل جولانهم على خشبة المسرح وكذلك التهامس في زوايا الدوائر الحكومية والنيابية .

بشر فارس

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ — تاريخ مدينــة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمــد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .
٢٩ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣٠ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣١ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٣ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٤ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٥ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣٣–٣٥) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٦ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٧ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٨ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الرابع | المجلد الثلاثون



دمشق



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥ م

١٣ صفر سنة ١٣٧٥ هـ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥　　　　　　　　　　　　　　　　١٣ صفر سنة ١٣٧٥

جَرير

— ٣ —

أما الأغراض التي نظم جرير فيها فأهمها الهجاء والغزل ، ثم المدح والفخر والرثاء ، ويأتي بعدها أغراض شتى لم يُعنَ بها كثيراً كالوصف والحكمة وما اليهما .

الهجاء

جرير شاعر هجَّاء ، بل هو أكبر الهجَّائين في العصر الأموي الذي استشرى فيه هذا الفن . كان الهجاء أول ما جرى على لسانه من الشعر ، وظل يمارسه طول حياته حتى أسكته الموت ؛ ولقد تألب عليه نحو من خمسين شاعراً فأسقطهم كلهم إلاّ الفرزدق والأخطل لذلك فأكثر شعره في الهجاء ، قال مشيراً الى عدد الشعراء الذين تألبوا عليه وهجوه فأسقطهم : (ديوان جرير ص ٣٤٣)

أعددتُ للشعراء كأساً مُرَّةً　　　عندي مُخالطها السِّمام المُنْقَعُ

هلاّ نهاهم تسعةٌ قتَّلتهم ... أو أربعون حدوتهم فاستجمعوا
خصيت بعضهمُ وبعضٌ جُدِّعوا ... فشكا الهوانَ الى الخصيّ الأجدع

وهو على خبث لسانه وإقذاعه في الشتيمة شريف في خصامه لم يتخذ الهجاء أداة يتكسب بها كما فعل غيره . بل كان يعتبره سلاحاً ينازل به الأنداد من الخصوم ؛ فكل من هاجاهم شعراء أو في معناهم . ولم يكن يبدأ أحداً بالهجاء بل كان الشعراء يتحرشون به فيصليهم ناراً حامية ، وكان إذا روى شيئاً من الهجاء استغفر الله وأطال التسبيح . قال له يوماً رجل : ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ، فتبسم وقال : يابن أخي (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) إنهم والله يابن أخي يبدءوني ثم لا أحلم[1] .

وفي شدته على الشعراء يقول : (الديوان ص ٥١٣)

عوى الشعراء بعضهمُ لبعضٍ ... عليّ فقد أصابهمُ انتقامُ
كأنهمُ الثعالب حين تلقى ... هزبراً في العرين له انتحام
اذا أوقعتُ صاعقةً عليهم ... رأوا أخرى تَحَرَّقُ فاستداموا
فمصطلَمُ المسامع أو خَصِيٌّ ... وآخر عظم هامته حُطام

ويقول : (الديوان ص ٣٥٥)

كان الذين هجوني من ضلالتهم ... مثل الفراش وحر النار إذ يقعُ

ويقول : (الديوان ص ٤٩٥)

ترى الشعراء من صَعِقٍ مُصابٍ ... بصكته وآخر مستديم

وجرير يعتبره الرواة أكرم الهجائين لأنه لم يهجُ أحداً مدحه ولم يمدح أحداً هجاه . قال أبو عبيدة : « كان المخبَّل القريعي أهجى العرب ، ثم كان بعده حسان بن ثابت ثم الحطيئة والفرزدق وجرير والأخطل ، هؤلاء الستة الغاية في

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٤٤ .

الهجاء وفي غيره ، لم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام لهم نظير ، وكان جرير أشدهم تكرماً ، لم يمدح أحداً فهجاه ولم يهج أحداً قط فمدحه ، وكان الفرزدق يمدح الرجل ثم يهجوه [١] » .

وعلى يد جرير وصاحبيه الفرزدق والأخطل استطار شر الهجاء وهتك الشعراء أعراضهم وأشاعوا المثالب وأفحشوا في القذف حتى أصبح الهجاء في العصر الأموي أوسع فنون الشعر ، ولو جمعت نقائض جرير وجميع الشعراء الذين هاجاهم لكانت أكبر ديوان عرفه الشعر العربي ، والذي وصل الينا منها نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل وفيهما ما يربو على الغاية ، وضاعت نقائض بقية الشعراء الذين هاجاهم وهم أكثر من أربعين شاعراً نصبوا له فرماهم واحداً بعد واحد .

وقد يعجب الإنسان لاحتمال العرب لهذه المساجلة من الشتائم مع ما عرف عنهم من الأنوف الحمية والعصبية الشديدة ، لأن الشاعر لم يكن يقتصر على قذف المهجو بل يتعداه الى أهله وقبيلته ويسهب في هذه الناحية كثيراً . ولعلهم كانوا يعتبرون الهجاء حرباً لا يجوز أن يكون السلاح فيها غير الكلام ، ولهذا الاعتبار سموا القصائد التي يتهاجى بها الشاعران نقائض ؛ فكأن الشاعر ينقض بجوابه جميع ما بناه خصمه من المثالب ويمحو ما نبزه وقومه به من المعائب ؛ ومن سقط في المعركة كف عنه خصمه ولم يعد إلى مبارزته .

وجرير في هجائه خصم شديد جريء ، واسع الحيلة بصير بالمقاتل لا يخطئ المرمى ، يهاجم خصمه في نفسه وأهله وقبيلته ، لا يعرف هوادة ولا يقف عند حد ؛ بل يقذع ويفحش ويهتك الأعراض ويشيع المثالب ويبالغ ويتزيد ويختلق ويفتري على النساء ؛ ويظهر طبعه أقوى ما يكون وأشد تدفقاً ،

(١) نقائض جرير والفرزدق ، ص ١٠٤٨ .

ويواتيه حسن التعبير وبراعة الصوغ فيكرر المعنى الواحد في قصائد متعددة فيكون له وقع خاص كأنه معنى جديد . قال البحتري : «جرير لا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين وقتل الزبير وبأخته جعثن وامرأته النوار[1]» وتسير أبياته مسير الشمس فترويها الخاصة والعامة لسهولتها وانسجامها .

وأشد ما في هجائه السخرية والتهكم واللذع والمرارة ، يهزأ بالمهجو فيبرزه ألعوبة ممسوخة تستثير الضحك ويتهكم به وبقومه فيجعلهم سخرية لا شأن لهم ولا خطر ، يسخر من هيئاتهم ومهانتهم وأقوالهم وأفعالهم وقبح نسائهم وخساسة رجالهم وقذارتهم وسقوط هممهم ، بأسلوب مملوء بالتهكم والهزء . روي عنه أنه قال : «إذا هجوتَ فأضحك[2]» فالفرزدق قرد أصلع أو لعبة من لعب الصبيان ينزو بأثواب مصبغة مزركشة ، والأخطل خنزير هرم يتقمم الخبائث ويعب في أم الخبائث ، فاذا رأى راية حرب طار فؤاده واستجار بمار سرجس وأعلن أنه وقبيلته من القائلين بالسلام لا بالحرب والخصام . وبنو تيم همل لا يبالي بهم أحد ، يُقضى عليهم وهم غائبون ، ولا يستشارون وهم حاضرون ، وتنتف شوارب وفودهم على أبواب الملوك . ولعل نثر معانيه في هذا الباب مما يذهب بطلاوتها فسنمر بك بعضها .

ولا يستجيب الشعر لجرير في فن من الفنون كما يستجيب له في الهجاء ، فتراه يشتد ويقوى ويتدفق طبعه ويتقد ذهنه وتفتح له أبواب القول وتنبسط آفاقه ، فيصيب الهدف ويرمي بالصواعق ويبعث بالشوارد ويأتي بالمضاحك والأفاكيه ولا تغيب عنه النكتة ، ويسلس له عنان المقال فيبلغ منه ما يشاء ويجمع ثلاثة في قرن واحد :

---

(١) الموشح للمرزباني ، ص ١٢٤ .

(٢) العمدة لابن رشيق ، ج ٢ ص ١٤٠ .

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعتُ أنف الأخطلِ .

ويصل بين اثنين بأدهى صلة :

ترى برصاً بأسفل إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويسقط قبيلة ببيت واحد :

فغض الطرف إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ويعبث بالمهجو وقبيلته فيصورهم صورة مضحكة فيجتنبون الإتيان بما هجاهم به خلفاً عن سلف ، روي عنه أنه قال : لقد قلت في تغلب بيتاً لو لذعتهم الأفاعي بأستاههم بعده لما حكوها :

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى حك استه وتمثل الأمثالا

ومر [1] بلال بن جرير بمنازل تيم ، فقال النساء : مرحباً بابن جرير انزل فلك ما شئت من شواء وأقط وتمر ، أما الطحين فلا طحين . يردن بذلك ما قاله فيهن جرير :

إذا حركت تيمية هاديَ الرحى تنفس قُنباها فطار طحينهـا

ولو خلا هجاء جرير من الإقذاع لكان في دراسته متعة ولذة وفائدة لما فيه من قوة العارضة وحسن البادرة وشيوع النكتة ولذع التهكم ومر السخرية ، أضف الى ذلك بعض الحوادث التاريخية كالمثالب التي يعيب بها قبيلة المهجو ، والمفاخر التي يفخر بها عليه في الجاهلية والإسلام مما يحمل للقاريء كثيراً من أيام العرب وحوادث القبائل وأخبار بعضها مع بعض .

وهجاؤه كله قوي معدود من أجود شعره وجامع لأكثر خصائصه التي امتاز بها . من ذلك قوله يهجو الفرزدق : (الديوان ص ٥٥٩)

لقد ولدتْ أمُّ الفرزدق فاجراً فجاءت بوزوازٍ قصير القوائمِ

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٣ ص ٣٩٧ .

وما كان جارٌ للفرزدق مسلمٌ ليأمن قرداً ليله غير نائم

بوصلِ حبليه إذا جنّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسلالم

تدليتَ تزني من ثمانين قامةً وقصّرتَ عن باع العلى والمكارم

وقوله فيه: (الديوان ص ٢٨١)

وهل كان الفرزدق غير قردٍ أصابته الصواعق فاستدارا

وكنتَ إذا حللتَ بدار قومٍ رحلتَ بخزية وتركتَ عارا

وقوله فيه: (الديوان ص ٤٨٢)

لبستُ سلاحي والفرزدقُ لعبةٌ عليه وشاحا كُرّجٍ وجلاجلُهْ

أعدوا مع الحلي الملاب فانما جرير لكم بعلٌ وأنتم حلائله

وقوله فيه وكان الفرزدق قد حلف ليقتلن مربعاً راوية جرير: (الديوان ص ٣٤٨)

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربعُ

وقوله يهجو الأخطل: (الديوان ص ٥٢)

أبا مالكٍ مالت برأسك نشوةٌ وبالبِشر قتلى لم تطهر ثيابُها

ظللت تقيء الخندريس وتغلبٌ مغانم يوم البشر يُحوى نهابها

أيفخر عبدٌ أمه تغلبيةٌ قد اخضرَّ من أكل الخنانيص نابها

غليظة جلد المنخرين مصنّةٌ على أنف خنزيرٍ يُشدّ نقابها

وقوله فيه: (الديوان ص ٤٥١)

والتغلبي إذا تنحنح للقِرى حك أسته وتمثل الأمثالا

حملت عليك حماةُ قيسٍ خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

مازلتَ تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تشد عليكمُ ورجالا

قال الأخيطل إذ رأى راياتهم يا مار سرجس لا نريد قتالا

لو أن تغلب جمّعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

تلقاهمُ حلماء عن أعدائهم وعلى الصديق تراهمُ جهالا

وقوله فيه : (الديوان ص ٤١٤)

لقيتم بالجزيرة خيل قيسٍ فقلتم مار سرجس لا قتالا
تسوف التغلبية وهي سكرى قفا الخنزير تحسبه غزالا
من المتولجات على النشاوى ولا تلج الخدور ولا الحجالا
تظل الخمر تخلج أخدعيها وتشكو في قوائمها امذلالا
إذا انفتقت عباءتها وضاقت رأى الراءون داهيةً عُضالا
أليس أبو الأخيطل تغلبياً فبئس التغلبيُّ أباً وخالا
إذا ما كان خالك تغلبياً فبادل إن وجدت له بدالا

وقوله يهجو التيم (الديوان ص ٥٥)

تيميةٌ همَشَى(١) تقول لبعلها لا تنظرنَّ إذا وضعتُ ثيابي
وكأن عريتها إذا واجهتها جُعَلانِ مكتنفانِ فرخَ غراب
أعرابكم عارٌ على حضّاركم والحاضرون خزاية الأعراب
قومٌ إذا حضر الملوكَ وفودُهم نتفت شواربهم على الأبواب

وقوله فيهم : (الديوان ص ١٦٥)

ويُقضى الأمرُ حين تغيب تيمٌ ولا يُستأمرون وهم شهودُ
وإنك لو لقيت عبيد تيمٍ وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ

وقوله فيهم : (الديوان ص ٤٣٨)

كأن التيم إذ فخرت بسعدٍ إماء الحي تفخر بالحمولِ(٢)
ترى التيمي يزحف كالقرنبى إلى تيميةٍ كعصا المليلِ(٣)

---

(١) الهمَشَى : الكثيرة الاختلاف التي لا تقر في بيتها .

(٢) اي كالإماء يفخرن بأحداج ساداتهن .

(٣) القرنبى : خنيفس طويل القوائم . وعصا المليل : العصا التي يحرك بها ما يمل في النار .

إذا كشرت إليه يقول بنوى إلا حسن كشرت ولا جميل
تشين الزعفران عروس تيم وتمشي مشية الجمل الزحول
يقول المجتلون عروس تيم شوى أم الحبين (١) ورأس فيل

الغزل

برع جرير بحلاوة الغزل كما برع بحرارة الهجاء ، يتجلى طبعه في نسيبه رقيقاً عذباً سمحاً سهلاً ، فهو من أنسب الشعراء الإسلاميين وأرقهم غزلاً ؛ وغزله بدوي عفيف بريء يمثل مروءة البداوة وصيانة الإسلام ، حتى قيل إن جريراً لم يتغزل إلا بأزواجه أو بين كالك ، وهو يترجم عن عاطفة رقيقة ونفس حساسة بالرغم من قوله : « ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها » وأظهر ما في غزله الحنين والتشوق والشكوى والذكرى ويقل فيه المرح شروى قوله :

أزمان يدعوني الشيطان من غزلي وكن يهوينني إذ كنت شيطانا

وقوله :

يقول العاذلات علاك شيب أهذا الشيب يمنعني مرامي

ولا تكاد تجد في غزله قصصاً أو ما في معناه من الوصف المتتالي ، وإنما هناك بدوات وأفكار متداعية تمثل عاطفة وثابة ولوعة تتنزى ، والمقطوعة من غزله تعرض على القارىء صوراً شتى من ذكرى تهيج إلى دمعة تجري إلى قلب يخفق إلى حنين يشجي ، تثيرها الدور الخالية والأطلال البالية والظعائن الراحلة والبروق المتألقة والحمائم المغردة ، ولا تجد غزلاً أرق ولا أعف من غزله . سمع الفرزدق بالمدينة قينة تغني بشعر جرير فقال : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه

(١) الشوى : اليدان والرجلان والأطراف . وأم الحبين : دويبة كالحرباء .

إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره [1] » والذي يرى عفافه في غزله يستغرب ذلك الإقذاع في هجائه .

والأمثلة على إحسانه في الغزل كثيرة نورد منها هذه الأبيات : (الديوان ص ٦٠١)

ألا أيها الوادي الذي ضمَّ سيله	إلينا نوى ظمياء حييتَ واديا
إذا ما أراد الحي أن يتفرقوا	وحنَّت جمال الحي حنت جماليا
الى الله أشكو أن بالغور حاجةً	وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا
نظرت برهبّى والظعائن باللوى	فطارت برهبي شعبةٌ من فؤاديا
إذا ذُكرت ليلى أُتيح لي الهوى	على ما ترى من هجرتي واجتنابيا
ولو أنها شاءت شفتني بهيِّن	وان كان قد أعيا الطبيبَ المداويا
فإنكِ إن تعطي قليلاً فطالما	منعتِ وحلأتِ القلوب الصواديا
إذا اكتحلت عيني بعينك مسني	بخيرٍ وجلّى غمرةً عن فؤاديا
تخطّى إلينا من بعيدٍ خيالها	يخوض خُدارياً من الليل داجيا
فحييتَ من سارٍ تكلف موهناً	مزاراً على ذي حاجة متراخيا

الرثاء

الشاعر المرهف الحس يحسن الرثاء فيمن يحب من قريب أو صديق ، وهكذا الشأن في مراثي جرير ، فما كان منها في أهله فجيد بارع ، وما سوى ذلك فليس له تلك المنزلة . ومما أجاد فيه وبرع وفاق جميع معاصريه من الشعراء رثاؤه لامرأته أم حزرة ، وقلّ من الشعراء في جميع العصور من وفق في رثاء النساء كما وفق جرير في قصيدته هذه ، فقد كان فيها زوجاً أميناً رقيق العاطفة حسن الرعاية وافر المودة عميق الحزن شديد اللوعة ، وصف امرأته

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ١٢ .

بأكرم ما توصف به الحرائر وبكاها بكاء مخلص في حبه مفجوع في حبيبه ومحبه ، حتى صارت تلك القصيدة مما يناح به على النساء في المآتم ، فقد روي أنه نيح بها على النوار امرأة الفرزدق . وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لذهابها في البلاد . وهاك أبياتاً من أولها : (الديوان ص ١٩٩)

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيب يُزارُ
ولقد نظرتُ وما تمتع نظرةٍ في اللحد حيث تمكن الحفار
فجزاكِ ربكِ في عشيرك نظرةً وسقى صداكِ مجلجلٌ مدرار
ولَّهتِ قلبي إذ علتني كبرةٌ وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراك كسيتِ أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينةٌ ووقار
صلى الملائكة الذين تُخُيِّرُوا والصالحون عليك والأبرار

وكذلك قصيدته التي يرثي بها ابنه سوادة والتي مطلعها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم من للعرين إذا فارقت أشبالي

فهي دمعة مصبوبة ولوعة مشبوبة وحزن ينطق . كان بشار بن برد ينشدها يوم فقد ولده ويقول : لله در جرير . أما مراثيه في غير أهله فأكثرها مقطعات لا تعرب عن نفس حزينة وإنما هي تقريظ وتفجع مصنوع ،

الفخر

أكثر شعر جرير في الهجاء ، والهجاء في القرن الأول لا يكاد يخلو من الفخر ، لأن الشاعر يرمي خصمه بكل نقيصة وينسب لنفسه وقبيلته كل مكرمة ، ولا تكاد تجد قصيدة في الهجاء لجرير إلا وجدت فيها فخراً مثل قوله يهجو الأخطل :

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا
مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزرَ تغلب من أبٍ كأبينا

ولا يكاد جرير يفتخر بكليب لقلة مفاخرها بل يتخطاها الى يربوع وتميم . فبنوه بمفاخرهم والأيام التي كانت لهم وأخبارهم الجيدة في الجاهلية والاسلام . وهذا الفن من الشعر يصور عصبية العربي الى قبيلته التي ورثها عن الجاهلية ولم يستأصلها الاسلام . ولا ينسى جرير إلى جنب ذلك ان يفتخر بنفسه فينسب اليها الشجاعة والكرم والنجدة وطيب المنصر ، ولا سيا التفوق في الشعر والسبق في مضماره وكبت خصومه من الشعراء على كثرتهم . وقصائده التي صرفها للفخر خاصة قليلة ومنها مقطعات وأبيات وأراجيز . ولكن أكثر فخره في أهاجيه ، وهو لا يسامي الفرزدق في هذا الباب وإن فضّله بعضهم عليه في الفخر أيضاً مثل بشر بن مروان [1] .

المدح

ليس المدح من أبواب شعر جرير البارعة إذا قيس بهجائه وغزله ، فقد كان يقوله مستجدياً ، ولا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو من الاستجداء وشكوى الفاقة والإلحاح بالمسألة ، مثل قوله : (الديوان ص ١٥٦)

« لولا رجاؤك قد قتّلت أولادي »

وقوله : (الديوان ص ٣٥٤)

أشكو إليك فأشكني ذريةً	لا يشبعون وأمهم لا تشبعُ
كثروا عليّ فما يموت كبيرهم	حتى الحساب ولا الصغير المرضع
وإذا نظرت يريبني من أمهم	عينٌ مهججةٌ [2] وخدٌّ أسفع
واذا تقسمت العيالُ غيوقها	كثر الأنينُ وفاض منها المدمع
رشني فقد دخلت عليّ خصاصةٌ	مما جمعتَ وكلٌّ خير تجمع

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٣٧ .

(٢) أي عين غائرة .

. ولكنه لا يذهب عن فطنته تقريظ الممدوح بما ينبغي أن يمدح به ، فقد اتصل بالحجّاج بن يوسف ومدحه بالقوة وشدة الشكيمة وقمع الفتن وإخماد النوائر وسعة السطوة وأن الله أمده بالملائكة واستجاب دعاءه . قال يمدح الحجّاج (الديوان ص ٩٠)

من سدّ مُطّلَعَ النفاق عليهمِ — أم مَن يصول كصولة الحجّاج
أم من يغار على النساء حفيظةً — إذ لا يثقن بغيرة الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا — ماضي البصيرة واضح المنهاج
ماضٍ على الغمرات يُمضي همه — والليل مختلف الطرائق داج
منع الرُّشى وأراكمُ سبل الهدى — واللصَّ نكّله عن الإدلاج

فلما اتصل بعبد الملك بن مروان بشفاعة الحجاج مدحه مدحاً سياسياً ، فنال من عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، وجعل من يخالف بني أمية ملحداً أو مبتدعاً . قال في القصيدة التي يمدح بها عبد الملك وينال من ابن الزبير : (الديوان ص ٩٩)

دعوتَ الملحدين أبا خُبيب[1] — جماحاً هل شفيتَ من الجماحِ

ومنذ ذلك الحين علقت حباله بحبال بني أمية فمدح جميع الخلفاء الذين تتالوا بعد عبد الملك الى هشام ، كما مدح عدداً من أمراء بني أمية ، وكان يسمي الخليفة منهم بالمهدي ، قال في سليمان بن عبد الملك : (الديوان ص ٤٦٢)

سليمان المبارك قد علمتم . هو المهدي قد وضح السبيلُ

وقال في أخيه هشام : (الديوان ص ١٤٧)

فقلتُ لها الخليفةُ غيرَ شكٍ — هو المهدي والحكم الرشيدُ

وقال فيه أيضاً : (الديوان ص ٥٠٥)

الى المهدي نفزع إن فزعنا — ونستسقي بغرته الغماما

(١) يريد بأبي خبيب عبد الله بن الزبير .

وكان يصرح بأن هواه السياسي مع بني أمية قال : (الديوان ص ٥٠٦) .

وريشي منكمُ وهواي فيكم ... وإن كانت زيارتكم لماما

ويمدح الشاميين وسياستهم ، قال في القصيدة التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك : (الديوان ص ٣٩٠)

تدعو فينصر أهل الشام إنهمُ ... قومٌ أطاعوا ولاة الحق وائتلفوا

ما في قلوبهمُ نكثٌ ولا مرضٌ ... إذا قذفتَ محلاًّ خالعاً قذفوا

قد جرب الناس قبل اليوم أنهمُ ... لا يفزعون إذا ما قعقع الحجف

ويعتذر عما فرط من قومه بني تميم في نصرة عبد الله بن الزبير ويشفع بهم لأنهم تابوا توبةً نصوحاً ، قال لهشام بن عبد الملك : (الديوان ص ٥)

لا تجفونّ بني تميمٍ إنهم ... تابوا النصوحَ وراجعوا حسن الهدى

من كان يمرض قلبه من ريبةٍ ... خافوا عقابك وانتهى أهل النهى

وينوه ببلاء بني أميـة بالفتوح وسعة السلطان ، ولقد مدح طائفة من أمرائهم وولاتهم ، ولم يروَ عنه أنه مدح أحداً من خصومهم لأنه كان معروفاً بمداراة السلطان ، ولأنه كان يتكسب بمدحهم فلا يتورط فيما يغضبهم أو يقطع صلتهم عنه ، ومع أن الاستجداء أظهر ما يكون في مدحه فقد أشار الى فتوح بني أمية أكثر من جميع شعرائهم .

بقية الأغراض

تلك أهم الأغراض التي عالجها جرير في شعره ، ولكلٍ منها فروع تسوقها المناسبات ليس بالسهل استقصاؤها ؛ وهناك أغراض أخرى نظم بها جرير كالوصف والعتاب والشكوى والأدب والحكمة وبعض حوادثه الخاصة . وأهم ما يعنينـا أن نتكلم عنه في هذا الفصل هو الوصف .

إذا أردنا بالوصف الوصف الفني المتتالي المتسلسل الذي يصور الموصوف صورة واضحة لم نجد جريراً من السابقين في هذا الباب ، لأن شعر جرير في جملته بدوات ولمحات ، لا يصبر على الاستمرار في وصف ما يتناوله حتى ينتصف منه ، بل تتداعى أفكاره فينتقل من معنى الى آخر دون استقصاء ، ولا تكاد تجد له قصيدة أو مقطوعة صرفها لوصف شيء واحد ، وإنما كان يصف عرضاً وبالمناسبة على سبيل الاقتضاب ؛ وأكثر ما عالج وصفه البادية وعالمها من سهل وجبل ورسم وطلل وركب وإبل وسراب وواد ووحش وطير وشيح وقيصوم وغضا وما الى ذلك مما يتعلق بالبادية التي كان يقطعها في وفوده على الخلفاء بالشام .

وقد وصف — على طريقته التي ذكرناها — أسطولاً حربياً للحجّاج في قصيدة مدحه بها قال : (الديوان ص ٤٤١) .

سلكتَ لأهل البَر بَراً فنلتَهم ... وفي اليم يأتم السفينُ الجوافلُ

ترى كل مِرْزابٍ[١] يُضَمِّنَ بَهْوُها ... ثمانين ألفاً زايلتها المنازلُ

جَفُولٍ ترى المسمار فيها كأنه ... إذا اهتز جذعٌ من سُميحة ذابل[٢]

إذا اعترك الكَلأةُ والماء لم تُقَدْ ... بأمراسها حتى تثوب القنابل[٣]

تخال جبال الثلج لمّا ترفعتْ ... أجلتُها والكيدُ فيهن كامل[٤]

تشق حَباب الماء عن واسقاته ... وتغرس حوت البحر منها الكلاكل

وألمَّ بشيء من وصف الرصافة التي كان ينزلها هشام بن عبد الملك وبما بذله هشام في إصلاحها وتزيينها قال : (الديوان ص ١٥٠)

---

(١) المرزاب : السفينة الضخمة .

(٢) المسمار : الدقل . وسميحة : بئر بالمدينة .

(٣) الكلاء : مجتمعها . يريد أنها لا تضبط إلا بأعوان كثيرة .

(٤) أجلتها : شرعها . والكيد : السلاح .

شققتَ من الفرات مباركاتٍ جواري قد بلغن كما تريدُ
وسخَّرتَ الجبال وكنَّ خُرساً يقطِّع في مناكبها الحديد
بلغتَ من الهنيء(١) فقلتَ شكراً هناك وسُهِّل الجبلُ الصَّلُود
بها الزيتون في غَلَلٍ(٢) ومالتْ عناقيد الكروم فهن سود
فتمت في الهنيء جنان دنيا فقال الحاسدون هي الخلود
يعضون الأنامل أن رأوها بساتينا يوآزرها الحصيد
ومن أزواج فاكهةٍ ونخلٍ يكون بحمله طلعٌ نضيد

وقال أيضاً : (الديوان ص ٤)

إن الرصافة منزلٌ لخليفةٍ جمع المكارم والعزائم والتقى
أُوتيت من جذب الفرات جوارياً منها الهنيء وسائح في قرقرى
والمجد للزند الذي أوريتم بحرٌ يَمُدُّ عُبابُه جُوف القُرى

ومن هذا الوصف يرى القارئ بداوة جرير في تناوله وصف الماء والشجر وإغفاله وصف قصور الرصافة العظيمة وبنيانها الفخم .

ولعل أصدق ما يقال في جرير أنه أطبع الشعراء الإسلاميين وأهجاهم ومن أرقهم نسيباً .

خليل مردم بك

---

(١) الهنيء والمريء : نهران بإزاء الرقة حفرهما هشام بن عبد الملك .
(٢) الغلل : الماء الجاري تحت الشجر على وجه الأرض .

وصية

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الى ولده رحمة الله عليهما

استرعى نظري الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، في أثناء بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، الى رسالة لطيفة لابن قتيبة تقع في ثماني صفحات مثبتة في آخر مجموع مخطوط رقمه ١٧٠ ي ٢١ س ١ .
والمجموع يحتوي على (١) الصحيفة المعروفة بالغراء والصحيفة المعروفة بالرحمة والصحيفة المعروفة بالصفراء لادريس النبي عليه السلام منقولة ألفاظها من اليونانية الى العربية (٢) رسالة دواء داء القلوب ومعرفة همم النفس وآدابها وغير ذلك (٣) كتاب الشبهات (٤) وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده .
وذكر الناسخ في آخر كتاب الشبهات أنه فرغ من نسخه سنة ٤٨٦ هـ ، في ثغر الاسكندرية .

ورسالة ابن قتيبة كثيرة الثقوب ، قد أصاب العطب أطراف بعض صفحاتها فألصقت أوراق بيض عليها لصيانتها . وخط الناسخ فيها وفي سائر المجموع واحد . وهو خط مشرقي قاعدته مغربية . بيد أن خط الرسالة أدق . وعلى ذلك يكون تاريخ نسخها بعد وفاة ابن قتيبة بـ ٢١٠ سنوات . وطول الصفحة ١٨،٥ سم . وعرضها ١٤ سم . وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٥ كلمة .

والرسالة فريدة لم يرد ذكرها في أي مصدر ــ حسب علمنا ــ ولعل السبب أنها كتبت قبيل وفاة صاحبها كما يذكر ، وانها تقع في بضع صفحات . فهي ليست كتاباً . على أنه لا شبهة في أنها لابن قتيبة نفسه . فالمباحث التي طرقها تتفق وآراءه في سائر كتبه ، وأسلوبه فيها يطابق أسلوبه في سائر مؤلفاته ،

لا سيما في تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . ويغلب على الظن أن ولده الذي كتب اليه هذه الوصية هو أحمد ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الذي روى كتب أبيه كلها بمصر حفظاً ، بعد أن قدمها على القضاء سنة ٣٢١ هـ . وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ .

ويسعدنا حقاً أن نظفر بهذا الأثر النفيس الفريد لإمام من أئمة الأدب والفقه في القرن الثالث الهجري . وقد طبع بعد تأليف كتابنا عنه بالانجليزية [١] (من منشورات الجامعة الأميركية في بيروت رقم ٢١ سنة ١٩٥٠) كتاب الأشربة بتحقيق المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٧ ، وكتاب المعاني الكبير في ثلاثة أجزاء ضمن منشورات مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٩٤٩ . وبلغنا ان الأستاذ السيد صقر يحقق كتابين من كتبه هما مشكل القرآن وغريب القرآن . ويبقى من كتبه المخطوطة : الانواء ، وتأويل الرؤيا ، وغريب الحديث ، وكتاب العرب المعروف بالرد على الشعوبية (انظر كتابنا بالانجليزية ص ٥٠ و ٥٣) .

وقد أثبتنا الرسالة كما هي ، واجتهدنا في ملء الفراغ الناجم عن الثقوب . وهي في جملتها تامة ، وان كنا نظن ان الناسخ أغفل سطراً أو سطرين في مكان واحد فقط عند كلامه على أوجه الايمان الثلاثة .

وأشكر للأستاذ عبد المطلب إرشادي الى هذا المخطوط النادر ومساعدتي في نسخه . وهو في الحق يبذل جهداً محموداً في البحث عن المخطوطات العربية وتصوير النادر منها لقسم المخطوطات في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية . والله يجزل ثوابه ويتولى مسعاه بالتوفيق .

(الجامعة الأميركية) اسحق موسى الحسيني

---

(١) نقله الى العربية الأستاذ هاشم عبد الوهاب ياغي وستنشره دار بيروت للطباعة والنشر قريباً .

وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني أوصيك بوصية ان تمسكت بها رجوتُ لك النجاة ، وان استعملت ما فيها سُعدت ان شاء الله . واعلم يا بني ان أساس الدين كله التقوى والعاقبة لمن اتقى « والآخرة عند ربك للمتقين » (١) « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (٢) « ومن يتق الله يُكفّر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً » (٣) . وأصل الدين التقوى الذي مدار الأمور كلها عليه ، وهو قول لا إله الا الله لقوله عز وجل: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها » (٤) . فمن قام بحقوقها وشروطها وأدّى ما عليه فيها حتى يستكملها فهو من أهلها (بإذن) (٥) الله ، لأن الله عز وجل يقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٦) .

يا بني ألزم التقوى قلبك والعمل الصالح جوارحك فان الله عز وجل يقول : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير » (٧) . فقد جمع الله عز وجل الخير كله في التقوى والعمل الصالح في قوله عز وجل « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (٨) . فمن اعتصم بقول لا إله إلا الله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . ومن يعتصم بالله فقد هُدي الى صراط مستقيم .

---

(١) الزخرف ٣٥ . (٢) الطلاق ٢ و ٣ . (٣) الطلاق ٦ .
(٤) الفتح ٢٦ . (٥) الكلمة مطموسة في الأصل ولعلها باذن .
(٦) فصلت ٣٠ و ٣١ . (٧) التوبة ١٥٩ . (٨) فاطر ١٠ .

واعلم أن التقوى أصل كل طاعة واجتناب كل معصية . وسبب ذلك كله العصمة والتوفيق ، وان من التوفيق أن يتقي العبدُ كل ما نهاه الله عنه ورسوله في السر والعلانية لقول الله عز وجل : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » (١) . والانسان عريان ولباسه التقوى فمن استتر بغير التقوى لم يستره شيء وتكشفت عورته لقول الله عز وجل : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله » (٢) .

يا بني التقوى أصل كل طاعة وهو اخلاص العمل لله ، وفرع التقوى اليقين ، فضع أساسك عليه يَعْلُ بنيانك ويقو إيمانك ويزدد يقينك .

يا بني اتق الله ونَمْ حيث شئت ، فان من اتقى الله في الأصل والفرع وما بين ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً . واجعل التقوى زادك فان خير الزاد التقوى .

والتقوى اسم . وهو كلمة الاخلاص . والمتقي العبد الذي يتقي الكفر والشرك والنفاق وجميع العصيان حتى يخلص عبادته للرحمن . واتق الأهواء المضلة وجميع الحوادث في الدين واتبع السنة واقتد بالسلف وتمسك بالكتاب فان الله عز وجل يقول : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (٣) يعني سنة رسوله صلى الله عليه . ولا دين إلا دين محمد ولا سنّة إلا سنة محمد عليه السلام .

يا بني قد جمعت لك السنة بحرفين فتمسك بها واعتمد عليها « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . » (٤) ومع هذا فقد بينت لك شروطها وما يلزمك فيها . ومن السنة أن تقدم من قدم الله ورسوله ـ وخير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر رضوان الله عليه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ـ وتترحم على أصحاب النبي

(١) الأنعام ١٢٠ .
(٢) الأعراف ٢٦ .
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) الحشر ٧ .

صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل يقول : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا »[1] واترك النظر فيما شجر بينهم لقول الله عز وجل : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »[2] .

ومن السنة الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وان الخير والشر من الله ابتلى به عباده لقوله عز وجل : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون »[3] واعلم انه لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما شاء الله وان الأمور كلها بيد الله وفي (قبضته)[4] ولا ضار ولا نافع غير الله . وسبب كل طاعة التوفيق من الله . وترك كل معصية (التوفيق)[5] من الله . ولا يقدر أحد يعصي إلا بعد ترك الله . ولا عذر لأحد عند المعصية غير الاعتذار الى الله مع الندم والتوبة الى الله . وأصل التوبة رحمة من الله فتح الله تعالى لآدم (بابها)[6] وعم بها ذريته . والتوبة على العباد فريضة من الله لقوله عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[7] وقوله عز وجل : « ثم تاب عليهم ليتوبوا »[8] وباب التوبة (مفتوح)[9] الى يوم القيامة . وتوبة العباد من توبة الله عز وجل لهم . والله يتوب على من يشاء من عباده . ولا تصح التوبة لأحد إلا بتوبة الله له فطوبى لمن رزقه الله التوبة وألهمه شكر النعمة . واحذر يا بني أن تعصي الله وتعتل بالقضاء والقدر لأن المعصية مصيبة في دين العبد وإن جرت عليه بالقضاء والقدر . والذنب لازم له . والعبد مستعبد ان يقول

---

(١) الحشر ١٠ .
(٢) البقرة ١٣٥ .
(٣) الأنبياء ٣٥ .
(٤) نصف الكلمة مطموس في الأصل .
(٥) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٦) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٧) النور ٣١ .
(٨) التوبة ١١٨ .
(٩) الكلمة مطموسة في الأصل .

ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم :
ومن أخرج ذنبه من القدر فقد أشرك لأنه زعم انه قدر على الذنب بغير قدر ،
ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال دينه على القدر ليعذر نفسه بالقدر
فقد فجر ، ومن ادعى أن الاستطاعة والقدر والمشيئة اليه مع الله أو دون الله
أو ملكه لله أو جعل الله أمر ذلك اليه دونه فقد أشرك نفسه مع الله .
والشرك ظلم عظيم . لأن الله عز وجل يقول : « إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[1] فويل لمن لا يؤمن بالقدر أو يرى انه قادر ،
لأن القدر من صفات الله لا صفات الخلق . ومن صفات الخلق الضعف والجزع
والعجز . وكل من أضاف صفاته الى صفات الله فقد أشرك ، لأن الله
عز وجل بان بصفاته عن صفات خلقه ، وثبت صفاته لنفسه ، وان الله تعالى
أمر العباد أن يعبدوه باخلاص الوحدانية بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأعجزهم عن أنفسهم عن إخلاص الوحدانية ولم يمنعهم عما أمرهم به ولم
يقصرهم عليه واضطرهم في ذلك اليه بطلب المعونة والعصمة والتوفيق منه مع
إظهار الفقر اليه والفاقة والمسكنة والاستعانة اليه حتى يتولى ذلك منهم لقوله
عز وجل : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ،
ولكن الله يزكي من يشاء »[2] . فلا يزكى أحد من العباد وان بذلوا مجهودهم
وطاقتهم إلا من زكاه الله عز وجل بحوله وقوته . وان الله عز وجل نهى
العباد عن أمر ولم يحل بينهم وبينه وأعجزهم عنه ولم يضطرهم اليه ليكون له
الحجة عليهم .

يا بني فابرأ الى الله عز وجل من حولك وقوتك واستطاعتك واسأله أن
ينقلك بحوله وقوته مما يكره الى ما يحب ويرضى .

---

(١) النساء ٤٨ و ١١٦ . (٢) النور ٢١ .

يا بني إن الله عز وجل ركب في أنفس بني آدم خصلتين ، وهما من أعظم البلاء عليهم ، الهوى والشهوة . وركب فيهم الحرص وطول الأمل وأعظم من ذلك كله الشرك الخفي اذا عمل عملاً لله يريد أن يحمد عليه . وأدنى الشرك الرياء ، ورياء الأعمال كلها من الشرك الخفي . وان من السنة التبري من القدرية والمرجئة الذين يقولون الايمان قول والعمل شرائعه ، ويقولون من قال لا إله إلا الله مصدقاً به قلبه فهو مؤمن حقاً وان أتى الكبائر والفواحش . ويقولون ان ايمان الملائكة والأنبياء وسائر الخلق كلهم واحد لا يزيد ولا ينقص .

واعلم يا بني ان الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة . والشرائع كلها من الايمان . والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والايمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأبدان . والايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . والايمان يتصرف على ثلاثة أوجه ، الايمان من الله كله[1] شهادة الله لنفسه بالوحدانية وهو قوله عز وجل « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة »[2] فهو الذي يزيد ولا ينقص[3] لأنه من الله لله وايمان الخلق بعدها وهو[4] يزيد وينقص بالطاعة . ومن قول أهل السنة أن يحمدوا الله عز وجل على جملة الايمان لأن الله عز وجل هداهم للايمان ويستثنون في الحقيقة إشفاقاً على الإيمان وإذا تحقق بالايمان (لحقهم الاشفاق وكل ما لم يحقق بالايمان)[5] فهو على النقصان من الاشفاق ، والاشفاق وقع على الصحة والنقصان على العلة ، والاشفاق للعبد يقين ، وسائر الناس في نقصان من المجتهدين والباقي هم من الجهال الغافلين . واعلم ان العبد اذا جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وبذل مجهوده لله على قدر طاقته واستغفر الله عز وجل من النقصان والتقصير الذي يدخل عليه فقد أدى لله ما يجب لله عليه في حق العبودية .

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها لله . (٢) آل عمران ١٧ .
(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة لا يزيد ولا ينقص .
(٤) في الأصل ولا . (٥) زيادة في الهامش .

ومن السنة أن يعلم أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق في جميع ما قرئ، وتلي ووعي، منه نزل واليه يعود . ومن السنة صلاة الجمعة والعيدين والحج والجهاد مع كل امام براً كان أو فاجراً ولزوم الجماعة والصبر تحت لواء السلطان على ما يكون فيه من عدل أو جور مالم يدع الى بدعة أو يترك سنّة أو ينقض شريعة، ودفع الصدقات اليهم، والمحافظة على صلاة الجماعة من السنة المذكورة، وتركها من غير عذر ضلالة، وأشياء كثيرة قد بينتها لك في غير هذا الكتاب فتمسك بها .

واعلم يا بني أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلها حتى تنتهي الى ثلاث وسبعين فرقة الذي [1] جاء به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون منها هالكة، والواحدة منها ناجية الذي أنا عليه وأصحابي » . والجهمية الذين يقولون ان القرآن مخلوق ويؤمنون بالقدر ويقولون ان الله عز وجل حال في كل شيء كالشيء في الشيء وكالروح في الجسد والخوارج هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر ويرون إمامتهما ويتبرءون من عثمان وعلي . وقد بينتهم وسميت أئمتهم في هذا الكتاب .

واعلم أن العلم علمان : علم باللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع وهو التقوى والخوف والوجل والاشفاق من علم الله تعالى والخشية من الله، وكفى بخشية الله علماً : « ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » [2] وليس لمريد العلم غاية ولا نهاية . والمعرفة معرفتان : معرفة إلهية وهي الاقرار بالربوبية . وهي مع كل ذي روح خلق الله . وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها . وهي وديعة الله فيهم وحجته عليهم . والثانية معرفة التوحيد الذي استعبد الله عز وجل عباده بها . وهي معرفة الديانة لله . والذي

---

(١) لعلها للذي .
(٢) الأعراف ٢٣ .

عرّف محمد صلى الله عليه وسلم بمعرفة الإلهية عرّف الله عز وجل العباد نفسه وهي الفطرة . والمعارف كثيرة . وكل إنسان له مقام من المعرفة على قدر قسمه منه . والذكر ذكران : فذكر باللسان وذكر بالقلب . والأفكار كثيرة . وكل طاعة لله فهي ذكر ، ومن أطاع الله فقد ذكر الله .

يا بني أنت ولدي وقرة عيني وحقك واجب علي ببذل النصيحة لك ، وقد أصّلت لك أصلك ، وأسست لك أساساً ان استقمت عليه فقد اهتديت وهديت الى صراط مستقيم ، وبالله اهتديت . « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . »[1]

يا بني قد صحبت لك طوائف من الناس وبلوت أخبارهم فما رأيت طائفة أجل وأعظم قدراً من أهل الفقر الى الله عز وجل والفاقة والمسكنة الى الله عزّ وجل ، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك وتواضع لهم بجسمك وتقرب الى الله عز وجل بالنظر اليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ، فان الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء الله .

يا بني إن استطعت أن تخالط الناس كلهم بخلق حسن فخالطهم ، وان لم تقدر فجانبهم وفارقهم على السلامة ، وخالص أولياء الله مخالصة ، وخالف أبناء الدنيا مخالفة ، وباينهم بالأعمال مباينة ، ولا تعير أحداً بذنب فتبتلي به ، ويشغلك ما تعلم من نفسك عن الاشتغال بغيرك ، واسع في صلاح قلبك يكفك الله شر نفسك .

يا بني اعمر قلبك بذكر الله عز وجل ، وجوارحك بطاعة الله ، وكف أذاك عن الناس تسلم لك حسناتك يوم القيامة من المظالم والقصاص . وإن أردت أن تكون أكرم الناس فتوكل على الله . وإن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما عند الله أوثق منك بما عندك .

---

(١) الأعراف ، ٢٣ .

يا بني ان الدنيا دار غرور ، وقد اغتر بها الأولون وستغر الباقين إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ، فتزوّد منها لمعادك ، وارض من الدنيا بما قسم الله لك ، ولا تغفل عن أيامك فتقع بك الحسرة والندامة عند الموت . وبادر الأوقات قبل فوتها من قبل أن يحال بينك وبينها ، واعلم ان الله عز وجل جعل الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبرها ولا تعمرها ، ولا تغتر بزينتها . واعلم أن متاع الدنيا قليل ، وانظر الى عاقبة أمرها في آخرها حتى لا تغتر بأولها .

يا بني من عقل عن الله سارع الى الخيرات وعمل في الباقيات الصالحات . واعلم أن الناس خلقوا للآخرة وابتلوا بالدنيا فهم سكان الدنيا أبناء الآخرة ، ينقلون بالموت من دار الى دار ، فاتعب نفسك في طاعة الله عز وجل قليلاً تنعم في دار الآخرة طويلاً .

يا بني انه كان من وصية يعقوب لولده بنيامين : يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك ولا تسيء الظن بالله فيحجب دعاؤك عن الله . ولا تتكلم بما لا يعنيك فتسقط من عين الله . ولا تظلم أحداً من خلق الله فان الجنة لم تخلق للظالمين .

يا بني لا يكن شيء آثر عندك من الله ، وتحبب الى الله عز وجل بمخالفة نفسك لله يحبك الله ويحببك الى عباده ، ولا تتعب نفسك فيما تكفل الله لك به من الرزق المضمون ، واشتغل بالعمل المفروض . واعلم أنه لا عدو لك أعدى من نفسك فعاد نفسك برضا ربك .

يا بني أرض الخلق برضاء الله ، فان رضوا عنك فذلك من الله الذي أرضاهم لك ، وان لم يكن رضاء الله إلا بسخطهم فأسخطهم ولا تبال من سخط منهم عليك ، واقبل على شأنك ، وكن عارفاً بأهل زمانك ، وأحسن جوار من جاورك ، وعشرة من عاشرك ، وصحبة من صاحبك ، وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والفاقة والمسكنة الى الله واخدمهم بنفسك . وتحبب الى الله عز وجل في المحبة لهم وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ، فان

لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة ؛ وجانب الأغنياء المترفين الذين يتزينون بعمل الآخرة . واحذر مجالس علماء السوء الذين يتزينون بالعلم ويأكلون الدنيا أكلاً ، وان من شرار العلماء الذين يزورون السلاطين ويتصنعون لأبناء الدنيا لينالوا من دنياهم شيئاً . واعلم أن الزاهد من زهد في أموال الناس ، وبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، وقنع باليسير من الدنيا . والفقير الصادق من كتم فقره عن الناس ، ولم يشك ما به الى أحد من المخلوقين ، وقطع أسباب الطمع عن نفسه ، وصبر عند عدم الأشياء حتى يكون الله عز وجل موضع فرجه .

يا بني لا تطلب الدنيا لتستغني بها ، فانه ليس في الدنيا ما يغني العباد غير القناعة والبلغة منها .

يا بني خف الله خوفاً لا يكون شيء أخوف له منك ، وارج الله رجاء لا يكون أحد أرجى له منك ، وأحب الله حب من خالط لحمه ودمه وعروقه وشعره وبشره من فرقه الى قدمه ، وتوكل على الله تكف ، وثق بالله تقنع ، واذا أصابتك شدة أو نائبة أو مصيبة فتعز بثواب الله واصبر على بلاء الله وارض بقضاء الله تكن مؤمناً تستحق من الله حسن ولايته .

يا بني اذا أقبلت عليك الدنيا فلا تفرح لها ، واحذر أن تكون وبالاً عليك ، واذا أدبرت عنك فلا تحزن عليها رجاء أن يكون لك عند الله منزل ؛ وخذ من الدنيا ما ينفعك ودع منها ما يضرك ، ولا تستكثر منها فيطول حسابك ، فان السلامة منها ترك ما فيها ، وان أقبلت عليك الدنيا وأنت زاهد فيها لم يضرك وان أدبرت عنك وأنت راغب فيها أضرت بدينك ، فخذ منها القوت ، وقدم الفضل منها لنفسك ؛ ولا تكثر الضحك والمزاح فان كثرتها تميت القلب وتذهب بنور الوجه ؛ وجالس العلماء ؛ واستمع كلام الحكماء يحيي قلبك بنور

الحكمة وتزدد في كل يوم علماً وفهماً ؛ واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ واعرض حالك على العلم ، فان رأيت العلم يحمد حالك فذاك نعمة من الله عز وجل ؛ وازدد شكراً تزدد من الله قرباً . ومن شكر الله عز وجل استحق المزيد من الله . ومن استغفر الله استوجب الغفران من الله . ومن نسي الله غفل عن أمر الله .

يا بني أنا راغب الى الله في مسألتي له أن يجعلك خلفاً من بعدي تخلفني في علمي ومذهبي . وقد أملت ذلك من الله أن يجري الله منافع الخير على يدك ، ويكون ذلك سريعاً ان شاء الله .

يا بني إذا لقيت أحداً من اخواني واصحابي فأقرهم مني السلام وأخبرهم عني بالله عز وجل ، قال : «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا»[1] . «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»[2] . واعلم أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له يجمع فيها من لا فعل له . فلا تتعب نفسك وقلبك في شيء يصير مهناه لغيرك وحسابه عليك ، فاطلب من الدنيا الكفاف وتزود منها للمعاد . واعلم انك ميت لا محالة ، فكن من الموت على يقين ، ولا تطل أملك في الدنيا ، فانه ليس فيها ما يغني عن الفقر والرضى ، فاسأل الله عز وجل القنوع والرضا ، ولا تبسط يدك كل البسط ولا تقبضها كل القبض ، ولتكن بين ذلك قواماً . واقصد في معيشتك واحذر الاسراف والتبذير ، فان من علامة فقه الرجل القصد في المعيشة .

يا بني من ترك الدنيا زاهداً فيها أقبلت عليه الآخرة وأتته الدنيا راغمة . ومن كانت الدنيا همه قلت عن الآخرة رغبته . وكل من أعطي من الدنيا شهوة

---

(١) القصص ٦١ . (٢) لقمان ٣٣ .

، يحال بينه وبين أمنيته من الآخرة واعلم ان الدنيا حلوة خضرة ، والآخرة مرة كريهة ، فمن صبر على مكاره الدنيا وصل الى نعيم الآخرة .

يا بني لا تسل الناس شيئاً واستغن عنهم بغنى الله ، ولا تطمع بأحد غير الله وإن أصابتك شدة فاستعد لها الصبر ، فان الفرج كله مع الصبر ، ولا تشك ما بك إلا إلى الله عز وجل ، واكتم حالك في نفسك جهدك ، فان قل صبرك فاشك ما بك إلى إخوانك وخاصة أصحابك .

يا بني إن أباك قد عزى نفسه عند إخوانه وأصحابه بأنه أيقن بالرحيل فهو يتوقع الأمر صباحاً ومساءً فعز نفسك فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «إنك ميت وإنهم ميتون»[1] ، فاستعد للقاء وتزود للرحيل ، ولا تغتر بالبقاء إذ كان آخر الدنيا الى فناء وكل ما فيها الى زوال . واعلم أن الدنيا بحر عميق لا غور لها قد غرق فيها الماضون وسيغرق الباقون فان استطعت أن تخطو الدنيا الى الآخرة خطوة واحدة فافعل ، وإن كانت عليك فيها مشقة . ان العامل[2] اللبيب من قدم دنياه لآخرته ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، وخالف نفسه ولم يتبع هواها .

يا بني ان أردت أن يرفع الله قدرك ويعلو في الملكوت ذكرك ويحبك الله ويُحَبِّبك الى عباده فعليك بلين الكلام وإفشاء السلام وخفض الجناح لمن اتبعك من المؤمنين ، واجهد نفسك الى أن تحسن الى كل من أساء اليك ، واعفُ عمن ظلمك ، وكن كهفاً لمن التجأ اليك ، وخالق الناس بخلق حسن . ولا تعبس وجهك فيغلظ كلامك ؛ وان اعتراك الغضب فاذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، وراقب الله جل ثناؤه حق مراقبته ، واستحي من الله كل الحياء .

---

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) هكذا في الأصل ومن الجائز أن تكون العاقل .

واعلم أنه معك يسمع ويرى فالزم قلبك علم هذا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان» .

يا بني اذكر الله يذكرك ، وتقرب (الى)[1] الله يقربك ، وتحبب الى الله يحبك . واذا شرع لك أمران ، أمر دنياك وأمر آخرتك ، فآثر أمر آخرتك على أمر دنياك ، وقدم أمر الله في كل حال واعلم أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وآخرته . احفظ الله يحفظك معناه احفظ سريرتك يحفظ الله لك علانيتك . من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته . ومن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس . وتعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة معناه اشكر الله في الرخاء لا ينسك في الشدة .

واعلم يا بني أن الله عز وجل على لسان كل قائل فاعرض كلامه على قلبك ، فما كان لله فيه رضى فتكلم ، وما كان للنفس فيه هوى فاصمت ، وان كان حقاً . واذا تكلمت فتكلم لله ، واذا سكت فاسكت لله ، واذا أعطيت فأعط لله ، واذا أمسكت فأمسك لله . واجعل حركاتك وسكونك كلها لله ، حتى تكون عند الله عبداً خالصاً مستخلصاً من الأهواء كلها . واحذر مجالسة كل غني أبطره غناه ، ولا تمدن عينيك الى زينة المترفين في أموالهم ، فربما ذهب بشعاع أبصار القلوب . وإياك والخلوة بالنساء والأحداث فان الشيطان يزين للعبد في نفسه الفاحشة بالمحادثة لهم والنظر اليهم حتى يوقعه فيها . واحذر المراء والجدال والخصومات في الدين ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وقال جل ثناؤه : «ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا»[2] . واعلم أن الدين نصيحة والمجالس بالأمانة . وعلينا النصيحة وقبول الحق لمن أوضح الله حجته ووفقه لإصابة الحق . ومن لم ينتفع بقليل الحكمة ضره كثيرها . ومن

(١) زيادة منا يقتضيها المقام . (٢) غافر ٤ .

عمل بقليل العلم أداه قليل العلم الى كثيره . وخير العلم ما نفع . وأعوذ بالله من علم لا ينفع . وانما يراد من العلم العمل . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وانما نزل العلم والقرآن من عند الله ليعمل به ، فاتخذوه لباس رياسة وضيعوا العمل به فصار حجة عليهم لأنهم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، وتزينوا به عند العامة وأكلوا به الدنيا ، فاستعذ بالله من فتنة العلماء ومن منافقي القراء ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها » وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون قوم من أمتي في آخر الزمان مساجدهم منهم عامرة وقلوبهم من الهدى خربة ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم بدت الفتنة وفيهم تعود » . واعلم أن الله عز وجل جعل الخير في قليل من الناس لا في كثير لقوله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور » [(1)] ، وقوله عز وجل : « وقليل ما هم » [(2)] ، و « قليلاً ما تذكرون » [(3)] ، « وما آمن معه إلا قليل » [(4)] وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . والله عز وجل يقول : « من رضي مني بقليل من الرزق رضيت منه بقليل من العمل » فأقل من الطعام والشراب والنوم ؛ واقلل من الكلام فيما لا يعنيك . وليكن كلامك حكمة ، ونظرك اعتباراً ، وصمتك تفكراً . فان الله عز ذكره لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدى ولم يهملهم كلهم همجاً . وخير العلماء الحكماء الرحماء الحلماء ثم المتمسكون بعلمهم والمتبعون لآثارهم والباقي همج لا خير فيه . وعليك بالجوع والزهادة ، فان لله عز وجل عباداً لهم درجات عند الله لا ينالونها [(5)] إلا بذلك ، وفي الدنيا يعطيهم الحكمة . ولم أر شيئاً مما يستعمله المبتلى ببطنه وفرجه أنفع له من الجوع والعطش والخوف من الله ، وان ينصب الموت بين عينيه ، ويذكر

(١) سبأ ١٣ . (٢) ص ٣٤ . (٣) الأعراف ٣ .
(٤) هود ٤٠ . (٥) في الأصل ينالوها .

وقوفه بين يدي الله عز وجل خائفاً ذليلاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأكثر آفة الناس من البطن والفرج وهما الأجوفان ، فطوبى لمن عصمه الله عز وجل من بطنه وفرجه .

يا بني ارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الغافلين لكثرة غفلتهم واغترارهم بالدنيا ، كل من عليها مرحوم من الجن والانس والطير والدواب والسباع والأنعام مبتلى بعضهم ببعض ومسلط بعضهم على بعض . وأعظم البلاء لبني آدم لأنهم مأمورون منهيون ، والبهائم وغيرها من الدواب مصابون بسبب بني آدم وليس لهم عقوبة ولا لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب في الآخرة ، حكم الله جار عليهم في الدنيا وما الله بظلام للعبيد .

يا بني احذر من الناس من يخدعك بالله ويجرك الى نفسه ليستأصلك ويستخدمك وهم العلماء السوء الذين يحتالون على الدنيا بالدين ويأكلون أموال الناس بالباطل فانهم شرار الناس في كل زمان . واعلم أنك إن أطعت الله عز وجل بالصدق والاخلاص أطاعك كل شيء وهابك الفجار وعلتك السكينة والوقار وأثبت في ديوان الأخيار .

يا بني أحسن جوار نعم الله عليك بالشكر له . فما زالت نعمة عن قوم فكادت أن ترجع اليهم سريعاً .

يا بني طب عن الأمة نفساً وارض بالرحمن أنساً ، فما عليها أحد يعدل في الخبرة فلساً .

يا بني وفقنا الله وإياك لمحابه وجميل مواهبه وجعلك أهلاً للموعظة ونفعك بها .

تمت الوصية لابن قتيبة رحمة الله عليه وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

في إعجاز القرآن [1]

... وبعد فما زال هذا القرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » آية باقية على وجه الدهر ، وقد أولع العلماء به بحثاً ودرساً ، فعنوا بتدوينه وجمعه ، ومكيه ومدنيه ، وترتيبه وترتيله واختلاف مرسومه ، ومعنى أحرفه السبعة وطرق أدائه ، ووصف قراءاته السبع وقرّائه ، وبيان الحق في ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وبأقسامه وأمثاله ، وفواتح سوره وخواتيمها ، وما في قصصه من عظات وعبر ، وكون إعجازه بلغته ، وتعذر ترجمته الحرفية (لا التفسيرية) .

ولكنّ أعلى هذه المباحث خطراً ، وأجلها قدراً ، وأبقاها أثراً ، ذكر خصائصه ومزاياه التي كان بها وحيّاً معجزاً ، فقد ألفت في إعجازه كتب مستقلة ، وتجلت مباحثه في المصنفات الكلامية والبلاغية ، بلْهَ ما فسر به المفسرون ما جاء في آية الاسراء ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفي سورة يونس ٣٨ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي هود ١٣ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وقد نزلت هذه السور الثلاث بمكة متتابعات كما رواه رواة المأثور ، وفي رواية عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية ، والراجح الأول ، لأن أسلوبها

---

(١) مقدمة للمقالات المتسلسلة في إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي التي نشرتها المجلة في المجلدات : (٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠) .

مكي ، وجاء في سورة البقرة المدنية : «فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» ٢٣ .

وقد توالت الأزمان ، والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو بعشر سور تضاهيه في بعض أنواع إعجازه ، بل بسورة واحدة أيضاً تماثله بلفظه ونظمه وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد تبين بعد طول هذا التحدي بأنه كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ؛ لكنّ ما ألفه أمراء البيان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضيائها تستنير بنوره الأبصار ، ولا تحيط بكنهه الأفكار ، أو هو :

كالبدر من حيث التفتّ وجدته   يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها   يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

هذا ويودّ كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده أن لو جمع ما دوّنه البلغاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور ، واتساع دائرة العلوم ، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي ، فلخص ما سطرته الأقلام ، مما جادت به القرائح والأفهام ، وجمعها في كتاب واحد سماه (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بادئاً بتاريخ استعمال كلمتي : معجزة وإعجاز ، مفسراً لها لغة واصطلاحاً ، مشيراً الى أنهما بمعنى ما ورد في القرآن من الآية والبرهان والسلطان ، ذاكراً أول كتاب عُنون باسم : (إعجاز القرآن) في أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع ، وكتب تحت عنوان (المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب) صفحات كثيرة (مج ٢٧ ص ٢٤٣ — ٢٦٣) ضمنها محاجة الرسول لقومه بهذه المعجزة العظمى ، وما كان من إنكارهم لها ، واستكبارهم عن الإيمان بها ، وعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ووضعهم

السيف والسنان مكان الحجة والبرهان . وهنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب ازدهاراً ، فإذا عجز أهله عن محاكاة القرآن فغيرهم أعجز ، ويرى أنهم كانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتّاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي ، وهو لا يرى أن الزمان قد رجع في البيان العربي القهقرى في عهد عز العرب الإسلامي . واستدرك على من يفهم من قوله أن ليس القرآن إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي ، من حيث الفن والمرونة والقدرة على الأداء ، قال : « وهذا غير صحيح ولا أقصده ، ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه فذ في بيانه ، ويكفي لإدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من النقد الأدبي الفني ، فيقارن بينه (أي النص القرآني) وبين نص أدبي آخر ليشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله معجزاً رائعاً ، والذي يرجع الى أسباب سأذكرها في حينها » .

وقد أنشأ فصلاً أبان فيه رأيه في إعجاز القرآن ، وجاء في أوله : « والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها » وردّ هذه المميزات الى أمرين اثنين ، أولهما لفظي يرجع الى أسلوب القرآن المخالف لأساليبهم جميعاً ، وثانيهما خفي أو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله ، وفصّل القول في هذين تفصيلاً (مج ٢٧ ص ٤١٨ — ٤٢٣) وهنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدال بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول كما قال .

ثم قدّم (مقدمة) للإعجاز بعد عصر النبي (ﷺ) ذكر فيها ما خلاصته أن الصحابة الكرام ، كانوا قبل الاتصال بالأعاجم وعقائدهم ، على سلامة

في الفطرة ، وصفاء في العقيدة ، وقوة في الإيمان ، ووحدة في الأمة ، ثم امتد الزمان ، فاشتعلت الفتن ، ونشأت الفرق ، واقتتل المسلمون أنفسهم اقتتالا شديداً تحت راية القرآن وتأويله ، وفي عهد الفتوح ، وامتزاج المسلمين بشعوب البلاد ، كانت دعوتهم وجدالهم مع أهل الأديان « وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الإسلام بزمن طويل على ساق وقدم ، تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة ، أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوتيته ، وقضية القضاء والقدر ، فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات ، واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم ، فاضطروا الى مناقشة اصحاب الأديان في أديانهم ، والدفاع عن الإسلام الذي ينكره خصومهم ، وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي ، ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ، ومسألة أنه وحي منزل من عند الله ، لا كلام ألفه الرسول » .

ومن هنا أخذ المؤلف يتكلم على فكرة إعجاز القرآن وتاريخها في العصور ، وأشهر من كتب فيها أخذاً ورداً وقبولاً ورفضاً ، الى عصرنا هذا . ثم أخذ يصف كلام البلغاء في إعجاز القرآن وكتبهم التي ألفوها فيه خاصة ، وفي طليعتهم الجاحظ والواسطي وإن كان كتابه مفقوداً ، والجرجاني والفخر الرازي ، والزملكاني والقرطاجني ، وبين أن الجماعات التي بحثت مسألة الإعجاز هي أربع : جماعة المعتزلة ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والادباء ، وأن هذه الجماعات ليست متباينة ، فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ ، وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزمخشري ، وتراهم جميعاً يستمد بعضهم من بعض ، وختم البحث بقوله (مج ٢٧ ص ٥٧٣) ومن الخير أن أنتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسية ـ الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً ، أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها اهـ .

وقد طبق ما رسمه بدقة وعناية ، ومشى في العصور عصراً فعصراً ، مبتدئاً من العصر الثاني ، مختتما بالعصر الرابع عشر ، مراعياً زمن الكتّاب ، واصفاً روح عصورهم الأدبية ، ونحلهم التي يميلون اليها . هذا وقد كنت اطلعت على هذه الأقوال أو كثير منها ، وأمرّ عليها الآن مجموعة في كتاب بذل صاحبه فيه جهداً يشكر عليه ، وهو ناقل ناقد مستقل ، قلما يتيسر لغيره مثل ما وفق اليه وناقش فيه . وظاهر أن الغرض منه تأييد إعجاز القرآن لا نفيه ، بدليل أنه أثبت لنفسه رأياً في إعجازه ، وكتبه تحت عنوان (رأيي في إعجاز القرآن) واستدلّ على ما ذهب اليه بأدلة أوضحها (مج ٢٧ ص ٤١٨ وما بعدها) .

ومن سبر هذه الأقوال والآراء سبراً بعيداً عن العصبية والتقليد ، وجد فيها الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والشاذ الذي لا مرية في شذوذه ؛ وإني ذاكر ما يجول في الخاطر عونا للمؤلف الكريم على تنقية مؤلفه من الشوائب ، لا سيما ما هو فيه ناقل غير قائل ، وما عرفناه إلا مسلماً منصفاً ولله الحمد .

١ — في (مج ٢٧ ص ٢٤٩) : « وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني ، كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحي من الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

القول الثاني هو الصواب ، والأول خطأ صرف ، قال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس ، وديفيه ، ودرمنغام وأمثالهم ، وقد كانوا كتبوا في السيرة النبوية شيئاً حسناً ، وبسطوا لأممهم حقائق منها لولاهم لطمسها الجهل والتعصب ، غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام ، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموماً ، والمحمدي منه خصوصاً ، ضرباً من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي ، أي

انه نابع من قلب الرسول (ﷺ) ، غير نازل من عند الله (ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفاً للقرآن (مج ٢٧ ص ٢٥٨ و ٤٢١) من قولهم : تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيها (أي الغاية الإصلاحية) عاطفة متأججة وخيال خصب) .

وقد بسط السيد الإمام (محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى) هذه الشبه ، وأبرز معانيها ، وصوّرها بأجلى صورها ، ثم كرّ عليها بالنقض والإبطال ، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء . (ص١٠٢ — ١١١ من كتاب الوحي المحمدي) . وقريب من ذلك جعل المعتزلة القرآن مخلوقاً لا وحياً منزلا ، ففيه نفي صفة الكمال عنه تعالى وهي الكلام ، وردّ لقوله « وكلم الله موسى تكليما » ويدفع قولهم (بالصرفة) — وهي في حقيقتها نفي الإعجاز عن القرآن — أن ليس للعرب من قبل ولا من بعد ما يماثله أو يدانيه .

ويقرب من هذه الأقوال بل يؤول اليها إثبات الكلام النفسي لله عز وجل دون الكلام اللفظي ، فيكون معنى تنزيل الكتاب من عند الله هو إظهار صورة حسية عن تلك الصورة النفسية الإلهية ، كما تؤخذ نسخة من الكتاب بآلة التصوير فتكون نسخة طبق الأصل ! والأصل هنا ما في نفس الله عز وجل من الكلام المسمى بالقرآن ، والمأخوذ عنه هو هذا القرآن المحفوظ في الصدور وفي السطور ، ومعنى ذلك أن الله لم يتكلم حقيقة !! وقد عاب الله من يعبد إلهاً لا يتكلم فقال : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » وقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان كالحاكي مثلاً ، أفتأبى قدرة الله وحكمته أن يتكلم إلا بفم ولسان كالإنسان ؟! أفليس هو القادر على أن يختم على فم الانسان وينطق جسمه كما قال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ... » الآية ، فهل يكون عاجزاً عن النطق من يفعل ذلك ؟ سبحانك اللهم وغفرانك .

٣ — (مج ٢٩ ص ٥٧٦) قول الرافعي : «في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة» لا يدل على أنه «يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض ! ؟» وإني مورد أمثلة توضح هذه المشكلة :

أ) قال تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله : «وأعدّوا» هو أمر عام، موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة ، للدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً (من قوة) ليشمل كل قوة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وفي عصرنا تعم بعموم اللفظين «(ما) استطعتم من (قوة)» القوى البرية والبحرية والجوية .

ب) ومن معناها قوله سبحانه : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي آمرة بصدّ كل عدوان يصدر من المجرمين أو الأعداء المحاربين وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مهما اختلفت أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، فهو شامل للقذائف النارية اليدوية ، والمدافع والرشاشات ، وللسفن الحربية والغواصات والطائرة النفاثة وغيرها ، بل تعم الآن القنابل الذرية والهيدروجينية ، ولا بد من إنشاء المعامل والمصانع لصنعها ، فهل في دلالة هذه العمومات العربية والأصولية الشرعية ، على ما قدمنا ، افتئات على اللغة أو الدين ، ولماذا نقصر العام على بعض أفراده كالسيوف والسهام وهو أضعفها في هذا الزمان ، ونقول هذا هو الاسلام ؟

ج) وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) ـ وقد تلا هذه الآية ـ يقول : «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً ، ولفظ الرمي كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها ، ونحن لا نقول : إن النصوص دلّت

على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمتها بأسمائها ، بل نقول: إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم .

د) وفي سورة يس : «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» وهذه الآية كما تدل على «سفائن بر والسراب بحارها» تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسفن الهوائية وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود ، ومثلها آية : «ويخلق ما لا تعلمون» أفما يصح أن يكون هذا الايجاز الشامل طريقاً من طرق الإعجاز ؟ بلى ، وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ، وكونه لا تتناهى عجائبه ؟

٣ — (مج ٢٧ ص ٢٥٥) : «وذكر الألوسي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة ، وقع قبل التحدي بعشر سور ... وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحدّاهم بعشر مثله في النظم ، وأيّد الشهاب رأي المبرد في أن التحدّي كان أولاً بسورة ثم بعشر» قلت : وأبدهم في هذا السيد صاحب المنار في تفسيره وبيّن أن حكمة التحدّي بالعشر بعد الآية الواحدة هو التوسعة بالإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة ، وان القاموس الأعظم لإعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والأسلوب ، وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها .

٤ — يسرد الأستاذ المؤلف أسماء طائفة من أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز من الطبري إلى طنطاوي جوهري في تفسير «الجواهر» ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار ، قال «من الجزء الثاني حتى العاشر» ثم أفرد آراءهم

بالذكر ، ولم يُبِنْ عن تفسير المنار شيئاً ، والظاهر أنه سها عنه ، أو لم يتمكن من تلخيص رأيه .

والذي أعرفه أنه تكلم في إعجاز القرآن في الجزء الأول ، وفي الحادي عشر والثاني عشر مفسراً فيها آيات التحدي في البقرة ويونس وهود ، ومما كنت كتبته في إعجاز القرآن من تفسيره ما نصه ، انه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ، ومعجزات النبي (ﷺ) التي ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ، ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار ، وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة ، وجعل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين ، والرياح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر الى الأنثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١) قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات ، أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

٥ — للإمام ابن القيم كتاب مطبوع سماه « كتاب الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان » وكله شواهد لما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة ، وفي آخره فصلان في وجوه الإعجاز وأمثلة منه .

٦ — كتبت تصحيحاً لما رأيت من سهو في بعض الآيات الكريمة وها هي ذي مصححة :

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ٨) « وكذلك ... » : « كذلك ... » السورة ٢ الآية ٢٤٢ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٠) « ... وإن الله ... » : « ... وأن الله ... » الحج ٦ ، ١٦ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٥) نبي أعطي : نبيّ إلا أعطي «حديث» .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٨) «إنه أساطير ...» : «وقالوا أساطير ...» الفرقان ، ٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «... تتلى عليه ...» : «... تُملَى عليه ...» الفرقان ٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «إنه افتراه ...» : «إن هذا إلاّ إفك ...» الفرقان ، ٤

(مج ٢٧ ص ٢٥٣ س ١) «وقال الذين كفروا ...» : «قال الذين لا يرجون لقاءنا ...» يونس ، ١٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٤ س ٨) : «... لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم ...» : «ولمّا يأتهم ...» يونس ، ٣٩ .

(مج ٢٧ ص ٤١٨ س ١٢) «يأيها الذين أسرفوا ...» : «قل يا عبادي الذين أسرفوا ...» الزمر ، ٥٣ .

٧ — (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٢) : «فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاز قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة» .

لِمَ لا يقال : لو فشل النبي الصادق لكان مسيلمة وأمثاله من الكذابين أشد فشلا ، وأقل ناصراً وعددا ، ولا يمكن أن تقيم نبوة الكذب طويلا .

٨ — في (مج ٢٧ ص ٥٧٧) : «فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذبًا وسفهًا» !! «وأما عيسى بن صبيح المزدار ف .... حتى انه كفَّر مرة أهل الأرض قاطبة» وقد صنف الأستاذ الحمصي من تناول قضية الإعجاز في العصر الثالث الى أصناف : ١ — من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر ، وأرباب الأديان ، ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة ، وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة» . وقال : «كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الإسلام» .

فتبين من هذا كله أن هذه الفوضى في الدين تسمى بحرية الفكر ، والمؤلف يسمي من اتهموا بالمعارضة للقرآن أو الزندقة بالمفكرين الأحرار ، والصواب أنّ هذا الصنف الأول وغيره من الطاعنين في الإسلام ، ومكذبي القرآن هم من أهل الكفر أو المكر والسفه فكيف يصح أن يلقبوا بهذه الألقاب : أحرار الفكر أو الفلاسفة ؟

٩ — المؤلف صافي الديباجة ، فصيح الأسلوب ، وقد مرّت بي وأنا أطالع الكتاب هنات هينات ، أرجو أن تلاحظ في الطبعة الثانية إن شاء الله :

جاء في آخر (ص ٢٤٧ مج ٢٧) : وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي » : لا محلّ للفظ (فقط) هنا ، لأنّ (إنما) تفيد الحصر وتغني عنها . ومثلها (في مج ٢٨ ص ٦١): يمكن (فقط) أن تعرف ، ولا يمكن أن توصف . (وفي مج ٢٨ ص ٦٦): كالمتنبي الذي لم ينسب اليه (فقط) عدم اعتقاده بإعجاز القرآن ، بل يرى الخ ومحلّ (فقط) بعد (بإعجاز القرآن) . ومثلها في (مج ٢٨ ص ٧٧) : أسلوب القرآن ليس أعلى (فقط) من أسلوب الإنس ، بل الخ فان محلها قبل (بل) .

(وفي مج ٢٧ ص ٢٤٩ س ٧) : برغم أن الرأي الذي تريد دعمه (ومج ٢٧ ص ٤١٩ س ١٤) برغم بساطتها . (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٠ س ٧): على الرغم من أنه يتناول الخ (و س ١١) برغم تقدمها النسبي .

أقول إن الأستاذ المؤلف يكتب في إعجاز القرآن وهو يجب أسلوبه ، وقد قال تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً » الآية ، ولم يقل برغم حبه أو على الرغم من حبهم إياه ، فالأنصح على هذا أن يقال : على أن الرأي : على بساطتها : على كونه يتناول : على تقدمها النسبي الخ .

١٠ — جاء في الخاتمة (مج ٣٠ ص ٣٠٨) قول المؤلف: ولا أرى الآن بدًّا من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم، يكون له قوة البرهان الرياضي، فيقنع الخصم المعاند» .

قلت: أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي أو الحسي «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» «فاستحبوا العمى على الهدى» . ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلمة هو التجربة، فكل معتقد أو منتقد في وسعه أن يمتحن نفسه أو من شاء بالاتيان بسورة أو عشر سور كالقرآن، فاذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله، آمن عقله وحسّه بالعجز الذي آمنت به نفسه .

ألا وإن هذه لحركة مباركة، ونهضة قرآنية بالغة، تدعو حماة اللغة والقرآن في المدارس والجامعات، ودعاة القومية العربية في كل مكان، أن يمعنوا النظر فيما كتب هذا الأخ الكريم في إعجاز القرآن، ليضاعفوا نشاطهم ويعيدوا الى هذه اللغة الكريمة عهدها الأول الأغرّ المحجّل، ولقد زرت مدارس الاستشراق في بلاد الأجانب فرأيت فيها الدارسين والدارسات للقرآن، ومن يتكلم منهم باللغة الفصحى، وما ينبغي أن يكونوا بدراستهم للغتنا وكتابنا أسعد حظاً منا . والله تعالى يشكر للمؤلف ما بذله في هذه السبيل من عناء وجهد، ويبارك فيه ويكثر من أمثاله، والسلام .

محمد بهجة البيطار

مقدمة المرزوقي

لشرح حماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٦ —

(ويروى عن عمر أنه قال في زُهير : كان لا يمدح الرجلَ إلا بما يكون للرجال) .

أراد الاحتجاج بكلمة صدرت من أحد أهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قدّم زهيراً بن أبي سلمى على غيره من الشعراء بثلاثة أمور سيجيء ذكر الأول والثاني في كلام المؤلف وثالثها هو أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال وفي رواية إلا بما فيه . وما اقتصر عليه المؤلف أظهر في الغرض يعني أنه يصيب الحز من وصف الممدوح فاذا مدح أحداً مدحه بصفات الكمال في الرجال كقوله في معلقته يخاطب هرم بن سنان والحارثَ بن عوف .

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

عظيمين في عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو أفضل من قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهـاب من اللـه تجلت عن وجهـه الظلماء

وإنما أنكر عليه من أجل أنه عدل به عن بعض الفضائل النفسية الى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة فكان كالذي ينسب بمحاسن الحسناء .

واعلم أن هذا الأصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف أغراض الناس من عناية بالفضائل النفسية أو المزايا الجسمية أو كليهما قال تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » . وكذلك اختلاف أحوال المدنيـة والبداوة وانظر قول جعفر بن علبة :

إذ هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

تجد ما مدح به نفسه جارياً على خلق الأبطال ولو سمعه الحكيم لعده تهوراً .

(فتأمل هذا فان تفسيره ما ذكرناه) .

أمر بالتأمل لظهور أن عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحتراز عن صفات النساء لأن ذلك لو وقع لكان غلطاً ولا يريد أيضاً أن يكون ما يمدح به ليس بمدح ولكنه أراد انه يمدح بما هو كمال حق . وقوله فان تفسيره ما ذكرناه أي هو جزئي من جزئيات قاعدة إصابة الوصف أي توصيف المعاني المقصودة فان المديح نوع من أغراض الكلام ومعانيه فأراد بالتفسير التمثيل .

(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس) .

لأن الفطنة هي التي ترشد الى مشابهة شيء لشيء أو أشياء وأما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطته أشبه الأشياء بالمشبه به في الصفات المقصودة ومعنى أصدق التشبيه انه الأشد مطابقة لما في نفس الأمر بحيث لو عُكس التشبيه فجعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب لأنه يتأتى عن شدة المشابهة كقول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ويمسكه حقف

فشبه الثديين برمانتين وقال الآخر :

ورمانة شبهتها إذ رأيتهـا بثدي كعاب أو بحقة مرمر

(وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما) .

هذه الكلمة لقدامة في كتاب نقد الشعر .

(ليتبينّ وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس) .

أي أحسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج الى ذكره فان كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ ـن وان كان أسود الطيلسان

وقول النابغة في التشبيه المركب :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

(وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر وتشبيه نادر واستعارة قريبة) .

لم يعز هذا القول الى معين .

وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر للمبالغة تنويهاً بهذه الثلاثة كما لا يخفى والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي اليه عامة الناس فالآتي به يدل على حسن فطنته وتخيله . قال في أسرار البلاغة [1] : « والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا ينزع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بداهة النظر الى نظيره الذي يشبه به بل بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك الوهم في استعراض ذلك » . وقال [2] : ومما يزيد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي عليها الحركات كقول الوزير المهلبي :

(١) ص ١٢٥ طبع المنار .
(٢) صفحة ١٤٥ .

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجب

كأنها بوتقــة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

وقول المؤلف « واستعارة قريبة » كذا في سائر النسخ بالقاف قال ابن رشيق[1] : « إنما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد من صوت المال فكيف حتى يبح من الشكوى والصياح . اهـ » .

وحاصل مرادهم أن يكون وجه الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة واضحاً وأن تكون إرادة الاستعارة واضحة حتى لا يحتاج الى القرينة أو الى تقوية القرينة .

(وعيار التئام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن الطبع واللسان) .

أراد بالطبع طبع الممارس للأدب كما قدمناه في شرح قوله « اتسع مجال الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصّله بقوله :

(فما لم يتعثر الطبع بأبيّه وعقوده) .

التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض شيء في الأرض . وأراد بالأبيّ الكلام المتكلف المستكره كما تقدم في تفسير قوله « من الأبيّ المستنكر » وفي إحدى نسختيْ تونس ونسخة الآستانه بأُبَنه وضبط بضمة على الهمزة وفتحة على الباء فهو جمع أُبْنَة وهي العقدة تكون في العود فتتعرض لكف المثقف فتضطرب اليد كأنها عثرة وهذا أنسب بقوله يتعثر . وفي نسخة دار الكتب مثل ذلك لكن بلا ضبط . والعقود جمع عَقد بمعنى المعقود وأكثر ما يطلق هذا الجمع على عقود البناء دون عُقد الخشب وفي نسخة مكتبة طلعت وعُقده وهو جمع عُقدة وهي أنسب بالجمع .

---

(١) صفحة ١٨١ من العمدة ، مطبعة هندية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٦ .

(ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله) .

إن أراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله « تناسب الفصول والوصول » تعين أن يكون المراد بتحبس اللسان في ذلك أن يثقل عليه ما اختل من ربط الجمل بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد أهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها ويفصلها حيث اعتيد وصلها وفي إطلاق التحبس على هذا تكلف . ويجوز أن يكون أراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال أبيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الأبيات والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا أنسب بقوله :

(بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذلك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقارُنا) .

وفي نسختي دار الكتب وطلعت وتقارباً بالموحدة والمعنيان متقاربان .

(والا يكون كما قيل فيه :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيل)

في إحدى نسختي تونس ضبط بفتحة على نون يكون فتعين أن تكون همزة الا مفتوحة . وهي انْ المصدرية ادغمت في لا النافية وهو عطف على قوله ان يكون من قوله يوشك أن يكون . وأما ضبطه بهمزة في أسفل الألف فيقتضي أن يجزم يكن .

والبيت المذكور هنا نسبه الجاحظ في البيان لأبي البيداء الرياحي واسم أبي البيداء أسعد ترجمه ياقوت في معجم الأدباء .

(وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر أولاد علّة يكدّ لسانَ الناطق المتحفظ)

نسخة يكد بالدال أحسن من نسخة يكل باللام وأشهر وكذلك هو في

نسختيْ تونس ونسخة الآستانة والعَلّة بفتح العين ضرة المرأة وأولاد العلة الأخوة الأب وشاع أن يكون بينهم جفوة لأجل جفاء الأمهات ويضرب مثلاً للأشياء المتقاربة غير المتناسبة . وخلَف هو خلَف الملقب بالأحمر ابن حيان مولى بلال ابن أبي بردة وهو بصري علاّمة في العربية وكان قريب الأصمعي وأعلمَ أهل عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة .

(وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئًا مما قاله فقال : قد قُلتَ لو كانَ له قِران) .

كلمة رؤبة هي من الرجز . وفي البيان للجاحظ قال نوفل بن سالم أو عبيد الله ابن سالم لرؤبة بن العجاج : « يا أبا الجَحَّاف مُتْ مَتى شئتَ - قال وكيف ذاك - قال - رأيتُ عقبة بنَ رؤبة ينشد رجزاً أعجبني - قال - إنه يقول لو كان لقوله قِران » يريد بالقِران التشابه والموافقة كما فسره الجاحظ .

فالمراد بالقول في « قد قلت » في الخبر الذي حكاه المؤلف ومعنى « انه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول أي هو يقول الرجز الحسن ولكنه يأتي بالبيت الحسن ومعه البيت الذي لا يماثله في الحسن وهذا كما قال عُمر بن لَجَأٍ لبعض الشعراء [1] : «أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » [2] . أراد بكونه أخًا شدة المشابهة في معنى الشعرية بحيث يحق أن يوضع الى جنبه .

(وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه . كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :

تغن في كل شعر أنت قائله ... إن الغناء لهذا الشعر مضمار)

---

(١) عمر بن لَجَأٍ التيمي من تيم الرِّباب شاعر معاصر لجرير بن عطية الشاعر وقد تهاجيا ولعل كلمته هذه قالها لجرير .

(٢) صفحة ١٤٩ من البيان للجاحظ جزء ١ طبع المطبعة التجارية .

ساق بيت حسان حجة على أن ميزان الشعر من نوع الموسيقى فأوزان الشعر وضروبه تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى ، فحسان يرشد الشاعر الى اختبار استقامة ميزانه بأن ينشد أبياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزنِ فانه اذا أنشده فلم يتعثر لسانه في تساوي أجزائه علم استقامتها وإلا شعر باختلال فأصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وانما كانوا يدركون الميزان بالسليقة . والمضمار المسافة التي تحدد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

(وعيار الاستعارة الذهن والفطنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفَى منه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له) .

إدراك حسن الاستعارة كإدراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك أمرها قرب التشبيه . وملاك الشيء بفتح الميم وكسرها قوامه الذي يملك به أي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه وتقريب التشبيه تقدم وقوله «لأنه المنقول عما كان له في الوضع الخ» تعليل ليكتفى منه أي لأنه ادعى ان المشبه من أفراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه وأطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه .

(وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نبو ولا زيادة فيه ولا قصور وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس فهو البريء من العيب) .

أحال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام المدارسة أي مدارسة أهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار وهذا من الحوالة على الذوق وقد قدمناه .

وقوله لا جفاء في خلالها وقع في نسختي تونس ونسخة الآستانة لا خفاء بالخاء المعجمة من فوق في خلالها بضمير التثنية والظاهر ان ذلك تحريف .

والمراد بالأخص الكامل كأنه جعل من الخاصة أي أصحاب الكمال ولذلك قابله بالأخس .

(وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها) .

قوله (يتشوقها المعنى بحقه) أي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق وجعل ذلك الشوق ملابساً للحق أي يتشوقها تشوقاً حقاً وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه أي بحظه من البيت فان للألفاظ حظوظاً من المناسبة كما تقدم .

ألا ترى قول أبي الطيب :

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال

فانك تجد كلمة القافية مغتصبة مجتلبة لأجل الروي وإلا فان الاستقامة يقابلها الاعوجاج بيد انه غفر له ذلك قوله بعده :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

فجاء بمعنى بديع وقافية متشوقة بحيث لا يمكن أن تعوض بغيرها . وقد تقدم بيان بقية كلام المؤلف في عد الأبواب السبعة .

(فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم . والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان . وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن) .

قال قدامة في نقد الشعر «ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها ، يسمى شعراً في غاية الجودة

وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسماً (كذا) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء » .

(واعلم ان لهذه الخصال وسائط وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفرها اختيار الناقدين) .

أثبت الدكتور الناشر كلمة اقتفرها بتقديم القاف على الفاء وكذلك هي في نسخة الآستانة وهي كما فسرها الدكتور الناشر بمعنى تتبع الأثر وسياق الكلام يرجح هذه النسخة وذكر الناشر انها في نسخة ط بتقديم الفاء وكذلك هي في نسختي تونس ويظهر انه تحريف .

(فمنهم من قال أحسن الشعر أصدقه قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في اسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق ومنهم من اختار الغلو حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة واتسعت موالجه ومخارجه فتصرف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال أحسن الشعر أقصده لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط فما استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى ولم يُخرج الموصوفَ الى أن لا يؤمَن بشيء من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزيد لأقواله كان بالإيثار أولى) .

هذا مقام شاع خوض البلغاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن النابغة على حسان فى عكاظ ـ قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافُنا يقطرن من نجدة دما

وهي مشهورة في دواوين الأدب العربي وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر . وقد اختار أئمة الأدب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه اليه قدامة في نقد الشعر إذ يقول «إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ـ قال ـ وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه اهـ» . والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك المبالغة وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على أن مرادهم بالأكذب هو الغلو وهو كذب تصاحبه قرينة على انه مخالف للواقع لغرض لطيف وليس مرادهم الكذب مطلقاً . وقوله «فمنهم من قال أحسن الشعر أصدقه» قال حسان بن ثابت وربما نسب الى زهير [١] :

وانما الشعر لب المرء يعرضه ... على البرية ان كيساً وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال اذا أنشدته صدقا

يعني بذلك أن يكون الشعر تعبيراً عن الأمر الواقع وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى . وقوله «كان بالإيثار أولى» في نسختي تونس ونسخة الآستانة «كان بالإيثار والانتخاب أولى» .

(ويتبع هذا الاختلافَ ميلُ بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع . والفرقُ بينهما أن الدواعي اذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب واذا جاشت العقول بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني ودرّت أخلافها وافتقرت خفيات الخواطر الى جليات الألفاظ فمتى رفض التكلف والتعمل وخلي الطبع المهذب بالرواية المدرب في الدراسة لاختياره

(١) كما في صفحة ١٤٢ ج ٣ العقد الفريد والمشهور في كتب الفن نسبته الى حسان .

فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ـ أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جُهد وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدماً متملَّكاً وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها وتردده في قبول ما يؤديه اليها مُطالبةً له بالإغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة فجاء مؤداه وأثرُ التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسيرُ النزرُ ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدَثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتتانهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاقتدار وذهاباً على الإغراب فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمَّل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلَّف . ـ فمَن مال الى الأول فلأنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة) .

كلام المؤلف هنا مفصح أتم الإفصاح غير محتاج الى الشرح .

ويجب التنبيه على كلمات : فقوله « واذا حاشيت » في نسختيْ تونس ونسخة الآستانة فاذا بالفاء وهو أحكم ربطاً . وقوله « لاختياره » متعلق بقوله « وخلي الطبع » .

(وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن مَيدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان أبا تمام كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يشتهى وبين ما يستجاد ظاهر ، بدلالة ان العارف بالبَز قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ويستجيد ما لا يشتهي لبسه وعلى ذلك حال جميع أغراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذ الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشهورين منهم دون الأغفال ولا من

الشعر الى المتردد في الأفواه والمجيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمهم واسلاميّهم ومولدهم فاختطف منها الأرواح دون الأشباح واخترف الأثمار دون الأكمام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه) .

ليست بعد هذا الكلام حاجة الى الشرح .

(حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة بأختها في نقده) .

ان ما حدا أبا تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار من الشعر لم يقصد صحة رواية أشعارهم لأنها كانت مجموعةً مروية وانما أراد تقريب المختار منها الى أذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثالاً تحتذيه أذواقهم ومنوالاً تُنسج عليه أشعارهم ومع هذا فانه لا يصير الى هذا التغيير إلا نادراً عند الاقتضاء فقد عمد الى قول الربيع بن زياد في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار

فغيره وجعله فليأت ساحتنا وحمله على ذلك كراهية تعليق فعل الإتيان بالنسوة . وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأُبتُ الى فهم وما كدت آيباً وكم مثلها فارقتُها وهيِ تصفِر

فغيره ولم أكُ آيباً مراعاةً لكون ما كدت يقتضي أنه نفي اقتراب إيابه مع أنه قد آب وفي داعي تغييره نظر يعلم من قوله تعالى : «فذبحوها وما كادوا يفعلون» .

(وهذا يبين لمن رجع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

ويكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده ، على ذلك كان البحتري لأنه فيما حكي عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه) .

قال في دلائل الاعجاز : روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأل البحتري عن مسلم بن الوليد وأبي نواس أيهما أشعر فقال : أبو نواس . فقال : ان أبا العباس ثعلباً لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك من دُفع في سلك طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى الى ضروراته اهـ .

(وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكي عنه أنه مر بشعر ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء من شعره وهذا واضح) .

تقدمت ترجمة الصولي . وأما المبرد فهو أبو العباس محمد بن يزيد المبرِد بكسر الراء الأزدي البصري المولود سنة ٢١٠ والمتوفى سنة ٢٨٥ إمام العربية ببغداد إذ كان فصيحاً علاّمةً في العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من أبلغ الكلام وأفصحه نظماً ونثراً . ولقب المبرد أي المثبت للحق وله تآليف جمة . وأما الحسن بن رجاء فهو أديب شاعر كان زمن الواثق ولم أقف على سنة وفاته وذكر له في الأغاني أبياتاً أربعة كتب بها الى الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته . وابن أبي عيينة اسمه أبو عيينة [1] وكنيته أبو المنهال ونسب الى جده فهو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي [2] البصري

(١) جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٤٩ طبع دار المعارف بمصر .
(٢) الأغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولاق .

كان شاعراً مطبوعاً من شعراء[1] دولة الأمين[2] ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون . قال ابن الأثير في الكامل انه أنشد طاهر بن الحسين :

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم

يعرض بقتل طاهر محمداً بن يزيد المهلبي فتبسم طاهر وقال أما والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك الخ ترجمه في الأغاني[3] وقال « كان ابن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزارمرد من قواد الدولة العباسية . وعن المبرد أنه قال لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :

أبوك لنا غيث نعيش بكنفه وأنت جواد ليس يبقي ولا يذر

وعاش ابن أبي عيينة بعد موت المأمون ولم أقف على تعيين عام وفاته . وقول أبي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في أنه لم يثبت شيئاً من شعره في ديوان الحماسة .

(وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعراء موقوف على الشهوات إذ ما كان يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرتَه ، فليس الأمر كذلك لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض ولم تعتسفه الخواطر ونظر وتبحر ، ودار في أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن الكثير ، واللحظ الدال على الضمير ، ودرى تراتيب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، الى غير ذلك مما يكمل الآلة ويشحذ القريحة ؛

(١) تاج العروس .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩٥ .
(٣) جزء ١٨ صفحة ٨ .

. تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا باذن النصفة ولا ينتقد إلا بيد المعدلة فحكمه الحكم الذي لا يبدل ونقده النقد الذي لا يغير) .

قال الآمدي في الموازنة[1] : « وأنبه على الجيد وأفضله على الردي. وأبين الردي. وأرذله وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى البيان . ولا إظهاره الى الاحتجاج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطولِ الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعةٍ مَن سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبُّل لتلك الطباع وامتزاج وإلا لا يتم ذلك اه » .

(واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الردي. والواجب أن تُعرف المقابح المتسخَّطة كما عُرفت المحاسن المرتضاة) .

هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئه بعد أن انتهى من بيان أسباب الجودة والاختيار . وأراد بقوله قد يعرف الجيد من يجهل الردي. انه قد يتمحص بعض الأدباء للانكباب على مطالعة المختارات والدواوين المشهود لها بالإجادة ولا يشتغل بتتبع ساقط الأشعار لأن في طباع الناس اتباعَ الكمال ومحبةَ العكوف على الحسن إرضاءً لميل النفس الى محاسن الأشياء وجمالها فيبقى غير عالم بالردي. ، وبتطاول الإعراض عن تتبع الردي. يضعف انتباهه الى علل السقوط وأسبابِ الرداءة . وليس مراده بجهل الردي. العجز عن أن يدرك رداءة الردي. فان من عرف الجيد لا يعدم إدراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله « والواجب أن تُعرف المقابح الخ » فكما يجب معرفة أسباب الاختيار يجب معرفة علل النقد . فلا جرم ان كان واجباً على من يُعنى بالأدب اهتمامُه بمطالعة ما للشعراء من أسقاط[2] وأغلاط كما يهتم بما لهم من بدائع انماط .

---

(١) صفحة ١٦٧ .

(٢) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً ولأن ذلك يكسبه ملكة الحكم مقدرة الاقناع بأسباب الارتفاع والانحطاط .

(وجماعها اذا أجملت انها أضداد ما بيناه من عَمَد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر) .

أراد بعمد البلاغة ما سماه فيما تقدم عمود الشعر وهو الأبواب السبعة وبخصال البراعة ما سبق من شروط الإجادة عند البلغاء .

(وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً) .

قوله وفي التفصيل عطف على قوله اذا أجملت وهذا تفصيل ما أجمله آنفاً . وقوله «كان يكون اللفظ وحشياً» يقال وحشي ويقال حوشي بطريق القلب المكاني والوحشي اللفظ الذي يقل استعماله في الكلام الفصيح أو يكون مراد الشاعر به غير معلوم ومثاله ما وقع في شعر أبي حزام غالب العكلي من شعراء زمن المهدي قوله :

تذكرتُ سلمى وإهلاسَها فلم أنس والشوق ذو مطرُوة

وأنشد أحمد بن جحدر ابن الأعرابي أبياتاً منها قوله :

حلفت بما أرقلت نحوه هَمَرْجَلَةٌ خلقها شيظم

فقال له ابن الاعرابي إن كنت جادًّا فحسبك الله .

(أو غير مستقيم) .

أراد به ما خالف قياس اللغة كقول أبي النجم «الحمد لله العليّ الأجلَل» بفك الادغام ، أو ما خفي اشتقاقه كقول العجاج «وفاحماً ومرسناً مسرجاً» فلم يدر أأراد أنه منسوب الى السيف السريجي في الدقة والاستواء أم الى السراج في البريق .

(أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب) .

يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم من قول المسيب بن علس :

«بناج عليه الصيعرية مكدم»

ومثله الاستعارة المذمومة كقول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

(فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتتبع الوحشي ولا يعاظل في الكلام) .

ساقه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم يقتصر على إحدى الجملتين كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدم من قول عمر « ولا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال » حيث كانت ترجع الى حسن معنى الوصف .

وقول عمر « لا يعاظل في الكلام » وقع في نسختي تونس وفي نسخة الآستانة ولا يعاظل الكلام بسقوط حرف الظرفية وكذلك في النسخة الشنقيطية من النسخ التي اعتمدها الناشر ولا وجه لسقوط « في » إذ لا يتعدى فعل يعاظل الى الكلام بنفسه . وفي كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد [1] « ولا يعاظل بين الكلامين » وفي نقد الشعر والموازنة والمثل السائر « ولا يعاظل بين الكلام » وإضافة بين الى الكلام وهو مفرد لأنه على تقدير الأجزاء أي بين أجزاء الكلام ومفرداته . ومعنى يعاظل يجعل الكلام متعاظلاً كما جاء في الحديث : « سابَقَ بين الخيل » أي جعلها تتسابق والمؤلف غير كلام عمر بأن جعل حرف الظرفية في موضع بين ليوضح معنى بين . واختلفت أقوالهم في تفسير المعاظلة اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقاق اللفظ : ففسر أبو زيد المعاظلة بأن يُردِّد الكلام في القافية لمعنى واحد (يعني الإبطاء) . وفسرها قدامة بأنها أن يدخل الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وهذا تفسير غلط فيه الآمدي في الموازنة . وفسر هو المعاظلة بأنها شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال كأنه يعني الافراط في التجنيس ومثلها بقول أبي تمام :

---

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

خان الصفاءَ أخ خان الزمانُ أخًا عنه فلم يتخون جسمَه الكمدُ

لكثرة ألفاظ خان وتخون وأخ وأخًا . وفسرها ابن الأثير في كتاب المثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر وتكرار العوامل وتتابع الاضافات . ويظهر أن المؤلف يجعل المعاظلة كون اللفظ غير مستقيم الدلالة أو غير مستعمل في المعنى المطلوب وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به المعاظلة فلله دره في إيجازه وإعزازه وأيًّا ما كان تفسير المعاظلة فهي عيب يتعلق بالألفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها .

(أو يكون فيها زيادة تفسد المعنى أو نقصانٌ) .

أما الزيادة المفسدة فكقول الشاعر :

بأطيبَ من فيها لوَ انّك ذقته اذا ليلةٌ أسحت وغارت نجومها

فقوله لو انك ذقته زيادة تفسد المعنى لأنها توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيبًا .

وأما النقصان المفسد للمعنى فهو أن يترك من اللفظ ما به تمام المعنى المراد كقول الشاعر :

لا يَرْمَضون اذا حَرَّتْ مشافرُهم ولا ترى منهم في الطعن ميالا
ويفشلون إذا نادى ربيئُهم ألا اركبُنَّ فقد آنستُ أبطالا [1]

فقوله ويفشلون أراد ان يقول ولا يفشلون فحذف لا فصار الى ضد المعنى .

ومن هذا النوع الإيجاز الذي لا يفي بالمقصود كقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النُّوك ممن عاش كدا

أراد العيش الناعم في حالة الحماقة خير من العيش بكد في حالة العقل فقصر عن المراد .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

(١) يصف قومًا بإباء الضيم فشبههم بابل لا ترمَضُ أي لا ترعى الرَّمِضَة وهي الأرض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء . وفي لا يرمضون استعارة مكنية ووصفهم بالنشاط اذا دُعوا الى منازلة الأبطال .

كتاب اللمعة

في صنعة الشعر

لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

زار دمشق منذ أسابيع الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد إحياء المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعرّج في أثناء زيارته على المجمع العلمي العربي وأطلع معالي رئيسه الأستاذ خليل مردم بك على صورة شمسية لصفحات من مجموع موجود في مكتبة سليم آغا في اسكودار باستانبول كان المستشرق الكبير ريتر قد قام مشكوراً بتصويرها وإرسالها الى المعهد المذكور .

وهذه الصفحات تشتمل على كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) للأنباري . والأنباري هذا هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي سعيد الأنباري [1] . ولد سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في مدينة الأنبار على الفرات وأخذ عن كبار علماء عصره كالرزاز والجواليقي وابن الشجري ودرس في النظامية في بغداد ثم توفي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) [2] بعد أن صنف

---

(١) بين المؤرخين خلاف حول أسماء أجداد الأنباري ، فمنهم من يُغفل عبيد الله من سلسلة نسبه ومنهم من يجعل اسم أبيه محمداً واسم جده محمد بن عبيد الله . . . .

(٢) ترجم للأنباري من المتقدمين السبكي والسيوطي وابن خلكان والكتبي في (فوات الوفيات) وابن قاضي شهبة ، ومن المتأخرين بروكلمان وڤايل ودائرة المعارف الاسلامية وغيرهم .

أكثر من سبعين كتاباً تجد ثبتاً بالمهم منها في (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي وفي (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان (ج ١ ص ٢٨١) وذيله (١/ ٤٩٥) وفي كشف الظنون لحاجي خليفه وفي مقدمة گوتهولد ڤايل التي صدّر بها كتاب الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) الذي نشره في ليدن سنة ١٩١٣ . . . . . على أن أكثر مؤلفات الأنباري لم يطبع[1] . ومن هذه المؤلفات (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) .

أشار إلى هذا الكتاب بعض من ترجموا للمؤلف من القدامى والمحدثين كالسيوطي وحاجي خليفة ـ وقد ذكر فاتحة مقدمته وهي وفق فاتحة المخطوط الذي نتحدث عنه ـ وبروكلمان[2] . وفي آخر المخطوط يحيل الأنباري على كتاب آخر كان قد ألفه من قبل واسمه (الموجز في علم القوافي) . ومترجمو الأنباري يثبتون له كتاباً بهذا الاسم أو باسم قريب منه فيسميه السيوطي (الموجز في القوافي) ويجعله حاجي خليفة (شرح الموجز في القوافي) . وعلى ذلك فلا مجال للشك في نسبة (كتاب اللمعة) للأنباري .

ومخطوط خزانة سليم آغا الذي ننشره هنا يشتمل على أربع ورقات رقمها في المجموع ٩٦ ــ ٩٩ وفيها سبع صفحات ، في الصفحة قرابة عشرين سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة في الغالب . ويبدو لي أن هذا المخطوط كتب

---

(١) يقوم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي بتحقيق كتاب من أجل مؤلفات الأنباري وهو (أسرار العربيــة) وسيصدر قريباً باذن الله في (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) .

(٢) يسميه بروكلمان في متن تاريخه (١/ ٢٨١) : كتاب اللمعة . . . وفي ذيله (١/ ٤٩٥) كتاب اللُمَع . . . ويقول إن له مخطوطاً في خزانة سليم آغا رقمه ١٠٧٤ (وهو الذي نقلت صورته إلينا) وقد تحدثت عنه مجلة ZDMG ٥٩/٦٨ ومخطوطاً آخر في خزانة أحمد تيمور وقد تحدثت عنه مجلة RAAD ٣٤١/٣ .

أولاً حوالي القرن السابع ثم جاء ناسخ آخر في القرن العاشر فأجرى قلمه من جديد على الكثير من سطور المخطوط لتتضح حروفها وتسهل قراءتها . وعلى الصفحة الأولى من هذا الكتاب نجد ما يلي (من كتب الفقير الى رحمة الله تعالى اسمعيل بن خويدار البزاز الاسعردي[1] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين) . ويبدو أن اسمعيل هذا قد استنسخ الكتاب لنفسه ، فقد ذكر في خاتمته قوله : (ووقع الفراغ من نسختها . . . . غفر الله لكاتبها اسمعيل بن خويدار البزاز الأسودي) . ولعل (الأسودي) هنا خطأ في النسخ صوابه (الاسعردي) كما جاء في صفحة الكتاب الأولى .

أما تاريخ كتابة هذا المخطوط فمشكل تعيينه ، فنحن نجد في آخر المخطوط (ووقع الفراغ من نسختها ثالث شوال سنة تسع ء وستماية ٩١٩) وقد كتب شطر الجملة الأول بخط يختلف عن خط الشطر الثاني ، كما نجد عسراً في معرفة المقصود من الكلمتين اللتين تليان (تسع) وهما (ء وستماية) فالكلمة الثانية يمكن أن تقرأ (تسعماية) وقد أضيف الرقم (٩١٩) إلى الجملة ترجيحاً من الناسخ الذي ختم بهذا الرقم الكتاب بعد قوله (ولوالديه ولجميع المسلمين) .

الخط واضح في الجملة والكتابة أقرب إلى الصحة . ومن عادة الناسخ تسهيل الهمزات غالباً وإثبات كراسيها ، فهو يكتب (لبيست) بدل (لبئست) . . . وهو يضع أحياناً نقطتين تحت الألف المقصورة ويهملها تحت الياء . ومن عادته الوصل بين صدر البيت وعجزه في الأغلب . أما الشكل فلا يُركن اليه دائماً لوقوع كثير من الغلط فيه .

---

(١) إسْعِرْد : جعلها صاحب القاموس بالكسر وباثبات الألف في أولها ، على ان المتأخرين كشمس الدين سامي صاحب قاموس الأعلام حذفوا الألف . واسعرد لا تزال عامرة إلى اليوم وهي قائمة بالقرب من الحدود السورية الشمالية في الأناضول جنوبي بتليس بقرب دجلة . ومن سكانها عرب كثيرون .

كتب الناسخ اسمعيل على صفحة الكتاب الأولى البيتين التاليين :

إن عيشاً يكون آخره المو ت لعيش معجلُ التنغيص

رحم الله من قرا خط كفي ودعا لي بالعفو والتمحيص

ثم يلي ذلك خاتمُ خزانة الكتب التي أودعت اللمعة وعليه : « حسبي الله . قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم آغا وشرط بأن لا يخرج ولا يرهن فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه » . وفي تضاعيف ذلك تاريخ الخاتم وهو غير واضح . وفي آخر الورقة الرابعة في الصفحة الثامنة أبيات بالتركية في ذم الدنيا والشكوى من غدر الصديق ، كتبت في عصر متأخر .

★ ★ ★

كانت المطولات قد كثرت في القرن الثالث والرابع بعد ازدهار العلم واستبحار الحضارة وانتشار الثقافة . فلما جاء عصر الأنباري عكف العلماء على اختصار هذه المطولات في رسائل موجزة تقتصر على إيراد زبدة ما في تلك المطولات ليسهل حفظها على الناشئين وتخف مؤونتها على الشادين . وكما ألف الأنباري كثيراً من المطولات فقد ألف عدداً وافراً من هذه الرسائل الموجزة ومنها (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) . وقد جهد في تضمينه كثيراً من الوجوه البلاغية المستعملة في الشعر بأوجز عبارة ، حتى ليبلغ الأمر بالمؤلف أن يجتزئ غالباً باسم الوجه وذكر شاهده عن تعريفه وتحديده . وقد يلقى المطالع في اللمعة عسراً في تبين الوجه من المثال وحده . والمؤلف يغفل اسم قائل البيت إلا الخنساء فقد ذكر اسمها مرتين . وقلّما يثبت للوجه الواحد أكثر من مثال واحد . وقد يكتفي من بيت الشاهد بذكر صدره أو بذكر البيت السابق اعتماداً على ذيوع تلك الأبيات ومعرفة الناس لها . على أن أكثر شواهد

اللمعة مشهور مذكور في كتب البلاغة المطولة . وهذه الأشعار مستقاة من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي . ورواية الأنباري لبعضها قد تختلف أحياناً عما جاء في دواوين أصحابها .

وفي نسخة اللمعة هذه (٤٦) وجهاً من الوجوه البلاغية أطلق عليها الأنباري أسماء تختلف أحياناً عن أسمائها المشهوره بها ، فما يسميه المجانسة مثلاً يسميه البلاغيون المشاكلة ، والإعنات عنده هو لزوم ما لا يلزم عندهم . وهذا أمر يجدر الوقوف عنده للاطلاع على أطوار نشوء علم البلاغة .

وقد ساق الأنبارى هذه الوجوه تباعاً ولم نستطع تبيّن النسق الذي اتبعه في إيرادها وترتيبها [1] ، ولعله لم يتقيد في ذلك بمعيار .

بقيت كلمة واحدة وهي أن المؤلف ينتقل في صدر كتابه من الحمدلة والصلاة على النبي إلى ذكر هذه الوجوه دون توطئة ولا تمهيد ، فهو يقول :

(.... انه جواد وهاب فمنها الاستعارة) ويخيّل إليّ أن في الكلام نقصاً ، اللهم إلا إذا بلغ حرص الأنباري على الايجاز مبلغ حرص ذلك الشاعر الذي أنشد الأمير قصيدة في مدحه أطال فيها الغزل فعاتبه الممدوح ، فجاءه الشاعر في الغد بقصيدة مطلعها :

هل تعرف الدار لأم عمرِو دع ذا وحبر مدحة في نصرِ

(دمشق) عبد الهادي هاشم

---

(١) وضعنا لهذه الوجوه أرقاماً متسلسلة لتسهل مراجعتها .

(٩٦) آ

كتاب اللُّمْعة في صنعة الشعر

صنّفه الشيخ الإمام العالم كمال الدين أبو البركات[1] عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي قدّس الله روحه ونور ضريحه

(٩٦) د

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب ، والصلوٰة على محمد خيرته سيد الأحباب ، وعلى آله وأصحابه أولي البصائر والألباب ؛ وبعد فهذه لُمعة في صنعة الشعر مُعرّاة عن الإطناب ، مجردة عن الإسهاب ، فالله تعالى ينفع بها إنه جواد وهاب .

فمنها

١ ـ الاستعارة : وهي أن تعلّق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة ، كقول الشاعر :

أصبتُ المُدام بريق الغمام ... وقد زُرّ جيب قميص الظلام

فشابت نواصي الدجى وانفرى ... عن الصبح سربال ليل التمام

فاستعار للظلام قميصاً ، وللقميص جيباً ؛ واستعار للدجى نواصي ، وللنواصي شيباً ؛ الى غير ذلك من فنون الاستعارة ، وهي أكثر فنون الشعر استعمالاً .

ومنها

٢ ـ المطابقة : وهي على ضربين : ذكر المعنى وضدّه ، ورد آخر الكلام على أوله .

(١) وردت هذه الجملة في المخطوط : صنعة الشيخ الإمام العالم كالمال (كذا) أبي البركات . وكلمة (كالمال) كان موضعها بياضاً ثم أضيفت بحبر مختلف .

فذكر المعنى وضدّه كقول الشاعر :

تُحيي الروامسُ ربعَها فتُجدّه بعد البِلا وتميته الأمطار[1]

فطابق بين الإحياء والإماتة وهما ضدان .

وَرَدُّ آخر الكلام على أوله كقول الشاعر :

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم لبئست الخلتان : الجهلُ والجُبُنُ

ومنها

٣ ـ المجانسة ، وهي على ضربين : مناسبة ومزاوجة .

فالمناسبة كقول الشاعر :

فما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

والمزاوجة كقول الشاعر :

ألا لا يجهلَنْ أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

فاستعار للثاني لفظ الأول وهو الجهل لمزاوجة الكلام ، كقوله تعالى : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[2] ؛ فاستعار للثاني لفظ الأول وهو الاعتداء لمزاوجة الكلام ، وهذا يقع كثيراً في الجزاء فاعلم .

ومنها

٤ ـ المشاكلة ، وهي[3] أن تذكر كلمتين سِلْكُها واحد ومعناهما مختلف ، كقول الشاعر :

---

(١) من معاني الروامس : الرياح التي تغطي آثار الديار بما تثير ، وأجدّ الشيءَ صيره جديداً ، والبِلا بفتح أوله وحذف همزة الآخر هو كالبِلى بكسر أوله من بَلِيَ الثوب : رثّ .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) في المخطوط : وهو .

كادت تساقطني والرحل أن نطقت حمامة فدعت ساقاً على ساق (٩٧)

(فالساق) الأول ذكر القماري (والساق) الثاني ساق شجرة والحمامة ها هنا قمرية ٠

ومنهـا

٥ ــ الموازنة : وهي أن تكون أوزان الكلم متساوية [١] وأجزاؤها متوالية كقول الشاعر :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال [٢]

ومنهـا

٦ ــ الترصيع : وهو أن تكون مقاطع الأجزاء مسجعة متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، كقول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـــــديّ الطريقـة نفاع وضرار [٣]

جواب قاصية جزاز ناصيـة عقـاد ألوية للجيش جرار [٤]

---

(١) في المخطوط : اوزازن الكلم مشاداً ؛ ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) ورد البيت في المخطوط بالرسم التالي :

سليم الشظا عبل الشوى اشج النسا له حجبـات مشرقات على القالي

وما أثبتناه رواية اللسان في مادة : شظى .

(٣) لم يرد هذا البيت في مخطوطات ديوان الخنساء التي اعتمدها لويس شيخو في طبع « أنيس الجلساء في ديوان الخنساء » بيروت ١٨٩٦ . ولكنه ورد في العقد الفريد (٢٢/٢) وفي المثل السائر لابن الأثير في (الترصيع) وهو النوع الثالث من المقالة الأولى في الصناعة اللفظية .

(٤) ما أثبته الأنباري هنا هو رواية أبي هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) ورواية صاحب الحماسة البصرية . أما رواية ديوان الخنساء الذي طبعه شيخو لهذا البيت فهي :

حمال ألوية هبـاط أودية شهـاد أندية للجيش جرار

ومنهـا

٧ ـ التسميط : وهو أن تكون الأجزاء متوالية مسجوعة أو كالمسجوعة ، كقول الشاعر :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معـاً

ومنهـا

٨ ـ التصحيف : وهو كقول الشاعر :

فلم يكن المغترّ بالله إذ سرى ليُعجز والمعتزّ بالله طالبـه

ومنهـا

٩ ـ الغلوّ : كقول الشاعر :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرم

يكاد يمسكه عرفانَ راحتـه ركنُ الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومنهـا

١٠ ـ . . . . . [1] وهي أن يؤكّد معنى لو اقتُصر عليه لكان كافياً ، كقول الشاعر :

وأقبح من قرد وأبخل بالقِرى من الكلب أمسى وهو غرثان أعجف

ومنهـا

١١ ـ . . . . [2] وهو تأكيد التشبيه بالقافية ، كقول الشاعر :

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشف البالي [3]

(١) بياض في الأصل .

(٢) شبه بياض في الأصل لم نتبين ما فيه .

(٣) في المخطوط : البال .

ومنهـــا

١٢ ـ المقابلة : وهو أن يذكر فيما يوافق ما يوافق وفيما يخالف ما يخالف ، كقول الشاعر :

فتى تم فيه ما يسر صديقــه ۞ على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومنهـــا

١٣ ـ التكافؤ : وهو قريب من المطابقة كقول الشاعر :

اذا أيقظتك حروب العــدى ۞ فنبّهْ لهـــا عُمَراً ثم نَمْ

ومنهـــا

١٤ ـ القَسْم : كقول الشاعر :

بقّيتُ وَفري وانحرفتُ عن العلى ۞ ولقيتُ أضيافي بوجه عبوس

إن لم أشنّ على ابن حرب غارة ۞ لم تخل يوماً من نهاب نفوس

ومنهـــا

١٥ ـ صحة التقسيم : وهو أن يذكر جميع أقسام ذلك المعنى لا يغادر منها شيئاً ، كقول الشاعر :

فقال فريق القوم لا وفريقهم ۞ بلى وفريق قال ويحك ما ندري

ومنهـــا

١٦ ـ الاستثناء : وهو كقول الشاعر :

ولا عيبَ فينا غير عرق لمعشر ۞ كرام وأنا لا نخط على النمل (١)

---

(١) كـــذا في المخطوط ، والثَّمْلة : بقية الماء في الحوض . وقد تكون : ... وأنا لا نخط على الرمل .

ومنهـا

١٧ ـ الاستدراك : كقول الشاعر :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليكِ وكلاّ ليس منكِ قليل

ومنهـا

١٨ ـ الاشارة : وهي أن تدل الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة ، كقول الشاعر :

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقل في مقيلٍ نحسهُ متغيب

ومنهـا

١٩ ـ التذييل : وهو ضد الإشارة ، كقول الشاعر :

فدعوا نزالِ فكنتُ أول نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنزلِ

ومنهـا

٢٠ ـ التفريع : كقول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت به جنبتا الجوديّ والليل دامس

فلما أقرته اللصاب تنفست شمال لأعلى مائه فهو قارس [١]

بأطيبَ مِن فيها وما ذقتُ طعمه ولكنني فيما ترى العين فارس

ومنهـا

٢١ ـ التكرير : كقول الشاعر :

وكادت فزارة تشقى بنا فأولى فزارة أولى فزارا

---

(١) في المخطوط : شمال لا علا مايه فهو فاوس . ولعل الصواب ما أثبتناه . واللصاب جمع اللصب وهو الشعب الصغير في الوادي أضيق من اللهب وأوسع من الشعب أو مضيق الوادي .

ومنهـا

٢٢ ـ التكميل : وهو أن تذكر المعنى بجميع ما تتم به صحتـه ، كقول الشاعر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى بالحسن عند موفق لقضى لها

فقوله (عند موفق) تكميل المعنى .

ومنهـا

٢٣ ـ التوشيح : كقول الشاعر :

وليس الذي حللتـه بمحلَّل وليس الذي حرّمتـه بحرام

ومنهـا

٢٤ ـ المساواة : وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان ، كقول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمَ

ومنهـا

٢٥ ـ التبيين : وهو كقول الشاعر :

لقد خنتَ قوماً لو لجأتَ إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت فيهم معطياً ومُطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوّم

(١٨

بيّن (حاملاً ثقل مغرم) بقوله (معطياً) ، وبيّن قوله (طريد دم) بقوله (مُطاعناً) .

ومنهـا

٢٦ ـ التتميم : وهو أن يبتدئ بمعنى غير مشروح فيتوهم أن السامع لم يفهمه فيرجع إليه فيكشفه ، كقول الشاعر :

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٤ -

أخلاقه :

عرف ابن جني بطيب الأخلاق والعفة والاخلاص في الود وقد رأينا ذلك جلياً في مرثية الشريف الرضي فيه وحسبك بالشريف شهيداً .

وكان أبو الفتح متصفاً بما يجب أن يتصف به جلة العلماء من دأب على التحصيل ورحلة في سبيل العلم وملازمة للشيوخ ، وقد رأينا طرفاً من ذلك في سيرته ...

وكان يحب الجد في الأمر كله ويحب أن يبتعد عن سفساف الأمور والمزاح ولكنه كان اذا سمع بالنكتة الطريفة ابتسم لها وهش وطرب ، فقد ذكر ياقوت «أن ابا الحسين القمي حفيد أبي اسحق القمي صاحب ديوان صمصام الدولة اتى ابن جني مرة في الديوان فجعل يتحدث تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحق وكانت لابن جني عادة في حديثه بأن يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً ببصره يتعجب منه فقال له ابن جني : مالك ياأبا الحسين تحدق النظر إلي وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف ! قال ما هو ؟ قال شبهت مولاي الشيخ ـ وهو يتحدث ويقول ـ ببوزه كذا وبيده كذا ـ

بقرد رأيته اليوم عند صعودي الى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ ، فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب ؛ قال المعذرة أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهت القرد بك ! فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع فكان يتحدث بها هو دائماً [1] » .

ولأبي الحسين هذا نكت أخرى مع أبي الفتح ذكرها ياقوت في ترجمته .

وكان أبو الفتح كغيره من ذوي الفضل كثير الحساد ولكنه كان يهزأ بهم وقد ضمن قصيدته اليائية [2] طرفاً من أخباره معهم .

وفي هذه القصيدة قد افتخر أبو الفتح بروميته وهزئ بمن عابه بها فقال :

فان أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي
على أني آؤول الى ... قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا ... ارم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي [3]
وإما فاتني نشب ... كفاني ذاك من نشب

كما ضمنها طرفاً كثيراً من مناقبه ومزاياه رحمه الله .

---

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر القصيدة في ياقوت ج ٥ ص ١٩ .

(٣) يشير بذلك الى الخبر المروي عن الرسول (ﷺ) انه لما بلغه من عمل قيصر الروم بكتابه الذي كتبه اليه يدعوه الى الاسلام قال (ثبت الله ملكه) كما في فتح الباري لشرح صحيح البخاري للعسقلاني ٤٢/١ طبعة بولاق .

أدبه وعلمه :

عرف أبو الفتح بالعربية وبخاصة علم التصريف ، ولم يعرف بين الناس بأدبه وشعره ، وفي الحقيقة إنه كان كاتباً من خير كتاب زمانه وليس أدل على ذلك من توليه ديوان الإنشاء لسيف الدولة الحمداني ولعضد الدولة الديلمي ويكفيه فخراً قول أبي الطيب المتنبي فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وكان اذا سئل عن معاني شعره قال : « عليكم بأبي الفتح فانه أعلم مني بشعري » .

ولقد أطنب فيه أبو الحسن الباخرزي في كتابه (دمية القصر) وذكره في باب الأئمة من الأدباء وقال فيه « .. ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع عليها من ثمرة الغراب [1] ، ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته ـ فوربي ـ إنه كشف الغطاء عن شعره ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثيته في المتنبي وأولها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الكتب »[2]

وقد نقل هذا الكلام كله ياقوت في ترجمة أبي الفتح وزاد عليه قوله انه من « أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف » [3] . وقد حفظت لنا كتب الأدب طرفاً من شعر أبي الفتح وهو شعر حسن جيد يدل على ذوق أدبي رفيع فمن ذلك قصيدته البائية التي تربو على سبعين بيتاً والتي أولها :

وحلو شمائل الأدب منيف مراتب الحسب

---

(١) من امثال العرب (وجد ثمرة الغراب) أي وجد أفضل شيء لأن الغراب لا يقع إلا على أفضل ثمرات النخلة .

(٢) الدمية طبع حلب ص ٢٩٧ .

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ .

وهي قصيدة جد حسنة رواها كلها ياقوت في المعجم . ومن ذلك أيضاً مرثيته في أبي الطيب المتنبي وقد رواها الباخرزي في الدمية وياقوت في المعجم وهي من عيون المراثي [1] . ومن ذلك أبيات منثورة في كتب الأدب كيتيمة الدهر للثعالبي ، وخاص الخاص له أيضاً وغيرهما من الكتب الأدبية ، واليك طرفاً من شعره ، قال في غلام :

غزالٌ غيرُ وحشيّ حكى الوحشيَّ مقلتَه
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلّته
وشمّ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريحه الصهبا ء فاختلسته نكهته [2]

وقال معاتباً صديقاً له عابه بأنه أعور :

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة
فقد ـ وحياتك ـ مما بكيتُ خشيتُ على عيني الواحدة
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائدة [3]

وقال يرثي أبا الطيب المتنبي من قصيدة طويلة رائعة :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوّحت بعد ريّ دوحة الأدب
مازلت تصحبُ في الجُلّى إذا انشعبت قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حلبتَ لعمري الدهر أشطره تخطو بهمة لا وانٍ ولا نصب

وقال أيضاً وهو من الشعر العاطفي الجيّد :

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٨ . ويتيمة الدهر ج ١ ص ٨٩ .
(٢) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ .
(٣) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ وابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ . وقيل ان هذه الأبيات الثلاثة ليست له وانما هي لأبي منصور الديلمي وهو غير صحيح .

رأيت محاسن ضحك الربيع أطال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب في لمتي فلم لا أبكي ربيع الشباب ؟
أأشرب في الكأس كلا وحاشا لأبصره في صفاء الشراب [1]

وله أبيات جيدة كثيرة أخرى متفرقة [2] .

هذا وقد ذهب الزميل الصديق الأستاذ القصاص في رسالته النفيسة التي كتبها عن ابن جني مذهباً مخالفاً لما ذكرناه فحمل على شعر أبي الفتح وقال [انه شعر ليست له قيمة تذكر [3]] واعتمد على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه حيث يقول [وله شعر بارد] ولا ندري على ماذا اعتمد ابن الأثير في حكمه الظالم هذا ، وليس غريباً أن يصدر ابن الأثير هذا الحكم القاسي على ابن جني فانه معروف باستهانته بأقوال الناس وباستخفافه بآثارهم ، وكتابه مملوء بأمثال هذا محشو بالدعاوى الكثيرة والغرور . وليت ابن الأثير برهن دعواه فأبان لنا عن مواطن البرودة في شعر أبي الفتح كما فعل الثعالبي حين أشاد بأدبه وبشعره فساق على ذلك الشواهد والأمثال [4] . ثم ان زميلنا القصاص يفرط حين يحمل تلك الحملة القوية على ذوق أبي الفتح في البلاغة والنقد ويعتمد في ذلك على قول الواحدي « إنه اذا تكلم في المعاني تبلّد حماره ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن إذ قد حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة بها » . وكان ينبغي على الزميل ألاّ يقبل قول الواحدي المعروف بالحمل على ابن جني وانتقاصه وهذا شرح ابن جني موجود شاهداً على مكانة أبي الفتح ومقدار فهمه

---

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠ .
(٢) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ .
(٣) ابن جني وفلسفته اللغوية ص ١٦ .
(٤) انظر اليتيمة ج ١ ص ٧٧ فما بعدها .

لشعر المتنبي وهو في رأينا أفضل شرح للمتنبي وأجدر من يستطيع أن يفهمه كما قال أبو الطيب عنه ٠

ولم يكن ابن جني محسناً قول الشعر فحسب بل كان مجيداً في النثر أيضاً وليس أدلّ على ذلك من هذه اللغة الحلوة وهذا الأسلوب المبين الذي نراه في كتبه العلمية كسرّ الصناعة والخصائص ؛ فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً كتب النحو والصرف والبلاغة بلغة كلها سلاسة وعذوبة وكلها جمال ولذة بأسلوب فني رائع إلا الإمام أبا الفتح بن جني وإلا الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمهما الله ٠

ولابن جني عدا النثر العلمي المبين الذي نجده في كتبه رسائلُ فنية وخطب كثيرة حفظ لنا الدهر بعضها ، من ذلك خطبة نكاح ذكرها ياقوت [1] ، وان الذي يقرأ هذه الخطبة ويرى قوة ابن جني في الرصف وحسن السبك ليؤمن بأن هذا الإمام قد ملك عنان الشعر والنثر معاً ، ولو أتيح لنا أن نظفر برسائله الديوانية مجموعة لرأينا أدباً جماً وفصاحة بارعة وعلماً غزيراً ٠ وبعد فقد رأينا أن ابن جني على الرغم من سيطرة الروح العلمية عليه كان شاعراً وناثراً وليس هذا بغريب فإن القرن الرابع قد خلق رجالاً قالوا الشعر وبرعوا فيه ثم كان لهم من وراء ذلك نثر رائع وثقافة واسعة في اللغة والفلسفة والفقه وغيرهما من علوم ذلك العصر ٠

ولعل الزميل القصاص يتراجع عن رأيه في شعر ابن جني وأدبه حين يقول [وقد يحسن بنا في هـذه المناسبة أن نشرح بعض الشيء علل هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة عجيبة وهي اجتماع الشعر وعلم اللغة لشخص واحد ٠٠٠٠ أما اجتماعهما لكثير من أبناء هذا الزمن والزمن الذي تقدمه فيقوم ويفهم على صور تلك الحقيقة التي وجه اليها الأنظار أستاذنا الجليل طه حسين بك : فالشعر

---

(١) انظرها في ياقوت ، ارشاد الأريب ج ٥ ص ٢١ ٠

الحسّي والانفعالي الذي كان في العصور السابقة حلّ محلّه اليوم شعر آخر يخدم التفكير ويقوم على ثمار التأمل العقلي .... فلا يأخذنا العجب إذن أن نرى لابن جني شعراً أو نجد شاعراً فحلاً كصديقه المتنبي عالماً لغوياً] [1] .

أفلا ترى معي أن السيد القصاص قد تراجع هنا عن رأيه حين قال : إنه لا قيمة تذكر لشعر أبي الفتح .

أما علمه فقد كان مضرب الأمثال حتى عدّ إماماً في علوم القراءات والصرف والنحو والعروض والقوافي والشعر واللغة والأدب والبلاغة . وله في هذا كله آثار وتصانيف أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يكن في شيء من علومه أتم وأكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه [2] .

هكذا يقول ياقوت ، وياقوت حجة فيما يقول . فقد قرأ كتب أبي الفتح وسبر غورها وعرف ما فيها من علم ، وأدب ، وبحث وتمحيص .

ظل أبو الفتح دائباً على تحصيل العلم وبخاصة العربية ، وكان اذا أشكل عليه أمر - على جلالة قدره - كتب الى العلماء في البلاد الاسلامية واستفتاهم أو رحل اليهم . فقد ذكر في كتابه (سر الصناعة) أنه كتب الى شيخه أبي علي الفارسي في حلب يستفتيه عن مسألة وهاك نصّ عبارته « وكتب اليّ أبو علي من حلب في جواب شيء سألته فقال : وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من (هناه) إنما لحقت في الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة في نحو وازيداه ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحرّكت فقالوا يا هناهُ ، ولم يسم أبو علي هذا العالم فلما انحدرت اليه في مدينة السلام وقرأت عليه نوادر أبي زيد نظرت

(١) ابن جني وفلسفته ص ١٧ .

(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٦ .

واذا أبوزيد هوصاحب هذا القول وهذا من أبي زيد غيرمرضي عند الجماعة....[١]»
فهل بعد هذا تحقيق أو حرص على طلب المعرفة الصحيحة ؟ .

ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد ، فانه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والأعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق ، وما أجدرنا أن نسمي كتب ابن جني في الصرف والنحو بكتب (فلسفة العربية) وما أجدرها أن توصف بما وصفت به كتب الجاحظ من أنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، فإنها تعلم العقل والأدب ، وأسرار العربية وأقيستها . وكتب أبي الفتح هي الكنز الدفين وهي أنفع المصادر العربية القديمة لفهم حقيقة النحو العربي ، وتفهم أسراره ، والتعرف الى ذلك الميزان العقلي الراجح الذي كان يزن به النحاة آراءهم ؛ وكتب ابن جني في رأي الأستاذ بروكلمان « مملوءة بدرس صحيح مفيد في تعرف أسرار اللغة العربية وفلسفتها ، وإن تحليل هذه الكتب وتفهمها لمن خير ما ينبغي أن ينصرف اليه العلماء في العصر الحاضر لفهم تاريخ النحو ، كما أن دراسة هذه الآثارة التي خلفها دراسة عميقة لما نحن في أشد الحاجة اليه[٢] » .

ويقول الأستاذ ميتس « ... وكما ان كتب اللغة التي ألفت بعد الجوهري كلها عيال عليه ، فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفه أسرار العربية فإنها مما ابتكر الإمام ابن جني الذي فهم أسرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق ، وإنه لمن المؤسف أن لا يجيء بعد ابن جني عالم يتمم ما بدأ به مع أن كل الذين جاءوا من بعده قد استفادوا من كتبه ![٣] » .

(١) سر الصناعة ص ٤٤٥ من مخطوطتنا .
(٢) تاريخ الآداب العربية ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٣) ميتس Mez ص ٢٢٧ .

والحق أن ابن جني كان آية الآيات في علمه بأسرار العربية من نحو وصرف ولغة وإنك إذا قرأت (سر الصناعة) أو (الخصائص) ، أو (التصريف الملوكي) رأيت نمطاً من البحث والتفكير وأسلوباً في معالجة القضايا لا تجده في مؤلف غيره . فانه مزج العلم الصحيح والرواية الواسعة بالعقل السليم والتفكير المستقيم فأنتج هذه الآثار والبحوث المفيدة .

لم يكن ابن جني ـ في أبحاثه ودروسه ـ يكتفي بأن يورد ما سمعه من أفواه الشيوخ أو ما رواه عن الفصحاء من الأعراب وإنما كان كثير العناية بالبحث والتدقيق الشخصي فيما يعرض له من آراء العلماء الذين سبقوه . وانك لترى أثر هذا واضحاً في كتبه ، وإليك طرفاً من ذلك وهو رأيه فيما قال النحاة في قولهم «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» :

« إن هذا ليس شاذاً ولا غلطاً من العرب كما يزعم النحاة وإنما هو من قبيل حذف المضاف وإن في القرآن نيفاً على ألف موضعٍ منه وان تقدير هذا الكلام «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ جُحْرُه» وإن (خرباً) وصف (للجحر) كما تقول مررت برجل قائم أبوه [1] » .

فأنت ترى من هذا شدة اعتماده على بحثه وتفكيره الشخصي ، قال في الخصائص « .. واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ، ـ يعني تفهم أسرار اللغة ـ فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك انني اذا تأملتُ حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدتُ فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقة ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوَة السِّحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابُنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوتُه على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده ، صحةَ ما وفّقوا لتقديمه منه ولطف ما أُسعِدوا به .. [2] »

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩٨ من الطبعة الأولى .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٤٥ الطبعة الأولى .

وابن جني إذا ما أخذ يناقش بعض المسائل العلمية ناقشها بأسلوب ساحر، ومنطق رائع حتى انك لتظن ان الذي كتب هذا الفصل هو إمام من أئمة البيان المعاصرين ، و كتاباه (الخصائص) و (الصناعة) مملوءان بالأمثلة على ما أقول ولا بأس من أن أورد مثالاً واحداً . قال في الخصائص في (باب ذكر علل العربية) :

« ... فإن قلت فقد تجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ولا محصّلة ، لا تعرف لها سبباً ، ولا تجد الى الإحاطة بعللها مذهباً ، فمن ذلك إهمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدعو إلى إهماله ، وهذا أوسع من أن يحوج الى ذكر طرف منه ، ومنه الاقتصار في بعض الأصول على بعض المُثُل ، ولا نعلم قياساً يدعو الى تركه ، نحو امتناعهم أن يأتوا في الرباعي بمثال فعلُلٍ أو فعلِلٍ أو فَعَلّ أو فُعُلّ ونحو ذلك . وكذلك اقتصارهم في الخماسي على الأمثلة الأربعة دون غيرها مما تجوّزه القسمة ، ومنه أن عدلوا فُعَلاً عن فاعل في ألفاظ محفوظة وهي ثُعَل ، وزُحَل ، وغُدَر ، وعُمَر ، وزُفَر ، وجُشَم ، وقُثَم ، مما يقلّ تعداده ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد وغير ذلك .... ولسنا نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أريناكها دون غيرها ، فإن كنت تعرفه فهاته ، فان قلت ان العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه الى الفرع وما كانت هذه حاله أقنع منه البعضُ ، ولم يجب أن يشيع في الكل ؟ قيل فهنا سلّمنا بذلك لك تسليم نظر فمن لك بالإجابة عن قولنا ـ فهلاّ جاء هذا العدل في حاتم ومالك وخالد وصالح ونحوها دون ثاعل وزاحل وغادر وعامر وزافر وجاشم وقاثم ؟ ألك ههنا نَفَقٌ فتسلُكَه أو مرتفقٌ فتتورّكه وهل لك غير أن تخلد الى حيرة الإجبال وتُخمد نار الفكر ، حالاً على حال ، ولهذا ألف نظيرٍ بل ألوف كثيرة ندع الإطالة بأيسر اليسير منها [1] » .

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ الطبعة الأولى .

. هذا فصل من كلام طويل أورده ابن جني على لسان خصمه القائل بتفضيل أدلة الفقهاء على أدلة النحويين . ثم يقفي على ذلك بكلام فيهدم ما بناه خصمه في منطق سليم وقول ساحر وعلم غزير ولولا خوف الإطالة لنقلت طرفاً آخر من كلامه .

وقد كان ابن جني شديد الحرص على أن يجعل للنحو أصولاً كأصول الفقه وأصول التوحيد وقد بذل في ذلك جهداً عظيماً وخصوصاً في كتابه (الخصائص) وقد وفق الى تشييد جزء غير يسير من أركان هذا العلم ، ولكن أحداً من العلماء لم يتمم عمله ، غير أن السيوطي جلال الدين قد فعل شيئاً يسيراً من ذلك في كتابه (الأشباه والنظائر) ، ولكنه قطرة الى جانب بحر أبي الفتح الذي يقول في مقدمة كتابه هذا :

« ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت مُلاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والروية اليه وادًّا أن أجد مُهملاً أصِلُه به ، أو خللاً أرتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ، ولا ينهج لي الى الابتداء طريقاً ، هذا مع إعظامي له ، واعتصامي بالأسباب المُنتاطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنِّف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحيْطة والصَّوْن ، وآخذه له من حصة التوقير والأوْن [1] ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة [2] » .

فهذا يدل على أن أبا الفتح قد أنصرف الى التأليف في هذا الصنف من البحث الذي ملك عليه مشاعره لاعتقاده أنه من خير ما ينبغي أن يبحث عنه

(١) الاون : الدعة والسكينة .

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٢ .

في لغة العرب لتفهم أسرارها ، ومعرفة بعد نظر أهل اللغة العربية ومطابقة كلامهم لأقيسة ونواميس مقرّرة . وقد صرح بهذا المعنى في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك ما ذكره في (الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن احكام العلة) : « اعلم أن هذا الموضع هو الذي يتعسَّف بأكثر من ترى ، وذلك أنه لا يَعرف أغراض القوم [يعني أهل القياس والتعليل] فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واهٍ ساقط غير متعال [1] » .

وما كتاب (الخصائص) و (سر الصناعة) و (المذكر والمؤنث) إلاّ مصنفات وضعها لتبين كيف أن هذه اللغة الشريفة منضبطة القواعد وقد عانى ذلك بنفسه في مؤلفاته فضبط قوانين هذه اللغة وجمع شواردها وهو يرى - في شيء من الغلوّ - أن أحداً من النحاة قبله لم يفعل ذلك ؛ قال في الخصائص : « .. وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين - البصرة والكوفة - تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » [2] وإن كتاب الأصول لأبي بكر محمد بن السرى السراج (- ٣١٦) لم يلمم فيه إلا حرفاً أو حرفين وقد تعلق عليه به [3] . وأن أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش (- ٣١٥) وإن كان قد صنف في شيء من المقاييس إلا أنه موجز ليس فيه غناء وان ما كتبه أبو الحسن كتيب صغير اذا قيس بكتاب ابن جني [4] .

والحق أن أبا الفتح قد سد ثلمة كبيرة ورتق فتقاً عظيماً بهذا العمل الجليل وهذه المحاولات الطيّبة التي حاولها في كتبه لضبط قواعد العربية وتعليلها تعليلاً

---

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩١ من الطبعة الأولى .

(٢) مقدمة الخصائص ج ١ ص ٣ الطبعة الأولى .

(٣) ذكر من ترجم ابن السراج مثل ياقوت في معجم الأدباء ١٨ / ٢ من الطبعة الحديثة انه الف كتابين في أصول النحو أحدهما كبير والآخر صغير ، ولكنهما لم يصلا الى أيدينا .

(٤) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٣٣٨ .

أدعى فيه أن علل النحاة والصرفيين أقرب الى علل المناطقة والمتكلمين ، وان علل الفقهاء لا تُقاس اليها ، لأن علل النحاة مرجعها الحس ولأنهم يحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك انها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجوهُ الحكمة فيها خفيّة عنا ....
ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج ، وفرائض الطهور ، والصلاة ، والطلاق ، وغير ذلك إنما يُرجع في وجوبه الى ورود الأمر بعمله ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد ، ولا يُعلم أيضاً حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات ، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات الى غير ذلك مما يطول ذكره ... وليس كذلك علل النحاة وسأذكر طرفاً من ذلك لتصح الحال به .

قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل فهلاّ عُكست الحال فكانت فرقاً أيضاً ؟ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ؛ فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر المنعم وذم المسيء في انطواء الأنفس عليه [(١)] .

وأبو الفتح كان يرى أن العرب ما كانت تلقي الكلام إلقاء دون أنْ تفهمه وأنها كانت تريد من العلل والأغراض ما نسبه اليها النحاة وحملوه عليها . ولذلك أطّردت في كلامهم القواعد ولم تشذّ من الرفع في موضع الفاعلية ، والنصب في موضع المفعولية ، والجر بحروف الجر ، والجزم بحروف الجزم ، والنصب بحروف النصب ... وغير ذلك من أحكام التثنية والجمع والإضافة والتصغير

(١) الخصائص ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ فما بعدهما الطبعة الأولى .

(التحقير) والنسب وغير ذلك مما يطول تعداده وشرحه (فهل يحسن - بعد هذا كله - بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع ، وتوارد اتجه [١] ؟ .

وهو يعقد لهذا الأمر فصلاً عنوانه « إن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه اليها وحملناه عليها » ويقول في هذا الفصل :

« اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مُسكة وعصمة ، لأن فيه تصحيح ما ندّعيه على العرب ؛ من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا وهو أحزم لها وأجمل بها ، وأدلّ على الحكمة المنسوبة اليها من أن تكون تكلّفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتقرّيها منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه ، وتتحمل لذلك مشقة وكلفة ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه ، وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لهم عند كل قوم منهم ، حتى لا يختلف ولا ينتقض على كثرتهم وسعة بلادهم وطول عهد زمان هذه اللغة لهم .. حتى لم يختلف فيه اثنان ... إلا وهم له مريدون وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون [٢] » .

أما بعد فنحن إزاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الأمثال [٣] ولا غرو فقد تلقى أبو الفتح اللغة العربية من شيوخ فحول وسبر غورها بنفسه فأحبها وأعجب بها فقد كان لا يمرّ بدقيقة من دقائقها إلاّ أظهر إعجابه بها كقوله في الفصل الجميل الذي كتبه في البحث عن مادتي [ق و ل] و [ك ل م] : « ... فهذه أحكام هذين الأصلين على تصرفهما وتقلب حروفهما . فهذا أمر قدّمناه أمام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليُرى منه غورُ هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومُبدئها [٤] » ،

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .
(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .
(٣) انظر كلام ملك النحاة بهذا الخصوص في البغية ص ٣٢٠ .
(٤) الخصائص ج ١ ص ١٥ الطبعة الأولى .

وله في هذا المعنى أقوال كثيرة تدل على شدة إعجابه بأسرار اللغة العربية، ولعل اطلاعه الواسع على هذه الأسرار وتفهمه لحقيقتها وانفراده بذلك جعله شديد الإعجاب بنفسه كثير الاعتداد بها وبما يكشفه من قواعد وأصول، وإنك لترى أثر الإعجاب واضحاً كل الوضوح في كثير من كتبه كقوله: «وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولاً قاله والله يعين على الصواب بقدرته»[1].

وقال «.. وقد استقصيت هذا وغيره من لطيف التصريف في كتابي المصنف لتفسير تصريف أبي عثمان رحمه الله تعالى وأتيت بالقول هناك على أسرار هذا العلم ودفائنه[2].

وقال: «... وهو غريب منه ما في أيدي أكثر الناس، ومنه ما أخرجه لي البحث عنه وطول المطالبة له[3]».

ونحن إذا رحنا نتتبع أمثال هذه الأقوال في كتبه جئنا بالكثير الوافر، وحقّ له أن يعجب بنفسه، فقد بذل في اكتناه أسرار هذا العلم وكشف الخبأ منه جهوداً كثيرة. وقرّر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرّها اليوم المستشرقون وعلماء الأصوات ومن ذلك قوله ان أصل الكلمات حين نشأتها هو أسماء أصوات ثم لما تقادم الزمن واستطاع الإنسان أن يرتجل أسماء الأعيان، صارت أسماء الأعيان أصولاً للاشتقاق، وهذه نظرة صائبة وفكرة صحيحة جزاه الله عن هذه اللغة الشريفة جزاء وفاق حبه لها وإخلاصه لخدمتها.

(يتبع) محمد أسعد طلس

(١) سر الصناعة ص ٥٠ من مخطوطتنا.
(٢) سر الصناعة ص ٨٢ من مخطوطتنا.
(٣) المصدر نفسه ص ٩٤.

التعريف والنقد

الصحافة والأدب في مصر

محاضرات في صلة الصحافة بالأدب ، ألقاها الدكتور عبد اللطيف حمزة ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وطبعها المعهد في ١٦٦ صفحة .

وموضوعها تلخيص النهضة الأدبية والصحافية منذ القرن الماضي ، وتأثير الصحافة في الأدب . فقد قال المحاضر الفاضل في مقدمة الكتاب إن الأدب المصري الحديث مدين للصحافة المصرية بنشأته ونموه وذيوعه ، وعلى هذا تكون الصحافة المصرية صانعة الأدب المصري الحديث .

بدأ المحاضر يتحدث عن الفرق بين الأديب والصحافي ، وبين فنون الأدب وفنون الصحافة ، وبين لغة الأدب ولغة الصحافة . ثم انتقل الى الكلام على بيئة الأدب والصحافة منذ حملة نابليون على مصر ، فذكر تأثير هذه الحملة ، وظهور محمد علي وجمال الدين الأفغاني وغيرهما ، وتأثير السوريين الأول في الأدب والصحافة والمسرح ، والجرائد المصرية ورجالها في القرن الماضي ، والمبادئ السياسية التي كانت سائدة في أوائل القرن الحاضر ، وأهمها مناهضة الاحتلال الإنكليزي مع التعلق بدولة الخلافة ، وهو رأي الزعيم الفقيد مصطفى كامل ؛ ومناهضة ذلك الاحتلال مع الدعوة الى القومية المصرية ، دون الاعتماد في طلب الاستقلال على الدولة «العلية» ولا على غيرها ، وهو رأي العلامة أحمد لطفي السيد محرر «الجريدة» في تلك الأيام ، ورئيس مجمع اللغة العربية في أيامنا هذه .

وسياسة مربي الجيل أحمد لطفي السيد ـ مد الله في عمره ـ كانت صحيحة لا غبار عليها ، لأن الشعوب العربية كانت كلها أو جلها ترزح تحت نير الأجانب ، فلا فائدة منها لمصر ؛ أما الدولة العثمانية فكانت في حاجة الى من يأخذ بيدها . وقد أثبتت الحوادث بعدئذ ، ولا سيما قبيل الحرب الكبرى الأولى ، وفي أثنائها ، ان استعمار هذه الدولة في البلاد العربية فاق استعمار الدول الأوربية بفظائعه وبتنكره لأبسط حقوق العرب . وعندي على ذلك أدلة قاطعة تملأ كتاباً برأسه .

وتكلم المحاضر الفاضل على القصة المصرية ونشأتها في القرن الماضي ، ومعالجتها للشؤون الاجتماعية خاصةً ، وذكر المجلات المصرية واللبنانية التي أنشئت في تلك الأيام ، وتأثيرها وتأثير غيرها من المقدمات التي أدت الى ظهور القصة .

ثم ذكر طلائع القصص المصري ، وسرد شيئاً منها ، وانتهى الى قوله : «أفليس في هذا كله ما يدل على ان القصة الفنية في مصر وغيرها من الأقطار العربية نشأت أول ما نشأت في أحضان الصحافة ، وبأقلام الرجال المشتغلين بالصحافة؟»

وعلى هذا المنوال تكلم المحاضر على القصيدة الشعرية وعلاقتها بالصحافة المصرية ، ولا سيما القصائد الاجتماعية ، وقصائد الحركة الوطنية . ثم بحث في تطور المقالة في اتجاهاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وأنهى هذه المحاضرات بالكلام على مستقبل الأدب في ظل الصحافة ، فقايس بين الكتاب والجريدة مقايسة تدل على علم واسع ورأي نضيج . وقد خلص الى أن الصحافة ـ على فوائدها ـ «ليست نعمة على الأدب ولا على الفكر ؛ وان الكتاب لا الجريدة هو الأقدر على تهيئة الأمم للتقدم الذي تنشده ، واعداد الأجيال المستقبلة للنهوض بها الى المستوى الذي تتطلبه» .

والخلاصة ان هذه المحاضرات الثمينة تلخيص ماتع ومفيد للنهضة الأدبية والصحافية في مصر ، ولتأثير الصحافة في الأدب الحديث .

ومن المؤسف اشتمال المحاضرات على أغلاط مطبعية كثيرة ، حتى في أبيات شعرية لشوقي وحافظ استشهد بهـا المحاضر . فقد أحصيتُ لها وحدهما خمسة وعشرين بيتاً مشوهاً . وكلها أبيات مشهورة نحفظها عن ظهر قلب منذ كنا نتعلم في المدارس . فكيف يجيز المحاضر أو المعهد أن يُعبَث بها وبأشباهها في مثل هذه المحاضرات النفيسة .

اللهجات وأسلوب دراستها

وهي محاضرات ألقاها الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس فريحة على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، وطبعها المعهد المذكور في (٩١) صفحة .

وقد خص الأستاذ فيها موضوعين أساسيين وهما علم اللغات ودراسة اللهجات ؛ وبحث عن صلتها بلغتنا العربية ؛ ثم تكلم على الأسس التي قامت عليها اللهجة اللبنانية ، وذكر عبارات عامية لبنانية منثورة ومنظومة .

وفي المحاضرات آراء طريفة تفيد الذين يعنون بمواضيع اللغة العربيـة . وفيها تشاؤم من صعوبة الفصحى ، وظنون بفوائد العامية لا نعتقد بصحتها .

ولنترك هذه المحاضرات المعتنى بها ، والدالة على فضل صاحبها ، والتي لا يجوز في اعتقادنا أن ينظر اليها والى أشباهها إلا نظرة علمية بحتة ، ولنتساءل هل من فائدة للفصحى في تعليم اللهجات العامية في مثل المعهد المشار اليه أم لا ؟

لقد كتب العلاّمة ساطع الحصري مدير المعهد مقدمة للمحاضرات توخى أن يثبت فيها فائدة القرار الذي اتخذه المعهد بإدخال دراسة « اللهجات العربيـة الحالية » في جملة برامجه . وقال ان الغاية القصوى من هذه الدراسة الكشف عن أنجع السبل المؤدية الى جعل لغة الضاد « موحَّدة وموحِّدة » في جميع البلاد العربية ، أي أن تكون لغة أمتنا العربية واحدة ، وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب العربية في أمة واحدة .

وعندما يتكلم الأستاذ الحصري أبو خلدون في مثل هذا الموضوع فهو لا يعوزه الرأي الحصيف ، ولا الفكر العميق ، ولا قوة الإقناع ، ولا الإخلاص فيما يعتقده أو يدعو اليه .

ولكنني على الرغم من تلاوة مقدمته غير مرة لم أقنع بصحة قرار المعهد . وقد يكون السبب عدم اختصاصي بشؤون التربية والتعليم ، أو فرط تعصبي للفصحى ، أو شدة خوفي من طغيان اللهجات العامية .

ومهما يكن من أمر فقد حاولت في الكلمات التالية الإفصاح عن رأيي في هذا الموضوع الهام آملاً أن تبرز لنا الخطة المثلى من طيات الآراء المختلفة :

فاللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمآت : وكلها اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الألفاظ . فهي كلام العامة يُستعمل في الأغراض المعاشية ، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض . وهذا الكلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام ، وموضعي لا يتحول من قطر عربي الى قطر عربي آخر .

ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة . وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً ، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافةً . وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره ، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر ، أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر .

فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ، ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة وألقيناها محاضرات أو دروساً على طلاب ، فماذا تكون مغبة هذا العمل ؟

إن أخشى ما نخشاه أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب ، فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها ، فتكون النتيجة تشويشاً وضرراً يباعد بعض الأقطار العربية

عن بعض ، بدلاً من أن تتوحد بلغتها ، أي تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقعه المعهد من تدريس اللهجات العامية ، وهو خدمة الفصحى .

أما القول بأن تدريس تلك اللهجات يفضي الى معرفة مشكلات الفصحى ، والى مداواة أدوائها ، فهو قول ضعيف في نظرنا .

فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة . وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ، وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والصرف والنحو ، وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الأثبات ، ولا علاقة لها باللهجات العامية وقواعدها وتدريسها . والذي أعرفه أن مجمع اللغة العربية في مصر قد عالج قضية تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقدم فيها اقتراحات الى وزارة المعارف [1] . وقد طال عليها الزمن وهي في الوزارة . والمأمول أن تقرها حكومة الثورة ، فتؤلف على أساسها كتب جديدة مبسطة في تلك العلوم .

ومن الطبيعي القول بأن هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها ، وأنها ستظل صعبة في نظر بعض الناس . ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التي تذهب الى جعل التبسيط تشويهاً للفصحى .

وأنا لا أنكر الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة بعض خصائص اللهجات العربية . ولكن هذه الدراسة لا يضطلع بها إلا علماء أثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم ، وكيف يقربون العامية منها ، وكيف يمنعون طغيان العامية عليها .

فالمرحوم الشيخ أحمد رضا العاملي مثلاً قد أفاد بمعجمه النفيس « ردّ العامي الى الفصيح » . وكذلك أفاد المرحوم أحمد تيمور في معالجته لأصول الألفاظ

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ج ٦ ص ١٨٠ — ١٩٧ .

العامية المصرية . ومما فيه فائدة أيضاً أن يقر مجمع مصر بعض ألفاظ عامية سائغة ، وأن تنشر كتب وصحف وإذاعات بلغة عربية سهلة صحيحة الخ .

ولكن هذه الأمور وأمثالها شيء ، ووضع قواعد للهجات العامية ، والكتابة بها ، وتعليمها لشبان معهد عربي شيء آخر . فالأول لا ضرر فيه ، بل فيه بعض الفوائد . أما الثاني ففوائده القليلة لا تقاس بأضراره الجمة ، وإن يكن طلاب معهد الدراسات العربية من حاملي الليسانس .

وبعد ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية وتدريسها للطلاب ، بل تحل بوسائل أخرى منها تيسير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها ، ومنها على الأخص نشر التعليم في سواد الشعوب العربية ، ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ في جميع المدارس ، الى غير ذلك من الوسائل التي هي خارجة عن نطاق أعمال المعهد .

ولولا الخوف من أن أتهم بالتعصب لقلت ان من واجب الحكومات التي تغار على لغتها القومية ان تمنع المطابع من طبع كتب أو رسائل بالعامية ، وان تمنع التكلم بها في المدارس والمسارح ومحطات الإذاعة ، حتى في دوائر تلك الحكومات [1] .

---

(١) بعد كتابة هذه الكلمات زارني الدكتور الفاضل عزة النص ، أحد اساتذة المعهد ، وأنبأني أن قرار دراسة اللهجات العامية كان قد اتخذ إبان افتتاح المعهد ، أما اليوم فقد صُرف النظر عن هذا الموضوع .

البدو والعشائر في البلاد العربية

محاضرات في ١٤٣ صفحة ألقاها الدكتور عبد الجليل الطاهر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة . وطبعها المعهد المذكور في أوائل سنة ١٩٥٥ م .

وعنوان هذه المحاضرات يدل عليها . فقد تكلم فيها المحاضر الفاضل على تكوين المجتمع البدوي ، والعصبية وأشكالها ، والتنظيم الاجتماعي لدى القبائل ، وتعريف شيخ القبيلة وقاضيها و (السركال) و (الملا) في عشائر العراق ، والسيد والمؤمن عند قبائل الشيعة ، ومفهوم الحقوق والواجبات في المجتمعات البدوية حيث التبعات تكون مشتركة ، وحيث الحقوق لها أعراف خاصة .

وانتقل الى الحديث عن علاقة القبائل بحكومة العراق وبسياسة البلاد ، منذ عهد حكومات المغول الى زمننا الحاضر . وعرج على سورية فألمع الى القوانين التي وضعت فيها لتحديد علاقة القبائل بالحكومة .

ثم تكلم على الأسرة البدوية ، ذاكراً شيئاً عن عاداتها في الزواج وعن مساكنها ، وسرد أهم خصائص المجتمع البدوي كرحلة الشتاء والصيف والغزو والنخوة والوسم وغيرها . وانتهى الى ذكر أهم القبائل والعشائر البدوية ولا سيما في العراق وسورية .

أما بقية مواضيع المحاضرات فهي تتعلق بالاقتصاد الزراعي خاصةً كإحصاء الأراضي القابلة للزراعة ، وإحصاء الملكيات الزراعية وأنواعها ، وأعمال التأريف (الكادسترو) تثبيتاً لحقوق ذوي العلاقة بالأرضين الزراعية ، ومشاريع الري في العراق ، والتعاون الزراعي ، والتسليف الزراعي ، والصناعات الريفية الى آخر هذه المواضيع التي يمكن أن يؤلف في كل منها سفر أو أسفار . ولا علاقة للقبائل البدوية بها إلا من حيث تبديل معيشتها وجعلها تعمل في الفلاحة .

وقد خرجت من تلاوة هذه المحاضرات بالنتائج الآتية :

١ — معلومات المحاضر الفاضل واسعة لا شك في ذلك ، ومحاضراته مفيدة لطلاب المعهد .

٢ — ولكن المواضيع التي بحثها في تلك المحاضرات كثيرة وواسعة ومتشعبة ومتشابكة ، فمن الصعب إجمالها في محاضرات قليلة ما لم تأت تلك المحاضرات مبهمة ومشوشة .

لم يعتن المحاضر الفاضل بلغة محاضراته ، فالغلط اللغوي فيها كثير لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتاب . وآثار الترجمة والنقل المتسرع بادية على كثير من الجمل . أما الأغلاط المطبعية فهي لا تعد ولا تحصى ، وقد شوهت هذا الكتاب المفيد تشويها . وأنا الذي كنت عالجت هذا الموضوعات سنين عديدة وجدتني أضيق ذرعاً بالغلط المطبعي في الكتاب ، فكيف تكون حال الطالب يا ترى عندما يقرأ مثلاً ، عشيرة الدولة ، بدلاً من عشيرة الرُّوَلة ، وبادية الحكمة ، بدلاً من بادية الحسكة (ص ٤١) ، ومنطقة صلب ، بدلاً من منطقة حلب ، ومنطقة الخسبحة ، بدلاً من منطقة الحسجة أي الحسكة (ص ٨٢) الى آخر أشباه هذه الأغلاط التي لا عداد لها ؟

وياليت المعهد — وعلى رأسه العلامة الحصري المشهور بفرط تدقيقه — يتخذ بعد الآن قاعدة لا يحيد عنها ، وهي أن لا يُطبع كتاب من كتب محاضرات المعهد ، ما لم يُجعل في قالب عربي مقبول ، وما لم يشرف المحاضر نفسه على طبعه ، سواء أكان مصرياً أم كان غير مصري .

عبد العزيز

كتاب في سيرة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود ، ألفه المؤرخ الألماني البحاثة داكوبرت فون ميكوش ، ونقله الى العربية الوطني المجاهد الكبير الدكتور أمين رويحة ، فجاءت الترجمة في ٢٨٤ صفحة .

والمؤلف توفي حديثاً . وكان كاتباً بليغاً ، ومؤرخاً معروفاً بواسع اطلاعه على تأريخ الشرق ورجاله . وقد وضع كتاباً في ترجمة مصطفى كمال ، وآخر في ترجمة رضا شاه بهلوي . وجاء كتابه هذا على الملك عبد العزيز من أصح ما كتب الكاتبون في سيرة ذلك البطل العربي العظيم .

وقد سرد المؤلف الوقائع والحوادث على شكل قصصي جميل ، وبأسلوب فذ رائع يستهوي القارئ ، ويحمله على متابعة القراءة ، فيصيب في الكتاب لذة وفائدة على السواء .

وجاء المترجم الفاضل ـ وهو من أعلم علمائنا باللغة الألمانية ـ فنقله الى لغتنا الضادية ، في جمل عربية ناصعة لا يجد الناقد فيها أثراً للترجمة ، ولا لركاكة الإنشاء أو غموضه ، مما يكثر في كتابات بعض المترجمين .

ونحن في ديار الشام خاصةً نعرف جوانب كثيرة من الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦ م ، ومن دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ م ، ومن الأحداث السياسية التي حدثت بعد ذلك ، لأن كل هذه الشؤون كانت لاصقة بنا ، ولأنه كان لرجالنا القوميين والعسكريين يد فيها جميعاً .

أما الجزء الشرقي من جزيرتنا العربية فإننا ما كنا نعرف إلا القليل مما كان يحدث فيه من حوادث هامة في تلك الأيام . فتأريخ الوهابية وآل سعود وآل الرشيد أيام الدولة العثمانية ، وفي الحرب العالمية الأولى ، واستقلال نجد

وأطرافها ، ومقارعة الأتراك ثم الانكليز على ذلك الاستقلال ، وتأسيس تلك الدولة العربية العظيمة ، ونشر سلطانها في مساحة من الأرض تعادل مساحة ثلثي أوربة ، كل هذه الأمور لم نطلع عليها حق الاطلاع ، ولم ندرسها دراسة علمية وقومية واسعة ، على حين انها صفحات خالدات في تأريخ أمتنا الحديث ، وعلى حين ان لها تأثيراً كبيراً في حياتنا القومية .

والى أن يتاح لعلمائنا الأثبات تحقيق تلك الدراسة الواسعة لا بد لنا من القناعة بتلاوة الكتب المجملة التي يُعتد بها كهذا الكتاب . وهو في نظري أجمل خلاصة وأدقها وأوثقها للتأريخ الحديث في ذلك الجزء الكبير من الوطن العربي . وهو أيضاً أصدق صورة لحياة بطل عربي قلما يجود الزمان بمثله .

وقد أعجبني من المترجم العالم ، الذي طالما أوذي في جهاده الوطني ، وفاؤه لمن أحسن اليه بإنقاذ حياته . فلقد ذكر في مقدمة الترجمة أن الراحل العظيم انتشله من الموت ، وأنقذه مراراً من الأحكام السياسية القاضية بإعدام حياته ، وأسبغ عليه من حمايته ما لا ينساه مدى الحياة .

وبعد اذا كان كتاب لورنس الضخم في الثورة العربية وهو « أعمدة الحكمة السبعة » قد كتب بأسلوب رائع ، وبلغة الأدب الرفيع ، فكتاب صنوه الألماني هذا لا يقل عن الكتاب الأول في أسلوبه وفي بيانه . والفرق بين الكتابين أن الانكليزي رافق الثورة العربية من الحجاز الى دمشق ، فجعل نفسه محورها ، وأغرق في الكلام ، وتبجح على هواه ، حتى لكأنه صاحب القضية العربية ؛ على حين ان الألماني كتب ما كتب بتواضع العالم المؤرخ الأمين على سرد الحقائق بلا إغراق ولا غاية سياسية أو شخصية .

الشهابي

المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية

(في الأجزاء الثلاثة التي تلي الألف باء)

جمعه الدكتور فاخر عاقل أستاذ علم النفس التربوي في كلية التربية بالجامعة السورية
طبع في دمشق سنة ١٩٥٣ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير

سأل صاحب هذا الكتاب أحد مؤلفي كتب القراءة عن الطريقة التي اتبعها في اختيار الألفاظ التي ضمّنها كتابه فأجاب : نحن نختار اللفظة بحسب الحاجة اليها ، فسأله ما هو المقصود من هذه الحاجة وما هو مقياسه في تفضيل لفظة على أخرى ، فقال : إنّ الذوق الأدبي هو الذي يرشد الى هذه الحاجة ويساعد على تخير الألفاظ . وفي هذا الجواب دليل واضح على أن العنصر الشخصي وذوق المؤلف يؤثران تأثيراً بالغاً في تعيين المفردات . وليس في هذا ضبط علمي ولا مقياس موضوعي ، لأن الذوق الأدبيّ يختلف باختلاف المؤلفين ، ولأن الكلمات التي نختارها بحسب أذواقنا قد توافق المستوى العقلي للطلاب أو لا توافقه . فمن الضروري إذن أن نعتمد في اختيار مفردات القراءة على طريقة الإحصاء ، فنبحث عن أكثر الألفاظ تردداً على ألسنة الأطفال والراشدين ، وعن أكثرها تكرراً في كتب الأطفال ، وكتب الأدب ، وكتب العلوم وغيرها .

قال المؤلف في مقدمة كتابه : « إن إحصاء المفردات الأساسية يجب أن يشمل القرآن والانجيل والحديث والكتب الدينية » والكتب الأدبية القديمة والحديثة « والكتب المدرسية في مختلف حقول العلم ، كما يجب أن يشمل لغة الصحافة والمجلات والأدب العامي . إن إحصاءً كهذا يسهّل لنا الحصول على قائمة بالكلمات الأساسية التي يجب استعمالها في كتب القراءة ، كما يسهّل علينا أيضاً تعليم اللغة العربية .

ولكن أنى لعالم واحد إحصاء المفردات الأساسية المستعملة في جميع هذه النواحي . إنّ عملاً كهذا يتطلب تعاوناً علمياً واسع النطاق بين كثير من العلماء . فلا بدّ إذن في بداية الأمر من تحديد نطاق الإحصاء وحصره في ناحية واحدة .

هذا ما فعله الدكتور عاقل ، فهو قد قصر بحثه على دراسة كتب القراءة المستعملة في الصفوف الثلاثة التي تلي الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، وهي كتاب الجديد الذي ألفه الأستاذ خليل سكاكيني لمدارس فلسطين ، وكتاب القراءة المصورة الذي وضعه جماعة من الأساتذة لمدارس لبنان ، وكتاب القراءة الطريفة الذي وضعه الدكتور حلمي اللحام لمدارس سورية ، وكتاب مبادئ القراءة الرشيدة الذي وضعه محمد عبيد ، وعبد الفتاح صبري ، وعلي عمر لمدارس مصر ، وكتاب سلم القراءة العربية الذي وضعه أحمد السباعي لمدارس الحجاز ، وأضاف الى هذه الكتب بعد ذلك كتاب القراءة العربية الذي ألفه لمدارس العراق متى عقراوي ، ومحمد ناصر ، ومحمد بهجت الأثري ، وعبد الحميد كاظم ، ورشيد الشلبي . فوجد عدد الكلمات الدارجة الواردة في هذه الكتب (١٨٨٠٨٨) كلمة ، وعدد الكلمات النوعية (١٠٦٤) ، وعدد الكلمات الأساسية (٣٠٠٠ — ٤٠٠٠) كلمة .

وبديهي ان نتائج هذا الإحصاء لا تصدق إلاّ على الألفاظ الواردة في هذه الكتب ، لأن تكرر بعضها أكثر من بعض ليس دليلاً على أن أكثرها تكرراً في الكتب أقرب الى مدارك الأطفال وأكثر انتشاراً على ألسنة الناس . مثال ذلك ان لفظ (تأمّل) يتكرّر (١٤٤) مرة في حين أن لفظ (سافر) لا يتكرّر إلاّ (٥٠) مرة . وبينما نجد لفظ (سبب) يتكرر (٧١) مرة نجد لفظ (بقرة) لا يتكرّر إلاّ (٢٩) مرة . فهل يدل هذا على ان الطفل

يفهم لفظي (تأمّل) و (سبب) أحسن مما يفهم لفظي (سافر) و (بقرة) ؟
لا لعمري . إن هذا الاحصاء لا يعطينا إلا نتيجة واحدة وهي انه يصدق على الكتب التي استعملت هذه الألفاظ لا على الأطفال والراشدين الذين يستعملونها في كلامهم . وقد أشار الدكتور عاقل نفسه الى أن لفظ (خبّ) تكرر (١٩) مرة في حين ان لفظ (خروب) لم يتكرر الاّ مرة واحدة . والسبب في ذلك ان الكتاب الثالث من السلسلة السورية يشتمل على قصة عنوانها (الخب والمغفل) يتكرر فيها لفظ (خب) هذا العدد من المرّات . ولولا ذلك لما جاءت مرتبتها في الاحصاء أعلى من مرتبة (خروب) . ونعتقد أن علاج ذلك لا يمكن أن يتمّ بما يسميه العلماء بالمدى (Range) ما دام الاحصاء مقصوراً على هذه الكتب . نعم ان كلمة تتكرر خمس عشرة مرة في خمسة عشر كتاباً أهم من كلمة تتكرر عشرين مرة في كتاب واحد . ولكن ذلك لا يمنع أن يتكرر اللفظ المجرد ثلاثين مرة في خمسة عشر كتاباً ، ولا يتكرر اللفظ الحسي في الكتب نفسها إلا خمس عشرة مرة . فهل يدل ذلك على أن الألفاظ المجردة أقرب الى مدارك الأطفال من الألفاظ الحسية ؟

وقصارى القول ان الاحصاء الدقيق الذي قام به الدكتور عاقل يبين لنا نسبة تكرّر الألفاظ في كتب القراءة الموجودة بين أيدينا ، لا نسبة تكررها الحقيقية ، وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه البحوث لإصلاح كتب القراءة على أساس علمي واضح ، فنشكر لصديقنا الدكتور عاقل مجهوده العلمي الكبير ، ونرجو أن ينتفع مؤلفو الكتب المدرسية ببحوثه القيمة ، وأن يكون بحثه هذا حافزاً على القيام ببحوث علمية أخرى متممة له .

جميل صليبا

مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

من ست سور : الأعلى ، الشمس ، الليل ، العلق ، البينة ، الكافرون
صححه وعلق عليه ، مع مقدمة بالانكليزية عبد الصمد شرف الدين . مطبعة « ق »
بمباي ، الهنــد

ليست هذه المجموعة المؤلفة من تفسير هذه السور الست للإمام أحمد بن تيمية (البالغة ٤٨٠ صفحة عدا الفهارس) تفسيراً لها فحسب ، بل هي في الحقيقـة تفسير لبعض سور القرآن ، ومناظرة لعلماء الكلام ، المؤولة لآيات الصفات ، والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية ، كالجهمية والمعتزلة والقدرية ، وتوفيق بين صحيح المنقول وصريح المعقول على أفضل الوجوه . وقد كملت هذه المجموعة بتعليقات الأستاذ المولع بدراسة كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، السيد عبد الصمد شرف الدين ، فقد بيّن بتعليقاته المبهم ، وفصّل المجمل ، وأوضح المشكل ، وملأ البياض ، بما نقله من كتبهما مفصولاً عن الأصل ، وبما أضافه من قوله طبقاً لما اقتضاه البحث ، وخرّج الأحاديث ، وترجم للأعلام ، وذكر ما اشتهروا به ، مع تاريخ وفياتهم .

وقد ظفر الأستاذ بهذه المجموعة في كتاب « الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخـاري » لابن عروة الدمشقي الحنبلي (المتوفى سنة ٨٣٧) المحفوظ بخزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٤٥) تفسير . وهذه المجموعة مما كتبه شيخ الاسلام في آخر عمره ، وهو منعزل عن الناس في خلوة السجن ، كما تراه في مقدمة السيد شرف الدين . وقد طبعهـا على أحدث ما بلغه فن الطباعة من إتقان ، وجعل في رؤوس الصحائف اليمنى أسماء السور المفسرة ، وفي اليسرى خلاصة ما تضمنته تلك الصحائف من مباحث ، وفي الشواهد القرآنية ـ وما أكثرها ـ أسماء سورها وأرقام آياتها ، وبين كل بضعة أسطر من الأصل ، عنوان للناشر بما اشتملت عليه ، وفي أول الكتاب فهرس

عام لمباحث سوره المفسَّرة ، وفي آخره فهرس مفصَّل لأسماء الأعلام ، والفِرَق ، والأماكن ، والكتب ، مع الإشارة إلى أرقام صحائفها مهما تكررت ، ويتلو هذا الفهرس جدول الخطأ والصواب . وختمه بمقدمة الكتاب باللغة الانكليزية .

ومن غرر مباحث الكتاب : صفة العلو ، ومسألة النزول ، والرد على دائرة المعارف الإسلامية ، وعلى ابن بطوطة (وقد ردَّ عليهما من قبل كاتب هذه السطور في مجلة الرسالة المصرية ، ومجلة العالم الإسلامي البغدادية) ، قيام إبراهيم وموسى ومحمد بأصل الدين ـ التوحيد ـ حل مشكلات تفسير سورة التين .

أقول : أما صفة العلو فقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن الله تقدست ذاته هو فوق سمواته ، التي هي مقر ملائكته ومهبط وحيه ، وأنه مستوٍ على عرشه ، وبائن من خلقه ، لا يحل فيهم ، ولا يمتزج بهم . ومن هنا يُعلم المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إنني معكما أسمع وأرى » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، « إن الله مع الذين اتقوا » فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما هي معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب .

وأما وَحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، فقد بيَّن أن المنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فإن الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف ، وآل حم ، وآل طس ، وآل الر ، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم .

رحم الله المؤلف ورضي عنه ، وجزى أفضل الجزاء الناشر ، وكلَّ من عاونه في إبراز هذا الكتاب الجليل ، وقد ذكرهم في مقدمته ، وأثنى عليهم أطيب الثناء .

التفسير القيّم

للإمام ابن القيّم (٦٩١ — ٧٥١)

جمعه الأستاذ السلفي الشيخ محمد أويس الندوي

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، بمصر

محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية (الجوزية إحدى مدارس دمشق) هو إمام في لغة القرآن وأسلوبه ، وفقهه وتشريعه ، وإيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه ، وقد جمع في هذا « التفسير القيم » ما قرأه الأستاذ الندوي في كتب ابن القيم المطبوعة تفسيراً لآيات متفرقة من الذكر الحكيم من نحو سبعين سورة . فمنها ما توسَّع في الكتابة عنه كسورة الفاتحة التي بلغ تفسيرها أكثر من مائة صفحة ، وكالمعوّذتين فقد فسّرتا بنحو مائة صفحة . أما السبع الطُّوَل فقد بلغ ما فسَّره من أولها ـ وهي سورة البقرة ـ سبعين صفحة . ومن آل عمران دون الخمسين . ومن سورة النساء نحو عشر صفحات ، ومن المائدة خمسا ، ومثلها من الأنعام ، وفسّر آيات من سورة الأعراف ـ وهي آخر السبع الطُّوَل ـ بنحو خمسين صفحة . ومنها ـ أي السور ـ ما فسّر آيتين منها أو ثلاثاً ، وهنالك سُوَر كثيرة لم يرد لها ذكر .

وعلى كلّ فانّ الواقف على هذا التفسير ، يجد فيه ما لا يجد في غيره من حقائق التنزيل والتأويل ، وله في تفسير بعض الآيات سبح طويل ، وهذا بعض مشتملات تفسير « إياك نعبد » فقط : أهل مقام « إياك نعبد » أربعة أصناف ، الصنف الأول : نفاة الحِكَم والتعليل . (٢) القدرية النفاة . (٣) الذين زعموا أنّ فائدة العبادة رياضة النفوس . (٤) وهم الطائفة المحمدية الابراهيمية . بنى « إياك نعبد » على أربع قواعد . جميع الرسل دَعوا الى « إياك نعبد » . الله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه . لزوم « إياك نعبد » لكل عبد

إلى الموت . انقسام العبودية إلى عامة وخاصة ـ مراتب « إياك نعبد » علماً وعملا ـ رحى العبودية تدور على خمس عشره قاعدة ـ أما عبوديات اللسان الخمس ... ـ العبوديات الخمس على الجوارح .

وقد استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ! وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أنّ هذا الإمام يرى أنّ سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى « إياك نعبد وإياك نستعين» ؟ وانه قد شرح كتاب منازل السائرين الى الله لأبي اسماعيل الهروي بثلاثة مجلدات كبار ، وسمّى شرحه : (مدارج السالكين) ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » . ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : « لك يامنازل في القلوب منازل » .

وإن أدري كيف فات جامع الكتاب والمعلّق عليه ، إضافة بعض الآيات أو السور اليه ، كسورة العصر مثلاً ، وهي في (ص ٢٥ ج ١) من إغاثة اللهفان الكبرى لابن القيم ، وقد طبعت (١٣٥٧ / ١٩٣٩ م) بتحقيق وتصحيح وتعليق صديقنا الشيخ محمد حامد الفقي ، مصحح « التفسير القيّم » والمعلّق عليه ، مع أن هذا التفسير قد جمعه الأستاذ محمد أويس الندوي مما فسّره ابن القيم من الآيات الكريمة في كتبه المطبوعة ، واستدرك عليه الأستاذ الفقي ما فاته منها ، وكالآيات (٥٢ و ٥٣ و ٥٤) من سورة الحج ، وهي في (ص ٩ و ١٠ ج ١) من الإغاثة الكبرى أيضاً ، مع أنه فسّر من هذه السورة الآيتين (٣٠ و ٣١) نقلاً عن بدائع الفوائد ج ٤ ص ٢١) والآية (٧٣) نقلاً عن أعلام الموقّعين (ج ١ ص ٢١٦ و ٢١٧) .

والذي يظهر أن الأستاذ الندوي جامع هذا الكتاب أخذ ما تيسر له الاطلاع عليه من كتب ابن القيم المطبوعة ، واقتنص من الشوارد ما اتفق له ،

وأحسب ان ما فاته أكثر مما التقطه بكثير ، والاستقراء الصحيح الذي يضمن له الاستقصاء هو أن يقرأ كتبه المطبوعة واحداً بعد واحد ، وينقل من كل كتاب جميع آياته المفسّرة ، وبعد أن يفرغ منها كلها ، يجمع بينها ويرتب سورها ترتيب القرآن ، ويفسّر آياتها معدودة بالأرقام ، ويثبت في أعلى الصحائف أسماء السور المفسّرة ، أو عناوين لمباحثهـا ، ويضع جدولاً للخطأ والصواب ، واليك تصويب المهم مما عثرنا عليه الآن : (د) رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ، (ﻫ) آمنوا ، (ط) «أنت وَلِيي» ، (ك) «ما اتخـذ» «ومَن لم يجعل الله له» ، وفي (ص ٣٩٤ س ٧) : والسقيم (و س ١٦) : متكلماً به ، (ص ٥٠٦ س ٤) : كان معموراً . فجزى الله المؤلف والجامع والمحقق والمعاونين والناشرين خير الجزاء .

دلائل النبوة

للحافظ الكبير والمحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ﻫ

هذا كتاب جليل ، قد ضم خمسة وثلاثين فصلاً ؛ جمع فيهـا المنتشر من الروايات في النبوة ودلائلها ، والمعجزات وحقائقها ، وخصائص المبعوث محمد (ﷺ) إلى العالمين ؛ فالفصل الأول منها في ذكر ما أنزل الله تعالى في كتابه من فضله ، والفصول بعده في حسبه ونسبه ، وبيان أسمائه ، وإقسامه تعالى بحياته ، وما فضل به هو وأمته ، واشتهار أخباره عند ملوك اليمن والروم وفارس ، وما سمع من الهتاف باسمه ، وذكره في الكتب المتقدمة ، ثم وصف حياته مفتتحـة بمناقب أجداده ، فتاريخ ميلاده ونشأته الطاهرة ، وبعثته العامة ، واحتماله الأذى في سبيلها ، ومخرجه من مكة إلى المدينة مهاجراً . والفصل الثاني والعشرون الى السابع والعشرين في إقبال الشجر إليه ، وتسليم الشجر والمدر عليـه ، وذكر

حنين الجذع إليه ، وفوران الماء من بين أصابعه ، وذكر ربو الطعام بوضع يده عليه ، وتسبيح الحصى .

الفصل الثامن والعشرون في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه ، ذكرها مرتبة من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، مبينا موضع الدلالة منها ، ووجه الآية فيها ، «وفي جميع ذلك دليل على ما قلناه من أنه (ﷺ) لم يخل شيء من أحواله عن آية شاهدة له ، ومعجزة جارية على يديه» وذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة ، وغزوة الطائف ، وسرية زيد بن حارثة ، وقصة هدم بيت العزى .

الفصل التاسع والعشرون : ما أخبر به (ﷺ) من الغيوب فتحقق على ما أخبر به في حياته وبعد موته .

الفصل الثلاثون : في ذكر ما ظهر لأصحابه في حياته ، والفصل الحادي والثلاثون : ما وقع من الآيات بعد وفاته ، الفصل الثاني والثلاثون : ما جرى على يدي أصحابه بعده . الفصل الثالث والثلاثون : في فضائل الأنبياء قبله وفضائله ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي . الفصلان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون وهما الختام في رواية خبرين يشتملان على جمل من صفاته وأخلاقه وأحواله ، وما يتضمن ذلك من آدابه وسننه وشرائعه الموافقة لقضايا المعقول في الصحة والجواز . وقد اشتمل الكتاب على «٥٦٦» صفحة .

هذا وإن كتب الحديث - كما قال أئمة هذا الشأن - على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث ، ليعرف الصحيح من غيره ؛ أما ما كان ضعيفا ، أو موضوعا ، أو منقطعا ، أو مقلوبا في سنده أو متنه ، أو من رواية المجاهيل ، أو مخالفا لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة ، فلا سبيل الى القول به . وكان أبو نعيم رجلا عالما بالحديث ، لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب ليعرف أنه قد روي ، كالمفسر الذي ينقل أقوال

الناس في التفسير ، وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد بصحته ، بل يعتقد ضعفه ، لأنه يقول : نقلت ما ذكر غيري ، فالعهدة على القائل ، وفي منهاج السنة : ان ابا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث ، وهو وإن كان حافظاً ثقة ، كثير الحديث ، واسع الرواية ، لكن روى ، كما هو عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كان لا يحتج من ذلك إلا ببعضه .

لم نجد في الكتاب جدولاً للخطأ والصواب . وفي (ص ٢ منه س ١٠) «ولقد أرسلنا» والتلاوة : «لقد أرسلنا» (سورة الحديد الآية ٢٥) .

رسالة في الهداية والضلالة

تأليف الصاحب بن عبّاد

اخرجها الأستاذ حسين علي محفوظ

هذه الرسالة صغيرة الحجم ، جمة الفائدة ، ألفها الصاحب بن عباد الأصفهاني الشهير ، الذي أخذ عن أبي الفضل بن العميد الشيء الكثير ، واستوزره مؤيد الدولة الديلمي ، ثم أخوه فخر الدولة ، (توفي سنة ٣٨٥) وقد ألّف هذه الرسالة ـ في الهداية والضلالة ـ ردّاً على الحشوية والقدرية والمجبرة ، الذين قالوا بقول المشركين : «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون» .

وغرض المؤلف (رحمه الله) من ذلك ظاهر ، وهو إثبات العدل ، ونفي الظلم عن الله عزّ وجلّ ، ولكنه لم يستقص آيات الهداية والضلالة ، ولا المشيئة والإرادة الواردة في القرآن ، كقوله : «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها» ،

« فلو شاء لهداكم أجمعين » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » ، ولا شك أن الهداية في القرآن نوعان ، هداية الدلالة والبيان ، وهي التي يملكها الإنسان ، وهداية التوفيق القلبي والإلهام ، فالأولى هداية شرعية « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » والثانية هداية أزلية « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » ومثلها المشيئة الأزلية أو القدرية : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » وحاصله أن المخلوق المكلف يحاسب بما هو صادر عنه من الأفعال ، لا بما هو جار عليه من الأقدار ، وليس في ما يسند إليه إكراه ولا إجبار ، ولكن الصاحب بن عباد معتزلي العقيدة ، فهو من نفاة القدر ، القائلين (إنما الأمر أنف) وللإمام أحمد بن حنبل في الرد عليهم جملة ذهبية ، فقد كان يقول : « ناظروهم بالعلم ، فان هم أقروا به رجعوا ، وإن أنكروه كفروا » ومراده : هل يعلم الله الأشياء قبل وقوعها أم لا ؟ وليس في علمه الأزلي بها إلزام بفعلها أو تركها ، بل للمكلف الخيار ، والله عالم بما يصنع فمحاسبه عليه ، وهذا هو القول الوسط الذي لا تفريط فيه ولا شطط .

وفي طليعة الرسالة - بعد كلمة التصدير - وصف النسخة ، وخصائص رسمها ، وصفحات من نسخة الأصل المخطوطة في سنة ٣٦٤ هـ ، وصورة خط الصاحب ابن عباد في آخر نسخة الأصل ، وترجمة المؤلف وتآليفه وقد بلغت (٣٧) كتاباً ورسالة ، مع الإشارة إلى ما طبع منها ، ومراجع ترجمة المؤلف وقد بلغت خمسة وثمانين مرجعاً ، على أن ترجمته لم تزد على الصفحة الواحدة إلا قليلاً ، ومراجع التعليق وقد بلغت (٢٨) مرجعاً .

وبعد فالرسالة تحفة نفيسة بذل ناشرها الأستاذ حسين علي محفوظ في تصحيحها جهداً عظيماً ، استحق عليه شكراً جزيلاً .

المبادئ الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية

في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف : المحامي صبحي محمصاني

كنّا عرّفنا في هذه المجلة بعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ووصفنا الأستاذ المؤلف بأنه واسع الاطلاع على أمهات المراجع الإسلامية ، فهو ينقل عنها بعناية وأمانة ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه إلى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه في ما يترجم من المواد والأحكام عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم .

وهذه مجموعة من المحاضرات (تبلغ ٢٦٠ صفحة) أعدت لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ، وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له ، فالقسم الأول في أحكام الحجر وفاقدي الأهلية ، والثاني في الوصية ، والثالث في النفقات ، والرابع في المواريث . وقد اشتمل القسم الأول على سبعة أبواب وهي : الحجر والولاية ، والصغر ، والجنون ، والعته ، والحجر على السفيه ، ومرض الموت ، وأهلية المرأة ، وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) على ثلاثة : أحكام عامة ، شروط الوصية ، آثار الوصية . (والثالث) على خمسة : نفقة الزوجة ، نفقة الفروع ، الأصول ، ذوي الأرحام ، قواعد عامة في النفقات . (والقسم الرابع) على ثمانية أبواب : أحكام عامة ، موانع الإرث ، أصحاب الفروض ، العَصبات ، والعَوْل والرد ، ذوو الأرحام ، الحجب ، مسائل متنوعة ؛ ووراء كل باب فصول وفروع منسقة مستوفاة .

قدّم الدكتور المحمصاني لكتابه مقدمة ملائمة لهذا الموضوع ، أصلاً لهذه الفروع ، وهي في علم الفقه وأقسامه ، وتاريخ التشريع الاسلامي وتطوره ، وقد قسمه إلى أدوار : عصر الجاهلية ، النبوة ، الخلفاء الراشدين والأمويين ، العصر الذهبي العباسي ، عصر الانحطاط والتقليد ، عصر النهضة ، وبيّن المذاهب السنّية والشيعيّة ، وذكر العهد العثماني والعصر الحاضر ، إلى أن بلغ القوانين الجديدة . وختم هذه المقدمة ببيان الأدلة الشرعية الأربعة التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وذكر أدلة أخرى غير متفق عليها ، كالاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والاستدلال ، واستصحاب الحال . ثم مقارنة بين مصادر التشريع الإسلامي ، ومصادر التشريع اليوم : وهي التشريع الوضعي ، والعُرف والعادة ، والاجتهاد القضائي .

وقد أحصى في آخر المبادىء الشرعية أهم المراجع ، مرتباً أسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مهما تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ، ثم جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف .

مما لاحظناه (في ص ٢٠) : تعريف المؤلف للمصالح المرسلة بأنها الخارجة عن القياس للمصلحة ، وقد عرّفوها بأنها التي لم يشهد باعتبارها ولا بإلغائها دليل معيّن من الشرع . وللشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (م ٧١٦) رسالة مستقلة في رعاية المصالح المرسلة من أدلة الشرع ، وقد طبعت أخيراً بمصر . (وفي ص ٢٢ س ٣) : أبو إسحق الفيروزبادي ، صاحب كتاب المهذب : هو أبو اسحق الشيرازي .

(مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصّ فيه)

(محاضرات) ألقاها الأستاذ عبد الوهاب الخلاّف على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٤م
جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية

لمّا ضعفت الملكات الدينية في الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مجالسها النيابية ، وتغلغل النفوذ الغربيّ فيهم ، واتسعت دائرة المعاملات معهم ، استمدوا من قوانين الغرب ونُظُمه ما ظنّوا أنهم يستشفون به من أدوائهم ، ويجدّدون به عهد قوتهم ونشاطهم ، ولكنهم ازدادوا وهناً على وهن ، وصحّ فيهم قول القائل :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلّك ما شفاكا

ذلك بأنهم خرجوا عن قواعد الشريعة والطبيعة معاً ، وفاتهم أنّ لكل أمّة شرعةً ومنهاجاً ملائمين لحياتها ، فاذا حادت عنهما أوردت أنفسها موارد الهلكة ، وهذا هو الذي جرى للحكومة العثمانية أيام ضعفها وانحلالها ، لا في زمن فتوحها واستقلالها ، فقد كانت أيام نهضتها عاملة بشريعتها ، محتفظة بقوتها ، حامية لمملكتها ، فينبغي للمؤرخ المنصف أن لا يَغفُل عن هذه الحقيقة .

والكتاب الذي نتصفحه الآن هو محاضرات للعلاّمة الخلاّف ، أثبت فيه أن الشريعة الإسلامية تتمشى مع العصور ، وتتطوّر بارتقاء الزمن في معاملاتها الدنيوية ، وأن لها من كلياتها الفقهية وقواعدها العامّة ما تستطيع أن تستنبط منه أحكاماً للحوادث والوقائع التي تتجدّد على تراخي الزمن ، واختلاف البيئات والأقاليم ، وقد وصف في هذا الجزء (الذي يبلغ مائة وخمسين صفحة) أهم مصادر التشريع الإسلامي الذي لا نصّ فيه ، فتكلّم على خمسة منها وهنّ القياس والاستحسان والاستصلاح والعُرف والاستصحاب ؛ وقد أحسن الأستاذ صُنعاً بنشره رسالة النجم الطوفي العالم الحنبلي (م سنة ٧١٦ هـ) في رعاية المصلحة ،

وبيان منزلتها العظمى من أدلة الشرع ، وهي التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية المشهورة ، وكان جرّدها أستاذنا الشيخ جمال الدين القاسمي وعلّق عليها وطبعها في مجموعته الأصولية ، ونشرتهـا مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ، ثم طبعت بمصر مستقلة مصححة على نسخ خطية ، والرسالة من النفائس ، وهذه المحاضرات للأستاذ الخلاّف حجة على مَن يرمون الإسلام بالجمود ، ويحاولون إزالته من الوجود ؟!! (ألا خاب هـذا والمشيرون خيّب) .

ونلاحظ في هذه الرسالة الطوفية أنها قد حظيت بعناية العلماء الأجـلاء ، ولكنّ أحداً منهم لم يُعنَ بتخريج أحاديثها على قلتها ، ومن ذلك الحديث الذي أورده الطوفيّ بلفظ : « اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذّ في النار ، ويد الله مع الجماعة » علق عليها الأستاذ الخلاّف بقوله : « هذه الجملة من [ب] ـ أي من ثانية النسختين الخطيتين المحفوظتين في الخزانة التيمورية من رسالة الطوفي ـ وقد وجدتها هناك ـ يد الله على الجماعة ـ فصححتها » اهـ أي صححها بلفظ (مع الجماعة) ولو رجع الأستاذ الى كتب السنة لما صححها ، فقد وردت باللفظين (مع وعلى) وقد روى الحديث الترمذي وحسّنه بلفظ : « يد الله على الجماعة » وفي رواية له عن ابن عباس « يد الله على الجماعة ، اتبعوا السواد الأعظم ، فانه من شذّ ، شذ في النار » وهي أشبه برواية الأصل على ما فيها من تقديم وتأخير .

وههنا اقتراحان ، (الأول) : رجاؤنا من معهد الدراسات الإسلامية أن يدرس بعد هذه المحاضرات النافعة كتاب (فقه الإسلام) للأستاذ الجليل الشيخ حسن أحمد الخطيب المطبوع بمصر ، فهو من أفضل مآثر هذا العصر في التشريع الإسلامي ، وقد كتبنا عنه ووصفناه في مجلة مجمعنا العلمي . (والثاني) : رجاؤنا

من جامعة الدول العربية وحكوماتها الإسلامية أن تستمد أصولها وقوانينها من هذا المعين الذي لا ينضب ماؤه ولا تبلى جدّته (أعني فقه الإسلام) ، فهو يرشد هذه الحكومات العربية الى وحدة لا انفصام لها ؛ ويخلصهم من هذا الضعف والانحلال ، اللهم ألهمهم الصواب ، وهبهم الحكمة وفصل الخطاب .

وقعت أغلاط قليلة نوجه النظر اليها : منها في الذيل (ص ٧٧) : ابن القيم توفي سنة ٢٥١ صوابها : (سنة ٧٥١ هـ) ، ومنها (ص ١٢٧ س ٨) : متى يوجد : (حتى) ، ومنها (ص ١٢٨ س ٢٣) : إلاّ استثناء : إلاّ ما استثناه . و (ص ١٤٩ س ٧) : في اصلاح : «في اصطلاح» . وفي صفحة الفهرس آخر الكتاب : بين المساومات : «المتساويات» . إقصاؤها إلى : «افضاؤها» . مروية مصادر الخ : «مرونة» .

(محاضرات في الميراث عند الجعفرية)

ألقاها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

على طلبة قسم الدراسات القانونية ، في جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٥

الأستاذ أبو زهرة فقيه ضليع ، وفرضي بارع ، ومن شواهد ذلك محاضراته هذه في الفقه الجعفري ، أو الإمامي الاثني عشري ، وهو عالم سني . وقد اشتمل كتابه هذا على مباحث مهمة ؛ أولها بيان الباعث على اختيار موضوع الميراث عند الجعفرية للدراسة ، وفيه اختلاف وجهة النظر في الأحكام ، وبيان أن تعدّد الآراء والمذاهب ، ينشأ من سعة العلوم وتنوع المدارك ، ومن مشتملات هذه المحاضرات : إلمامة بالشيعة ، حياة الإمام جعفر الصادق ـ الميراث عند الإمامية الاثني عشرية ـ الوصايا النافذة ـ حقّ الوراثة ـ أنصبة الورثة ـ

ميراث القرابة ـ ميراث المرتبة الأولى من الأقارب ـ ميراث المرتبة الثانية ـ المرتبة الثالثة . والناظر في هذه المباحث التي عقدها لهذه المسائل ، يرى الفرق واسعاً بين المذهبين السنّي والشيعي في المواريث المستخرجة من النصوص ، المستنبطة من أدلتها ، دون الفرائض الصريحة المنصوص عليها ، التي لا لبس فيها ولا غموض .

قال المؤلف : « وعلى ضوء هذه الدراسة أيضاً ، نهجنا في ما كتبنا في أبواب الفقه ذلك المنهاج المستقيم ، وهو الاقتباس من هذه المذاهب ، والإشارة إلى ما نراه قويّ السند ، واضح المعتمد من آراء الشيعة ، كأقوالهم في أيمان الطلاق ، والطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ، وعدم وقوع الطلاق البدعي ، واشتراط الإشهاد لإيقاع الطلاق ، ونحو ذلك من الآراء التي ترى في الأخذ بها إصلاحا ، ونجد في دليلها قوة ، ولا تتجافى عن المعاني الإسلامية جملة أو تفصيلا » .

(أقول) : الطلاق على هذا المنهاج القويم شرعي غير بدعي ، وهو ـ ولا ريب ـ سني شيعي ، أخذ به كثير من علماء الحديث وأئمة السلف وفقهاء المذاهب ، وهو منطبق تمام الانطباق على مذهب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، كما بيناه من قبل في فصل اختيارات شيخ الاسلام (ص ٩٣ — ١٠١ ج ٢) من محاضرات المجمع العلمي ولو رعى الناس النصوص في أمر الطلاق حق رعايتها لضمنت لهم سلامة الأسر ، بل سعادة البشر ، وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالا ، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهة ولا مقالا ، بل أوردت جميع مقالاتهم فيه وأتت عليها نقضاً وإبطالا .

ولنعد إلى ما نحن فيه من الميراث الجعفري ، بإيراد أمثلة توضح الخلاف مع الميراث السنّي :

١ — الأخت الشقيقة تحجب الإخوة والأخوات للأب ، ولا يأخذون معها شيئاً ، بل يردّ عليها ؛ وان هذا يختلف فيه نظر الإمامية عن نظر أهل السنة

الصحابة والتابعين ، الى أن انتهى منه ببيان أنه كان لا بدّ من الاختلاف في الآراء ، وطرق أخذها واستنباطها ، وبيان الأسباب الرئيسية لهذا الاختلاف .
(والثاني) « زمن أتباع التابعين » وفيه بيان طرقهم الفقهية وطبقاتهم ، وأثر العباسيين في الفقه ، وتدوين السنة وأثره ، وتدوين الفقه .

(٣) « النزاع في أصول الفقه وأدلته » وما كان لذلك من نتائج في الفقه نفسه وأحكامه ، وفي المذاهب التي قامت فيما بعد .

(٤) مصطلحات الفقه وأصوله ، وفيها بحث المراحل التي مرت بها حتى تم تدوينها برسالة الإمام الشافعي .

(٥) « خاتمة البحث » ونتائجه ، وفيها الإشارة الى المذاهب التي انقرضت ، والمذاهب التي قامت بعدها .

ومن أمتع ما جاء في هذه المحاضرات ، رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس إلى فقيه مصر ، الليث بن سعد ، وجواب هذا له ، وهما مثالان رائعان من علم السلف وهديهم . هذا وجدير بطلاب العلوم الدينية والمدنية ، ان يقفوا من مثل هذا الكتاب على قواعد الفقه الإسلامي وشواهده ، لا سيما ما لا نصّ فيه ـ كالقياس والاستحسان ـ وعلى مصطلحات الفقه وأصوله ، وأول من دوّن فيه ، وحاجة الفقيه اليه .

وجملة القول : إن هذه الرسائل التي ينشئها أساتذة « معهد الدراسات العالية » هي من خير الرسائل وأهداها الى ما يجب على العلماء الاطلاع عليه ، والسير مع طلابهم فيه ، ليكونوا جميعاً واقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن وحاجة الأمة ، ولتكون فتاويهم وأحكامهم هادية إلى حفظ وحدتها ، وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادي الشر عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدي الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، ثم ختم الكتاب ببيان المراجع التي أوردها تحت عناوين سبعة ، وهي القرآن والحديث ، أصول الفقه ، الفقه ، بحوث فقهية حديثة ، تاريخ الفقه ، تاريخ وتراجم ، مراجع عامة ،

هذا وقد قال الأستاذ المؤلف عن « المصالح المرسلة ، أو الاستصلاح » تفرد به مالك بن أنس وأصحابه (ص ١٠٢) . والصواب أنهم لم يتفردوا به . ومن أنفع ما ألف في موضوع « المصالح المرسلة » رسالة للشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (المتوفى سنة ٧١٦ هـ) وقد طبعت بدمشق ومصر .

قال المؤلف (في ص ١٤٢) : وفي السنة أخيراً نجد قوله (ﷺ) « ما رآه المسلمون حسناً ، فهو عند الله حسن » . قلت ما هو بحديث مرفوع ، بل هو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد في كتاب السنّة (لا في المسند) وفيه زيادة ، وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد موقوفاً على ابن مسعود أيضاً . (راجع كشف الخفاء)

اكتفى الدكتور بتصحيح كلة واحدة من كتابه ، وترك الباقي إلى فطنة القارئ ، وهي (ابن أبي ليلى) وكتبت خطأً (ابن أبي يعلى) . وعندنا أن الصواب ، بيان الخطأ والصواب ، ليكون القارئ على بينة من أمره ، وإني مورد صواب ما رأيته من خطأ ، عنايةً بالكتاب وقرّائه :

(ص ٣٦ س ٩) : بعدُ ، (٢٧ / ١٧) : أن يلقاه ، (٢٨ / ١) : وأشهراً ، (٤٢ / ١٥) فقط : مقدمة عن موضعها ، ومحلها قبل : بل نشط الخ ، (٦٥ / ٣) : واسم أبي الزناد ، (٧٥ في الذيل) : الفلسفة ، (٩١ في الذيل) : أحكام ، (٩٤ / ٧) : الزهري ، (١٠٠ / ٢١) : سهماً واحدا ، (١٠٥ / ١) : هذا المذهب ، (١٣٧ / ٩) : بينهما ، (١٥٠ / ٩) : « واستشهدوا » ، (١٥٣ / ٢٠) : أن بعضه ، (١٥٤ / ١٢) : ان منه فرضاً أو واجباً ، (١٥٧ في الذيل) : شيء ، (١٦٢ / ٢١) : وخبرتهم ، (١٦٥ / ٥) : شيئاً . (وفي ذيل الصفحة) : العماد (مكررة) ، (١٦٧) : رقم ١ و ٢ ، (١٧٠ / ٩) : الاجتهاد .

محمد بهجة البيطار

موجز أمراض الجملة العصبية

تأليف الدكتور حسني سبح

أستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب بدمشق
وعضو المجمع العلمي العربي

الطبعة الأولى ، عدد صفحاته ٤١٦ ، طبع بمطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٣

إذا حق للجامعة السورية أن تفخر بما أسدته الى اللغة العربية من الخدمات الجلى من حيث جعلها لغة التدريس الوحيدة في جميع كلياتها على وفرة عددها وتنوع علومها واختلاف فروعها ومباحثها وفنونها وأعمالها . فهي لا تزال في عجز من حيث السير قدُماً بمؤلفاتها مع هذه العلوم التي هي كل يوم في شأن وكل حين في تقدم . وانه ليسرني أن أشيد اليوم بجهود زميلي الدكتور حسني سبح الذي لا يألُ جهداً في سد هذا النقص في مؤلفاته في الأمراض الباطنة التي تجاوز عددها خمسة عشر مجلداً ضخماً خلال سنين معدودات . وقد اطلعت أخيراً على موجزه في أمراض الجملة العصبية فألفيته يتمشى مع سير هذا العلم ورقيه كما انه يراعي مقتضيات مصلحة الطالب والمراجع من حيث الإيجاز والوضوح وسهولة التعبير وحسن العرض ووفرة الصور والرسوم والجمع بين بعض العلامات والتناذرات المتشابهة في جداول خاصة يسهل على المطالع معها التمييز بينها .

وقد بدأ المؤلف هذا الموجز بمنهاج فحص المريض وتدوين المشاهدة والبحث عن الأعراض وتعليلها ثم أخذ يدرس بالتتابع الأعراض الشخصية والمروية وأمراض العضل وأمراض الجملة العصبية المحيطة وأمراض السحايا والنخاع الشوكي وعلل المخ وأخيراً بحث في اضطرابات الجملة العصبية الإنباتية والغدد الصم . واختتم هذه الأبحاث في العلل العصبية الوظيفية والطب النفسي البدني .

والكتاب حسن الطبع . جيد الورق . يجد فيه كل طالب بغيته . وكل مراجع غايته . فنرجو للمؤلف دوام التوفيق في عمله في خدمة اللغة والعلم .

الدكتور أسعد الحكيم

أعلام العرب في العلوم والفنون

لمؤلفه عبد الصاحب الدجيلي

يقع في جزئين ، عدد صفحات الجزء الأول منه (٢٠٤) صفحات
والثاني (١٨٧) صفحة من قطع الوسط ، طبعا في النجف عام ١٩٥٤

جمع المؤلف في هذين الجزئين تراجم أعلام العرب في العلوم والفنون وقد بلغ مجموع هذه التراجم (٢٣٣) ترجمة . وغاية المؤلف من عمله هي الإشادة بعلماء العرب والنابغين منهم وإظهار قدرة العرب على الإبداع الفكري وعنايتهم بالقيم الخلقية والروحية ومساهمتهم الكبيرة في بناء الحياة العلمية وفضلهم على تقدم الحضارة البشرية ، رداً منه على الشعوبيين الذين أنكروا على العرب فضائلهم وعبقريتهم ورموهم بالعقم الفكري وزعموا أن الحضارة العربية ونهضتها العلمية هي من بناء غيرهم من الشعوب الذين خضعوا لسلطانهم ، وان إقبالهم على الغزو والفتوحات يفوق إقبالهم على العلوم والفنون .

إني أكبر شعور المؤلف وأدرك نبل غايته ولكنني أعتقد أنه أخطأ الهدف بحصره أعلام العرب بهذه القلة التي يجد فيها خصوم العرب حجة يعززون بها أباطيلهم . إن ثقافة الأمة العربية هي مثل غيرها من الثقافات وحدة لا تتجزأ ، يدخل في حضيرة حملة مشعل علومها كل من كتب بقلمها وفكر بعقلها وساهم في تقدم ثقافتها مهما كان عنصره ، ولا يصح أن تدرس ثقافة أمة على هذا الأساس العنصري ، وأخشى إن سلمنا بنظرية المؤلف أن يضيق الشعوبيون عيون منخلهم فينازعوننا في هذه القلة بعض من جزم المؤلف بصحة عروبتهم ، وعلينا أن لا ننسى أنه ما زال بيننا من يقول بآشورية العراق وآرامية الشام وفينيقية لبنان وفرعونية مصر وبربرية المغرب ويحصر العنصر العربي في جزيرته

وكل ماعداها في نظره دخيل عليه . ولو ذهبت أي أمة هذا المذهب في استقصاء حسب ونسب أعلامها لما سلمت من العقم .

وحسب العرب فخراً وعظمة انهم حملوا الى العالم مشعل نور الحضارة وحببوا الى أمم المشرق والمغرب لغتهم وثقافتهم وحملوا اليها أساليب تفكيرهم وصهروا من نبغ منهم في بوتقة العروبة ، فليس من حقنا اليوم أن ننبذ من حضيرة العروبة من قبلوا مختارين الانضواء تحت لوائها .

إن هذه الملاحظة الشخصية التي أوردتها لا تنقص من قيمة هذا الكتاب ولا تقلل من فائدته فهو قيم في موضوعه مفيد في أسلوبه فنشكر للمؤلف جهده ودقة استقصائه .

جعفر الحسني

الصحافة في العراق

هي محاضرات ألقاها الأستاذ رفائيل بطّي على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية الذي أنشأته جامعة الدول العربية بالقاهرة .

والأستاذ رفائيل بطي من أبرع رجال الصحافة في العراق في فن الصحافة ، ومن أحرصهم على تتبّع الحركات الأدبيـة والسياسية في بلاد العرب ، ومن أعرفهم بأدباء العرب المعاصرين ، وقد رافق تطوّر العراق في نهضاتِه السياسية والاجتماعية والعلمية ، ولذلك كان أجدر الناس في الكلام على الصحافة في العراق .

وقد ألمّ الأستاذ المحاضر بالفعل إلماماً وافياً بنشأة الصحافة في العراق وتطورها ، وما كان لها من الآثار في صفحات الحياة في العراق من سياسة واجتماع وأدب ، وقد تكونت عنده فكرة منذ زمن بعيد أن تاريخ الصحافة العربيـة يصور بعض مظاهر اليقظة ودرجات النهوض للعالم العربي .

وينحصر نطاق بحث المحاضرات – كما ذكر الأستاذ في تمهيده – في نشوء الصحافة في العراق بظهور أول جريدة بمعناها الصحفي سنة ١٨٦٩ ، وفي صحافة العهد العثماني قبل انفصال العراق عن تركية ، وفي صحافة الاحتلال البريطاني ، وفي صحافة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وأخيراً في استعراض حال الصحافة منذ تأسيس مملكة العراق الحديثة سنة ١٩٢١ ولا سيما صحف الأحزاب السياسية .

ولم يغفل الأستاذ المحاضر تنوع الصحف الأدبية والعلمية في العراق ، وغيرها من المجلات المختصة بالعلوم والفنون ، وأساليب الكتابة الصحفية ومشاركة المرأة ، كما انه خص حرية الصحافة العراقية ببحث وافٍ ممتع .

ويشهد مطالع هذا الكتاب بأن مصنفه كاتب واقعي منصف يذكر لكل صحافي عراقي يبحث عنه ما له من حسنات وفضل ، وما له من هفوات سياسية بأدب لسان ، وحسن بيان .

ويظهر أن الذين أشرفوا على طبع هذه المحاضرات لم يعنوا بمعارضة خبراتها (بروفاتها) معارضة صحيحة ، فوقع في الكتاب هفوات مطبعية منها (ص ١٨) : « وعهدت بتحريرها الى موظفون » ، وفي (ص ٥٨) : « وهم يتدايرون الخطط للثورة » ، وفي (ص ٦٧) : « أهكذا يكون جزاء الذين رفوا مقعد حكمك » والصواب رفعوا ، وفي (ص ٧٩) : « ولقد ارتأى الزعماء المحترمين الناهضين لتطهير بلادهم » ، وفي (ص ٩٩) : « تسابق هؤلاء الجيران المكتشفون بالعراق » وفي (ص ١٠٠) : « إصداره جريدة باسم (العهد) وهو الاسم التاريخ المحبب » والصواب (التاريخي) ، وفي (ص ١١٨) : « وصوتها الداوي صداها » والصواب (المدوّي) ، وفي (ص ١٣٣) : على حد القول المأثور (اللهم تفتح اللهاة) ، وصواب القول ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة قال : (ومن المجاز « اللُّهى تفتح اللَّهى » أي العطايا) ، وأصل اللُّهوة مقدار ما يطرح في فم الرحى وتجمع على لهى ، قال عمرو بن كلثوم يصف رحى الحرب :

يكون ثقالها شرقيّ نجد ولموتها قضاعة أجمعينا

أما (اللّهى) بفتح اللام فجمع لَهاة المعترضة في الحلق ، ومعنى هذا القول المأثور : الإحسان ينطق اللسان ؛ ومن هفوات اللغة (ص ٩٦) : « أوقفها على مناقشة المعاهدة » ، و (ص ١٣١) : « أشغل حيزاً بارزاً » والصواب : وقفها وشغل حيزاً بدون تعدية ، ومن هذه الهفوات المطبعية (ص ١٣٢) : « ومقالاتها وشذارتها » والصواب (وشذراتها) ، وفي الصفحة نفسها : « وإذا عطف ذمام الحديث » والصواب (زمام) كما لا يخفى .

لقد سدّ الأستاذ رفائيل بمحاضراته النفيسة هذه فراغاً هو أجدر الناس بسدّه ، وقد عرفناه في العراق مثال الأديب العراقي الناهض ، والصحافي المنصف البارع ، فهو أولى الناس بتحديث أبناء قومه العرب بما في العراق الشقيق من نهضة صحافية وعلم وأدب .

اللسان الحديث

للأستاذ يوسف سعادة — منشورات الحكمة

الأستاذ يوسف سعادة من أساتذة العربية بلبنان ، وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا أنه كان يشعر ، وهو تلميذ ، بصعوبة قواعد العربية ، ويتمنى أن يعالج المعلمون موضوع تيسير تعليمها ، ثم أصبح التلميذ معلماً ، فحاول تعديل الصعب من هذه القواعد في كتابه هذا الذي أسماه (اللسان الحديث) ؛ على اني أرى أن مردّ هذه الصعوبة يرجع الى عاملين : أحدهما سيطرة العامية على الفصحى بغلبة الأميين في بلاد العرب ، والثاني ضعف أساليب التعليم ، بضعف المعلم والمفتش ، فالمعلم البارع هو الذي يحبّب طلابه بدرس العربية ، والمفتش البارع هو الذي يحسن النقد والتوجيه ، وقد حرمت المدارس منهما إلا قليلاً .

وطريقة التأليف التي اتبعها أن يذكر القواعد والشواهد على مذهب الجمهور ، ثم يذكر التعديل في آخر البحث ، فمن القواعد التي عدّلها :

تعديل حركة عين المضارع الثلاثي ، وحركة همزة الأمر ، وتعديل فاء السببية ، والفاعل ، و (ما) المشبهة بليس ، وخبر أفعال المقاربة المقرون بأن جوازاً ووجوباً ، وتعديل (إن) وأخواتها ، وضمير الشأن ، ولا سيما وخلا وعدا وحاشا ، واسمي المكان والزمان ، وتعديل الأعداد ، والاسم الممنوع من الصرف ، واسم المفعول المتحول عن صيغته ، وأفعال المدح والذم !

إن تعديل قواعد العربية نحوها وصرفها من خصائص المجامع العلمية ، ولا يتم لها ذلك إلا بمؤازرة وزارات المعارف العربية مؤازرة صادقة ، وإلا كانت هذه التعديلات مجرد اقتراحات نظرية ، كما حدث في مؤتمر بيت مري سنة ١٩٤٧ فانه لم يُعمل بشيء من إصلاحاته .

واذا كانت الجماعات قد يخفى عليها الصواب ، فما قولك بالفرد الذي لا يجد من يناقشه ليأمن العثار ، أذكر مثالاً لذلك ما وقع في هذا الكتاب قوله : (ص١٥) :

« حركة عين المضارع الثلاثي الضمة : يعظُم ، ينظُر ، يشرُب » ثم نقض هذه القاعدة (ص ١٨) في حركة همزة الأمر بقوله : « تكون مضمومة إذا كانت عين المضارع الثلاثي مضمومة : أُنصُر من ينصُر » وعلى هذه القاعدة كان يجب أن يقول (أُشرُب من يشرُب) ، فقد ضم الراء من مضارعها (ص١٥) .

ويقول في تعديل (ما المشبهة بليس) ص ١١١ ما نصه : « إن ما المشبهة بليس تكون مهملة ، ويقال لها التميمية : ما أخوك جبان » . وترك ما الحجازية وهي الفصحى لغة مضر .

وأذكر من أمثلة التحقيق في التعديل قوله (١١٣) ما نصه : « تدخل (أن) وجوباً على خبر أفعال القرب والرجاء : كاد الفجر أن يطلع ... »

والقرآن يقول : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ولم يدخل أن ـ وجوباً ـ على خبر كاد ، ويقول ابن مالك :

وكونه بدون (أن) بعد عسى نزر و (كاد) الأمر فيه عكسا

أي ان اقتران خبر (عسى) بأن كثير وتجريده من أن قليل بعكس (كاد) فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد من (أن) ويقل اقترانه بها ، وجاء في القرآن أيضاً : « من بعد ما كاد يزيغ فريق منهم » ، ولعل المؤلف أوجب دخول (أن) للاصلاح والتعديل !

وفي تعديل الأعداد (ص ٢٥٩) يجعل حكمها أن تطابق معدودها في التذكير والتأنيث نقول : كاتب واحد وكاتبتان اثنتان ، وثلاث كتب ، وأربعة مجلات ، وخمسة عشرة ريشة ، وستة وعشرون مسطرة ، وثلاث وثلاثون قلماً . » ، ومثل هذه التعديلات يجنح اليها أيضاً من يرون من تسهيل العربية أن تكتب بالحروف اللاتينية ، ولو فصموا عرى الوحدة القومية بين العرب .

ومن أغلاط الطبع التي لم تذكر في جدولها اعرابه في (ص ٢٥٨) : « طالعت الأربعة والعشرين فصلاً » : الأربعة مفعول به ، والعشرين معطوف بالواو على (الأربعة) تبعه في الرفع ، وعلامة رفعه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والنون عوض عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد ، (فصلا) تمييز ، فتأمل !

وكثيراً ما يستشهد المؤلف بنصوص من القرآن مشوهة كقوله (ص ٣٢٣) : « فأوصينا اليه أن اصنع الفلك ... » ، وفي (ص ٣٢٥) استشهد بآية « هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافرا » ، والتلاوة في الآية الأولى : فأوحينا ... ، وفي الثانية : واما كفورا . وهو الى تبديل النصوص القرآنية أقرب منه الى الأخطاء المطبعية ، وكأن هذا التبديل من ذلك التعديل !

التنوخي

كنوز الذهب في تاريخ حلب

تأليف سبط ابن العجمي

الجزء الثاني — ١٩٥ صفحة — دمشق ١٩٥٠

Les Trésors d'or , de sibt ibn Al - ʿAjami
Tome II , 195 pages , Damas 1950 (I F D.)

عني الأستاذ المستشرق الفرنسي جان سوفاجه بمدينة حلب عناية كبيرة خلال سنين طويلة قضاها في البحث عن عمرانها وتطورها من حيث البناء ، وما تحويه من آثار وكتابات ونقوش . ونشر في سبيل ذلك عدداً من الدراسات لا تخفى على الباحثين في تاريخ المدن . وقد قام بترجمة ابن الشحنة الى اللغة الفرنسية ، فكان الجزء الأول لما سمّاه : « المواد الأولية لتأريخ مدينة حلب » .

وهذا هو الجزء الثاني ، ترجم فيه كتاب « كنوز الذهب في تاريخ حلب » لسبط ابن العجمي ، معتمداً على نسخة خطية قديمة لمّا تنشر بعد . ومؤلف الكنوز هو أبو ذر أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خليل ؛ الشيخ موفق الدين الشهير بسبط ابن العجمي ؛ ولد في حلب سنة ٨١٨ هـ ، ودرس فيها ، وألف عدداً من الكتب في شرح الجامع الصحيح للبخاري ، والاسطرلاب ، وفضائل الشيخين ، وهذا الكتاب .

وكنوز الذهب مصدر هام لتاريخ العمران في حلب خلال القرون الوسطى ، صوّر فيه تطور البناء وما طرأ عليه من تبدل وتغيير ، وما حلّ به من نكبة خلال هجمات تيمورلنك ، وفي الكتاب قائمة بالأبنية العامرة ، وثبت بالمساجد والجوامع والحمامات والخانات ، جعله على غرار « الأعلاق الخطيرة » لابن شدّاد ، وأكمل ما جاء فيه ، وأورد سيراً وحكايات تتعلق بتاريخ هذه المدينة . ولكن المستشرق الفرنسي حذف ما يخصّ الأدب والحكاية ، وأشار إلى ما حذف

في اختصار ، كأنه يريد أن يصرف اهتمام الباحث العربي إلى الناحية العمرانية في الكتاب فحسب .

وهذا المستشرق كان على علم بموضوعه واقفاً على ما جاء فيه ، لهذا جاءت ترجمته دقيقة ، وتعليقاته صحيحة ، وقد ذيل هذا الجزء ـ كما ذيّل الجزء الخاص بابن الشحنة قبله ـ بترجمة الألفاظ الفنّية في العمران مثل بادهنج وبوب وحوش ، وغيرها من كلمات ما تزال على ألسنة الحلبيين الى اليوم مع شيء من التحريف أو الإمالة .

وقد طبع المعهد الفرنسي بدمشق هذه الترجمة بعد موت الأستاذ المستشرق ، ووقف همّه على إخراجه صورة شبيهة بالجزء الأول ، على ما بين صدور الجزءين من زمن ، فجاء خلواً من التعليقات المطولة إلاّ ما جاء في كتابي الشيخ راغب الطباخ والشيخ كامل الغزي ، فقد جعلها المترجم أساساً يرجع إليه في تحقيق بعض الأعلام والاشارة الى بعض الحوادث . وما يزال الكتاب في انتظار محقق باحث يشرف على إخراج المخطوطة إلى ميدان النشر العلمي محلاّةً بالتعليقات والتنبيهات والاشارات على ما جاء فيه من حكايات وقصص لا تقف للبحث العلمي ولا تثبت للنقد التاريخي . وقد جمع المؤلف في القرن التاسع الهجري كلّ ما وقع له من تاريخ حلب عن المدارس وشيوخها ومحدثيها وفقهائها على اختلاف مذاهبهم من حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة ، وما كانوا يقرءون من كتب وما يتداولون من مراجع ومظان في الفقه والحديث الشريف . وما نظن أن المستشرق سوفاجه ممن يعنون بهذا أو يجوّدون فيه ، فذلك بجهد الناشرين من علمائنا أجدر وهم به أحق . ولسنا بهذا نقلّل من أهمية هذه الترجمة الدقيقة فقد جعلها صاحبها لرجال الهندسة المعمارية والتاريخ العمراني ، فأصاب كبد الموضوع واستحق جهده التنويه والذكر .

ديوان أبي الأسود الدؤلي

تحقيق الأستاذ عبد الكريم الدجيلي

٢٨٠ صفحة — طبع ببغداد سنة ١٩٥٤

يقول الجاحظ في أبي الأسود الدؤلي : «أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدّم مأثور عنه الفضل في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة ، والنحويين والحاضرين الجواب والشيعة والبخلاء ...» وناشر الديوان قد تمشّى مع قول الجاحظ ، فأفرد لكل صفة فصلاً خاصاً بها ، فجعل مقدمته في ثلاثة عشر فصلاً ، حلّل في كلّ منها ما كان عليه أبو الأسود الدؤلي من وقوف على الفقه والحديث والنحو ومن ميل الى التشيع والبخل والدهاء والشعر ، حتى تجاوزت هذه المقدمة مئة صفحة ، فكانت دراسةً في نواحي الرجل لا تمهيداً للديوان فحسب . وعنده في ذلك أن المعاصرين لم يخصّوا هذا العالم بكتاب ، ولم يفردوا له بحثاً مطولاً ، فهو أول بحث في العربية لأيامنا هذه .

وقد كان في الظن أن يتناول حياة الرجل كلّها جملةً وتفصيلاً ، ثم يعكف على أدبه وشعره وشخصيته وأثر ذلك في الديوان . ولكنه فعل كما يفعل كثير من الناشرين ، إذ تطرّق الى النواحي كلها وقسّمها مشايعة للجاحظ فألزم نفسه بذلك إلزاماً خرج به في بعض الفصول عن ميدان التوفيق .

وهو حين بلغ إلى شاعرية الرجل أورد رأي المستشرق الألماني نولدكه حيث يقول فيه : «وبصورة عامة فان شعره ضعيف من ناحية المعنى ومن ناحية القيمة الشعرية ، وفي قليل من المواضع يرتفع شعره أو يكون اعتيادياً على الأقل» . ثم قال الأستاذ الدجيلي يدلي برأيه : «أما ونحن قد حكمنا على

شعر أبي الأسود فلم نجد له مكاناً بين الشعراء الخالدين والأفذاذ الموهوبين الذين لا يأتون إلاّ على رأس قرن أو قرنين » . ثم يقول : « فهو في الواقع ناظم لا شاعر » .

وهذا حكم جيّد يطلقه السيد عبد الكريم الدجيلي أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين ببغداد ، فكأنه يريد أن يقول إنه عُني بالديوان عناية فائقة لا لأن الرجل شاعر كبير ، بل لأن لهذا العالِم جانباً كان مغفلاً مطوياً فوضحه ونشره في الأدباء . وقد فعل ذلك بهمة لا تعرف الكلال ، على اعتقاده بضعف الشاعرية عند أبي الأسود ، ولعلّه حقق الديوان عوناً للتاريخ الأدبيّ أو تاريخ النحو ، ليبسط أمر الرجل ويشارك في تعريفه .

وقد ظهر أثر هذا الجهد في هذه المظان الكثيرة التي تقع عليها في كل صحيفة من الديوان سواء في المقدمة أم في حواشي المقطعات والقصائد . وعمد إلى ثلاث مخطوطات أولاها نسخة ليبتيسك وثانيتها نسخة الأب أنستاس الكرملي وثالثتها نسخة الشيخ محمد السماوي . وأقدم هذه النسخ هي الأولى ولكنها لا ترقى في خطها إلى أبعد من ثلاثة قرون ، وهذه النسخة نفسها حصل عليها منقولة بقلم الدكتور سليم النعيمي . وقد نشر صوراً شمسية عن هذه النسخ الثلاث وبسط أمرها ، وحكى قصة حصوله عليها ، ثم نشر الديوان وعلّق عليه تعليقات مطولة ضافية ، فلما انتهى من المخطوطة جعل بعدها ذيلاً للديوان نشر فيه كلّ ما وقع عليه في كتب الأدب والتاريخ من شعر أبي الأسود الدؤلي ، فاستقصى بذلك استقصاءً يحمد عليه ، ويستحق له الأجر والثواب .

وأضاف إلى الديوان وذيله شروحاً لغوية موسّعة ، وأتبع ذلك بفهرس للأعلام ، فاستوفى حقّ النشر العلمي ، واضطلع بتحقيق الديوان في أمانة ودقة . وإذا كنا نأخذ عليه في الذيل إعادة الشعر الذي جاء في صلب الديوان

والإفاضة في سرد الفوائد التاريخية فاننا نرى أن الناشر خاف أن تفوته الشوارد فاصطادها ليظهرنا على جهده وعنايته وهما ظاهران .

وقرّاء الأدب يملكون الآن ديوان عالم نحويّ لغويّ يستطيعون أن يرجعوا اليه ليروا كيف كان شعر العلماء في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بالعراق ، ويستطيعون أن يقرءوا الشعر وأن يحلّلوه وأن يظهرونا على هذه الألوان والصيغ التي نظم بها أبو الأسود ديوانه إذا صحّت نسبته كله اليه . والناشر الكريم لم يعرض لصحة الشعر ودقة نسبته إلى هذا العالم بالمناقشة العلمية ، ولم يوغل في نقد الشعر وبيانه وموازنته بالعصر الذي قيل فيه ، والمفاضلة بينه وبين شعر العلماء والأدباء لذلك العصر في العراق ، ولو فعل لكان جهده كاملاً ، ولكن الكمال لله وحده .

الدكتور سامي الدهان

بلدان الخلافة الشرقية

تأليف : لسترانج

وتعريب : بشير فرنسيس و كوركيس عواد

في ٥٨٨ صفحة — بمطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٤

البروفسور غي لسترانج مستشرق انكليزي معروف ، مات في سنه ١٩٣٣ عن عمر ناهز الثمانين سنة ، قضى أكثره في خدمة علوم الاستشراق والدراسات الاسلامية ، والخطط والبلدانيات العربية ، وألف عدة كتب في التاريخ الاسلامي وجغرافيته ، وكتب دراسات متعددة في فن الخطط العربيــة وعلم البلدانيات ومن أجل آثاره هذه :

فلسطين في عهد المسلمين .

بغداد في عهد الخلافة العباسية .

بلدان الخلافة الشرقية .

كما نقل بعض كتب الجغرافية العربية والفارسية الى لغته الانكليزية مثل :

الجزء الخاص بفلسطين من كتاب « أحسن التقاسيم » للعلامة المقدسي .

والجزء الخاص باقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخي . وله ، غير هذا ، ترجمات وبحوث أخرى تتعلق بالآداب العربية والفارسية ، وهي كلها تدل على علو كعبه في الاستشراق بصورة عامة ، وفي علم البلدانيات والجغرافية بصورة خاصة .

★ ★

أما المعربان فهما الأستاذان الفاضلان بشير فرنسيس أحد أفاضل علماء العراق المحدثين ورجاله المنكبين على الدراسة والبحث والترجمة ، وهو الذي ترجم في سنة ١٩٣٦ كتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » للبروفسور غي لسترانج ، وكوركيس عواد ، الباحث المنقب ، والمؤلف العراقي المعروف بدقته في بحوثه ، وحسن استيعابه ، وأمانته في ترجماته .

★ ★

والكتاب الذي ترجماه هو من عيون ما كتبه العلماء المستشرقون مما يتعلق بتاريخنا العربي وجغرافيته ، وقد قرأت الترجمة فأعجبني أسلوبها المشرق ، ودقتها الصادقة البارعة ، وقد تجلى لي مقدار العناء الذي عاناه المترجمان الفاضلان برجوعهما الى الأصول العربية التي رجع المصنف اليها ، فوجدت أن عملهما جدير بكل ثناء ، ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أطلب اليهما أن يعملا على ترجمة كتاب (فلسطين في عهد المسلمين) للمصنف استرانج فان هذا الكتاب متمم لأخويه ، وحاجة الخزانة العربية اليه هي حاجة ملحة ، فان ما بقي من تراث علمائنا القدماء في فن البلدانيات والجغرافية الاسلامية هو شيء يسير وناقص فيجب أن نتممه بتعريب ما أتمه المستشرقون في هذا الباب .

إن فن البلدانيات والخطط الاسلامية ، هو فن جليل الخطر كثير الأهمية ، وكتب أسلافنا القدماء رحمهم الله في هذا الفن — على وفرتها — قد ضاع كثير منها ، والذي لم يضع يحتاج الى النشر ، والذي نشر محتاج الى تمحيص ونخل وتبويب وترتيب .

وما أعلم أن أحداً من علمائنا المتأخرين انصرف الى دراسة هذا الفن دراسة جدية وافية ، مثل الدراسة التي انصرف اليها العلامة الانكليزي المستشرق لسترانج ، ولكن الرجل لم يستطع أن يوفي هذا البحث ما يستحقه من العناية والتوسع ، كما انه لم يستطع أن يؤلف فيه كل ما يجب أن يؤلف ، فقد ذكر

في مقدمة كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) : « حاولت في هذه الصفحات أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى ، العرب والفرس والترك ممن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والأصقاع الدانية من آسية الوسطى ، وما نقلت عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الأقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك ـ أي بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى ـ ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية . وما الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء إلا تكملة لكتاب (بغداد في عهد الخلافة العباسية) المطبوع سنة ١٩٠٠ وصلة للبحث الجغرافي الذي بدأته بكتاب (فلسطين في عهد المسلمين) المطبوع سنة ١٨٩٠ ولكي أحافظ على اعتدال حجم الكتاب ضربت صفحاً عن جغرافية جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعاً لدولة بني العباس . وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به مني من الباحثين فيكتب الجغرافية التاريخيـة لجزيرة العرب ومصر الفاطمية في الجانب الثاني من البحر الأحمر ، ويصف أقاليم شمالي افريقية المختلفة وبلدان الخلافة الغربية في الأندلس البعيدة التي ازدهرت على قصر عمرها فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الإسلامية .

وإن أردنا أن يكون التاريخ الاسلامي ممتعاً مفيداً ، وأن يفهم على حقيقته فهماً صحيحاً ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافية التاريخية للشرق الأدنى خلال العصور الوسطى بحثاً مستفيضاً شاملاً . وها أنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل[١] » .

ثم يصرح الأستاذ بتواضع العالم النبيل ، عن أن عمله هذا ليس كاملاً وإن هو إلا باكورة قد مهدت الطريق لمن يريد أن يتناول الموضوع من بعده ، وإن ما ذكره في الحواشي من المراجع والملاحظات والتقويمات وإصلاح أخطاء

(١) انظر الترجمة ص ٩ — ١٠ .

بعض القدماء من العلماء ، يجب أن يحفز من همم العلماء لإتمام هذا البحث من بعده ويقول : «فكان ما جئت به باكورة التآليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفاً كاملاً خلال هذه الحقبة . وما كتابي إلا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل شاردة وواردة فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذي أردته له ، إلى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية الينا من مؤلفي الإسلام ترجمة كاملة» .

فهو كما ترى قد ألف في بعض النواحي وترك نواحي أخرى هي جزيرة العرب وديار مصر ، والشام ، وشمالي افريقية ، وديار الأندلس ، فهذه موضوعات تنتظر الباحث ليكتب فيها ــ شرقياً كان أو غربياً ــ ولكن أحداً من علمائنا ــ فيما أعلم ــ لم يهتم بهذه النواحي ولم يعمل على تكميل النقص وسد الفراغ الذي خلفه هذا المستشرق الفاضل .



وبعد فلا يسعني في ختام هذه الكلمة ، التي أردت بها أن أقرظ تعريب الأستاذين الفاضلين ، وأبين الجهد العظيم الذي بذلاه في صدق التعريب وأمانة النقل ، إلا أن ألاحظ بعض الملاحظة على هفوات قلمية أو سقطات مطبعية أو غلطات كان يجدر بهما الانتباه اليها ، ولكن ما أعرفه عنهما ــ رعاهما الله ــ من التخلق بأخلاق أفاضل العلماء ، يدفعني الى أن أبين لهما ذلك فأقول :

١ ــ جاء في ص ١٠ س ١٦ : (على تجارات وصناعات الشرق الاسلامي) والصواب (على تجارات الشرق الإسلامي وصناعاته) .

٢ ــ جاء في ص ١٦ س ١٣ : (ما بين النهرين الى اقليمين : الأسفل والأعلى) والصواب (أسفل وأعلى) .

٣ ــ جاء في هامش ص ٢٣ س ٦ : (ولا شك ان نظام الطرق) والصواب (ولا شك في أن) .

٤ ـ جاء في ص ٣٤ س ١٥ : (ولا ريب انه) والصواب (في أنه) .

٥ ـ جاء في ص ٣٥ س ١٠ : (كقرية الآس ، وقرية الجمل ...... اشتران) والصواب (كقرية الآس وقرية الجمال) ـ بالجمع ـ لأن اشتران بالفارسية جمع اشتر ولأن الجمل بالفارسية هو (أشتر) و (شتر) والجمع (اشتران) و (شتران) .

٦ ـ جاء في ص ٤٤ س ١٣ : (وقد عاصر النبي محمد) والصواب (محمداً) لأنه مفعول به .

٧ ـ جاء في ص ٧٨ س ٣ : (فأنشأ هناك البساتين والأجنّة) والصواب (والجنائن أو الجنات أو الجنان) لأن (الأجنة) جمع جنين وأما جمع (جنة) فهو جنات وجنان وجنائن ، راجع القاموس وشرحه والتاج والصحاح .

٨ ـ جاء في ص ١٢١ س ٧ : (نهر داقوق) و (مدينة داقوق) والصواب (نهر دقوق) بدون ألف ، أو (نهر دقوقاء) ممدودة أما داقوق فهذه تسمية عامية .

٩ ـ جاء في ص ١٢٥ س ٤ : (راس العين) والأفصح بل الأصح أن يقال (رأس عين) بدون تعريف المضاف اليه كما ذكر ذلك ياقوت في بلدانه .

١٠ ـ جاء في ص ١٣٣ س ٤ : (بين الرقة والرافقة) ولم يذكر المصنف ولا المعربان شيئاً عن الرافقة بعد القرن الخامس فقد ظلت الرافقة حتى ما بعد القرن الخامس ، وقد اتخذها المرداسيون عاصمة لهم قبل استقلالهم بحلب ولها ذكر كثير في ديوان الشاعر أبي الفتح بن أبي حصينة شاعرهم . راجع ما قلناه عن الرافقة في ديوان ابن أبي حصينة الذي نحققه الآن .

١١ ـ جاء في ص ٤٧٩ س ٥ : (هو النهر المعروف اليوم بسرخاب) والأفضل كتابتها منفصلة (بسرخ آب) . وكذلك ما ورد في ص ٤٨١ س ٥ : (وخشاب) .

الدكتور محمد أسعد طلس

ويحقق في اللغة ، ثم لما درّس العربية في المدارس الثانوية بدمشق ظهر فضله وتضلعه في النحو وفنون الأدب ، واستفاد منه تلاميذه الكثيرون مدة طويلة تزيد على عشرين سنة . وظل يفيد منه الطلاب حتى حال المرض بينه وبين الدرس منذ بضع سنين .

كان شاعراً فصيحاً طويل النفس نظم في أغراض متعددة أهمها قصائده القومية ، وقد يلتزم في شعره ما لا يلزم جرياً على طريقة أبي العلاء المعري في اللزوميات . وله شعر في معان طريفة منها قصيدة في الشطرنج وأخرى في الشتاء .

وكان واسع المعرفة في اللغة حسن التحقيق صحيح الذوق تستهويه الجزالة وتعجبه الرصانة ، وهو واسع الرواية كثير المحفوظ من الشعر والنثر والحكم والأمثال والأجوبة المسكتة وأخبار العرب وشعرائهم وخطبائهم وفصحائهم ، فإذا تحدث في هذا الشأن أسهب وأطال وأتى بالمفيد الممتع . ولقد حبب إليه النحو فتعمق في درسه واطلع على مذاهبه وكان له رأي في نصرة بعض المذاهب وترجيح بعض الأقوال كما كان له رأي خاص في طريقة تدريسه .

انتخبه المجمع عضواً عاملاً سنة ١٩٤٢ وعهد إليه في بعض الشؤون اللغوية كالنظر في بعض المعاجم والمصطلحات التي عرضت على المجمع ، كما كلفه إلقاء قصيدة في المهرجان الذي أقامه للذكرى الألفية لأبي العلاء المعري سنة ١٩٤٤ .

ولقد ألحت عليه الأمراض منذ أكثر من ثلاث سنوات فانقطع عن العمل وأقام في المستشفى العسكري بالمزة حتى وافاه الأجل صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من ايلول سنة ١٩٥٥ وهو في عشر السبعين من عمره . رحمه الله رحمة واسعة وأحسن عزاء العربية وآدابها .

رأي في منع الصرف

اخواني الأفاضل

كانت كلمتي اللغوية في الجلسة الماضية أكثر فائدة من كلمتي التي ستكون في هذه الجلسة : من حيث أن الكلمة الأولى تضمنت تقرير قاعدة جديدة في اللغة يخرّج عليها طائفة من شواذ الكلمات القديمة وما ضرب على غرارها من الكلمات الحديثة وقد عنونت هذه القاعدة بعنوان (توهم اصالة الحرف الزائد) الى آخر ما قلت يومئذ . أما كلمتي في هذه الجلسة فموضوعها خلاف كان جرى [1] بيني وبين الأستاذ فارس الخوري في كيفية إعراب الكلمة غير الممنوعة من الصرف إذا منعت في الشعر من الصرف .

لا يخفى عليكم أيها السادة أن الاسم الممنوع من الصرف قد يصرف لضرورة الشعر وهذا مسلّم لا خلاف فيه . وكذا العكس أي أن الاسم المنصرف كزيد مثلاً يمنع من الصرف أيضاً لضرورة الشعر ولا خلاف في منعه بين النحاة وإنما الخلاف في كيف يكون منعه ؟

أشهر أحكام منع الصرف عدم دخول الجر وعدم التنوين ، فالاسم المنصرف اذا منعناه من الصرف للضرورة الشعرية وكان مجروراً : هل نجنّبه الجر والتنوين معاً أو نجنبه التنوين وحده ؟ يعني هل نقول لضرورة الشعر مثلاً (مررت بزيدِ) مكتفين بحذف التنوين أو نقول (مررت بزيدَ) أي بحذف التنوين وجعل الكسرة فتحة ؟ قلت انا نقول (مررت بزيدِ) وقال الأستاذ فارس بل نقول مررت بزيدَ .

---

(١) كان ذلك في احدى جلسات المجمع العلمي .

واحتدم النزاع بيننا في بعض مجالسنا الليلية ولم يكن بين أيدينا شيء من كتب المراجع في ذلك الحين ثم ما عتم أن غادر الأستاذ دمشق الى أميركا لمهمته السياسية المشهورة وغادرت أنا مجلس المناظرة الى غيابة الذهول والنسيان ٠

ثم عادت اليّ ذكرى هذا الخلاف ببيت (اليثربية) وهو قولها :

(أطعتم أتاويّ من غيركم فلا من مراد ولا مَذْحِجِ)

فقولها من (مراد) بفتح الدال أو كسرها ؟ ناظر الى ما قلنا ٠ ولنمثّل له بالشواهد التي ذكرها النحاة ، من ذلك بيتان من الشعر نحَلُوهما جدّنا الأكبر آدم عليه السلام وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌّ قبيح
تغير كل ذي طعم وريح وقلّ بشاشةَ الوجهُ المليح

واعربوا (بشاشة) تمييزاً وهو مصروف لكنهم منعوه من الصرف بحذف تنوينه للضرورة ، غير أنه لما كان منصوباً أبقوا الفتحة عليه ٠ وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهداً لتصوير الخلاف الذي بيني وبين الأستاذ ٠ أما ما يصلح أن يكون شاهداً من الشعر القديم الفصيح فهو قول ابن قيس الرقيّات :

كيف نومي على الفراش ولما تَشْمَلِ الشام غارة شعواءُ
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى عن خدامِ العقيلةُ العذراءُ

وقد أراد الشاعر بالشام بلاد الشام كلها أو ما سماه فتيان الشاغوري الطراز الأخضر مذ قال في مدح السلطان صلاح الدين :

خلعت عليــه خلعة الملك التي زيدت بهاءً بالطراز الأخضر

والخِدام بكسر الخاء جمع خَدَمة بالتحريك وهو الخَلْخال ويجمع أيضاً على خَدَم ٠ ومن المجاز اطلاق الخَدَمة على الساقِ نفسها تسميةً للمحل باسم الحال ،

ومنه حديث سلمان الفارسي « إنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمتاه تذبذبان »
أي ساقاه . وإلا فان سلمان الفارسي ما كان يلبس الخلاخيل . أما قول
ابن قيس الرقيات (وتبدي عن خدامِ) فيحتمل الأمرين أي أن يكون
أراد بالخدام أن العقيلة تكشفت عند ذهول الغارة عن خلخاليها أو عن ساقيها .

وكان من خبر هذين البيتين أن قائلها ابن قيس الرقيات الذي لقبه كثيرون
بشاعر قريش في الإسلام كان من شيعة عبد الله بن الزبير وحارب مع مصعب
فلما قتل مصعب هرب وتوارى ثم أمَّنه عبد الملك بن مروان فلما مثل بين يديه
قال لمن في مجلسه أتعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هو الذي يقول : كيف نومي
على الفراش البيتين ، فقالوا يا أمير المؤمنين (اسقِنا دَمَ هذا المنافق) فقال : لا
قد أمنته .

فقول ابن قيس الرقيات (وتبدى عن خدام العقيلة العذراء) أقرؤه أنا
(عن خدامِ) بكسر الميم مانعاً صرف خدام ومقتصراً في هذا المنع على عدم
تنوينه والإبقاء على الكسرة ، أما الأستاذ فارس بك فيقرؤه (عن خدامَ)
بحذف تنوينه وبنصب الميم أيضاً . واحتجّ بأنه في ذلك يتحقق معنى منع صرفه
إذ أن ملاك منع الصرف عدم التنوين وعدم الجر معاً وقال إن هذا هو المقرر
في كتب القواعد النحوية التي درسها في حداثته ، وقلت رادًّا عليه : إني لا أذكر
نصّ ما تعلمته في الحداثة ولكني أعلم أن الضرورة تقدر بقدرها . فإذا حذفنا
وقلنا (عن خدامِ) استقام وزن الشعر فلم يبق ثمّ حاجة لنصب (خدام) وجعل
كسرتها فتحة ويبقى الجمال اللفظي الذي تشعر به نفسنا عند التلفظ بالكلمة المجرورة
بحرف الجر . فكم يكون الفرق عظيماً في ذوق النفس بين قولنا (عن خدامِ)
بالجر وقولنا (عن خدامَ) بالنصب .

• ومن حسن المصادفة أيها السادة أني تصفحت أخيراً دفتراً أودعته دراسات لغوية ونحوية استخرجتها من كتاب (عبث الوليد) لشيخنا شيخ المعرة فوقع نظري فيه على قول البحتري في القصيدة التي مطلعها :

أفي كل دارٍ منك عين ترقرق وقلب على طول التذكر يخفق

واذا هو يقول فيهـا :

وقفت وأوقفت الجوى موقف الهوى ليالي عودُ الدهر فينانُ مورق

فقال أبو العلاء ما خلاصته فينان من الفنن فهو فيعال لا فعلان والواجب صرفه وتنوينه فيقال (عود الدهر فينانٌ) لا فينان فهو مصروف لكنــه منع للضرورة ثم قال (وترك تنوين الاسم المنصرف ضرورة كثرت في أشعارهم) وأتى بشيء من تلك الأشعار ثم قال ما نصه :

والمتأخرون من البصريين اذا حذفوا التنوين (من الاسم المنصرف) وكان الاسم مخفوضاً تركوا الكسر على حاله (أي كما قلت أنا في قول ابن قيس الرقيات) أما الكوفيون فيفتحونه تشبيهاً لما ينصرف بما لا ينصرف كما شبهوا ما امتنع من الصرف بالمصروف. انتهى قول المعري • فيكون قول الأستاذ الخوري (وتبدى عن خدامَ) بفتح الميم هو قول الكوفيين • وقولي (وتبدى عن خدامِ) بالكسر هو قول البصريين فالمسألة فيها قولان ككل مسألةٍ في العالم • ويكون شيخنا رهين المحبسين أحسن الله اليه قد أصلح بيني وبين زميلي الأستاذ الخوري وانتهت المشكلة •

تسمية السيارة بالباص

هل لها وجه في اللغة العربية ؟

كتب إليّ بعض الإخوان قائلاً :

ماذا يقول أخونا «المغربي» في تسمية سيارة نقل الركاب بالباص هل لها وجه في اللغة العربية ؟ فأجبته :

كان زميلي في تحرير (المؤيد) المرحوم سليم سركيس يروي أن العلامة (سليمان البستاني) مترجم الالياذة حدثه قائلاً انه كان موظفاً في العراق في العهد التركي وبينا كان مسافراً في بعض البوادي على فرسه إذا أعرابية تستنجد به في بعض ما أهمها من الأمر فنادته قائلةً (يا أبا المناظر يا أبا المناظر) تريد يا صاحب النظارات أو العوينات كما يغلب استعماله في لهجاتنا . وكان على عينيه نظارات فهي أي الأعرابية تضع للعوينات كلمة (المناظر) جمع (مِنْظَر) اسم آلة للنظر من دون استئذان علماء اللغة . وسمعت بعض الفضلاء يقول انهم سألوا أعرابية وقد رأوها ترنو متعجبة الى (اوتوموبيل) يجري أمامها . يا أعرابية ماذا تسمي هذه المركبة ؟ أتسمينها (مطية) ؟ قالت لا ! المطية للبل (تريد الإبل) وانما أسميها (الفرّارة) وهي صيغة مبالغة في التي تفرّ كثيراً . ولا جرم أن السيارة كما هي كثيرة السير كثيرة الفرار . واستعمال الفرار في اللغة إنما يكون في الشخص الذي يُطلَب فيفر وركاب السيارة عادة لا يكونون مطلوبين حتى يقال انهم فارّون وسيارتهم فرّارة . نعم ! ولكن الأعرابية رأت أن إمعان السيارة في سرعة السير يشبه الفرار الذي يفعله المرء حين يطلبه طالب . فهذا الجدّ في الجري يكفي في ذوق أهل اللسان العربي أن يسموا جري السيارة فراراً وإن لم يكن راكبوها فارين هاربين من طالب يطلبهم .

ومن هنا ننتقل الى جواب السائل في تسمية سيارة الركاب العامة باصاً .

أول ما شاع استعمال (الباص) في لهجة أهل فلسطين وكلمة باص محرفة من كلمة (بوس) (bus) ومعناها المركبة مع كلمة (أوتو) (auto) ومعناها المتحرك بذاته في قولهم (اوتوبوس) قلبوا واو (بوس) ألفاً وسينها صاداً وقالوا (باص) على ان (bus) في اللغة الانكليزية تلفظ (باص) بالألف . وان جواز استعمالها في لغتنا العربية مبني على قاعدة (التعريب) . وجوازُه في اللغة يكاد يكون إجماعاً . والذي يروّج هذا التعريب ويدنيه من القبول في الذوق العربي أن مادة (باص) في اللغة العربية تفيد معنى الهروب والفرار ، ففي النهاية لابن الأثير أن عمر بن الخطاب أراد أن يستعمل سعيد بن العاص (ومعنى يستعمله يوليه عملاً من أعمال المسلمين) فباص سعيد منه . وقد فسروا باص بالهروب أي أن سعيداً هرب من الولاية التي أراده عمر عليها ففرّ منه وفاته .

فسيارة الركاب التي تحمل اسم (الباص) يمكن للعربي الذي يتشاءم من استعمال الكلمات الأعجمية أن يحوّله الى اللسان العربي : فانها أي السيارة تهرب بمن فيها من الركاب وتفرّ جادّةً في السير كأنها هاربة فارّة وإن لم يكن راكبوها هاربين ولا فارين على حد الفتوى التي أسمعتنا إياها تلك الأعرابية مذ سمّت السيارة (فرّارة) أي شديدة الجري وان لم يكن من فيها فارّاً . على أن (البوص) كما يكون بمعنى الفرار يكون بمعنى السبق والتقدم كما في كتب اللغة . والحق ان كلمة (الباص) أعجمية وان القول بأنها من أصل عربي فيه تكلف لا حاجة اليه واللغة العربية في غنية عنه والسلام .

المغربي

كلمة الأمير مصطفى الشهابي

رئيس وفد الحكومة السورية وممثل المجمع العلمي العربي

في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني بالقاهرة في ٥ ايلول « سبتمبر » ١٩٥٥

يسر وفد الحكومة السورية أن يحيي هذا الحشد الكريم أجمل تحية ، وأن يتمنى لهذا المؤتمر التوفيق في خدمة أمتنا العربية .

وبعد رب قائل يقول : ان كشف النقاب عن أسرار الطبيعة وقوانينها يحتاج الى مال كثير ، وأدوات عديدة ، واختصاص واسع ، وانقطاع الى العلم النظري والى التجارب العملية . ويقول : إن هذه الأشياء هي اليوم وقف على فئة من علماء الدول الكبرى وحدها . أفيكون في مقدور علماء العرب أن يشاركوا فيها ، وهم بعدُ أبناء أمس في مدارسة العلوم الحديثة ؟

والجواب عن ذلك بسيط لا يخفى على جمهرة المثقفين من الناس . وهو ان العلوم في أيامنا هذه خضم واسع مترامي الأطراف ، فلئن تعذر علينا مزاولة بعض هذه العلوم لأسباب مادية ، فليس من المتعذر معالجة بعضها بجهد الرجل العالم وصبره وإخلاصه لعلمه ولأمته وللبشرية جميعاً .

وهناك ثلاثة ميادين على الأقل لا يعجز علماؤنا الأثبات عن أن يجولوا فيها ، وأن يكونوا فيها من المبرزين . فالأول دراسة تراث أجدادنا العلمي والأدبي والفلسفي دراسة تخصص وتعمق واستقصاء ، بغية إحياء الصالح لزمننا من هذا التراث العظيم ، وهو شيء كثير ، وبغية الإفصاح عما لم يبق له إلا قيمة تاريخية جليلة ، بعد أن اتسعت العلوم الحديثة ، وصارت تعالج بالأسلوب العلمي وحده .

والثاني دراسة شؤون أمتنا العربية وشؤون بلادنا العربية . فأمامنا متسع من العمل في مدارسة أخلاق شعوبنا وعاداتها وتقاليدها ، وما فيها من قوى كامنة ، وما هي في حاجة اليه من وعي قومي صحيح ، وتفكير علمي سليم ، وسلوك في الحياة قويم ، ومعارف عامة يتميز بها الشعب الواعي من الشعب الجاهل .

وأمامنا أيضاً مجال واسع لمدارسة خطط بلادنا ونباتها وحيوانها ومعادنها ومياهها وقابلياتها الزراعية والصناعية والاقتصادية وغير ذلك من الأمور اللاصقة بنا التي لا تعالج إلا بالأساليب العلمية الراسخة .

أما الميدان الثالث فهو ميدان لغتنا الضادية المضرية وما لها من حق على علماء أمتنا العربية . فهي لغة القرآن الكريم ، وهي أهم رابطة تشد بعض الشعوب العربية الى بعض . فهل عمل كل عالم من علمائنا وكل أستاذ من أساتذة جامعاتنا على جعلها تتسع للعلم الذي انقطع لمدارسته ؟ ان هذا المجال الحيوي ما برح أمامنا واسعاً ، وان مجمع اللغة العربية ، وفيه فقهاء أعلام بالعلوم والآداب واللغة ، ما برح يأمل أن يتلقى من كل أستاذ نتيجة جهده المشكور في مصطلحات العلم الذي اختص به ، لكي يناقش هذه المصطلحات الموضوعة أو المحققة ، فيقر أرجحها ، ويتجاوز عن المرجوح منها .

هذه ميادين ثلاثة ذكرتها للتمثيل لا للحصر . وهي ميادين من العار علينا أن يسابقنا فيها غيرنا من العلماء الأجانب فيكونوا فيها من المجلين ، ونجيء نحن بعدهم في المصلين .

ثم لا يجوز أن تظل أعمالنا فيها وفي غيرها أعمالاً فردية محصورة في رقعة صغيرة من أرض الوطن .

ولعل من أهم الأغراض التي تنشدها جامعتنا العربية وينشدها المؤتمرون أن ينشأ عندنا في أقرب وقت اتحاد علمي عربي يكون أداة فعالة في جعل علمائنا

كجُمَّاع الثريا يتعارفون ويتآزرون ويتبادلون نتائج بحوثهم ودراساتهم ، أي يعملون في مجال العلوم عمل أُمة عربية واحدة ، في وطن عربي واحد ، لا عمل أفراد متفرقين بَدادِ يقبع كل منهم في بيئته الضيقة فلا يطَّلع على عمل زملائه في الأقطار العربية الأخرى ، ولا يطلعون هم فيها على عمله .

وسورية التي فيها نشأت فكرة العمل المنظم للقضية العربية ، والتي جعلت في صلب دستورها واجب السعي الى توحيد صفوف العرب في جميع ميادين الحياة ، ومنها ميدان العلوم النظرية والتطبيقية يسعدها أن تشارك في أعمال هذا المؤتمر العلمي العربي ، ويسعد وفد حكومتها ومجمعها العلمي العربي أن يشكر الأمانة العامة لجامعة دولنا العربية ، وللجنة إعداد المؤتمر ، جميل عنايتهما به ، وحسن تدبيرهما لشؤونه .

أما مصر العزيزة رئيساً وشعباً وحكومةً فلها من صميم أفئدتنا محبة المؤمنين بأنها في العالم العربي قطب الرحى ، ومستمد الإلهام ، ومعقد الرجاء ، والرأس الذي تقوم عليه الأعضاء ، ولا غنى له عن الأعضاء .

تقرير عن المؤتمر

... قام كل عضو من أعضاء الوفد السوري بالواجب الملقى على عاتقه خير قيام فقدم بحثاً فيه من الطرافة والابتكار وحسن التعبير والاداء مع الايجاز والاختصار ما جلب اليه الأنظار وما جعل موضوعه حديث المؤتمرين وموضع إعجابهم وتقديرهم .

١ — قدم الدكتور شوكت الشطي بحثاً عنوانه «الوراثة وتحسين النسل» ضمَّنه الآراء القديمة والحديثة وتعرَّض فيه الى موضوع الساعة وهو تعقيم المصابين بالأمراض الوراثية بين أنصاره وخصومه كما عالج الناحية الدينية في هذا الموضوع مبيناً أن لبس في هذا التعقيم ما يعارض تعاليم الإسلام وقواعده الفقهية .

٢ — قدم الدكتور أنطون الجناوي بحثاً عنوانه « الطاقة الذرية في خدمة الإنسان » لخص فيه ما دار من مباحث ذات شأن في مؤتمر جنيف عن الطاقة الذرية في خدمة السلم ، فجاءت كلماته سادة الفراغ العلمي العميق الذي كان يشعر به كل متتبع لهذا البحث من المؤتمرين .

٣ — قدم الدكتور صبحي المظلوم بحثاً عن استصلاح الأراضي الصحراوية في سورية تناول فيه ببلاغة وإيجاز كل ما له صلة بهذا الموضوع ثم خص البلاد العربية كلها ببحثه مبيناً إمكانياتها العظيمة شارحاً طرق الاستفادة من ثروتها المائية الضائعة اليوم .

٤ — وقد عنيتُ بموضوع المصطلحات فقدمت بحثاً عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » بينت فيه رأيي في أوجز طريقة يجدر بنا اتباعها لتوحيد تلك المصطلحات في مدة وجيزة وهي إقامة تعاون بين مجمع اللغة العربية في مصر والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولفيف الأساتذة والعلماء العرب القادرين على وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ضمن العلوم التي اختص كل واحد منهم بها . وخلاصة هذا البحث إيجاد معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية ينفق عليه مجلس جامعة الدول العربية بين ٥٠٫٠٠٠ و ١٠٠٫٠٠٠ جنيه مصري ، ويقوم مجمع اللغة العربية على إدارة العمل وإقرار المصطلحات كما يقوم العلماء العرب الاختصاصيون بوضع قوائم أو معجمات صغيرة في اختصاصاتهم . وقد قدرت في بحثي لهذا العمل خمس سنين من الزمن . وهذا البحث كنت قدمته الى مجمع اللغة العربية وباحثت فيه وزير التربية والتعليم في مصر والأمين العام لجامعة الدول العربية .

ولا يخفى أن كبار المشتركين في المؤتمر ينشيعون لثلاثة مذاهب :

يقول أولها بجعل لغة التدريس العالي في البلاد العربية أجنبية ويزعم أن اللغة العربية عاجزة عن مسايرة التطور في التعليم الجامعي .

ويوصي ثانيهما بالتوسع في التعريب توسعاً زائداً .

ويوصي ثالثهما بعدم الالتجاء الى التعريب إلا إذا تعذرت الترجمة واستحالت .
وقد استطعنا أن نجعل المؤتمرين يقرون مبدأنا الأخير ويسيرون على ضوئه .

... هذا وسيطبع المؤتمر في كتاب خاص جميع البحوث التي بحثت مع عرض المناقشات والتوصيات التي اتخذت .

مصطفى الشهابي

محاضرة الأستاذ غيوم

ألقى المستشرق المعروف الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم عضو المجمع العلمي العربي محاضرة في استكهولم (عاصمة بلاد السويد) عن (الدين الإسلامي في العصر الحديث) ذكر فيها أثر المعاهد العلمية والدينية المصرية في العالم الاسلامي، وتكلم عن الأزهر وعن الجامعة السورية وعن المتحف الوطني في دمشق، وأسهب في الحديث عن المجمع العلمي العربي وعن مجلته (رفيعة المستوى)، وأثنى في مواضع كثيرة من محاضرته على صفات المروءة والكرم والنجدة والأخلاق الكريمة التي يتحلى بها سكان الشرق العربي والتي تجلت للمحاضر إبان رحلاته العديدة في البلاد العربية . ثم عقَّب على المحاضرة باجابة محكمة على الأسئلة التي وجهها الحضور إليه في بعض القضايا الإسلامية .

وقد اتصل بالمجمع نبأ هذه المحاضرة الرصينة فكتب إلى صاحبها يحمد له جميل قوله ويثني على نبيل شعوره ويشكر له إنصافه العرب والمسلمين .

هذا وقد علم المجمع أيضاً أن الأستاذ غيوم قد فرغ من ترجمة (السيرة) إلى الانكليزية وأنه سينشر هذه الترجمة في شهر تشرين الثاني من هذه السنة .

ملاحظات على
ديوان النابغة الشيباني [(١)]

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

— ١ —

لا أريد التعمق في حياة هذا الشاعر الذي نبغ في عصر كثر فيه الشعراء المفلقون ، ولكن يقتضي النظر فيما قاله أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني ويكرره من تبعه أنه كان نصرانياً ولعله ذكر البيتين (ص ١٠٨) :

آليتُ جهداً وصادق قسمي برب عبدٍ تجنّه الكُرُحُ
فهو يتلو الإنجيل يدرسه من خشية الله قلبه قَفِحُ

ولكن رب الراهب هو أيضاً رب كل المسلمين ولا حجة في البيتين على أنه كان نصرانياً بل يظهر من البيتين الآتيين أنه كان مسلماً (ص ١٧) :

ويَزْجُرُني الإسلامُ والشيبُ والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجِرُ

وأيضاً (ص ٦٩) :

وله نَحْبَةٌ اذا قام يتلو سُوَراً بعد سُورة الأنفال

ولهذين البيتين وغيرهما في الديوان لا أشك بأنه كان مسلماً .

والنابغة الشيباني من الشعراء المقلين ولولا النبذ التي أوردها الأصبهاني والنسخة الفريدة من ديوانه التي هي أصل الطبعة لذهب ذكره وهذا عجيب إذ في ديوانه من غريب اللغة ألفاظ كثيرة لم تدخل في معاجم اللغة العربيـة ولم يذكر صاحب اللسان وناقله صاحب تاج العروس إلا بيتاً واحداً في مادّة (بهـل) ولم أجد زيادات على ما في ديوانه إلا في حماسة البحتري (ص ٨٩ و ٢٢٨ و ٢٩١

(١) من مخلفات المستشرق الكبير المرحوم سالم الكرنكوي ننشرها الآن . (المجلة)

و ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٩) ولم يكن للناشر إلا نسخة حديثة العهد محفوظة في خزانة دار الكتب المصرية مكتوبة بخط العلامة المرحوم محمد محمود الشنقيطي نقلها عن نسخة وجدها في إحدى خزائن الآستانة لم تكن في جودة سائر النفائس التي استنسخها العلامة المذكور فكان من حسن حظي ان صديقي المرحوم الأستاذ رودلف ماير أعارني في سنة ١٩٢٢ تصاوير شمسية حصلها من الآستانة وقد أنسيت مكان النسخة الأصلية ولكن لا شك أنها النسخة نفسها التي نقلها الشنقيطي إذ وجدت في طرة صفحة ٥٠ من أصلي بخط مغربي : « قلت صوابه نَسِيل بالنون وكتبه محمد محمود » . وكان في الأصل يسيل بالياء المثناة (ص ٤٥ سطر ١١ من الطبعة) وفي المقابلة وجدتُ اختلافاً كثيراً بين نسختي والمطبوعة فوقع لي أن أفيد محبي الشعر العربي القديم بما قرأت أنا في الأصل ليحكموا بنفسهم هل أخطأ العلامة الشنقيطي في نقله ؟

ص (١) في نسب النابغة نجد غلطين الأول سُلَيم بن خصيرة وفي الأصل سليمن أي سليمان وقد نجد في النسخ القديمة الاسم سليمان مكتوباً بلا ألف ، والثاني حمّاد وفي الأصل حِمار بكسر الحاء وبالراء ، والميم غير مشددة وهو الصواب إذ حمار اسم إسلامي وقد كثر اسم حمار في الجاهلية مثلاً في نسب عدي بن زيد بن حمار العبادي الشاعر المشهور والمعقِّر بن حمار البارقي الشاعر في عهد بني أمية وغيرهما .

صفحة	سطر	
١	٦	: أيّ داءٍ أصابه .
	٨	: في الأصل دبيبه .
	٩	: وأعجبَ سلمى ...
٢	١	: في الأصل الحُرّ بالضم وهو الصواب إذ الحُرّ لقب للأفعى .

صفحة	سطر	
٢	٦	: كتب فوق برهرهة شرحاً شابة .
	١٠	: الأصل ينيله .
٣	٦	: فذو الصوت لا يجلى .
	٨	: اذا أنشدت .
٤	٦	: الأصل الزيتُ فتلها بفتح الفاء .
	٨	: الأصل دَباءها بفتح الراء .
	٩	: الأصل أنْجِدْ وهو خطأ .
٥	٥	: الأصل ويروى آرَقُ .
	٦	: الأصل يعرّق .
	٧	: في الأصل وأضحت : صوّبت كما في المطبوعة ولكن الصواب ضجّت بالجيم المشددة .
٦	٧	: قبل الاشوه في الأصل شُوه : نعام .
٧	٤	: الأصل الجنّ .
	٥	: الأصل جائلا بالجيم .
	٩	: الأصل لها تصَبعُ من خلف .
٨	٣	: من خدّه وفي الأصل من زَرّه أي من عضه .
٩	١	: الأصل صفَحت بلا تشديد وكذا في سطر ٣ .
٩	٤	: الأصل تُرْتَدى .
	٥	: الصواب الجوزاء .
	٦	: سَمومٌ وفوق نيرتا شرحاً لون .
	٧	: في الأصل يتنشّق وفي الهامش خ يتشقّق .

صفحة	سطر	
٩ ،	٨	: الأصل المخزّق بكسر الزاي .
١٠ ،	٥	: الأصل وحمْلَق بفتح اللام .
١١ ،	٥	: الأصل تُلْوي بضم التاء .
١٢ ،	٥	: الأصل سمّرة بالعين وفي الهامش خ وسُفرة .
	٩	: الأصل صدّني وفي الهامش صدّتا كلاهما بالتشديد .
١٣ ،	٣	: الأصل فوق عنسٍ كنينةٍ .
	٤	: الأصل رقّت جلوداً .
	٥	: الأصل عناقدها .
١٤ ،	١	: الأصل يَستَتبِي .
	٢	: الأصل حُصَيدا بالتصغير ورُماح بالضم .
١٥ ،	١	: الأصل حُزْنَةٍ وفي الحاشية ويروى يجاوبه .
	٧	: الأصل تُجُرٌ .
١٧ ،	٥	: الأصل من العُتْق بضم العين .
	٦	: الأصل قاتِر بالقاف وهو الصواب .
١٨ ،	٢	: الأصل الآخر كما في المطبوعة والصواب آخِر بلا ألف ولام .
	٣	: الأصل يعقِّب .
	١٢	: الأصل (ومن يَصرِف .
١٩ ،	٨	: الأصل تَخير بنقش مُنْتَها .
٢٠ ،	٢	: الأصل كأنّ تناويرَ ... دماه .
	٣	: الأصل دارُها مني (كذا) .
	٦	: الأصل وساحتَه .
	١٠	: الأصل رائمة .

صفحة	سطر	
٢١ ،	١٠	: الأصل أُهِشُّ •
٢٢ ،	٩	: الأصل وحنك (بدل وحدا
٢٣ ،	٨	: الأصل عَذاب لو يجاد به •
٢٥ ،	١	: الأصل العُطْشُ بالعين •
	٢	: الأصل أَجْن بفتح الألف
	٣	: الأصل الركبُ •
	٥	: الأصل عرّهن بعلامة إهمال
٢٦ ،	١	: الأصل حوص بعلامة إهمال
	٣	: الأصل سُدَس بضم السين •
	٥	: الأصل يعلقْ بها •
٢٧ ،	٣	: الأصل دُومة بضم الدال •
	٨	: الأصل شتانَ بفتح النون •
٢٨ ،	٥	: الأصل يجيل بالجيم •
	٨	: يَصيدك بفتح الياء •
	٩	: الأصل تعَسوا بفتح العين •
	١٠	: الأصل رُكِسوا •
٢٩ ،	٦	: الأصل خَمِسوا بكسر الميم
٣٠ ،	١٣	: الأصل عليّ قدور •
٣١ ،	٢	: الأصل وحواهم •
	٣	: الأصل فإنّ امرءاً أدا أي
	٩	: الأصل قَواية بفتح القاف •

(يتبع)

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

– ٢ –

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٤ — مركب إضافة additive compound .

قلت : مركب انضمامي ، من (الضمّ قبض شيء الى شيء وقد ضمّه فانضمّ اليه وتضامّ ، وضامّ الشيء جمعه الى نفسه) ففيها معنى الجمع والاندغام .
أما الإضافة فهي مجرد المزج والخلط ، وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٥ — خاصة جمعية additive property .

قلت : خاصة انضمامية ، للسبب الآنف الذكر في الكلمة السابقة .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٦ — تفاعل إضافي additive réaction .

قلت : تفاعل انضمام أو تضام ، للسبب المذكور في الكلمة السابقة لئلا يلبس بمعنى الكلمة الافرنجية (supplémentaire) .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٥ — مَزّ ، امتزّ adsorbe .

قلت : استجذب ، من (جَذَبه مدّه ، والشيء حوّله عن موضعه ؛ وتجذّبه شرِبه) ، تمييزاً من (الامتصاص absorption) .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٦ — ماز adsorbent .

قلت : مَجْذَبَة ، وزان مَفْعلة الدال على الذي يفعل . فالمجذَبة ذلك الجسم الذي يتجذّب الشيء الموضوع معه .

صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٧ — امتزاز adsorption .

قلت : استجذاب ، للسبب المذكور في الكلمتين الآنفتين .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٤ — مَذْق adulteration .

قلت : تمويه ، غش . أما المَذْق فهو مزج اللبن بالماء ، يقابل الكلمة

الافرنجية (mouillage) . وكذا الكلمات المشتقة من المذق المذكورات في العمود نفسه (س ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٩ — أُلفة affinity .

قلت : وكذا (العَلاقة) أيضاً للمعنى ذاته .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٠ — عامل حفّاز catalytic .

قلت : عامل وَسيط ، من (الوَساطة) ، و (الوسيط ، المتوسّط بين المتخاصمَيْن ، وتوسَّط بينهم عمِل الوساطة) ، لأنه يتوسط لإتمام الفعل الكيمياوي بين الجسمين المتماسّين . أما الحفّاز فمن (حَفَزه) أي دفعه من خلفه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه وليس فيها المعنى المراد من الكلمة الافرنجية . فالعامل لا يدفع ولا يحثّ انما يتوسط لحدوث الفعل لا أقل ولا أكثر .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٨ — الزلال albumin .

قلت : آح ، وهو أبيض البَيْض . أما الزلال فهو صفة للماء ، يقال ماء زلال أي عَذْب . وليس بين الماء العذب والآح وجه شبه من حيث الصفاء ولا من حيث الطعم .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٩ — الكحول alcohol .

قلت : غَوْل . انظر ما قلتـه في (كلمة الكحول الصرف رقم ١٦) . وكذا ما ورد في السطور ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ : (غولي ، مقياس الغول ، قياس الغول) .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٣ — حَلْكَلَ alcoholyse .

قلت : غَوحَلَ ، من (غَوْل — حلّ) كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٤ — تحَلْكُل حَلْكَلَة alcoholysis .

قلت : تَغَوْحُل — غَوْحَلَة ، كما في الافرنجية .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٥ — تقلية alcalinisation .

قلت : قَلْوَنَة ، اشتقاقاً من القِلْي والقِلْو كصِنْو . أريد بها جعل الشيء قلوياً أي ذا خواص القلويات . أما (التقلية) فهي من (قَلا الطعام أنضجه في المِقْلاة) فلا يصح استعمالها إلا لما يقابل الكلمة الافرنجية (to fry و frire) أي قَلاَ . ومن هذه الكلمة تشتق بسهولة الكلمات : (قَلْوَنَ alcaliniser) ، (مقلوَن alcalinisé) .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٦ — قَلَّى alcaliniser .

قلت : قَلْوَنَ ، للسبب المذكور آنفاً .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٧ — شبقلي alcaloide .

قلت : قَلْوِيد ، باستعمال الوَسْمة (يد) على النمط الافرنجي المتفق عليه بين جميع الكيمياويين .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٨ — ألكيل alkyl .

قلت : غَوْليل ، من كلمة (غَوْل) موسومة بالوسمة (يل) المتفق عليها بين جميع الكيمياويين للدلالة على الجذور والكلمة بالفرنسية alcoyle .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٤ — متعاوَر alterné .

قلت : متناوَب . ومثلها الكلمة التي بعدها في السطر ١٥ (تناوُب) بدلاً من (معاوَرة) . يقال عاوَرَ المكاييل ، لغةٌ في عايَرَها ، وتعاوروا الشيء تداولوه ، من العَوَر أي العيب . أما التناوب ، فمن النَوْبة وهي الفرصة ، وتناوبوا على الماء تقاسموه على حصاة القَسْم ، هذا مرة وذاك مرة .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٩ — اميد (جمعه اميدات) .

قلت : قد جمعته على (أواميد) دفعاً للبس حتى لا يتوهم أن (ات) تقابل (ate) الافرنجية الدالة على أملاح الحموض الاكسجينية ، كقولنا مثلاً : كبريتات ، ازوتات ... الخ .

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٢١ — امين (جمعه امينات) .

قلت : اوامين ، كما في اواميد دفعاً للبس ، على النحو المذكور آنفاً .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٥ — نَزيف anhydride .

قلت : بلا ماء (لا مائي) . أما النَّزيف ، من (نُزِف فلان دمُه كعُنِيَ سال حتى كاد يفرط فهو منزوف ونَزيف) فلا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يطلق على ما يوافق الـ (انيدريد) أي عديم الماء .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٦ — غامد anhydrous .

قلت : ثامد ، من (الثَّمْد والثَّمَد والثِّماد : الماء القليل لا مادة له أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، والمثمود ماء نفد من الزحام عليه إلا أقلّه) ففي كل هذا ما يدل على قلة ماء أو نفاده ، فكلمة (ثامد) إذن أصلح من (غامد) من (غَمَدَت الركية ذهب ماؤها وغَمِدَت كفرح كثر ماؤها أو قلّ . والغامد البئر المندفنة أو السفينة المشحونة) ففي كثرة المعاني المتضادة ما يبرر إهمال كلمة (غامد) .

صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ١٠ — انتيمون antimoine .

قلت : اصطلحنا عليه بالكلمة العربية (إثمد) وهو حجرٌ للكحل معروف .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ٧ — حامض الصمغ الجاوي benzoic acid .

قلت : حمض الجاوي ، إذ ليس البخور الجاوي بصمغٍ إنما هو راتينج résine فيجب حذف كلمة الصمغ .

صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ١٤ — تربينات ثنائية biterpènes .

قلت : تَرْبَنات ، بفتح الباء لئلا يلبس بالتربين terpine .

صفحة ٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ — سَحّاحة burette .

قلت : سَتّالة ، من (سَتَل ، سال قَطَراناً أي قطرة قطرة كالدمع واللؤلؤ)

إذ يُستَلّ منها المائع (أي يصب قطرة قطرة) على وعاء التفاعل الموضوع فيه الشيء المطلوب عياره . وكذا القطّارة . أما السحاحة فهي لما يقابل (pissette) .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ١٩ — سلسلة مقفلة closed chain .

قلت : سلسلة مغلقة . فالقفــل ، الحديد الذي يغلق به الباب . وليس للسلسلة هنا قفل تقفل به إنما هي رمز لانغلاقها على نفسها ، على خلاف السلسلة الخطية لصيغ الأجسام اللادورية .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ٢٣ — شِبْغَـرَاء colloïd .

قلت : غَرَوِيد ، من الغَرَا موسومةً بالوسمة (يد) .

صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٧ — نقطة الانعقاد congelation .

قلت : نقطة التجمّد أو الجُمُود . وبما أن المصطلح الافرنجي خاص بالماء فالأَولى أن يقال (نقطة الجُمُوس) لأن الجموس هو الجمود وأكثر ما يستعمل في الماء . وليلة جُماسية باردة يجمس فيها الماء وكذا (الجَمَس) فهو جمود الماء وغيره .

(يتبع) الكواكبي

تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في كلمة الدكتور الكواكبي

(مجلد ٢٩ جزء ٢ صفحة ٣٠٤ سطر ١٠) :

خطأ	صواب
كما هي عليه القواميس	كما هي عليه المقاييس

وفي السطر الأول من حاشية الصفحة نفسها لم تذكر كلمــة raffinage فلتضف .

شجرة الدارم ومزيتها

راجعاً إلى ما كتبت في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (مج ٢٩ ، ص ٤٧٦ وما بعدها) أخبر أهل العلم بكل سرور أن الأستاذ ليوين (من أبسالا) عثر على نسخة المجلد الثالث من كتاب النبات للدينوري ، في إحدى مكاتب أميركا وسينشره عن قريب إن شاء الله .

وفي هذا المجلد « باب الشجر الذي تتخذ منه المساويك وبعض ما نستحسن وضعه من وصف السياك والاستياك » . فأقتبس منه ما ورد عن الدارم تتميماً لما ذكرتُ قبل هذا وشاكراً للأستاذ الاسوجي الفاضل . وهو كما يلي :

« وأخبرني بعض الأعراب أن الدارِم شجر شبيه بالغَضا ، يستاك منه النساء ، فيُحمّر لِثاتهنّ وشِفاههنّ حمرة شديدة ، وهو حِرّيف . وأنشدني بعضهم :

إنما سلّ فؤادي دارمٌ بالشفتين

ونساؤهم يعجبهم (؟ يعجبهن) ذلك لعُجب رجالهم . ولذلك يستعملن مضغ الفوفل مع التامول [1] لتحمير لثاتهن وشفاههن ، وإن كان يشدّ اللثة ويطيّب النكهة . حتى أن الرجال ليفعلون ذلك » .

(باريس) محمد حميد الله

هدية الى الظاهرية

أهدى الأستاذ رفيق التميمي الى دار الكتب الظاهرية مجموعة من الكتب العربية والأجنبية بلغت (١٦٣) مجلداً ، فله الشكر الجزيل .

---

(١) والعادة لا تزال في باكستان وفي الهند الى هذا اليوم .

استدراك على (كتاب اللمعة للأنباري)

نشرنا على صفحات هذا الجزء (من ص ٥٩٠ الى ص ٦٠٧) كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري ، معتمدين صورة مخطوط استانبول . فلما كاد يتم طبع هذا الجزء بعث الدكتور صلاح الدين المنجد مشكوراً إلى المجمع العلمي صورة تسع رسائل للأنباري مأخوذة عن مخطوط محفوظ في خزانة كتب أحمد الثالث في استانبول . وجاءت هذه الرسائل في الصفحات (٨٩ إلى ١٢٠) من هذا المخطوط . ومن هذه الرسائل التسع كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري . وصورة الكتاب هذه أوضح رسماً من صورة المخطوط الذي اعتمدناه في نشر الكتاب ولكنها تنزل عنها صحةً وضبطاً ، على أن الخلاف بين نصيهما يسير في جملته . ونحن مثبتون هنا المهم من وجوه الاختلاف :

الصفحة	السطر	النص المنشور في هذا الجزء	نص المخطوط الثاني
٥٩	٧	في صنعة الشعر	في صنعة الشعر ومعرفة فنونه
	١٥	وهي أكثر فنون	وهي من أكثر فنون
٥٩	٢	البَلا	البِلى
	١٦	سلكها واحد	شكلها واحد
٥٩	٤	الكلم متساوية	الكلم متماثلة
٥٩	١٣	١٠ –	١٠ – المبالغة :
	١٧	١١ –	١١ – الإيغال :
	١٨	كأن قلوب الطير . . . . الخ .	كأن فتاتَ العهن في كل منزل نزلن به حبُّ الفنا لم يُحطّم
٦٠	٢٠	بمعنى غير مشروح	بمعنى مشروح
٦٠	١٠	ان كنت عاذلتي . . . . . . الخ .	إن كنتِ كارهةً لعيشتنا هاتا فحلّي في بني بدر
٦٠	١٢	يذكر مثالاً يحترز	يذكر بيتاً لا يحترز
٦٠		فنا حسين . . .	فنا حصين . . .

عبد الهادي هاشم

الفهرس العام

لمواد المجلد الثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

أي أسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقةً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدَّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسِّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي .قدَّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

التعريف والنقد

آراء وأنباء



٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٥ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٦ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٧ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣٥–٣٧) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٨ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٩ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٤٠ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني